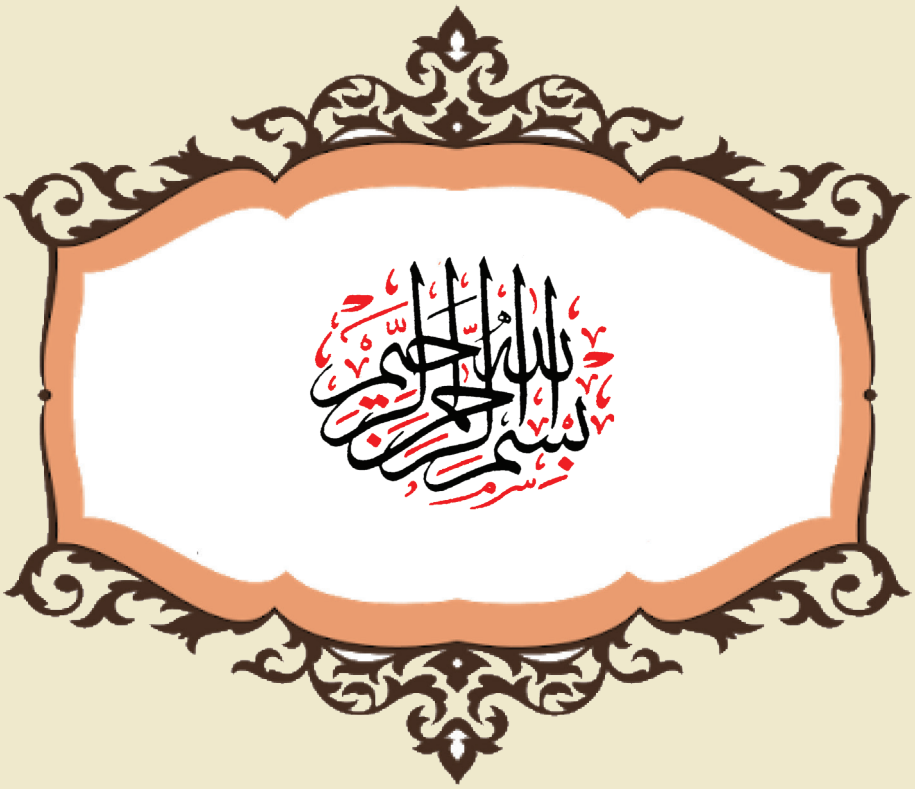
بسم الله الرحمن الرحيم

اعتماد معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (أرسيف- ARCIF)٢٠٢١م

Arcif Analytics
معامل التأثير والاستشهادات المرجعية العربي
قاعدة البيانات العربية الرقمية
Arab Citation & Impact Factor
Arab Online Database
معرفة e-MAREFA

التاريخ: 2021/9/28
الرقم: L21/512 ARCIF

سعادة أ. د. رئيس تحرير حولية المنتدى المحترم
المنتدى الوطني لأبحاث الفكر و الثقافة، البصرة، العراق
تحية طيبة وبعد،،،

يسر **معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (ارسيف – ARCIF)**، أحد مبادرات قاعدة بيانات "**معرفة**" للإنتاج والمحتوى العلمي، إعلامكم بأنه قد **أطلق التقرير السنوي السادس للمجلات للعام 2021**.

يخضع معامل التأثير "ارسيف Arcif" لإشراف "مجلس الإشراف والتنسيق" الذي يتكون من ممثلين لعدة جهات عربية ودولية:(مكتب اليونيسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية ببيروت، لجنة الأمم المتحدة لغرب اسيا (الإسكوا)، مكتبة الاسكندرية، قاعدة بيانات معرفة، جمعية المكتبات المتخصصة العالمية/ فرع الخليج). بالإضافة للجنة علمية من خبراء وأكاديميين ذوي سمعة علمية رائدة من عدة دول عربية وبريطانيا.

ومن الجدير بالذكر بأن معامل "**ارسيف Arcif**" قام بالعمل على فحص ودراسة بيانات ما يزيد عن(**5100**) عنوان مجلة عربية علمية أوبحثية في مختلف التخصصات، والصادرة عن أكثر من (**1400**) هيئة علمية أو بحثية في (**20**) دولة عربية (باستثناء دولة جيبوتي وجزر القمر لعدم توفر البيانات). ونجح منها (**877**) مجلة علمية فقط لتكون معتمدة ضمن المعايير العالمية لمعامل "**ارسيف Arcif**" في تقرير **عام 2021** .

ويسرنا تهنئتكم وإعلامكم بأن **حولية المنتدى** الصادرة عن **المنتدى الوطني لأبحاث الفكر و الثقافة، البصرة، العراق** **قد نجحت في تحقيق معايير اعتماد معامل "ارسيف Arcif"** المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (**32**) **معياراً**، وللاطلاع على هذه المعايير يمكنكم الدخول إلى الرابط التالي: http://e-marefa.net/arcif/criteria/

و كان معامل "**ارسيف Arcif** " العام لمجلتكم لسنة 2021 (**0.0336**).

وقد صنفت مجلتكم في **تخصص العلوم الإنسانية (متداخلة التخصصات)** ضمن الفئة (الثالثة Q3)، وهي الفئة الوسطى، مع العلم أن **متوسط معامل ارسيف في هذا التخصص** على المستوى العربي كان (**0.095**).
ويإمكانكم الإعلان عن هذه النتيجة سواء على موقعكم الإلكتروني، أو على مواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك الإشارة في النسخة الورقية لمجلتكم إلى معامل "**ارسيف Arcif**" الخاص بمجلتكم.

ختاماً، نرجو في حال رغبتكم الحصول على شهادة رسمية إلكترونية خاصة بنجاحكم في معامل " **ارسيف** "، التواصل معنا مشكورين.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

أ.د. سامي الخزندار
رئيس مبادرة معامل التأثير
" ارسيف Arcif"

+962 6 5548228 -9
+ 962 6 55 19 10 7
info@e-marefa.net
www.e-marefa.net
Amman - Jordan
2351 Amman, 11953 Jordan

كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي باعتماد مجلة (حولية المنتدى) لأغراض الترقية العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic Of Iraq
Ministry Of Higher Education & Scientific Research
Research and Development

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No :
Date:

العدد : بـ ت/ ٦٨٧٨
التاريخ : ٢٠١٠/٩/٢٧

جمعية المنتدى الوطني لابحاث الفكر والثقافة / مكتب السيد رئيس الجمعية

م/ مجلة حولية المنتدى

تحية طيبة ...

إشارة الى طلب المقدم من قبلكم لغرض اعتماد مجلة حولية المنتدى لاغراض الترقية العلمية ، حصلت مصادقة معالي الوزير على محضر الاجتماع الثاني عشر لتقويم المجلات العلمية المنعقد في ٢٠٠٩/٥/١٢ على اعتماد مجلة حولية المنتدى لاغراض للترقية العلمية .

... مع التقدير

أ.م.د.محمد عبد عطية السراج
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠١٠/٩/٢٦

نسخة منه الى :
- مكتب معالي الوزير / اشارة الى مصادقة معاليه المؤرخ في ٢٠١٠/٨/٣١...مع التقدير.
- دائرة البحث والتطوير/قسم الشؤون العلمية
- الصادرة

الهاتف / ١٩٤٠٦٥ الاسم ٩/٢٣

Email: researchdep@mohesr.gov.iq
Tel : 7194065

مجلة حولية المنتدى – مجلّةٌ أكاديميَّة محكّمة لأغراض التَّرقيةِ العِلميَّة.
تصدر عن: جمعية المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثَّقافة – جمعية علمية

(مجازة من وزارة التعليم العالي بموجب الامر الوزاري المرقم ٣٢١٨ في ٢٠٠٨/٨/١٠).

- العدد: الحادي والخمسون ، من السنة الرابعة عشرة ، حزيران ٢٠٢٢م.
- رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق – بغداد (٢٣١١) لعام ٢٠١٨ .
- البريد الالكتروني : HAWLEAT.M2020@GMAIL.COM
- الموقع الالكتروني : hawlyatalmontada.org
- رقم الهاتف ٠٧٨٠١٠٠٨٤٢٠ / ٠٧٨٠٥٩٣٥٦٤٩ / ٠٧٨٠٤٥١٧٩٤٥

I. S. S. N. : 1998 - 0841

2022

(من دواعي الفخر ان نحيطكم علماً انه تمت فهرسة مجلة حولية المنتدى في قواعد بيانات دار المنظومة والعمل جارٍ لإكمال فهرسة (٤٠) عدداً ، لإدراجها ضمن مستويات كلاريفيت)

عنوان المجلة: العراق - النجف الأشرف - حي العدالة - مجاور الشقق السكنية

حولية المنتدى

للدراسات الإنسانية

مجلة أكاديمية محكّمة لأغراض الترقية العلمية

I. S. S. N. : 1998 - 0841

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق بغداد (٢٣١١) لعام ٢٠١٨م

رئيس التحرير

أ.متمرس د. عبد الأمير كاظم زاهد

سكرتير التحرير

أ.م.د. أسعد عبد الرزاق الاسدي

هيأة التحرير

أ.د.طالب جاسم العنزي / التاريخ

أ.د. عامر عبد زيد الوائلي / الفلسفة

أ.د. حيدر حسن اليعقوبي / العلوم التربوية والنفسية

أ.د. أحمد سمير محمد ياسين / القانون الخاص

أ.د. أسعد كاظم شبيب / العلوم السياسية

أ.م.د. حيدر عبد الجبار الوائلي / أصول فقه

أ.م.د. ضمير لفتة حسين / اللغة العربية

أ.م.د. نور مهدي الساعدي / الدراسات القرآنية

أ.م.د.حيدر حسن ديوان الاسدي / الفقه المقارن

أ.م.د. رحيم عبد زيد / الجغرافية

الاشراف اللغوي

أ.م.د. مريم عبد الحسين التميمي

العلاقات العامة والمتابعة

د. محمد محي التلال

معتمد اللغة الانكليزية

م.م.علي حسين الحارس

الاخراج الفني

السيد عادل عبد عذاب

حولية المنتدى

الهيأة الإستشارية

أ.د. حسن ناظم عبد	وزيـر الثقافـة / العـراق
أ.د. حسن لطيف الزبيدي	إستاذ التنمية – جامعة الكوفة
أ.د. روبرت غليف	أستاذ كرسي الأديان في جامعة اكسترا / المملكة المتحدة
أ.د. طلال عتريسي	الاستشاري العلمي لجامعة المعارف – لبنان
أ.د. عفيف عثمان	أستاذ في كلية الآداب الجامعة اللبنانية – لبنان
أ.د. عبد الحسين شعبان	قانون دولي ـ بيروت
أ.د. صباح كريم كلو	أستاذ المعلوماتية / مسقط – عمان
أ.د. جمال ابراهيم الحيدري	قانون جنائي / جامعة بغداد
أ.د. كـــامل عـلاوي	ادارة واقتصاد
أ.د. ابراهيـم العـاني	فلسفة ـ لندن

تعليمات النشر في مجلة حولية المنتدى

١. الإلتزام بالمنهجية العلمية في كتابة البحث واتباع الأصول والأعراف المنهجية السائدة.

٢. أن يتميز البحث والجدة والإضافة النوعية للمعرفة. نقداً. أوتجديداً. أو ابتكاراً ولا تنشر المجلة الأبحاث المكررة في مضامينها.

٣. أن تشتمل الصفحة الأولى من البحث على عنوان البحث كاملاً، وإسم الباحث ودرجته العلمية، ومكان عمله، وتاريخ إنجازه، والبريد الإلكتروني للباحث ورقم هاتفه.

٤. أن يتضمن البحث ملخصاً باللغتين العربية والإنكليزية مع توفر الكلمات المفتاحية للبحث.

٥. توضع الجداول والملاحق والمراجع والفهارس في آخر البحث.

٦. تمتلك حولية المنتدى حق طباعة الأبحاث المقبولة للنشر ونشرها مدة خمس سنوات من تاريخ نشر البحث.

٧. يشترط أن يكون البحث مطبوعاً على قرص CD وفق المواصفات الآتية:

٨. أن يكون حجم الصفحة المطبوع عليها البحث (A4)

٩. أن تترك مسافة (٢سم) لأبعاد الصفحة من الجهات الأربع .

١٠. يطبع البحث بخط (Arial) حجم (١٦) على نظام الـ (Word) ويكون التباعد ما بين السطور هو (سطر ونصف) ويكون حجم خط الهامش (١٣).

١١. إدراج الهوامش بشكل تلقائي وليس يدوياً.

١٢. تجميع الأشكال الهندسية في البحوث التي تتضمن جداول ومخططات بيانية أو إحصائية.

١٣. أن لا تزيد عدد صفحات البحث عن (٢٠) صفحة.

التحكيم :

١- يخضع البحث للإستلال الإلكتروني.

٢- تخضع جميع البحوث والدراسات المنشورة للتحكيم من متخصصين من ذوي الخبرة البحثية والمكانة العلمية المتميزة.

٣- نحرص على أن تعلو رتبة المحكم العلمية على رتبة الباحث (في حال المؤلف الفردي) أو رتبة أي من الباحثين (في حال تعدد المؤلفين).

٤- لمجلتنا قائمة بالمحكمين المعتمدين في تخصصات المجلة ويجري تحديث هذه القائمة على ضوء التجربة بشكل مستمر.

٥- يطلب من المحكم رأيه في البحث كتابة على وفق استمارة محددة، تتضمن على سبيل المثال :

- ❖ أصالة البحث ومدى إسهامه المعرفي في مجال التخصص.
- ❖ منهجية البحث.
- ❖ المصادر والحواشي.
- ❖ سلامة التكوين واللغة والاستنتاجات.
- ❖ ويطلب منه في نهاية تقسيمه العام ابداء الرأي في مدى صلاحية البحث للنشر.

٦- تستعين المجلة بمحكمين اثنين على الأقل لكل بحث، ويجوز لرئيس التحرير إختيار محكم ثالث في حال رفض البحث من أحد المحكمين، ويعتذر للباحث من عدم نشر البحث في حال رفضه من المحكمين.

حقوق المجلة:

١- لهيأة التحرير حق الفحص الأولي للبحث وتقرير أهليته للتحكيم، ويعد رأي المحكمين الزامياً لرئيس التحرير وهيأته.

٢- يجوز لرئيس التحرير إفادة كاتب البحث غير المقبول للنشر برأي المحكمين أو خلاصته. عند طلبه من دون ذكر أسماء المحكمين، ومن دون أي التزام بالرد على دفاعات كاتب البحث.

٣- تعطى الأولوية في نشر البحوث المقبولة للنشر للباحثين المنتمين للجمعية ولمن اقتبس من أبحاث مجلتنا ، ولا سيما المتصلة بالدراسات الإنسانية المعاصرة.

٤- لا يجوز نشر البحث في مجلة علمية أخرى بعد إقرار نشره في مجلتنا.

٥- للمجلة العلمية إعادة نشر البحث، ورقياً كان أم ألكترونياً مما سبق لها نشره، من دون حاجة لإذن الباحث، ولها حق السماح بإدراج بحوثها في قواعد البيانات المختلفة.

٦- تستوفي المجلة أجور النشر حسب تعليمات الوزارة / البحث والتطوير على وفق اللقب العلمي، وتستوفي ثلاثة آلاف دينار عما زاد عن (٢٠) صفحة.

ثالثاً: حقوق الباحث:

١- يحرص رئيس التحرير على إفادة كاتب البحث بمدى صلاحية البحث للنشر في خلال أسبوعين من تسلم ردود المحكمين.

٢- يجوز للباحث إعادة نشر بحثه المنشور بالمجلة ضمن كتاب للباحث بعد مضي سنة واحدة من نشره بالمجلة، وأن يشير إلى المصدر عند إعادة النشر.

رابعاً: الإجراءات والتدابير في حال الإخلال بالإقرار:

إذا ثبت للمجلة قيام الباحث بنشر البحث، ورقياً أو الكترونياً قبل تقديمه للمجلة أو عند ذلك أو بعده يحق للمجلة حرمانه من النشر مستقبلاً في المجلة مدة لا تقل عن سنة، على وفق ما تراه هيأة تحرير المجلة، وتخطر الجهة التي نشر فيها.

المحتويات

محور الدراسات المتفرقة

الاتجار بالبشر والقانون الدولي / نـماذج جـديـدة مـن العبوديـة د. عبد الحسين شعبان	١٥

محور دراسات اللغة والأدب

الأبعاد التداولية للإشاريات الشخصية في شعر تأبط شرا - الضمائر انموذجا - أ.م.د.فاطمة حميد يعكوب أ.م.د. مشتاق طالب منعم جامعة القادسية/كلية الهندسة جامعة واسط/كلية التربية الأساسية	٥٩
العنوان في شعر بشرى البستاني / أنماطه ووظائفه أ.م.د. رائد فؤاد طالب الباحث : احمد بيان عبد السادة	٨٣
الإشاريات الشخصية وأبعادها التلطفية في أحاديث أهل البيت (ع) / مقاربة تداولية أ.م.د حسين علي حسين م.م وسام جميل الحسن	١١١
النّقد اللّغويّ في القراءات القرآنيّة، المحتسب لابن جنيّ (٣٩٢هـ) أنموذجًا أ.م.د. سعيد إبراهيم صيهود جامعة البصرة - كليّة التربية البدنيّة وعلوم الرّياضة	١٤٩

محور الدراسات الإسلامية

أحوال نزول الوحي على الرسول محمد(صلى الله عليه واله وسلم) / دراسة في الافتراءات الاستشراقية / الصرع وفقدان الوعي والهوس / إنموذجا المدرس الدكتور ثـائـر هادي رسن راشد العقيلي المدرسة / إعدادية الرسالة للبنين / مديرية تربية البصرة	١٨٣

المحتويات

محور الدراسات السياسية

عبد السلام عارف رؤية مستقبلية في مسار العلاقات العراقية - الإيرانية (١٩٦٣-١٩٦٦) أ. م. هلال كاظم حميري الشبلي وزارة التربية العراقية/ المديرية العامة لتربية النجف الاشرف	٢١٥

محور الدراسات القانونية

إسهام الإرادة في إنشاء القواعد الدولية أ.م.د. عبد الرسول كريم مهدي أبو صبيع فرع القانون العام/ كلية القانون/ جامعة الكوفة	٢٨٣

الاثر الناقل للاستئناف كإستثناء على مبدأ ثبات النزاع في الدعوى المدنية أ.د. أحمد سمير محمد ياسين — كلية القانون والعلوم السياسية / جامعة كركوك الباحث: بلال قيس كمال — كلية القانون واعلوم السياسية / جامعة كركوك	٣١١

محور الدراسات الفلسفية

فكرة الكمال وتأريخها في الفلسفة اليونانية والفلسفة الوسيطة دراسة فلسفية أ. م. د. زينه علي جاسم الحسن جامعة الكوفة / كلية الفقه / قسم العقيدة و الفكر الاسلامي	٣٤٣

محور الدراسات الجغرافية

خطوط نقل النفط في محافظة البصرة بين الواقع والتحديات / دراسة جغرافية م.م. هدى أحبيني عاشور البيضاني جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٣٨١

المحتويات

اساليب التجديد الحضري للتراث العمراني/ دراسة حالة الموروثات العمرانية في مدينة الزبير م.د. قاسم مطر عبد الخالدي جامعة البصرة / كلية التربية / القرنة	٤٢٧

محور الدراسات الإنكليزية

Investigating the Strategies Adopted in Translating Humour in Subtitling: Allusive Expressions in Two Arabic TV Series as an Example Assist. Lecturer Ammar Fouad Mshari Assist. Lecturer Ahmed Fakhir Majeed University of Basrah/ College of Arts/ Dept. of Translation	3

محور
الدراسات المتفرقة

جولة المبتدي

الاتجار بالبشر والقانون الدولي
نماذج جديدة من العبودية

د. عبد الحسين شعبان*

توطئة:

«متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا» عمر بن الخطّاب في ٢٣ يناير (كانون الثاني) العام ١٨٤٦ أصدر المشير أحمد باشا، باي تونس أمراً يقضي بـ«إلغاء الرق وعتق العبيد»[١]، ويأتي هذا القرار المتقدّم من دولة صغيرة قياساً بجيرانها، من جنوب وشمال البحر المتوسط، لكنها كبيرة بما قدّمته للبشرية بريادتها وحجم تأثيرها[٢].

وحين نستعيد هذه الذكرى بعد مرور ما يزيد على قرن وثلاثة أرباع القرن[٣] على هذا القرار التاريخي، فإن له دلالات كثيرة ومعاني عديدة منها:

أولاً – صدور قانون تونسي جديد بعد ثورة ١٤ جانفي (يناير – كانون الثاني ٢٠١١) يقضي بـ«منع الاتجار بالبشر ومكافحته»[٤].

وثانياً – بروز ظواهر جديدة على المستوى العالمي للاتجار بالبشر

---

*أكاديمي ومفكّر عربي (من العراق) – نائب رئيس جامعة اللاّعنف وحقوق الإنسان، لديه أكثر من ٧٠ كتاباً في قضايا الفكر والقانون والأديان والمجتمع المدني والنزاعات الدولية والثقافة والأدب. حائز على جائزة أبرز مناضل لحقوق الإنسان، القاهرة، ٢٠٠٣.

وأشكال مختلفة من العبودية الجديدة، الأمر الذي يحتاج إلى بحث الظاهرة من جوانبها المختلفة، التاريخية والقانونية والفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية وغيرها، وهي عبودية جديدة في التاريخ المعاصر، تشمل اليوم أكثر من ٤٥ مليون إنسان وتصل قيمة التجارة بها إلى أكثر من ١٥٠ مليار دولار.

وثالثاً – شيوع ظواهر الإرهاب والعنف والحروب والنزاعات الأهلية، وما تبعها من هجرات ونزوح وتمزيق للروابط العائلية والاجتماعية، وتعرّض الكثير من الأطفال والنساء للابتزاز والاغتصاب وتجارة الجنس والمخدرات وغسل الأموال، إضافة إلى الاتجار بالأعضاء البشرية وغيرها.

ورابعاً – اتّساع ظاهرة اللجوء وارتفاع أعداد اللاجئين في العالم، مترافقاً مع أزمة اقتصادية ومالية عالمية، وخصوصاً منذ العام ٢٠٠٨ والتي لا تزال مستمرة حتى يومنا هذا، والتي أدّت إلى انهيار مصارف عملاقة وشركات تأمين كبرى وتدهور مستوى المعيشة على نحو مؤثر، وإذا كانت الأزمة قد عرفت في الغرب باسم «أزمة الرهن العقاري» فإنها ارتبطت في بعض بلدان العالم الثالث والبلدان العربية بشكل خاص بأربع تطورات مهمة هي:

١ – الفوضى التي ضربت عدداً من البلدان العربية، بعد موجة «الربيع العربي» في العام ٢٠١١، وانهيار شرعيات قديمة، وعدم استكمال بناء شرعيات جديدة، أو أن هذه الشرعيات لا تزال في طور الانتقال الضروري، ولم تستقر بعد.

٢ – اتّساع ظاهرة البطالة وشحّ فرص العمل وازدياد حدّة التفاوت الاجتماعي والطبقي، لدرجة أن فئات غير قليلة من الطبقة الوسطى تدهورت أوضاعها الاقتصادية والمعيشية، وانخفض مستوى حياتها، الأمر الذي دفع بعض الشباب للانخراط في منظمات إرهابية، خصوصاً باستخدام عملية غسل الأدمغة والتأثير على العقول، التي قامت به المنظمات الإرهابية[٥].

٣ – انخفاض أسعار النفط الذي جاء مترافقاً مع حروب أهلية في ليبيا وسوريا واليمن، إضافة إلى استمرار تدفق الإرهابيين من أوروبا إلى مناطق النزاع، ولا سيّما بعد احتلال داعش للموصل وقبل ذلك استيلائه على الرقة وتمدّده في نحو ثلث الأراضي السورية وثلث الأراضي العراقية، على الرغم من الخسائر التي لحقت به مؤخراً، وقد أثّر هذا العامل على بلدان العُسر وبلدان اليسر في الآن ذاته، خصوصاً وأن الكثير من الموارد استخدمت على السلاح والأمن ومكافحة الإرهاب.(٦)

٤ – إقدام داعش على عمليات استرقاق جديدة وعبودية من نوع مختلف، لا سيّما إزاء أتباع الأديان الأخرى، من المسيحيين والإيزيديين وغيرهم، وكان تنظيم القاعدة (الأم) وبعض ربيباته «جبهة النصرة» (واسمها الجديد جبهة فتح الشام) قد أقدم على عمليات استهداف للمسيحيين(٧)، مثلما قام بعدد من العمليات في أوروبا، مثلما حصل في فرنسا وألمانيا وغيرها.

سيتناول البحث هذه الظواهر الجديدة في إطار مقاربة حقوقية – فكرية من زاويتها السسيو ثقافية، إضافة إلى تسليط الضوء عليها في إطار القانون الدولي، وذلك عبر أربع محاور:

المحور الأوّل

نبذة عن العبودية في التاريخ

قبل أن نبحث في تاريخ الرق وأصل العبودية، باعتبارهما يشكّلان جوهر الانتهاك الأول والأشد جسامة لحقوق الإنسان. لنسأل ما هي العبودية، ثم متى جرى تحريمها دولياً؟

من الناحية القانونية يعتبر «العبد» مملوكاً لسيّده، أي أن إنساناً ما يمتلك إنساناً آخر، ومثل هذا الوصف من الناحية السسيولوجية والحقوقية، هو شكل من أشكال الحكم بالأشغال الشاقة على إنسان مدى الحياة، أي أن العبد سيكون مكرهاً على القيام بأعمال السخرة الإجبارية، وتعود ملكيته والانتفاع منه إلى الأشخاص الذين يستعبدونه

ويتداولونه كسلعة تُباع وتُشترى.

يعود أصل العبودية إلى ما قبل التاريخ، وقد تفشّت هذه الظاهرة في الحضارات القديمة كجزء من النظام الاجتماعي، لدواعٍ وأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية، تمييزية، وهو ما كان موجوداً في بلاد الرافدين وحضاراته المختلفة وحضارة وادي النيل والصين والهند، وفي الحضارة اليونانية، حتى إن معظم سكان أثينا «الديمقراطية» كانوا من العبيد، وهو ما أشار إليه هوميروس في الإلياذة والأوديسا، وكذلك في الإمبراطورية الرومانية.

ومارس الأوروبيون في القرن الخامس عشر تجارة العبيد بحق إفريقيا، وكانوا يرسلون الأفارقة للعالم الجديد (أمريكا)، حيث عملت في هذه التجارة البرتغال وإسبانيا وبريطانيا وهولندا والدانمارك وبلجيكا[٨]. وألغت الدانمارك كأول دولة أوروبية تجارة العبيد العام ١٧٩٢ وتبعتها بريطانيا، وعقدت الدول الأوروبية معاهدة فيينا العام ١٨١٥ لمنع تجارة العبيد، وصدر في ٨ فبراير (شباط) ١٨١٥ أول إعلان دولي يتعلق بإلغاء الرق[٩].

واعتبر إعلان الاستقلال الأمريكي «العبودية شرٌّ ولا تتفق مع روح ومبادىء الاستقلال» ونص الدستور الأمريكي على إلغاء العبودية، وقد قررت عصبة الأمم في مؤتمر دولي «منع تجارة العبيد وإلغاء العبودية بشتى أشكالها»، وتعززت هذه التوجهات واكتسبت بُعداً قانونياً وأخلاقياً بعد الحرب العالمية الثانية، باعتبارها أحد قواعد القانون الدولي ذات الطبيعة العرفية، خصوصاً وقد اعتمدت كقاعدة آمرة Jus Cogens أي أنها قاعدة واجبة الأداء ولا تقبل الاستثناء، وعلى الدول والمجتمع الدولي ككل الالتزام بها، ويشكّل انتهاكها جريمة ضد الإنسانية، وقد اتّسع مفهوم الرق ليشمل من الناحية الفعلية أشكال جديدة من الاسترقاق الحديث لمجموعات سكانية اعتبرت مستضعفة دينياً أو إثنياً أو لغوياً أو سلالياً، ناهيك عن النساء والأطفال.

وكان لصدور الإعلان العالمي لحقوق

الإنسان في ١٠ ديسمبر/ كانون الأول العام ١٩٤٨ دوراً مهمّاً في تعزيز تحريم الرق والعبودية ونشر الثقافة الحقوقية بشكل عام، خصوصاً وقد صدر بعده بعام الاتفاقية الخاصة بمكافحة الاتجار بالبشر واستغلال دعارة الغير (العام ١٩٤٩) وتبعها بروتوكول معدّل للاتفاقية الخاصة بالرق (العام ١٩٥٣) ثم صدرت الاتفاقية التكميلية التي جرت الإشارة إليها (العام ١٩٥٦)[١٠].

المحور الثاني

الاتجار بالبشر والقانون الدولي

يعتبر العهدان الدوليان: الأول – الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والثاني – الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الصادران عن الجمعية العامة للأمم المتحدة العام ١٩٦٦ والداخلان حيّز التنفيذ العام ١٩٧٦ مرحلة جديدة لمكافحة الاتجار بالبشر في إطار القانون الدولي والشرعة الدولية لحقوق الإنسان، وهو الأمر الذي تم استكماله في نظام روما للمحكمة الجنائية الدولية العام ١٩٩٨ والتي دخلت حيّز التنفيذ العام ٢٠٠٢، وقد تعمّق هذا المفهوم بعدد من الاتفاقيات الدولية، فكيف نظر القانون الدولي للاتجار بالبشر؟

عرّفت اتفاقية العام ١٩٢٦ الخاصة بإلغاء الرق والعبودية، الرق بكونه يتمثّل في حالة أو وضع لشخص تمارس عليه خصائص قانون الملكية كلياً أو جزئياً، كما تشمل عملية القبض على شخص أو شرائه أو بيعه بهدف إخضاعه للعبودية، إضافة إلى المتاجرة به[١١].

وقد استكملت هذه الاتفاقية باتفاقية أخرى أعمق وأشمل استهدفت إلغاء الرق وتجارة الرقيق والمؤسسات والممارسات الشبيهة به، مثلاً الاستعباد مقابل ديون وتعسّر الدفع، وعندما يمكن أن يقوم المدين للدائن خدمات للوفاء بالدين تقترب من العبودية أو الاستعباد الإقطاعي أي إجبار شخص ما على العيش والعمل في أرض يملكها شخص آخر، سواء بالمجان أو مقابل أجر دون أن يكون لديه قدرة على التحلل منه أو التخلص من آثاره القانونية العرفية أو الاتفاقية،

أو الاستعباد عبر مؤسسة أو ممارسة، لا سيّما للنساء بالزواج أو وعد به مقابل مبلغ من المال أو مقابل بدل عيني لولي أمرها أو حق التخلي عنها لطرف ثالث، والأمر يشمل الأطفال قبل بلوغهم سن الـ ١٨، الأمر الذي يعني استغلالهم[١٢].

تعني ظاهرة الاتجار بالبشر، الانتقال غير القانوني من بلد إلى آخر بهدف تحقيق الربح، وذلك طبقاً لفئتين: الأولى التهريب، والثانية المتاجرة غير المشروعة، واحتمال الاستغلال اللاحق للذين يتم انتقالهم من بلد لآخر، أي أنه تجنيد للأشخاص بنقلهم أو ترحيلهم أو إيوائهم أو استقبالهم، سواء التهديد بالقوة أو باستخدامها، أو غير ذلك من أشكال القسر والاختطاف والاحتيال والخداع لغرض الاستغلال، وهو ما تذهب إليه اتفاقية الأمم المتحدة لعام ٢٠٠٠ والتي دخلت حيز التنفيذ العام ٢٠٠٣ وثلاث بروتوكولات ملحقة بها، هي:

الأول: برتوكول الاتجار بالأشخاص، الذي يتعلّق بمنع ومناهضة ومعاقبة الاتجار بالأشخاص وخصوصاً النساء والأطفال.

والثاني: بروتوكول مكافحة تهريب المهاجرين، عن طريق البر والبحر والجو.

والثالث: بروتوكول مكافحة الصنع غير المشروع والاتجار بالأسلحة النارية.

وكانت الأمم المتحدة قد أعدّت مدوّنة نموذجية صدرت عن مكتبها الخاص بالمخدّرات والجريمة بهدف التوصّل إلى أفضل النتائج لمسألة الاتجار بالأشخاص من الناحية التشريعية، وقام مجلس أوروبا بمبادرات بهذا الخصوص، سواء ببعدها الإنساني أو الإداري، لكن بعض هذه الإجراءات لها عوارض أخرى قد تتسبّب في المزيد من الإضرار بالضحايا، كأن يتم إغلاق الحدود ورفض استقبال المهاجرين أو حجزهم أو إعادتهم بالقوة، الأمر الذي يلحق ضرراً بحقوقهم في الحصول على اللجوء طبقاً لاتفاقية الأمم المتحدة لعام ١٩٥١ وملحقها لعام ١٩٦٧.

وكان الإعلان العالمي لحقوق

الإنسان قد تناول الظاهرة بتأكيده على أنه «لا يجوز استرقاق أو استعباد أي شخص، ويُحظر الرق وتجارة الرقيق بكافة أنواعها»[١٣].

وقد شهد العالم خلال العامين ٢٠١٥ و٢٠١٦ هجرة لم يسبق لها مثيل، شملت فئات واسعة من السكان لأسباب تتعلّق بالحروب والنزاعات المسلحة، لا سيّما من بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وقد أثار هذا الأمر خلافات حادة بين تركيا واليونان من جهة وعدد من البلدان الأوروبية،، مثل النمسا وهنغاريا وتشيكيا وسلوفاكيا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا، وبعض دول شمال أوروبا، بشأن التزاماتها إزاء حقوق اللاجئين بشكل خاص وحقوق الإنسان بشكل عام.

أما المحكمة الجنائية الدولية فقد اعتبرت الاستعباد الجنسي والبغاء القسري جرائم ضد الإنسانية، كما ورد في المادة ٧ من ميثاقها، خصوصاً إذا كان الأمر ممنهجاً وموجهاً ضد السكان المدنيين[١٤].

وذهبت اتفاقية حقوق الطفل إلى حظر الاتجار بالأطفال ودعارة الأطفال وعمل الأطفال وأوجبت على الدول حمايتهم من كل أشكال الاستغلال والعنف الجنسي[١٥].

يعتبر الاتّجار بالبشر جريمة قانونية خطيرة، وهي إضافة إلى ذلك فإنها تثير إشكالات ومشكلات حقوقية واجتماعية واقتصادية وثقافية وتربوية وأخلاقية بامتياز، ناهيك عن كونها قضية إنسانية أساساً، ولذلك لم يعد السكوت عنها ممكناً أو إهمالها مبرّراً، بل لا بدّ من العمل على إيجاد حلول مناسبة لها ومعالجة آثارها السلبية، ولعلّ مثل هذا الالتزام يقع على عاتق الدول الأعضاء في الاتفاقيات الدولية، فضلاً عن مسؤولية المجتمع الدولي، لما لها من انعكاسات خطيرة، ذلك أن الاتّجار بالبشر هو جريمة تنتهك بصورة صارخة كامل منظومة حقوق الإنسان، والقيم والتعاليم الدينية، وتقوّض أسس السلام المجتمعي والأمن والاستقرار.

وتعمل العديد من العصابات الدولية اليوم لاستثمار الثغرات في القوانين الدولية والوطنية لمواصلة الكسب غير المشروع والحصول على المزيد من الأرباح، على حساب

الجانب الإنساني والأخلاقي، وهو ما شخّصه مؤتمر فيينا لعام ٢٠٠٨[١٦] لمكافحة الاتّجار بالبشر ومؤتمر عمّان الإقليمي المنعقد في ٢٠١٠[١٧]. جدير بالذكر أن جامعة الدول العربية أصدرت استراتيجية عربية شاملة لمكافحة الاتجار بالبشر، وذلك ضمن رؤية قوامها «منع ومكافحة الاتجار بالبشر وحماية الضحايا في المنطقة العربية، وفقاً لأعلى المعايير الدولية واستهداء بالقيم الإنسانية الأولية والراسخة في الوجدان العربي «كما ورد في وثيقة جامعة الدول العربية[١٨].

ولا بدّ للدول العربية من المصادقة على بروتوكول منع ومناهضة ومعاقبة الاتّجار بالأشخاص والبروتوكولين الآخرين المتعلّقين بمكافحة التهريب ومكافحة الإنتاج غير المشروع للأسلحة النارية أو الاتجار بها، لا سيّما البلدان التي لم توقّع عليه، وضرورة مواءمة التشريعات معها ومع أحكام الاتفاقيات الدولية وضرورة إصدار «قوانين وطنية لمكافحة الاتّجار بالبشر وتحريمه وتجريمه» بكل صوره وأشكاله وحماية الضحايا.

وقد أقدمت جامعة الدول العربية على خطوة إيجابية بعد المؤتمر الإقليمي فأطلقت مبادرة لمكافحة الاتّجار بالبشر في مارس/آذار ٢٠١٠ بالتعاون مع المؤسسة القطرية (الدوحة) ومكتب الأمم المتحدة المعني بالجريمة والمخدرات، الأمر الذي يتطلّب من البلدان العربية كل على انفراد ومجتمعة رسم سياسات تنسجم مع هذه التوجهات بحيث تؤتي الجهود الرسمية بالتعاون مع المجتمع المدني ثمارها وتُفلح في معالجة أسباب الظاهرة مثل الفقر والجهل وانعدام تكافؤ الفرص وشحّ الحريات والفجوة بين الشمال والجنوب وعدم الاستفادة من منجزات الثورة العلمية التقنية.

إن جريمة الاتّجار بالبشر اليوم تسير جنباً إلى جنب مع جرائم المخدّرات وغسيل الأموال والتزوير، وكلّها أصبحت جرائم دولية، ما فوق قومية وعابرة للقارات، وهي شكل مستحدثٌ من أشكال المافيا الجديدة، كما أشار إلى ذلك فرناندو أساور المدعي العام الإيطالي في

مؤتمر دوكان المتميّز الذي انعقد في السليمانية في كردستان العراق العام ٢٠١٢[١٩].

وكانت حالة سرقة الأعضاء البشرية من الضحايا الفلسطينيين الذين يتم اغتيالهم من جانب السلطات «الإسرائيلية» التي أسهم في فضحها الصحافي السويدي دونالد بوستروم الذي تعرّض إلى حملة تشويه، فضيحة دولية بكل معنى الكلمة، وهي تندرج في إطار الاتفاقيات الدولية التي تضع مسؤوليات على عاتق الحكومات والمجتمع الدولي لمعالجة آثارها ووضع حد لها، ناهيكم عن إنزال أشد العقوبات بمرتكبيها.

والاتجار بالبشر هو نشاط سري عابر للدول والحدود والقارات ويشمل النساء والرجال والأطفال، في ظروف عمل لا إنسانية بالنسبة للرجال، وظروف أقرب إلى الاسترقاق أو العبودية بالنسبة للنساء، إضافة إلى الاستغلال الجنسي، وبالنسبة للأطفال استخدامهم بالتسوّل أو كباعة متجوّلين، واستغلالهم جنسياً في الكثير من الأحيان، إضافة إلى محاولات تجنيد بعضهم في صفوف الإرهابيين، وفي ميليشيات أو جماعات خارجة على القانون، وأحياناً تقوم قوى نظامية باستخدامهم وتجنيدهم في حروبها بما يتعارض مع قواعد القانون الإنساني الدولي واتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ وملحقيها بروتوكولي جنيف لعام ١٩٧٧[٢٠].

وعلى الرغم من الجهود الدولية في ميدان مكافحة الاتجار بالبشر، فإن المعلومات ما زالت شحيحة بخصوصه، لأن بعضها يتخفّى وراء نشاطات شرعية، وترتفع نسبة الاتجار بالبشر في البلدان التي انهارت فيها السلطات المركزية أو انهارت سلطة القانون أو خلال الحروب الأهلية أو عند الغزو والاحتلال، لذلك تزداد عمليات التهريب وخرق القانون، ومن أكثر الأمثلة دلالة هي نماذج سوريا والعراق وليبيا واليمن وغيرها. ويلاحظ هنا أن بعض البلدان تمثّل وجهة للاتجار للبشر أي مقصداً تسعى إليه الجهات والجماعات المعنية، مثلما هي بلدان الخليج

العربي، وعلى درجة أدنى الأردن ولبنان والجزائر ومصر والمغرب، وهناك بلدان تشكّل مصدِّراً للاتجار بالبشر، مثلما هي جنوب شرقي آسيا، وشرق أوروبا، وآسيا الصغرى ووسط آسيا.

ويستخدم التجار الذين يقومون بالاتجار بالبشر مختلف الأساليب لجني الأرباح، سواء كان ذلك عبر الخطف أم القسر أم احتجاز الاستحقاقات المالية، أم الإغراق بالديون، أم منع الأشخاص من التواصل مع الآخرين، أم فصلهم عن عائلاتهم، أم مصادرة جوازات سفرهم، أم تعنيفهم وإذلالهم أم تهديدهم بالسجن أم الترحيل، وهو ما أشار إليه تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٩ – برنامج الأمم المتحدة الإنمائي «تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية»، بخصوص انعدام الأمن الشخصي للفئات الضعيفة[٢١].

وكان الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون، قد قال: إن الاتجار وُجِدَ لعدّة قرون، وهو جريمة قاسية تشمل الملايين، وكل البلدان تتأثر بالجريمة: دول المنشأ والعبور والمقصد – إنه مشروع إجرامي عالمي يدرّ سنوياً بأرباح طائلة وغير مشروعة على المتاجرين. وحسب بعض الإحصاءات المتوفرة في العام ٢٠٠١ – كان ٥٣٪ من الذين تم اكتشافهم ضحايا استغلال جنسي، و٤٠٪ ضحايا العمل القسري (خدمات بشكل عام).

وقد جرّمت معظم البلدان «الاتجار بالبشر» بموجب بروتوكول الأمم المتحدة، لكن الإفلات من العقاب لا يزال مشكلة حقيقية، حيث إن أربعة بلدان من ضمن عشرة صدرت بها ١٠ أحكام إدانة أو أكثر سنوياً (في الفترة بين ٢٠١٠ – ٢٠١٢).

ولا شك أن الاتجار بالبشر يقوّض عملية التنمية لأنه يساهم في تعميق حالة الفقر وعدم المساواة، من خلال الرشا والفساد المالي والإداري، ويساهم في ارتفاع نسبة الجريمة المنظمة، وقد ناقشت الأمم المتحدة في خطتها للتنمية العام ٢٠١٥ الأهداف التي ترمي إلى الحد من أعداد الأشخاص الذين يتم

الاتجار بهم، ناهيك عن التأثيرات النفسية والصحية على الضحايا أنفسهم، إضافة إلى إضعاف حكم القانون، وخفض عائدات الضرائب وتحويلات المهاجرين، ويساهم في تفتيت الأسر، ويحرم الأطفال في التعليم ويفاقم من مشكلات الصحة العامة ونشر فيروس نقص المناعة (الإيدز).

المحور الثالث

داعش والعبودية الجديدة

١ – المسيحيون: ماذا يرد المتطرفون والمتعصّبون منهم[٢٢]؟

لعلّ السؤال الذي واجهني بأشكال مختلفة ومتعدّدة وأنا أتحدّث أمام جمع من المسيحيين العراقيين في المنتدى الثقافي السرياني بعينكاوا في إربيل، أهو ربيع عربي حقاً؟ إذاً كيف يكون خريفاً للمسيحيين يستهدفهم في أمنهم وأمانهم وحياتهم وممتلكاتهم، ويدفع بهم لمغادرة بلادهم إلى المجهول؟

إن استهداف المسيحيين هو أحد مفارقات الربيع العربي، فبعد إقصاء وتهميش مُزمِنَين، تجلّيا باللاّمساواة والتمييز والمواطنة الناقصة أو المبتورة، وإذا بهم يفاجئون ويؤخذون، ومعهم الجميع على حين غرّة، حيث يتعرّضون إلى حملة منفلتة لتغييبهم وإلغائهم هذه المرّة، لا سيّما بإجبارهم على الهجرة، وهم الذين كانوا الأكثر توقاً إلى التغيير والمساواة والكرامة الإنسانية، وأكبر أملاً في الحصول على المزيد من الحقوق والحريات.

مفاجأة أخرى غير سارّة للمسيحيين حملتها موجة التغيير، تلك التي جلبت التعصّب والتطرّف والغلو بدلاً من التسامح والتواصل والتفاعل، فإذا بهم أمام خذلان جديد وعذابات «مبتكرة»، لا سيّما حين يقترن التغيير باستهداف المسيحية والمسيحيين الذين سبقوا الإسلام والمسلمين، بل والعرب أجمعين، في العيش والإبداع وبناء الحضارة على أرض هذه البلاد!

وإذا كانت الهوّية مسألة إشكالية، لا سيّما إذا ما تعلق الأمر بالخصوصيات والاندماج، قد تعرّضت ما قبل الربيع العربي إلى التجاوز والاستتباع وفرض الإرادة والهيمنة، فإنها اليوم

تبدو وكأنها استمرار أكثر قسوة، وحرب لا ضفاف لها، خصوصاً بزعم الخضوع للأغلبية، والانصياع للأكبر وقبول الوصاية بحجة الأفضلية، ورفض التنوّع بدعاوى الوحدة، واستهجان الخصوصية بدلالة التقسيم، وهكذا.

فهل حقاً كان ربيع العرب مفارقة غير مريحة للمسيحيين؟ أم ثمة قراءات أخرى، أقلّها يمكن القول عنها: إن عملية التغيير لم تكتمل بعد وإن أعراضاً جانبية ترافق عادة عمليات التغيير الكبرى، لا سيّما أن الأمر لا يتعلّق بما حدث، فذلك تصوير للحدث فقط عبر عدسة مصوّر، وهي مهمة الإعلاميين، وحسب ألبير كامو، فإن «الصحافي هو مؤرخ اللحظة»، واللحظة لا تعني نهاية الحدث، بل هي بدايته. صحيح أن الصورة خبرٌ بحد ذاته، وهو ما نردّده في الإعلام، مثلما نقول في العمل الأكاديمي أن الوثيقة خبرٌ هي الأخرى، لأنها تغني عن الكثير من المقالات والتعليقات، لتوصل إلى الدلالة والاستنتاج، لكن مثل هذه الوثيقة لا تزال في صفحتها الأولى، ولم تكتمل قراءتها الحقوقية، بشأن التجاوزات والانتهاكات أو قراءاتها التاريخية والاجتماعية، حتى وإن كان المكتوب يُقرأ من عنوانه، وان اختلفت زاوية النظر، لكن الأمر يحتاج إلى زمن لبحث ما قبله كما لبحث ما بعده، وإن كانت الفاصلة التاريخية حدثاً استثنائياً بكل معنى الكلمة، والتاريخ بهذا القدر تاريخ مخادع حسب هيغل، فقد تمرّ فيه الكثير من اللحظات الماكرة.

وإذا نظرنا بعين السوسيولوجي فسيكون التحليل ناقصاً لحدث لم يكتمل أصلاً. ولعلّ وظيفة عالم الاجتماع هي التحليل ودراسة ما حدث فعلاً، ومثل هذا سيكون قاصراً إنْ لم تنضج ظروف القراءة السليمة، لإمكانية مقاربتها بصورة صحيحة، سواء إزاء المسيحيين أم غيرهم!؟

القراءة الفكرية تعطي بعض الدلالات الأولية، إزاء كامل المشهد، سواء لما حصل بشكل عام، أم ما تعرّض له المسيحيون بشكل خاص، من خلال تحقق، فامتلاء، وذلك عبر فرضيات وبراهين تدعمها

معطيات ووقائع، ليس بفصلها عن سياقها التاريخي أو المجتمعي في لحظة من لحظات الانتقال الثوري، خصوصاً درجة الوعي وطبيعة القوى المجتمعية السياسية والدينية، لا سيّما أن الثوراتِ تُخرِجُ ما في القاع من بشاعة وقبح وعنف، مثلما تُظهر ما فيه من جمال ونُبل وتسامح.

القراءة المفتوحة، لا سيّما ما حصل للمسيحيين، تجعلنا نتوقف عند أسئلة ساخنة: ماذا يريد المتطرفون والمتعصبون منهم، بعد تعايش تاريخي لآلاف السنين، وإنْ لم يكن التاريخ كلّه نظيفاً أو سليماً، فقد شهد عنفاً ضدهم مثلما عرف حالات من الإقصاء والتهميش، لكن سؤالاً مشروعاً يطرح نفسه اليوم: لماذا يرتبط غياب ديكتاتوريات وإزالة استبداد، باستهدافات خاصة «للجماعات الثقافية» ومنها المسيحيون، وهو ما يطلق عليه في الأدب السياسي المتداول اسم «الأقليات» التي لا أميل إلى استخداماتها لأنها تعني سلفاً الانتقاص من دين أو قومية أو سلالة أو لغة بحجة الأغلبية العددية، تلك التي لا تنطبق إلاّ على الجماعات السياسية والحزبية والاستقطابات البرلمانية والنيابية، وليس بحساب الأديان المتكافئة والمتساوية مع بعضها، بغضّ النظر عن عدد معتنقيها، ناهيك عن القوميات واللّغات.

وحتّى الأمم المتحدة التي أصدرت إعلاناً حول «حقوق الأقليات» العام ١٩٩٢ وإعلانا آخر عن «حقوق الشعوب الأصلية» العام ٢٠٠٧ لا تزال نظرتها غير مستوفية البعد الإنساني ولا ترتقي إلى الشرعية الدولية لحقوق الإنسان، بخصوص مبدأ المواطنة المتكافئة والمساواة التامة، تلك التي لا تزال شعوبنا تعاني من نقصها الفادح، وهو أمر يخص المسيحيين مثلما يخصّ الجماعات الثقافية الأخرى.

هل الهجرة هي الحل؟ ولكن لماذا يريد هؤلاء من المسيحيين أن يهاجروا؟ ثم ألا تعني هجرتُهم خسارةً لمكوّنٍ نوعيٍّ، ثقافي ومجتمعي قدّم خدماته لمجتمعه تاريخياً، سواء في التاريخ العربي – الإسلامي أم في حركة التنوير التي

شهدتها المنطقة منذ القرن التاسع عشر وما بعده؟ فهل يريدون تمزيق النسيج الاجتماعي؟ وماذا يستهدفون من ذلك: هل استئصال دين أم إلغاء هويّة أم إخضاع فئة بعينها؟ وهل هناك علاقة لمثل هذه التصرفات بالإسلام وتعاليمه، لا سيّما ما يفعله هؤلاء المهووسون بالواحدية والإطلاقية من استنزاف للطاقات البشرية المتنوعة؟

وكيف السبيل للحيلولة دون هجرة المسيحيين؟ هل بواسطة سنّ قواعد قانونية أم بإقرار مبادئ المواطنة الكاملة والمساواة التامة أم بعقد سياسي مجتمعي؟ أم بكل ذلك وبمشاركة جماعية من القوى والتيارات المختلفة بما فيها من المجتمع المدني، لتأمين سياج قوي لحمايتهم ووضع حد لاستهدافهم، الذي لن يخدم سوى «إسرائيل» والقوى التي لا تريد خيراً للعرب ومستقبلهم، فـ«إسرائيل» منذ قيامها في العام ١٩٤٨ وهي تسعى جاهدة لتصوير الصراع بأنه بين مسلمين ويهود، وبما أن عدد المسلمين في العالم يقارب المليار ونصف المليار، فإنهم إذاً يريدون «استئصال» اليهود الذين لا يزيد عددهم عن بضعة ملايين ورميهم بالبحر، وبالتالي على الغرب حماية الدولة العبرية، حسب الدعاية الصهيونية النافذة.

و«إسرائيل» لتأكيد فرضياتها تقوم بإجبار المسيحيين على الهجرة لتفريغ فلسطين من مكوّن أساس في مجتمعها قبل الاحتلال الإسرائيلي، حيث كان يربو عدد المسيحيين على ٢٠٪ من سكان فلسطين، وإذا بهم اليوم أقل من ١٫٥٪ من السكان العرب في فلسطين. وفي القدس وحدها كان عدد المسيحيين نحو ٥٠ ألفا قبل الاحتلال، في حين أن عددهم لا يتجاوز الخمسة آلاف بعد نحو ستة عقود ونصف العقد من الزمان، حيث أجبرت الأغلبية الساحقة على الهجرة.

ومثل هذا الاستهداف حصل في العراق واضطرّت أعداد واسعة للهجرة إلى خارج البلاد، حيث وصل عددها نحو نصف السكان المسيحيين، خصوصاً خلال الحروب السالفة والحصار الدولي وبشكل كبير بعد الاحتلال، وارتفعت

النسبة على نحو مطّرد ومستمر بعد احتلال داعش للموصل العام ٢٠١٤، وهو ما حصل في لبنان حيث اضطر نحو ٧٠٠ ألف مسيحي إلى الهجرة قبل اتفاق الطائف وبعده. واليوم يعاني المسيحيون في سوريا من استهداف خطير لوجودهم، خصوصاً العنف الذي تعرضوا له، مثلما تعرض له مسيحيو العراق وأقباط مصر، الأمر الذي يضع معادلة ربما أقرب إلى المفارقة بين ربيع العرب «المسلمين» وخريف المسيحيين.

استعدت في ذلك الحوار الساخن موقف البابا بنديكتوس السادس عشر[٢٣] الذي وقّع في بيروت على وثيقة «الإرشاد الرسولي»، حيث أكّد أن ما يحتاج إليه المسيحيون هو «التمتع بمواطنة كاملة» بحيث لا تتم معاملتهم كمواطنين أو مؤمنين من الدرجة الثانية، مثلما يحتاجون إلى مشاركة تامة، كما جاء في الوثيقة، إذْ كيف تستقيم الأخوة المنشودة التي يتغنّى بها البعض دون اعتماد مبادئ المساواة، تلك التي لا تزال غائبة ومفقودة في مجتمعاتنا العربية.

لا يكفي القول إن هناك تياراً سلفياً متعصباً لا يؤمن بحقوق المسيحيين، فالمسألة أبعد من ذلك بكثير، وعلينا الاعتراف بها ومواجهتها بشجاعة ونقد ذاتي، حيث يعود جزء منها إلى عدم قناعة أقسام واسعة من المسلمين: مؤمنين أو غير مؤمنين، متدينين أو غير متدينين بمبدأ المساواة، وفي قسم آخر إلى قراءة خاطئة أو إغراضية للتعاليم الإسلامية، مصحوبة بتأويلات وتفسيرات، تعود إلى الموروث السلبي في النظر إلى الآخر تحت عناوين: «أهل الذمة» و«لا ولاية لذميّ»، بل هناك من وجّه رسائل لأعداد من المسيحيين في العراق طالباً منهم «دفع الجزية أو الموت»، ومثل هذه النظرة المتخلّفة لا تزال متفشية في أوساط واسعة ولدى قوى وتيارات مستفيدة من هذه المواقف.

أعتقد أن المسلم الحقيقي لن يكون مسلماً صادقاً ومؤمناً ما لم يحترم الآخر باعتباره بشراً نظيراً له في الخلق، وما يجمعهما هو الإيمان والمشترك الإنساني لا الاستعلاء أو فرض الرأي أو إملاء الإرادة. ولا

يهمّ العدد كثرة أو قلّة، فمسيحي واحد يمثّل مكوّناً، مثلما هو المكوّن الإسلامي، كما يمثل المسلم معادلاً للمكوّنات الأخرى. وهو الأمر الذي ظلّت مجتمعاتنا تعاني منه وهو مصدر شكوى مشروعة من لدن المسيحيين أفراداً وجماعات في المشرق العربي، سواء ما يتعلق بحقوق المواطنة أو بحق الاعتقاد وحق التعبير وحق المشاركة وغيرها.

٢ – الإيزيديون وفتاوى التكفير[٢٤]

لم يتورّع داعش من استخدام جميع الوسائل لتحقيق أهدافه، من أكثرها قسوة ووحشية ودناءة، إلى أكثرها خداعاً ومكراً ودهاءً، ومن السيف إلى غسل الأدمغة، وكانت لديه أطروحاته النظرية الخاصة بفهمه للإسلام والهرب إلى التاريخ ليس بوجهه المشرق، بل بالوجه الأكثر بشاعة، ولذلك لا عجب أن تكون لديه تفسيرات خاصة إزاء الديانات والمذاهب والطوائف الأخرى، الذين هم بعرف أصحاب التطرف والتعصب والغلو والجهل من الخارجين على الإسلام.

لقد سبق أن وضِعَ المسيحيون أمام الخيارات الثلاثة القاسية، إما الدخول في الإسلام الداعشي أو دفع الجزية أو الهجرة، وإذا تقاعسوا أو تلكأوا، فليس أمامهم سوى «النعوش»، و«القبور المفتوحة» هكذا دفعة واحدة، على نحو جماعي بدأت عمليات إفراغ المسيحيين وهم أهل البلاد الأصليين من الموصل بعد استيلاء تنظيم «داعش» واضطرّت العوائل إلى الهجرة القسرية، وتم سلب ممتلكاتها وما بحوزتها، لترمى إلى الجحيم وتسير عشرات الكيلومترات بين جبال ووديان، حتى تصل إلى أماكن «آمنة»، لكنها مثل غيرها من المهجرين لا تزال تنزف، وهو ما حصل لتركمان تلعفر وللشبك.

وحصل الأمر على نحو أشد مأساوية مع الإيزيديين، في منطقة سنجار بالتفصيل، وذلك بعد احتلال منطقة زمّار من قبل «داعش»، واضطرّت عشرات الآلاف من العوائل إلى الرحيل في ظروف بالغة القسوة، وتم احتجاز أكثر من ٣٠٠ امرأة إيزيدية بعد

قتل بضع عشرات من الإيزيديين، وفي ليلة ١٥-١٦ أغسطس/آب ٢٠١٤ قتل ٨٠ إيزيدياً بعد أن أمهلوا ثلاثة أيام لدخول «إسلامهم» ولم يكونوا قد أخذوا المهلة على محمل الجد، فما كان من الداعشيين سوى جمعهم وقتلهم أمام نسائهم وأطفالهم الذين، أخذوا بعد ذلك سبايا إلى مدينة تلعفر تشهد هذه الأيام معارك ضارية ولا يزال مصير هؤلاء الأسرى مجهولاً. وقبل الحديث عن ظاهرة الاتجار بالبشر وبيع وشراء النساء الإيزيديات دعونا نتعرف على الإيزيدية كدين، ثم نتناول ظاهرة السبي الإيزيدي.

أ- شيء عن الإيزيدية[٢٥]

بهدف تكوين صورة عن الإيزيديين التي تكاد المعلومات عنهم شحيحة، بل يكاد كثيرون يجهلون ما تعنيه الديانة الإيزيدية، حيث تقدّر أعداد الإيزيديين بين ٤٠٠ و٥٠٠ ألف نسمة، وتشكّل ديانتهم التي تتّسم بنوع من الغموض مصدراً من مصادر شقاء أبناء الديانة الإيزيدية المسالمين الذين تعرضوا للاضطهاد والإبادة تاريخياً، ومن الأسباب التي دفعت الإيزيدية لاختيار العزلة والانطوائية هي الموروث الذي يمسك به أتباعها، والذي بسببه تعرّضوا إلى مذابح ومجازر، ولهذه الأسباب حرصوا على عدم نشر كتبهم المقدسة ونصوصهم الدينية، وذلك لما قد يؤدي إلى تأويلها على نحو يختلف مع جوهرها.

ويمكن القول إن الإيزيدية هي ديانة قديمة وعريقة تؤمن بتعدد الآلهة التي تستحق العبادة والقدسية، وهناك إله أقوى وأعظم منها جميعها «الواحد المطلق اللّامتناهي» وطاووس هو ملك ملوك الملائكة الستة، وهؤلاء هم: إله الشمس وإله القمر وإله الفروسية وإله الطوفان وإله الينابيع، وإله الحب. وتؤمن الديانة الإيزيدية بثنوية الخير والشر، «فهما كامنان في ذات الله، وعلى الإنسان بالأنا المثلى، الاستجابة لنداء الضمير، كي ينشر الخير ويقف في وجه الشر».

وكان إلصاق تهمة «عبدة الشيطان» بالإيزيدية سبباً في ملاحقة الإيزيديين تاريخياً، بزعم أنهم مرتدون عن الإسلام ذلك أن عبادة إبليس

تستوجب الاستئصال حسب فتاوى كان قد أصدرها علماء مسلمون في زمن الدولة العثمانية وبالتحديد في عهد سليمان القانوني وسليم الثاني (القرن السادس عشر للميلاد)، ولعلّ ما يتعرّض له الإيزيديون اليوم على يد «داعش» ليس سوى استحضار للفتاوى القديمة، وفي إطار موجة تكفير وإرهاب شملت المسلمين من الطوائف الأخرى، فما بالك بالأديان الأخرى، سواء كانوا من أهل الكتاب أم لم يكونوا، ولعلّ السمة التي تجمع التكفيريين بغض النظر عن ديانتهم ومذاهبهم، هي عدم الاعتراف بالآخر وحقه في الإيمان والاختلاف والتنوّع.

وكلمة «إيزيدية» كما يعتقد المتعصبون والمتطرفون من الإسلامويين جاءت من يزيد بن معاوية الذي حكم الدولة الأموية (ثاني خليفة بعد معاوية ٦٤٧-٦٨٣ ميلادية) ولكن حقيقة الأمر إن التسمية ليست لها علاقة بيزيد، بل هي جاءت من مدينة يزد في فارس وهي مشتقة من كلمة إيزيد التي تعني الملاك أو الإله، وبهذا المعنى فإن الإيزيديين هم عبدة الإله أو عبدة الرب، وهو الوصف الذي يعتقدون أنه ينسجم مع معتقداتهم. وبالمناسبة فهم يقرأون القرآن والإنجيل، وإن كان لهم كتب مقدسة، لكن تعاليمهم معظمها متناقلة وشفوية ومحاطة بالسرّية، الأمر الذي يظن بعضهم أن أصولها جاءت من الزرادشتية المجوسية، لكن في واقع الأمر إن تعاليمهم متأثرة بالمسيحية والإسلام، وتقوم تعاليم الزواج عندهم باقتسام رغيف الخبز إلى نصفين أحدهما للعروس والآخر للعريس، أما الأطفال فيتم تعميدهم بمياه مباركة، ولا يعتنق الإيزيدية إلا من ولد بها، ولا يمكنه اعتناقها، أي إنها ديانة غير تبشيرية ومنغلقة . وفي الفترة بين ١٥-٢٠ سبتمبر/ أيلول من كل عام يحج الإيزيديون إلى فرع الشيخ عدي في «لالش» (شمال الموصل- كردستان) ويؤدون بعض طقوس الاغتسال بالنهر وتقديم القرابين من الحيوانات. وقد سبق لكاتب السطور أن زاره.

ويؤدون الصلاة إلى الملك طاووس

(الإلـه) خمـس مـرات يوميـاً، ولعـلّ أسـوأ مـا يصيـب معتنـق الإيزيديـة هـو طـرده مـن محـل إقامتـه أو مـن مجتمعـه، وهـذا يعنـي أن روحـه يمكـن أن تتجـدد، ولا يمكـن لـه بـأي حـال مـن الأحـوال اعتنـاق ديانـة أخـرى، وهـم لا يأكلـون الخـس ولا يرتـدون اللـون الأزرق، حسـب اعتقـادات خاصـة، موجـود مـا يوازيهـا في موروثـات لديانـات وطقـوس مجتمعيـة أخـرى. الإيزيديـة كديانـة معروفـة في الـشرق الأوسـط، وأغلبيـة الإيزيديـين في سـنجار وهنـاك مجموعـة صغـيرة في تركيـا تناقـص عددهـا مؤخـراً بسـبب الهجـرة، وكذلـك في سـوريا وإيـران، إضافـة إلى أرمينيـا وجورجيـا، وعرقيـاً فـإن أصولهـم كرديـة ذات جـذور هندو أوروبيـة، لكنهـم تأثـروا بمحيطهـم الموزائيكـي، المتكـوّن مـن ثقافـات ولغـات وسـلالات عربيـة وأشـورية وسريانيـة . ومـن أهـم كتبهـم كتـاب الجلـوة لعـدي بـن مسـافر ومصحـف رش والكلمـة تعنـي الكتـاب الأسـود، وقبلتهـم هـي الشـمس ويحتفلـون في أول أربعـاء مـن شـهر أبريل/ نيسـان كل عـام كعيـد سـنوي حسـب التقويـم الشرقـي.

ب – عن السبي «الإيزيدي»

لم تنتـهِ مأسـاة الإيزيديـين بعـد تحريـر سـنجار (شـنكال) مـن قبضـة داعـش، بـل إنهـا مـع مـرور الأيـام، زادت حرقـة وألمـاً، خصوصـاً عندمـا أخـذت تتكشّـف بعـض الجوانـب الإنسـانية الحسّاسـة فيهـا، حيـث الفداحـة واللوعـة والصدمـة، فقبـل أيـام فقـط تـم اكتشـاف مقـبرة جماعيـة ضمّـت رفـات نحـو ٢٠ رجـلاً في سـنجار، إضافـة إلى مئـات تـم قتلهـم خـلال الهجـوم الـذي شـنّه داعـش لاحتـلال سـنجار في ٣ أغسـطس (آب) العـام ٢٠١٤.

وفي هـذا التاريـخ الأسـود أخـذ العـالم يتعـرّف عـلى مـا حصـل للإيزيديـين، ولا سـيّما للنسـاء والأطفـال، حيـث السـلب والنهـب وسـبي النسـاء وقتـل الرجـال والاسـتيلاء عـلى الممتلـكات والأمـوال، عـلى نحـو لا مثيـل لـه، بـل إن هـذا اليـوم ومـا أعقبـه كان الأكثـر مأسـاوية وهمجيـة في كل مـا تعـرّض لـه الإيزيديـون في تاريخهـم المملـوء بالمـآسي والآلام والعذابـات والمعانـاة مـن التمييـز وعـدم المسـاواة.

وفي زمن يحرّم فيه العالم، الاستعباد والاسترقاق، جعل داعش العوائل الإيزيدية عبيداً لهم، وأرقّاء يعملون لصالحهم، بالحقول والمزارع بطريقة أقرب للسخرة أو بجهود زهيدة لا تسدّ الرمق، أو مقابل الإبقاء على حياتهم. لعلّ تلك المجزرة الرهيبة بحق الإيزيديين تلقي الضوء تاريخياً على ما تعرّضت له هذه الديانة وأتباعها من أذى وإساءة، بإنكار الحق في الاختلاف والحق في الاعتقاد، وهذه تمثل جذر التعصب والتطرّف إزاء الآخر، وهو الأمر الذي يقود إلى هضم الحقوق وهدر الكرامات، سواء بالتمييز أو بمحاولات الاستئصال أو التهميش.

تعتبر الديانة الإيزيدية من أقدم الديانات في العراق والمنطقة، ويتركّز وجودها الكبير في قضائي شيخان وسنجار، والأخير يعتبر ثاني أكبر موقع للوجود الإيزيدي، وقد تعرّض الإيزيديون إلى نحو ٧٢ غزوة خلال حكم الدولة العثمانية، ولاقوا ما لاقوا من محن ومآسي، لكن تلك المصائب التي وقعت عليهم كادت تختفي أو تخفّ، وإنْ لم تختفِ آثارها المستمرة، ولا سيّما التمييز الواقع ضدهم ومحاولات تشويه دينهم ونشر بعض الأوهام والخرافات عنه.

وقد كانت كل غزوة أو حرب أو اجتياح يتعرّضون له، يتم بموجب فرمان سلطاني يصدر من الباب العالي، والهدف هو إخضاعهم وترويضهم والتسيّد عليهم، وبالطبع فإن عمليات القتل والتشريد والتهجير والإكراة، وصلت إلى حد الإبادة الجماعية ودائماً كانت هناك مزاعم دينية تقف خلف ذلك بسبب الاختلاف والتمايز في المعتقد والعقيدة، حيث يتعرض الإيزيديون إلى عمليات قسرية لإجبارهم على تغيير ديانتهم بالقوة، وهو ما لا تقرّه سماحة الإسلام استناداً إلى القرآن الكريم، وخصوصاً سورة البقرة: (لا إكراه في الدين)[٢٦].

ومنذ أن احتل داعش سنجار مارس أبشع الأساليب لتحقيق غاياته اللاّإنسانية في إطار قراءات مغلوطة ومتعصبة ومتطرفة لبعض النصوص الإسلامية، وعلى أساسها قام باختطاف النساء وسبيهن وارتكاب

مجازر جماعية، ضد أناس لم يسجل في كل تاريخهم القديم والحديث أية ممارسة عنفية أو استخدام للقوة حتى للدفاع عن النفس، بل كانوا دائماً يميلون إلى السلم والتسامح، وذلك جزء من تراثهم الإنساني والديني، حيث لم يرد في نصوص كتبهم المقدسة وتعاليمهم الدينية ، أية إشارة للقتل أو الثأر أو العدوان، ولم يبادروا أو يلتجئوا إلى شن حرب أو القيام بعمل عنفي ضد جيرانهم، ولم يسجل التاريخ أية أفعال من هذا القبيل، بل كانوا باستمرار ضحية الغدر والجحود والكراهية، وتعرّضوا لعمليات استئصال وإلغاء مستمرة.

ما تعرّض له الإيزيديون على أيدي داعش، هو استمرار لما تعرّضوا إليه على يد تنظيم القاعدة الإرهابي، الذي فرّخ داعش وأخواتها، ففي ١٤ أغسطس (آب) العام ٢٠٠٧ شنّ تنظيم القاعدة غزوة ضد قضاء سنجار، استهدف فيها مجمّعات الإيزيديين في سيباشيخدر وكرعوزير، وأسفرت تلك العمليات الإرهابية عن وقوع نحو ١٠٠٠ ضحية بين قتيل وجريح، وتم تدمير نحو سبعمائة منزل.

بعد احتلال داعش لمحافظة الموصل[٢٧]، حدث تململ في بعض المناطق، ومنها مناطق الإيزيديين، لكن خدر الجهات الرسمية والقوات المسلحة وعدم يقظتها واستعدادها، فضلاً عن إهمالها وتقصيرها وعدم جدارتها، جعل داعش يتمدّد، وهكذا حلّت مأساة كبيرة في عموم المنطقة التي احتلّها، سواء في محافظتي صلاح الدين والأنبار أو في بعض مناطق محافظتي ديالى وكركوك، ولكن الأمر الأكثر بشاعة وهمجية كان ما حصل للإيزيديين، من كارثة إنسانية واجتماعية وأخلاقية وقانونية ونفسية بكل معنى الكلمة، حيث شنّ عليهم داعش هجوماً كاسحاً استهدف اقتلاعهم من مناطقهم وأراضيهم وقتل رجالهم وسبي نسائهم وأخذ الجميع أسرى يعملون بالسخرة لحساب التنظيم الإرهابي. والأكثر من ذلك حين بدأت عمليات البيع والشراء للنساء في سوق النخاسة، حيث أصبحن

جواري وسبايا، وهو الأمر الذي حصل لهم في الماضي أيضاً، وكاد الإيزيديون أن ينسوه وإن كان النسيان غير ممكن أو بالأحرى لا يريدون ذكره، لأنه أصبح جزء من الماضي، حيث كانت آخر غزوة تعرّضوا لها في نهاية القرن التاسع عشر، حين تم سبي الكثير من النساء، وقطع رؤوس الكثير من الرجال، إضافة إلى تدمير المقامات المقدسة والمزارات الخاصة بالعبادة، وهو ما قامت به داعش، مثلما حصل في السابق في سنجار وشيخان وبعشيقة، وختارة. وإذا كان من فضيلة للعولمة على الرغم من أن وجهها المتوحش هو الطاغي، فإنها أطلعت العالم على ما جرى للإيزيديين على يد داعش والجماعات الإرهابية، وذلك من خلال عولمة وسائل الاتصال والمواصلات وتكنولوجيا الإعلام والثورة العلمية- التقنية وعولمة ثقافة حقوق الإنسان، ففي الماضي لم يكن من الممكن توثيق تلك الجرائم والانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان ولحق الاعتقاد والضمير وللخصوصية الدينية للإيزيدية أو لغيرها، ناهيك عن أن الاعتراف بهذه الحقوق أصبح مسألة كونية وقاعدة آمرة ملزمة في القانون الدولي Jus Cogens لا يمكن المساس بها أو تجاوزها تحت أية ذريعة أو حجّة.

لقد كانت الانتهاكات في السابق تحدث ولا يسمع أحد عنها إلاّ ضحاياها أو أبناء المناطق القريبة، كما إنها كانت تجري دون أن يمدّ العالم يد المساعدة والعون للضحايا للناجين من المجازر، ولكن التضامن الدولي اليوم أصبح قيمة إنسانية أساسية في ظلّ تعزيز التعاون الدولي[٢٨]، سواءً قبل حدوث المآسي وخلالها (الوقاية والحماية)، أم بعد وقوعها (أي المعالجات والتدابير الإصلاحية)، أي لاتخاذ إجراءات وخطوات وتدابير تشريعية وسياسية واجتماعية وثقافية وتربوية بهدف إصلاح الأنظمة القانونية والقضائية والأمنية وحماية حقوق الإنسان. ولعلّ موضوع التضامن الدولي، كان مثار نقاش من جانب خبراء دوليين رسميين ومستقلين وممثلي دول ومنظمات دولية في إطار

مشروع إعلان دولي International Declaration نوقش في الدوحة[٢٩].

وإنْ كان ثمة غدر وجحود وتقصير ولا مبالاة، أو على الأقل لم يكن التحرّك للتضامن مع الإيزيديين يتناسب مع حجم مأساتهم، إلاّ أنه لا يمكن إهمال بعض فاعليات التضامن ومدّ يد المساعدة والعون لهم، وخصوصاً في محافظة دهوك ومدن زاخو وعقرة وسميّل، لا سيّما للنازحين من سنجار، والذين بلغ عددهم نحو ٣٤٠ ألف نازح، وهناك نازحون آخرون، حيث تفيد بعض الإحصاءات إن عددهم نحو ١٥٠ ألف نازح من بعشيقة وبلدات سهل نينوى، وبينهم عدد كبير من المسيحيين إضافة إلى مسيحيي الموصل الذين خيّروا بين التأسلم الداعشي أو دفع الجزية أو مغادرة المنطقة. وامتدّت يد المساعدة والتضامن للإيزيديين من بعض بلدات ومدن سوريا وتركيا. ولكن هل هذا القدر من التحرك كافياً أم إن الأمر يحتاج إلى حزمة من الإجراءات والتدابير التي من شأنها القضاء على داعش، وتجفيف منابع الإرهاب ومصادر تمويله وبيئته الحاضنة، وخصوصاً أسبابه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والقانونية وغيرها، تساوقاً مع قرارات مجلس الأمن الدولي؟ ويحتاج الأمر كذلك إلى ردّ الاعتبار للضحايا وتعويضهم وجبر الضرر، وقبل ذلك كشف الحقيقة والمساءلة وتقديم المتّهمين إلى القضاء لينالوا جزاءهم العادل، مثلما يتطلّب إصلاح الأنظمة القانونية والقضائية والأمنية، وإزالة كل ما من شأنه أن يؤدي إلى التمييز أو عدم المساواة، وذلك ضمن متطلّبات العدالة الانتقالية.

إن مأساة الإيزيديين والجرائم بحقهم لا تقلّ عن المآسي والجرائم التي ارتكبت في الحربين العالميتين الأولى والثانية في الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب، وكذلك الجرائم والمآسي بحق الأرمن في تركيا وبحق عرب فلسطين من جانب «إسرائيل»، سواء في مجازر دير ياسين وكفرقاسم ومدرسة بحر البقر أو خلال

عدوانها المتكرّر على الأمة العربية وغزو لبنان العام ١٩٨٢ والجرائم ضد سكان غزة ومحاصرتها منذ العام ٢٠٠٧، إضافة إلى عمليات الاستيطان والإجلاء والتوسّع وقضم الأراضي، أو الجرائم ضد مسلمي البوسنة والهرسك أو في يوغسلافيا السابقة أو رواندا أو غيرها. الجرائم واحدة والقانون واحد وينبغي أن يكون العقاب واحداً، بقدر ما نحن بحاجة إلى نشر ثقافة اللاّعنف والتسامح وقبول الآخر على أساس المساواة وعدم التمييز.

المحور الرابع

«إسرائيل» والاتجار بالبشر

١ – تجارة الأعضاء البشرية والمسؤولية الدولية [٣٠]

بعد الضجة الكبرى التي أقامتها «إسرائيل» ولم تقعد حتى الآن بخصوص الصحافي دونالد بوستروم، لا سيّما تقريره المنشور في صحيفة «أفتون بلاديت» عن تجارة الأعضاء البشرية واتهامه «إسرائيل» بذلك، قمتُ بتدقيق المسألة قانونياً عبر بعض المقارنات والدراسات القانونية المقارنة، بقوانين بلدان أخرى، ولعل الهدف أيضاً هو إمكانية اللجوء إلى المحكمة الجنائية الدولية لإصدار حكم قضائي بهذه القضية الجنائية أو اللجوء إلى محكمة العدل الدولية لإصدار حكم أو رأي استشاري ذي طبيعة مدنية، وطلب التعويض.

اكتشفت وأنا أتابع تدقيقاتي أن «إسرائيل» هي البلد الوحيد (المحسوب على الغرب) التي لا تحرّم سرقة الأعضاء البشرية، وأن القانون «الإسرائيلي» لا يحرّم اتخاذ إجراءات قانونية عقابية ضد الأطباء المشاركين في ذلك (أي إزاء الفعل الجنائي)، بل بالعكس فإن كبار أطباء «إسرائيل» وفي المستشفيات الكبرى، هم من يقومون بزرع الأعضاء البشرية في معظم العمليات غير القانونية.

وعلى الرغم من ممالأة البلدان الغربية «لإسرائيل»، فإن رد فعل غربي – أوروبي كان قد نشأ إزاء انتهاكات «إسرائيل» الصارخة لحقوق الإنسان، لا سيّما غير الأخلاقية، المتعلقة بأسلوب التعامل مع الضحايا وسرقة الأعضاء أو الاتجار

بها، الأمر الذي دفع فرنسا إلى قطع التعاون الطبي مع «إسرائيل» منذ التسعينيات. ويقول تقرير دونالد بوستروم إن نصف الكلي الجديدة المزروعة منذ العام ٢٠٠٠ تم شراؤها بصورة غير شرعية وغير قانونية من تركيا ودول شرق أوروبا وأميركا اللاتينية، وأن السلطات «الإسرائيلية» لم تفعل شيئاً لإيقاف ذلك.

وقد سعى إيهود أولمرت[٣١]، للترويج لحملة التبرّع بالأعضاء بتشجيع «الإسرائيليين» على ذلك، وحسبما جاء في صحيفة جيروزاليم بوست فإن الحملة أسفرت عن نتائج إيجابية، لكن الفجوة ظلّت قائمة بين العرض والطلب، بل إنها في ارتفاع، الأمر الذي دفع بعض الجهات الرسمية وغير الرسمية إلى سرقة الأعضاء البشرية، وهو ما حصل للشاب الفلسطيني بلال أحمد غانم (١٩ عاماً) حين استشهد خلال الانتفاضة الفلسطينية الأولى في ١٣ مايو ١٩٩٢، حيث أطلقت النار عليه قوة «إسرائيلية» فأصابته في صدره ومن ثم أصيب برصاصة في قدمه وأخرى في بطنه، وقامت القوات «الإسرائيلية» بسحبه مسافة ٢٠ مترا تقريباً، قبل أن تحمله سيارة جيب باتجاه مشارف قرية أماتين شمال الضفة الغربية (وهي قريته) لتقوم إحدى المروحيات «الإسرائيلية» بنقله إلى مكان مجهول، لكن جثته أعيدت بعد مرور ٥ أيام، ملفوفة بقماش أخضر يستخدم عادة في المستشفيات، حيث وضعت في كيس أسود.

وفي جنح الظلام طلبت القوات «الإسرائيلية» من عدد محدود من أقاربه دفنه بعد إطفاء الكهرباء، وكانت المفاجأة عندما اكتشف أقاربه ومعه الصحافي بوستروم، أنه جرى شق جثة بلال غانم من رقبته إلى أسفل بطنه، وقد ساد حينها اعتقاد تكرّس لاحقاً، وهو ما يؤكده بوستروم، أنه تم اعتبار بلال غانم كمتبرع بالأعضاء رغماً عنه، دون علمه وإرادته، لأنه كان قد فارق الحياة، وهو ما أكدته عدد من العائلات الفلسطينية بخصوص أبنائها، وهو ما وثقه الصحافي السويدي بأكثر من ٦٩ حالة في

نابلس وجنين وغزة وجميعهم تمت إعادة جثثهم بعد تشريحها.

إن نشر قصة بلال غانم أعادت إلى الأذهان مأساة الحاجة إلى الأعضاء البشرية والتجارة غير القانونية التي انتعشت، بمباركة أو غضّ النظر من جانب السلطات «الإسرائيلية»، ولعل ما يلفت النظر على هذا الصعيد أن أحد الحاخامات واسمه ليفي إسحق روزنباوم كان قد اعتقل في شهر يوليو ٢٠٠٩ في بروكلين في الولايات المتحدة بعد اكتشاف علاقته بتجارة الأعضاء البشرية وتبييض العملة. وكان تبريره أنه وسيط أو «صانع الملاءمة»، وهو ما سجله له أحد عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI)، باستدراجه لشراء بعض الأعضاء البشرية، ولاعتقاده أنه أحد الزبائن.

وأثارت قصة اعتقال الحاخام روزنباوم في ولاية نيوجرسي قضية فساد كبرى، في إطار شبكة عُرفت باسم شبكة سوبرانو. وكشف تقرير بوستروم أن روزنباوم له صلة بعملية بيع الكلى من «إسرائيل» في السوق السوداء، حيث كان يشتري الجثث من المحتاجين في «إسرائيل» بسعر عشرة آلاف دولار ويبيعها للمرضى اليائسين في الولايات المتحدة بسعر ١٦٠ ألف دولار.

وهذه المستندات الموثقة عن الاتجار بالأعضاء البشرية، لم تأتِ هذه المرة من صحافي مناصر للعرب أو ضد الصهيونية، رغم أن «إسرائيل» تتهمه بمعاداة السامية، وتعتبر كل من يعادي إجراءاتها العنصرية معادياً للسامية، بل جاءت من الولايات المتحدة حليف «إسرائيل» الأول، حيث كان قد اعتقل الحاخام روزنباوم وتم اكتشاف واعتراف بوجود هذه التجارة المحرّمة دولياً، والتي تمارسها «إسرائيل» أو تغضّ الطرف عنها.

وهناك اعتقاد لدى العديد من الأوساط الحقوقية والإعلامية بأنه يتم أخذ الأعضاء من الأشخاص الذي ينفّذ حكم الإعدام بحقهم، ويكاد هذا الاعتقاد لدى الفلسطينيين يصبح راسخاً، الأمر الذي بحاجة إلى فتح تحقيق دولي بذلك.

وعلى الأمم المتحدة، (لا سيّما مجلس الأمن الدولي) ومجلس حقوق الإنسان أن يشكّلا لجنة للتحقيق في هذه المسألة، والتوجه لإحالة المتهمين إلى القضاء الدولي، وكان على المحكمة الجنائية الدولية ومدعيها العام أوكامبو آنذاك أو الدول المنضمة إليها، لا سيّما العربية والإسلامية، والأوروبية والغربية عموماً، التي تعلن ليل نهار التزامها بالشِرعة الدولية لحقوق الإنسان، أن تطالب المجتمع الدولي بإحالة المرتكبين إلى القضاء لينالوا جزاءهم العادل، كما كان من واجب المدعي العام أوكامبو أن يتوجه بعد هذه الفضيحة الدولية إلى جمع الوثائق والأسانيد والاستماع إلى شهادات والاستناد إلى معلومات وقرائن، بالطلب من «إسرائيل» تسليم المتهمين إلى القضاء وإلا فإن مسؤوليات قانونية ستترتب عليها، لا سيّما إذا ما اتخذ مجلس الأمن قراراً يقضي بامتثالها إلى معايير العدالة الدولية، وإلا ستكون خاضعة للفصل السابع الخاص بالعقوبات، طبقاً للمواد ٣٩-٤٢ من ميثاق الأمم المتحدة. ولعلّ مثل تلك الجرائم لا تسقط بالتقادم.

وعلى «إسرائيل» إزاء هذه المسألة الإنسانية الانصياع إلى إرادة المجتمع الدولي وتسليم المتهمين إلى القضاء الدولي، وإلاّ فإن العقوبات من أنعمها إلى أغلظها ستكون بانتظارها، ولكن مثل هذا الأمر لا يتم أوتوماتيكياً بالطبع، بل يحتاج إلى جهود مضنية وخبرات كبيرة وقرار سياسي أولاً وقبل كل شيء، بحيث توّظف كل الطاقات بالاتجاه الصحيح، ناهيكم عن ضرورة توفّر إرادة دولية، لوضع حد لهذه الظاهرة المشينة، اللاإنسانية، واللاأخلاقية، في عالمنا المعاصر. ولا بدّ هنا من تعبئة المجتمع المدني الدولي ليقوم بدوره إزاء ملاحقة المرتكبين.

إن ما كتبه الصحافي دونالد بوستروم، يكفي لكي يكون سبباً في اتهام «إسرائيل»، وفي الوقت نفسه مبرراً للأمم المتحدة ومجلس الأمن تحديداً وللمحكمة الجنائية الدولية للقيام بواجباتها بتحقيق عاجل إزاء الاتهامات الخطيرة والجسيمة التي وجهها.

وننقل هنا ما قاله الصحافي

السويدي الذي رفضت الحكومة السويدية الاعتذار إلى «إسرائيل» بسبب ما نشره رغم ضغوطها، متمسكةً باعتبار ذلك يدخل في نطاق حرية التعبير، المكفولة في الدستور السويدي، وبخاصة في المواثيق الدولية والأوروبية التي وقعت عليها السويد لاحترام حقوق الإنسان. يقول بوستروم: «كنت عام ١٩٩٢ في المنطقة أعمل على تأليف كتاب، وتلقيت اتصالات من موظفين في الأمم المتحدة عدة مرات، يعربون فيها عن قلقهم من أن سرقة الأعضاء تحصل فعلاً، ولكنهم غير قادرين على فعل شيء».

إن لهذا الكلام أكثر من مغزى وأستطيع أن أقدّر لماذا ثارت ضجة «إسرائيل» التي لا تكترث بالقانون الدولي وتستخف باللوائح الدولية لحقوق الإنسان، إزاء تقرير الصحافي السويدي، الذي سبق له أن نشر كتاباً قبل بضع سنوات، تضمن معلومات عن سرقة الأعضاء البشرية، لكنها اليوم أكثر ضيقاً وتبرّماً، لا سيّما بعد ما حصل من ارتكابات في حربها المفتوحة ضد لبنان العام ٢٠٠٦، وحربها المفتوحة أيضاً على غزة (أواخر ٢٠٠٨ – أوائل ٢٠٠٩) بعد حصارها المستمر منذ أكثر من سنتين والتحوّل النسبي الذي ظهر لدى الرأي العام العالمي باتهام «إسرائيل» بتهديد السلم العالمي، وهو ما حصل لدى استبيان للرأي العام في بروكسل قبل سنوات حين اعتبر ٥٩٪ منه أن سبب التوتر في المنطقة يعود إلى «إسرائيل».

ولأن الأمر يتعلق بمستقبلها وبشرعية وجودها ككيان عنصري فقد شمّرت «إسرائيل» عن ساعدها، واستخدمت جميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة للنيل من الصحافي السويدي، ولعل هذا هو سبب إصرارها على إعدام قرار الأمم المتحدة ٣٣٧٩ الصادر في العام ١٩٧٥ الذي اعتبر الصهيونية «شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري»، وهجومها الشرس ضد قرارات مؤتمر ديربن العام ٢٠٠١ بشأن العنصرية، لأنها تدمغ ممارسات «إسرائيل» بالعنصرية

والتمييز العنصري.

إن تجارة الأعضاء البشرية بقدر ما فيها من هدر لحقوق الإنسان، فإنها عندما تستخدم ضد شعب محتل بهدف إفنائه أو تعريضه لتجارب طبية أو التلاعب بحرمة الجسد، أمرٌ يحرمه القانون الدولي ولا شك أنه إجراء عنصري بامتياز.

٢ – جرائم الاتجار بالأعضاء البشرية [٣٢]

اعتقل الحاخام الأمريكي إسحاق روزنيوم (من ولاية نيوجرسي) في شهر يوليو/ تموز ٢٠٠٩ في الولايات المتحدة، على خلفية معلومات وردت إلى مكتب التحقيق الفيدرالي FBI تقول إنه مشترك في شراء كلية من «إسرائيلي» وبيعها لمريض أمريكي. الخبر لم يأخذ الاهتمام الكافي، إلا عندما اندلعت الأزمة بين صحيفة «افتونبلاديت» السويدية والحكومة «الإسرائيلية»، وذلك حين نشرت الصحيفة الواسعة الانتشار والتي تعدّ من كبريات الصحف السويدية، خبراً مرفقاً بصورة لجثة شاب فلسطيني تظهر عليها آثار جراحة على طول الصدر، اتخذت حسبما تفيد الصحيفة بعد عملية تشريح جرت على الجثة.

ولم تكتفِ الصحيفة بذلك بل أوردت شهادات لبعض ذوي الضحايا من الفلسطينيين أكّدوا فيها سرقة الأعضاء البشرية والاتجار بها، وأشارت الصحيفة إلى أن اثنين من صحافييها قاما بالتحقيق في بلدة ايماتين (بالضفة الغربية) وحصلا على معلومات عن سرقة قوات الاحتلال لأعضاء شهداء فلسطينيين والمتاجرة بها.

ولعلّ مثل هذا الخبر كان قد تردد منذ العام ١٩٩٢ إلّا أنه لم يكن هناك ما يثبت ذلك، واستقى الصحافيان معلوماتهما من والدة وشقيق بلال غانم الشاب الفلسطيني الذي كان عمره ١٩ عاماً عندما قتل من قبل الجنود «الإسرائيليين» ظنّاً منهم، أنه أحد قيادات الانتفاضة الفلسطينية الأولى التي اندلعت في أواخر العام ١٩٨٧ واستمرت لبضع سنوات، وهي التي عُرفت باسم «انتفاضة

الحجارة».

وقالت والدة الشهيد، إن ابنها الذي قتل في ١٣ مايو/ أيار ١٩٩٢ نقلته مروحية «إسرائيلية» إلى الأراضي المحتلة، وأعيدت جثته إلى ذويه بعد أيام، داخل كيس أسود وقد اقتلعت جميع أسنانه، وكانت الجثة تحمل جرحاً في الحلق وحتى البطن وأعيدت خياطتها بشكل رديء، ويعتقد شقيق المغدور أن أعضاء شقيقه سُرقت.

وعلى الرغم من القلق المشروع إزاء هذه الأخبار المُفزعة والحال اللّاإنسانية التي تتعامل بها الشبكات الخاصة أو عبر مسؤولين «إسرائيليين» إزاء الضحايا، إلّا أن مسارعة السلطات «الإسرائيلية» إلى نفي الخبر وتفنيده باعتباره مزاعم عارية عن الصحة، بل وشن هجوم ضد الصحيفة، هو الذي يلفت الانتباه، فبدلاً من إجراء تحقيق مستقل وواسع لمعرفة مدى صدقية هذه المعلومات من عدمها لجأت «إسرائيل» إلى كيل الاتهامات للصحيفة والصحافي بمعاداة السامية. إن سرقة الأعضاء البشرية تعدّ انتهاكاً سافراً وصارخاً لحرمة البشر، دينياً وإنسانياً وقانونياً ولقواعد القانون الدولي الإنساني، فالتصرف بجسد الإنسان واستغلاله تحت أي مبررات إنما يتعارض مع القيم والمعايير الإنسانية والقانونية الدولية والشرعة الدولية لحقوق الإنسان، لا سيّما اتفاقات جنيف الأربعة الصادرة في ١٢ أغسطس/ آب ١٩٤٩ وملحقيها البروتوكولين الصادرين في العام ١٩٧٧ عن المؤتمر الدبلوماسي في جنيف (١٩٧٤-١٩٧٧)[٣٣].

وكانت السلطات "الإسرائيلية" قد طلبت من الحكومة السويدية تقديم اعتذار والتنديد بالتقرير الذي نشرته صحيفة "افتونبلاديت" والصحافي الشجاع دونالد بوستروم الذي لم يعبأ بالاتهامات ضده أو بالتهديدات، وسبق له أن نشر كتاباً في العام ٢٠٠١ أورد فيه بعض المعلومات

عن الاتجار بالأعضاء البشرية ولقي الكتاب اهتماماً كبيراً، إلا أنه لم يتعرّض حينها إلى النقد من جانب "إسرائيل"، كما تعرّضت له مقالته المنشورة مؤخراً، حيث اتهمته "إسرائيل" بمعاداة السامية وقامت بتهديده. وعندما رفضت السويد طلب السلطات "الإسرائيلية" تقديم الاعتذار قررت وزارة الداخلية "الإسرائيلية" وقف إصدار تأشيرات دخول للصحافيين السويديين إلى الأراضي المحتلة، ورفض مكتب الإعلام الحكومي "الإسرائيلي" منح مراسل ومصوّر الصحيفة ترخيصاً معتمداً، (البطاقة الصحافية) والأكثر من ذلك فقد أبدى رئيس حكومة "إسرائيل" بنيامين نتنياهو انزعاجه من مقالات الصحيفة السويدية وطالب استوكهولم بإدانتها.إن الإنكار المتشنج للسلطات "الإسرائيلية" للمعلومات من دون الركون إلى تحقيق جاد ومسؤول، يدعو إلى توجيه الاتهام بعد الشك في أنها تريد التستر على الموضوع بعد الفضيحة التي ذاع صيتها، لا سيّما من صحافي حر ومحايد ومن دولة محايدة، إن لم تكن تلك السلطات على علم به أو ضالعة فيه. ولعل مسؤولية أية حكومة بغض النظر عن طابعها هي أن تكون مؤتمنة على التحقيق في ما لو وردت إليها معلومات من هذا القبيل، وهو الأمر الذي لا يمكن إهماله أو التقاعس فيه لأنه يرتب مسؤوليات قانونية دولية على عاتق الدولة، لا يمكنها التنصّل عنها أو إعفاء نفسها منها.

ولعلّ مثل هذا الانتهاك يتطلب من السلطة الوطنية الفلسطينية وحكومات البلدان العربية، الاستمرار في مطالبة المجتمع الدولي، ولا سيّما مجلس الأمن تشكيل لجنة لتقصي الحقائق، والتحقيق في ما ورد من معلومات والاستماع إلى الشهود، لأن هذه الانتهاكات تُشكل جريمة دولية تستحق الملاحقة والمساءلة وإنزال العقاب بمرتكبيها وفقاً

لمعايير العدالة الدولية.

إن الهجوم الذي قام به بعض الساسة والإعلاميين "الإسرائيليين" ضد صحيفة "افتونبلاديت" هو هجوم قديم جديد، فذريعة العداء للسامية لاحقت كل من يقف ضد انتهاكات "إسرائيل" وممارستها العنصرية، وليس أدل على ذلك فإن الأمين العام الأسبق للأمم كورت فالدهايم، اتهم "بماضيه" النازي بعد أن غادر الأمم المتحدة بانتهاء ولايته وللترشيح للرئاسة في النمسا، وذلك لصدور القرار ٣٣٧٩ في ١٠ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٧٥ وعدداً من القرارات الدولية المناصرة للقضية الفلسطينية في عهده، ولأن هذا القرار دمغ الصهيونية بالعنصرية واعتبرها شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، فقد شنّت "إسرائيل" ضده حملة لم تهدأ إلا بإعدام القرار في شهر ديسمبر/ كانون الأول ١٩٩١ وذلك بعد اختلال موازين القوى دولياً وعربياً، وكانت مبررات "إسرائيل" أن هذا القرار معاد للسامية لأنه يتعلق بجوهر عقيدتها فضلاً عن أنه يشكك بشرعية وجودها واستمرارها[٣٤].

ولعلّ هذه هي التهمة ذاتها التي وجهت إلى "المفكر السوفييتي" المعادي للصهيونية يفسييف في أواسط الثمانينات، إلى أن وجد مقتولاً في ضواحي موسكو العام ١٩٩٠ في ظروف غامضة، الأمر الذي يوجه إصبع الاتهام إلى المستفيد من هذه الجريمة[٣٥].

إن تهمة العداء للسامية أو إذكاء نار العداء لها هي تهمة جاهزة لكل قرار أو رأي يتعلق بممارسات "إسرائيل" العدوانية، ولعل هذا الاتهام كانت "إسرائيل" واجهت به المجتمع المدني العالمي، عندما اتخذ قراراً في مؤتمر ديربن ضد العنصرية العام ٢٠٠١ يدين الممارسات "الإسرائيلية" ويتهمها با لعنصر ية .

وقد ارتفعت وتيرة اتهامات "إسرائيل" بعد حربها ضد

لبنان في ١٢ يوليو/ تموز ٢٠٠٦ والتي دامت ٣٣ يوماً أو حروبها المفتوحة ضد غزة بعد حصار ما زال مستمراً منذ العام ٢٠٠٧ ، حيث شنّت ثلاث حروب الأولى – في أواخر العام ٢٠٠٨ ومطلع العام ٢٠٠٩ والتي سمّيت "الرصاص المصبوب" والعام ٢٠١٢ والتي أطلق عليها "عامود السحاب" والعام ٢٠١٤ والموسومة "الجرف الصامد" وما بعدها.

وهكذا فإن "إسرائيل" التي تقوم بارتكابات وحروب وعدوان، تلتجئ في الوقت نفسه إلى ممارسة إرهاب فكري باتهام كل رأي حر وأي شكل من أشكال التعبير بممارستها ونظامها السياسي وعدوانها بأنه معاد للسامية، باستخدام هذه المسألة والتوسع بها وتوظيفها سياسياً بما يخدم مشروع "سرائيل" الحربي والسياسي والدعائي.

الأمر الجديد في الأزمة السويدية "الإسرائيلية"، أن "إسرائيل" وإن شنّت هجوماً على الصحيفة السويدية إلا أنها كانت أقرب للدفاع عن النفس وإنكار التهمة، وأن الصحيفة السويدية والحكومة السويدية والصحافي السويدي الشجاع كانت ردودهم ضد السفيرة "الإسرائيلية" في استوكهولم والحكومة "الإسرائيلية" أكثر ثقة بالنفس وبعدالة القضية التي تم نشرها لاستنهاض الرأي العام العالمي ضد "إسرائيل" وممارساتها، ومن منطلق حرية التعبير والحق في نقل المعلومات ونشرها وإذاعتها بكل الوسائل الممكنة ومن دون قيود طبقاً للوائح الدولية لحقوق الإنسان.

إن هذا الهجوم الكثير الثقة بالنفس وبقيم العدالة قد قلب المعادلة، حيث أن "إسرائيل" هي التي تأخذ زمام المبادرة بالاتهام عادة ويتخذ الآخرون موقع الدفاع، كما في كل مرّة، فإنها هذه المرة هي المتهمة وظلّت "إسرائيل" في موقع الدفاع الضعيف عن النفس، لا سيّما أنها لم تشرع بإجراء تحقيق سريع،

الأمر الذي يتطلب من المجتمع الدولي القيام بهذه المهمة وإرغام "إسرائيل" على قبولها. للأسف لم تكن المواقف العربية الرسمية كافية لتحرك واسع يتناسب مع مستوى الحدث وما يمكن استثماره على صعيد القضية الكبرى ونعني بذلك نقض الرواية "الإسرائيلية" وكشفها أمام الرأي العام العالمي وحتى المجتمع المدني العربي والمنظمات الحقوقية الدولية لم تكن أنشطتها بصدد هذه القضية بالمستوى المطلوب، الأمر الذي يتطلّب شحذ الهمم ووضع الجميع عند مسؤولياتهم، وتلك إحدى مفارقات المشهد السياسي الراهن.

الخاتمة:

بعد أن عرضنا المحاور الأربعة للعبودية تاريخياً وقانونياً ومحور داعش السياسي الذي استهدف المسيحيين والأزيديين، والمحور «الإسرائيلي» بشأن الإتجار بالبشر نقول: إذا كانت العبودية بشكلها القديم قد انتهت ولم يعد لها وجود في العالم المعاصر، فإن الأشكال الجديدة من الاستعباد تشكّل خطراً حقيقياً على الإنسانية جمعاء، وهي تمثّل انتهاكاً صارخاً لقواعد القانون الدولي والقانون الإنساني الدولي وللاتفاقيات والمعاهدات الدولية وللشرعة الدولية لحقوق الإنسان. إن أساس الرق والعبودية يقوم على التمييز وعدم المساواة والانتقاص من مبادئ الكرامة الإنسانية ومبادئ الحريّة، وهو ناجم عن إقصاء وتهميش وعزل مما خلق تباينات اقتصادية واجتماعية وثقافية، وهو الأمر الذي ينبغي أن تنصب الجهود على معالجته في ظلّ تعاون دولي، وخصوصاً بنشر الوعي وتعزيز مبادئ المواطنة والتربية عليها والاستثمار في التعليم، ناهيك عن سن قوانين وتشريعات تحرّم الرق وتحاسب على من يمارسه بشكل مباشر أو غير مباشر.

وقد كان سقوط نظام الأبرتايد في جنوب أفريقيا لحظة ثورية مهمّة خلقت حالة من التفاؤل على المستوى العالمي، إذ من كان يتصوّر القضاء على نظام التمييز العنصري

الـذي دام أكثـر مـن قرنـين مـن الزمن، خصوصـاً وأنـه اسـتعمار اسـتيطاني إجلائـي بـكل معنـى الكلمـة.

ومـع ذلـك نقـول لم يمنـع إلغـاء نظـام العبوديـة والتمييـز العنـصري محـاولات الاسـتغلال المهـين بأشـكال جديـدة، خصوصـاً باسـتمرار اسـتفحال التفـاوت الطبقـي الاقتصـادي والاجتماعـي واسـتغلال الـذات البشريـة، الأمـر الـذي يتطلّـب مـن جانـب المجتمـع الـدولي والأمـم المتحـدة وهيئاتهـا إصـدار القوانـين التحريميـة والعمـل عـلى تعزيـز قـدرات الـدول لمواجهـة هـذه الظاهـرة، ودفعهـا للتوقيـع عـلى المعاهـدات والاتفاقيـات الدوليـة، فالمنظومـة الحقوقيـة كونيـة وشـاملة ومترابطـة، أي لا تقبـل التجزئـة.

ولا بـدّ مـن التأكيـد عـلى كرامـة الذات البشريـة فالكرامـة الإنسـانية تـأتي بعـد الحـق في الحيـاة، وهـذا يتطلّـب تأكيـد مبـادئ الوقايـة والحمايـة والشراكـة في مواجهـة الظاهـرة، كـما مطلـوب اليـوم إطـلاق حمـلات وطنيـة رسـمية وشـعبية للتحذيـر مـن ظاهـرة الاتجـار بالبـشر.

الهوامش:

١- يمكنني القـول إن المشـير أحمـد بـاي قـرأ اللحظـة التاريخيـة، باتخـاذ هـذه الخطـوة، فهـو مـن جهـة كان قـد زار فرنسـا وتأثّـر بالتقـدّم الحاصـل فيهـا وبمبـادئ الثـورة الفرنسـية، وبقـدر مـا كان مقتنعـاً بتغيـير الأوضـاع وإجـراء إصلاحـات سياسـية واجتماعيـة وتربويـة ودينيـة، فإنـه في الوقـت نفسـه كان قـد أدرك أن بقـاء الحـال غـير ممكـن في ظـل اشـتداد الضغـوط الغربيـة عليـه، ولا سـيّما مـن جانـب القناصـل الأوروبيـين، وخصوصـاً القنصـل البريطـاني. ولهـذا كانـت خطوتـه باتجـاه إلغـاء الـرق وعتـق العبيـد، مزاوجـة بـين إرادة التحديـث والوعي والقناعـة مـن جهـة، وبـين التطـور الـدولي وتـوازن القـوى والضغـوط التـي تعـرّض لهـا مـن جهـة ثانيـة. وقـد حـاول التأقلـم مـن محيطـه الـدولي لقـرب تونـس مـن أوروبـا وهـي «جـار ينبغـي صداقتـه» و«ليـس عـدواً نصرانيـاً» حسـبما عـبّر عـن ذلـك. وقـد يكـون في موقفـه ذلـك سـبب شـخصي يعـود إلى أصولـه وعيشـه في قـصر يضـم عـدداً مـن المماليـك وقـد تربـى هـو عـلى يـد مملوكـين. أنظـر: عبـد الحسـين شـعبان: نـدوة جامعـة الـدول العربيـة (مركـز جامعـة الـدول العربيـة – تونـس) – إلغـاء العبوديـة في الحضـارة العربيـة – الإسـلامية، ٥ – ٦ ديسـمبر / كانـون الأول ٢٠١٦.

٢- ألغـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة الـرق بعـد نحـو عقديـن مـن تاريـخ إلغائـه في تونـس (١٨٦٥)، وكان ذلـك بعـد حـرب أهليـة طاحنـة راح ضحيتهـا مئـات الآلاف مـن البـشر. أمـا فرنسـا فقـد ألغتـه بعـد عامـين من تاريـخ إلغائـه في تونـس (١٨٤٨).

٣- انظـر: «نـدوة إلغـاء العبوديـة في الحضـارة العربيـة – الإسـلامية»، جامعـة الـدول العربيـة – الأمانـة العامـة، مركـز جامعـة الـدول العربيـة، تونـس، ٥ – ٦ ديسـمبر (كانـون الأول) ٢٠١٦، ونظمـت النـدوة بدعـم مـن المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلـوم (الألسـكو) والمركـز العـربي للأبحـاث ودراسـة السياسـات (تونـس)، والأرشـيف الوطنـي التونـسي.

٤- صـدر القانـون عـن البرلمـان التونسي في ٣ أغسـطس (آب) العـام ٢٠١٦، بهدف منـع كل أشـكال الاسـتغلال التـي يمكـن أن يتعـرّض لهـا الأشـخاص، وخاصـة النسـاء والأطفـال، ومكافحتهـا بالوقايـة مـن الاتجـار بهـم وزجـر مرتكبيـه وحمايـة ضحاياه ومسـاعدتهم، كـما يهـدف القانـون إلى دعـم التنسـيق الوطنـي و التعـاون الـدولي في مجـال مكافحـة الاتجـار بالأشـخاص في إطـار الاتفاقيـات الدوليـة والإقليميـة والثنائيـة المصـادق عليهـا مـن قبـل الجمهوريـة التونسـية.

٥- انظـر: جرجـس، فـواز – «داعـش إلى أيـن؟ جهاديـو مـا بعـد القاعـدة»، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، ترجمـة محمـد شـيّا، بـيروت، ٢٠١٦، ص ١٨٥ ومـا بعدهـا. يقـول د. فـواز جرجـس: جلـب طغيـان الأنظمـة السياسـية، الاختنـاق للمجتمـع وزرع في المجتمعـات بـذور الحـركات المتطرفة المدفوعـة بهاجـس الهويّـة، وكذلـك إخفـاق الأنظمـة الاسـتبدادية العربيـة في تطويـر اقتصادياتهـا وفي الاسـتجابة لمطالـب الفئـات الشـابة بـين السـكان، الـذي تسـبّب في أزمـة اجتماعيـة حـادة متمثلـة بالفقـر والبطالـة، هـو الـذي كانـت تحتـاج إليـه انتفاضـات الربيـع العـربي.

٦-يقـول د. فـواز جرجـس: إن هـدف كتابـه «داعـش إلى أيـن؟» هـو شرح الأسـباب الاجتماعيـة والسياسـية وطبيعـة القـوى التـي كانـت خلـف إعـادة ولادة تنظيـم «الدولـة الإسـلامية في العـراق» وتحوّلـه لاحقـاً إلى تنظيـم «الدولـة الإسـلامية في العـراق والشـام» (داعـش) مؤكـداً أن القاعـدة وداعـش كلاهمـا ينتميـان إلى العائلـة نفسـها «السـلفية الجهاديـة» وأنهـما يتشـاركان الأفـكار الرئيسـية نفسـها ويجملهـا بـ: يوتوبيا إسـلامية وملخصهـا اسـتبدال «حكـم الدولـة» بـ«حكـم الله»، ولكنـه يحـدّد الفـارق بـين القاعـدة وداعـش، فالقاعـدة تنظيـم سري عابـر للحـدود في حـين انغمـس داعـش في الجماعـات السـنيّة المحليـة وعمـل داخـل إطـار مفهـوم الدولـة «الإسـلامية»، أي أنـه

متجذر في الانقسام الشيعي – السني الذي يطلق عليه مصطلحاً مهماً يقوم بنحته وهو «الجيوطائفية» كتعبير عن التنافس الإقليمي، فداعش ليس مجرد تنظيم إرهابي متمرّد، وإنما هو أقرب إلى كيان دولة «خلافة» ولهذا قام بتمزيق الحدود «الاستعمارية».

(كان بودي أن يستخدم د. جرجس كلمة «الإرهابية» أو «التكفيرية» بدلاً من «الجهادية» لأن مفهوم الجهاد في الإسلام لا تنطبق شروطه على مواصفات داعش وغيره من التنظيمات الإرهابية، وهو مصطلح أقرب إلى الاستخدام الغربي الذي لا يميز بين الجهاد بهدف مقاومة الاحتلال وتحرير الأرض وبين الأعمال الإرهابية التي يقوم بها داعش وأخواته. كما أفضل استخدام كلمة «الإسلاموية» للتفريق بين الأفكار الإرهابية وبين الإسلام، فالأولى هي أقرب إلى الإسلاملوجيا التي تستخدم التعاليم الإسلامية ضدّ الإسلام وباسمه، في حين أن تعاليم الإسلام تحضّ على التآزر والتواصي والتسامح والسلام، وهي الغالب الشائع والعبرة دائماً بذلك وليس بالنادر الضائع الذي يلجأ إليه داعش لتبرير أعماله الإرهابية).

انظر: جرجس، فواز، ما بعد داعش، المصدر السابق، ص ٢٠١ – ٢٠٢.

كما يمكن الرجوع إلى: جرجس ، فواز – القاعدة: الصعود والأفول (تفكيك نظرية الحرب على الإرهاب) مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢، ترجمة محمد شيّا، بيروت، ٢٠١٥، الفقرة الخاصة بـ«الخاتمة» – كيف هزمت الانتفاضات العربية الراهنة نظرية القاعدة، ص ٢٣٦ – ٢٤٢.

٧- انظر: شعبان، عبد الحسين – «الأقليات» في الدول الإسلامية المعاصرة – المسيحيون والصابئة المندائيون في العراق نموذجاً، بحث منشور في كتاب شهري، يصدره مركز المسبار للدراسات والبحوث، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢.

٨- اعتذرت بلجيكا إلى إفريقيا عشية مؤتمر ديربن (جنوب إفريقيا) ضد العنصرية العام ٢٠٠١.

9 Cherit Bassiouni, M – Enslavement as an International crime, New York university journal of international

Law and politics, vol. 23, 1991, p.445.

١٠- انظر: نص الاتفاقية التكميلية التي صدرت في العام ١٩٥٦، والتي دخلت حيّز التنفيذ في ٣٠ أبريل (نيسان) ١٩٥٧. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنه وعلى الرغم من أنه لا يوجد تحريم صريح وجازم وقاطع للرق في الإسلام، فإن الإسلام دعا إلى معاملة الأسرى والعبيد معاملة حسنة والرفق بهم، ونهى الرسول محمد (ص) عن تسميتهم بالعبيد، خصوصاً وأن

الإسلام ساوى في الكرامة الإنسانية، وكان الرسول يشجّع على عتقهم، وبالتدرّج وبحكم قوانين التطوّر وتوقيع البلدان العربية على الاتفاقيات الدولية الخاصة بحقوق الإنسان، فإن دساتيرها وقوانينها أخذت تنحو منحى تحريم التجارة بالعبيد، بل والمساءلة على من يقوم بها. وقد شهد التاريخ الإسلامي أول ثورة للعبيد انطلقت من البصرة بقيادة «علي بن محمد بن أحمد» والتي اشتهرت باسم «ثورة الزنج» في القرن التاسع الميلادي (في العصر العباسي). وخلال العقد الماضي قد أصدرت العديد من البلدان العربية قوانين لتحريم الاتجار بالبشر.

-١١- انظر: الاتفاقية الدولية لإلغاء الرق والعبودية والأشغال الشاقة والمؤسسات والممارسات الشبيهة بذلك، والتي دخلت حيّز التنفيذ في ٩ مارس (آذار) ١٩٢٧.

١٢- انظر: نص الاتفاقية التكميلية التي صدرت في العام ١٩٥٦ والتي دخلت حيّز التنفيذ في ٣٠ أبريل (نيسان) ١٩٥٧، مجموعة معاهدات الأمم المتحدة، نيويورك، المجلد ٢٢٦.

١٣- انظر: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (المادة الرابعة)، كما حظر العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الرق وتجارة العبيد بكل أشكالها والاستعباد والعمل القسري أو الإجباري. انظر: (المادة الثامنة) من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، وقد ذهبت (المادة ٦) من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية إلى حظر الرق والعمل القسري وتأكيد حق العمل بحرية.

١٤- ورد في ديباجة النظام الأساسي: أن ملايين الأطفال والنساء والرجال وقعوا خلال القرن الحالي (القرن العشرين) ضحايا لفظائع لا يمكن تصورها هزّت ضمير الإنسانية بقوة، وصنفها نظام روما كجرائم خطيرة تهدد السلم والأمن والرفاه في العالم (الديباجة)، وإضافة إلى الاستعباد الجنسي والاغتصاب والإكراه على البغاء، فقد اعتبر أيضاً الحمل القسري والتعقيم القسري جرائم ضد الإنسانية أيضاً.

انظر: نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية الصادر في ١٧ يوليو (تموز) ١٩٩٨ والذي دخل حيّز التنفيذ في ١ يوليو (تموز) العام ٢٠٠٢.

١٥- انظر: (المادة ٣٤) من اتفاقية حقوق الطفل، الصادرة عن الأمم المتحدة في ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني)، العام ١٩٨٩، التي تنص على: «تتعهد الدول الأطراف بحماية الطفل من جميع أشكال الاستغلال الجنسي والانتهاك الجنسي. ولهذه الأغراض تتّخذ الدول الأطراف، بوجه خاص، جميع

التدابير الملائمة الوطنية والثنائية والمتعددة الأطراف لمنع:

أ - حمل أو إكراه الطفل على تعاطي أي نشاط جنسي غير مشروع؛

ب - الاستخدام الاستغلالي للأطفال في الدعارة أو غيرها من الممارسات الجنسية غير المشروعة؛

ج - الاستخدام الاستغلالي للأطفال في العروض والمواد الداعرة».

١٦- انعقد مؤتمر فيينا بمشاركة نحو ١٠٠ دولة في ١٣ – ١٥ فبراير/ شباط ٢٠٠٨ وشاركت فيه معظم البلدان العربية، وهو يندرج في إطار خطة دولية وإقليمية لمكافحة جرائم الاتجار بالبشر مع ضرورة التركيز على أهمية التوعية بمخاطر وسوء استخدام شبكة الأنترنت وظاهرة العولمة... وخصص المؤتمر جزء من أعماله وقراراته لضحايا الاتجار بالبشر من النساء والأطفال.

١٧-من المناسب الإشارة هنا إلى أن تونس هي البلد المضيف للأمانة العامة لمجلس وزراء الداخلية العرب، قد استضافت عدداً من المؤتمرات والاجتماعات الدورية السنوية الخاصة بإنشاء أجهزة متخصصة بمكافحة الاتجار بالبشر، من بينها اجتماعات لإدارات الهجرة والجوازات والجنسية في الدول العربية، وكانت هذه المؤتمرات والاجتماعات قد دعت إلى استخدام تقنيات حديثة لمكافحة الاتجار بالبشر وإجراء رقابة صارمة لعمليات زرع ونقل الأعضاء البشرية، والحد من ظاهرة تزوير جوازات السفر، وما له علاقة بالهجرة غير المشروعة وعلاقتها بجرائم الاتجار بالبشر والمخدرات وغسل الأموال وغيرها.

١٨- صدرت الاستراتيجية تنفيذاً لقرار المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العدل العرب رقم ٦٠٩ بتاريخ ٢٤/ ٥/ ٢٠٠٩ المعتمد من قبل مجلس وزراء العدل العرب في ١٩/ ١١/ ٢٠٠٩ وقرار مجلس الجامعة (الوزاري) بتاريخ ١٦/ ٩/ ٢٠١٠ وقرار مجلس وزراء العدل العرب في ٢٠/ ١٢/ ٢٠١٠ بشأن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي حول مكافحة المخدرات والجريمة وتحديث العدالة الجنائية في الدول العربية ٢٠١١ – ٢٠١٥ وصدرت في ٢٨ أبريل (نيسان) ٢٠١١.

١٩- انظر: مؤتمر دوكان (السليمانية - العراق) الذي انعقد في العام ٢٠١٢، تحت شعار «المؤتمر الدولي للاتجار بالبشر.. آليات وإجراءات فاعلة لمكافحته»، من قبل منظمة «التحالف من أجل العدالة» ومنظمتي «مينيرفا» و«لو Law» الإيطاليتين بالتعاون مع وزارة الخارجية الإيطالية، وحضر المؤتمر ممثلون عن حكومة بغداد الاتحادية وحكومة الإقليم الفيدرالية،

ووزراء وسـفراء وبرلمانيـون ومؤسسـات مجتمـع مـدني عراقيـة وأجنبيـة، إضافـة إلى ممثلـين عـن منظمـة التعـاون الإسـلامي وجامعـة الـدول العربيـة .جديـر بالذكـر أن الحكومـة العراقيـة أصـدرت قانونـاً لمنـع الاتجـار بالبـشر رقـم ٢٨ في فبرايـر (شـباط) ٢٠١٢. وقـد جـاء في الأسـباب الموجبـة أن هـذا القانـون شرع لمكافحـة جرائـم الاتجـار بالبـشر والحـد مـن انتشـارها ومعالجـة آثارهـا ومعاقبـة مرتكبيهـا لمـا لهـذه الجرائـم مـن خطـورة عـلى الفـرد والمجتمـع وإهانـة لكرامـة الإنسـان.

٢٠- تعتـبر اتفاقيـات جنيـف وبروتوكولاتهـا الإضافيـة في صلـب القانـون الـدولي الإنسـاني، وهـي عصـب القانـون الـدولي الـذي ينظـم السـلوك أثنـاء الحـروب والنزاعـات المسـلحة ويسـعى إلى الحـد مـن تأثيراتهـا. وتوفـر الاتفاقيـات الحمايـة للأشـخاص الذيـن لا يشـاركون في الأعـمال العدائيـة (المدنيـون، وعـمال الصحـة، وعـمال الإغاثـة) والذيـن توقفـوا عـن المشـاركة في الأعـمال العدائيـة (الجرحـى، والمـرضى، وجنـود السـفن الغارقـة، وأسرى الحـرب). انظـر: نصـوص اتفاقيـات جنيـف الأربعـة الصـادرة في ١٢ أغسـطس (آب) العـام ١٩٤٩ وملحقيهـا الصـادران عـن المؤتمـر الدبلومـاسي في جنيـف العـام ١٩٧٤ – ١٩٧٧، البروتوكـول الأول – الخـاص بحمايـة ضحايـا المنازعـات الدوليـة المسـلحة، والبروتوكـول الثـاني – الخـاص بحمايـة ضحايـا المنازعـات المسـلحة غـير الدوليـة، وأضيـف إليهـما بروتوكـول ثالـث صـدر في العـام ٢٠٠٥ حـول الشـارة الإضافيـة «البلـورة الحمـراء».

قـارن: Starke, J.G, Introduction to International law, eighth ed. London, 1977, p.504.

٢١- انظـر: تقريـر التنميـة الإنسـانية العربيـة للعـام ٢٠٠٩، الصـادر عـن برنامـج الأمـم المتحـدة الإنمائي، (تحدّيـات أمـن الإنسـان في البلـدان العربيـة).

٢٢- انظـر: شـعبان، عبـد الحسـين – مقالـة نـشرت في جريـدة السـفير اللبنانيـة، العـدد رقـم (١٢٣٩٦)، بتاريـخ ٢/ ٢/ ٢٠١٣.

٢٣-وقّـع البابـا بنديكتـوس السـادس عـشر في بـيروت عـلى «وثيقـة الإرشـاد الرسـولي» (أواخـر تشريـن الثـاني/ نوفمـبر ٢٠١٢)، التـي تضمنـت مبـادئ مهمـة تتعلـق بموضـوع العلاقـات الإسـلامية ـ المسـيحية، لا باعتبارهـا تاريخـاً، بـل كونهـا حـاضراً وطموحـاً مسـتقبلياً، سـواء في الـشرق أو بـين دول الـشرق التـي أغلبيتهـا مـن المسـلمين وبـين دول الغـرب المسـيحي.

أنظـر بالتفصيـل: عبـد الحسـين شـعبان – أغصـان الكرمـة (المسـيحيون العـرب)، إصـدار مركـز حمـورابي، بغـداد، ٢٠١٥.

٢٤- انظـر: شـعبان، عبـد الحسـين –

عنوان مقالة نُشرت في صحيفة الخليج «الإماراتية»، بتاريخ ٢٠/٨/٢٠١٤.

٢٥- للمزيد من المعلومات حول الديانة الإيزيدية ومن مصادرها المعتمدة يمكن مراجعة المصدرين التاليين:

١ - ختاري، داود مراد - الإيزيدية والموصل في أول موسوعة أنسكلوبيديا - عثمانية، مؤسسة سبيريز، دهوك (العراق)، ٢٠١٦.

٢ - جعفو، بير خلات الياس وسلو، زهير عرب (من مكتب لالش مهد ومركز لالش شيخان) - «من المقدسات الإيزيدية»، كردستان (العراق) ٢٠١٣.

٢٦- انظر: سورة البقرة، الآية ٢٥٦، التي تنص على: «لا إكراه في الدين، قد تبيّن الرشد من الغي، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم».

٢٧- في ١٠ حزيران (يونيو) العام ٢٠١٤.

٢٨- هناك ثلاث أنواع من التضامن الدولي: الأول التضامن الوقائي Preventive Solidarity أو التضامن الحمائي Protective Solidarity أو التضامن الإصلاحي Reforma-tory Solidarity.

٢٩- انعقد اجتماع الخبراء في مطلع العام ٢٠١٦، في الدوحة وكان الباحث مشاركاً فيه، وكلّفت بإعداد النص الأخير الخبيرة الدولية Ms. Virginia Dandan، وقدّم إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة لمناقشته، وتم إقراره في نهاية العام ٢٠١٦.

٣٠- نشر الباحث عدداً من المقالات لمعالجة ظاهرة الاتجار بالبشر وبالأعضاء البشرية منها: الاتجار بالأعضاء البشرية: أين المسؤولية؟ صحيفة العرب القطرية، (العدد ٧٧٨٦) بتاريخ ٦/١٠/٢٠٠٩. و(الاتجار بالبشر.. والأمن الإنساني)، صحيفة الخليج «الإماراتية»، بتاريخ ٢٩/٦/٢٠١٦، و(الاتجار بالبشر)، صحيفة الخليج «الإماراتية»، بتاريخ ٢٠/٦/٢٠١٢. و(جرائم الاتجار بالأعضاء البشرية)، صحيفة الخليج «الإماراتية»، بتاريخ ٢/٩/٢٠٠٩.

٣١-المقصود رئيس الوزراء الإسرائيلي في الفترة منذ ١٩٩٠ وحتى ١٩٩٢، وكان يومها وزيراً للصحة.

٣٢- انظر: مصدر سابق، (المحور الرابع - إسرائيل والاتجار بالبشر).

٣٣- أنظر اتفاقيات جينيف الأربعة وملحقيها، مصدر سابق.

٣٤- أنظر: عبد الحسين شعبان - إلغاء القرار ٣٣٧٩: انتصار أشدّ عاراً من الهزيمة، جريدة القدس العربي، ١٨ ديسمبر / كانون الأول، ١٩٩١.

٣٥- أنظر عبد الحسين شعبان - تحطيم المرايا: في الماركسية والاختلاف، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٩.

حولية المنتدى

محور
دراسات اللغة والأدب

حولية المنبر

الأبعاد التداولية للإشاريات الشخصية في شعر تأبط شرا ـ الضمائر انموذجا ـ

أ.م.د.فاطمة حميد يعكوب
جامعة القادسية/كلية الهندسة

أ.م.د. مشتاق طالب منعم
جامعة واسط/كلية التربية الأساسية

ملخص البحث:

لا شك في أن النص الشعري بصورة عامة والنص الجاهلي على وجه الخصوص يحمل في طياته من الخصائص والمزايا ما تجعله يواكب التطورات التي حصلت في ميدان النقد وظهور نظريات ومناهج نقدية مختلفة وعلى مر العصور، إذ إن الدلالات متعددة، لأن الكلمة تحمل طاقة ودلالات واسعة تختلف باختلاف الموضوع والمناسبة، فضلا عن ذلك أن المقام أو السياق يعطي للكلمة أبعادا مختلفة. وهذا الكلام بالضرورة ينسحب على المتلقي وكيفية فهمه للنص، ومن هنا وانطلاقا من دلالات النص وأبعاده المختلفة تناولنا في هذا البحث شعر أحد الشعراء الصعاليك، وهو تأبط شرا، لتكون هذه الدراسة خاصة بجزئية من جزئيات شعره ألا وهي الاشاريات الشخصية، وبما ان الاشاريات ميدانها واسع وكبير كان لا بد من دراسة احد أنماطها وهو الضمائر، دراسة نقدية في ضوء المنهج التداولي، لارتباطها بالمنهج التداولي، الذي يعد من المناهج النقدية الحديثة والمهمة التي خضعت من خلاله النصوص الإبداعية الى مقاربات اجراها النقاد في العصر الحديث، بحكم ما ينماز

به هذا المنهج من مزايا مكنته من التعامل مع النص الذي يمتلك هو الاخر مزايا وسمات اعطته القدرة على التعاطي مع المناهج الحديثة. إن موضوع الاشاريات الشخصية في شعر تأبط شرا- الضمائر انموذجا- يعد من الموضوعات المهمة التي تحتاج الى بحث ودراسة معمقة ولا سيما في شعر هذا الشاعر، كونها أخذت ابعادا تداولية كثيرة بحسب طبيعة الموضوع والسياق الذي وردت فيه، ولا سيما ان الضمائر تكشف عن كثير من المضمرات التي تختفي وراء الكلمات، فضلا عن ذلك أنها تحيلنا الى الشخص الذي وضع من أجله الضمير، وتخبرنا عن السياق المحدد الذي تشير إليه، وتظهر الاشاريات الشخصية في مواضع مختلفة في شعر الشاعر لاسيما في موضع الفخر بالنفس والحديث عن الصفات الذاتية، ولا ينسينا ذلك المقام الاخر الذي ورد باسمه أو صفته في شعر الشاعر، ومن الجدير بالذكر أن الضمائر سيجري معالجتها على وفق طبيعة الخطاب والمخاطب، إذ يختص بعضها بالمتكلم، وبعضها الاخر بالمخاطب الحاضر سواء أكان ذكرا أم أنثى، ومنها ما يتعلق بالغائب، هذا من جانب، ومن جانب آخر ان الشاعر يصنف في ضمن طائفة من طوائف الشعراء في العصر الجاهلي وهي طائفة الشعراء الصعاليك، الذين انماز شعرهم بخصائص ومزايا تساعد الباحث على تطبيق المناهج النقدية الحديثة عليه.

الكلمات المفتاحية : (التداولية- الاشاريات-تأبط شرا-الضمائر)

الاشاريات: يعد محور الاشاريات من محاور التداولية الحديثة المهمة والرئيسة في تحليل النص الادبي تحليلا تداوليا، بحكم ما ينماز به هذا المحور من فاعلية لها القدرة على الكشف عن مضمرات القول وما يحاول الشاعر أن يمرره من ايحاء سواء أكان ذلك الإيحاء من خلال الرمز ام من خلال الإشارة، أو حتى من خلال التعبير عن الذات، وربما يجنح الشاعر الى أبعد من ذلك ليستعمل الزمكان ويعطيها بعدا اشاريا يكشف عن المضمر، وهنا يدخل خيال الشاعر وقدرته على

توليف الكلام ونظمه بالطريقة التي يراها مناسبة لمقتضى السياق وحال المتلقي.

للاشاريات مجموعة من الوظائف النحوية والدلالية التي تؤديها داخل نسيج النص، لتحقق مجموعة من الوظائف كالتماسك الذي يؤدي بدوره الى وحدة المضمون، ومن دون تلك الوظائف لا يمكن الكشف عن تفسير النص ولا تأويله الا من خلال الوقوف عند دلالات الإشارة ولا يمكن فك ابهامها والعلم بمرجعها الا بالوقوف على السياق الذي وردت فيه ، فضلا عن ان العمل التواصلي يبقى غير فعال اذا لم يستطع المخاطب ادراك الاشاريات، والمراجع التي تحيل عليها تلك الإشاريات؛ لأن الفعل اللغوي لا يكون ناجحا إلا «إذا علم المخاطب قصد وإحالة العبارة، وإذا كان للمتكلم غرض ينبغي بموجبه أن يشكل المخاطب هذه المعرفة»[1].

وقبل الدخول في مفهوم الاشاريات لا بد لنا من وقفة موجزة مع بدايات هذا المصطلح ومفهومه.

تعد الاشاريات من المفاهيم المبهمة كما يعتقد احد الباحثين ان مصطلح الاشاريات يقابله في الدرس اللغوي القديم ((المبهمات))[2] ، وتشير المعجمات اللغوية الى ان المعنى اللغوي للاشاريات من قولهم: أشار الرجل يشير إشارة، إذا أومئ بيديه[3]، قال ابن فارس: ((الشين والواو والراء أصلان مطردان، الأول منهما إبداء شيءٍ وإظهاره ، وعرضه))[4]، وهذا يعني ان الاشاريات مصطلح عرفه الدرس النقدي القديم لكن ليس بالمصطلح الذي عرفه الدرس التداولي الحديث، هذا من جانب، ومن جانب آخر نجد ان الاشاريات لا يتحدد مظهرها ومضمونها الا في سياق لغوي وبنية نصية، فلا اشاريات من دون نص، ولا بنية نصية مكتملة من دون اشاريات، وهذا يعني أن هناك علاقة تلازمية بين الاشاريات بوصفها نظاما وبنية فاعلة في سياق النص وبين النص بوصفه بنية مكتملة المعنى والدلالة.

مفهوم الاشاريات: حين نتحدث عن مفهوم الاشاريات، فهناك إشكالية لا يمكن تجاوزها، وهي عدم استقرار المصطلح بصيغة نهائية

متفق عليها، إذ نجد في الدراسات لا سيما الدراسات الغربية مجموعة من المصطلحات منها: ((المعينات)) ((deictiques))، في الدراسات الغربية، من ذلك: القرائن المدمجة او الواصلة(Embrayeurs)عند رومان جاكبسون، او الوحدة الاشارية(Index)عند شارل بيرس، او التعبير الاشاري عند بار هيليل، او المؤشر (in dicatenr)، او دليل التلفظ(in dicedelenoncition)، او القرائن الاشارية(Schifters)) [٥]، لكن في المحصلة النهائية ان الدلالة واحدة مهما تعدد الملفوظ، فضلا عن ذلك ارتباطها المباشر بالتداولية.

ان مفهوم الاشاريات يأخذ حيزا واسعا وكبيرا في الدراسات اللسانية كونها تمثل فرعا مهما من فروع التداولية، إذ تتموقع الاشاريات ضمن سيرورة لسانية، تعارف عليها علماء اللسانيات، وأطلقوا عليها الفاظا((دالة على عناصر غائبة حاضرة))[٦] ، وعرفها بعضهم ((العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة او الزمن او المكان، حيث ينجز الملفوظ ،والذي يرتبط به معناه))[٧] ، ويتضح لنا من خلال ذلك أن الاشاريات مفهوم يتسم بالعموم والشمولية في احالتها وتوجيه المتلقي على فهم مقاصد المتكلم أو ذاته وحتى صفته، فضلا عن ذلك ونتيجة لعموميتها انها تشمل الزمان والمكان، وبما أن الاشاريات بهذه الصورة من الاتساع والعمومية كونها تشمل الذات والعناصر الدالة عليها، والمكان وعناصره، والزمان وعناصره، سيكون محور الحديث عن الاشاريات الشخصية المتلقة بالذات دون الحديث عن الاشاريات الزمانية، والمكانية.

الاشاريات الشخصية: تعد الاشاريات الشخصة واحدة من العناصر المهمة جدا والتي لا يمكن التخلي عنها بأي وجه من الوجوه في الخطاب بصورة عامة، والخطاب الادبي على وجه الخصوص، لما تحمله من مزايا خاصة في أثناء وجودها في السياق، فلا معنى لها خارج السياق سوى انها إشارات مبهمة لا تحيل على شيء، أما اذا

دخلت في سياق النص فستكون مؤثرة وفاعلة في الدلالة والتوليف والمعنى والقصد[٨]، وبناء على ذلك تكون الاشاريات الشخصية عبارة عن عناصر تحيل الى احدى أنماط الشخصية (أما المتكلم، أو الآخر المتلقي (المخاطب) الحاضر أو الغائب) بوساطة أحد الضمائر أو الأدوات اللغوية قصد الإشارة أو التنبيه أو الكشف والافصاح عن أمر معين أو الاخبار عن حالة معينة[٩]، وغير ذلك من الأمور الأخرى التي يحددها السياق، وعن طريقها يجري فهم القصدية، وهي كثيرة جدا، وما يعنينا هنا الضمائر فقط، وسنتناولها على وفق مستوياتها الثلاثة، وكما وردت في شعر الشاعر (ضمير المتكلم، وضمير المخاطب الحاضر أو الغائب، لأن ضمير الغائب يتداخل مع ضمير المخاطب).

أولا: **ضمير المتكلم**: تعد الذات الإنسانية واحدة من أهم مقومات الخطاب الذي يصدره المتكلم، لا سيما حين يكون الحديث عنها، والانسان كثير الاعتداد بنفسه، فدائما ما يعبر عن ذاتيته وكيانه بعناصر اشارية تدل على مكانة الذات من جانب، وتكشف عن المقاصد الكلامية التي يريد أن يكشف عنها مرسل النص[١٠] من جانب آخر، لأن كل خطاب يكشف عن وظيفة معينة، ويتضح لنا ذلك من خلال اطروحات النقاد المحدثين وتعاملهم مع الخطابات الأدبية، أمثال جاكوبسن وغيره، وهذا الامر جعل بعض النقاد العرب يؤمنون بقضية وظائف اللغة، ويبدو أن الغذامي قد آمن باطروحة جاكوبسن المتضمنة وظائف الخطاب واللغة، إلَّا إنَّه أضاف عليها وظيفة سابعة هي الوظيفة النسقية، ليكتمل المخطط بالشكل الآتي:

السياق

المرسل ⇐ الرسالة ⇐ المستقبل

قناة التواصل

شيفرة النص

العنصر النسقي

والذي صرح الغذامي به قائلًا :» إذا قبلنا بإضافة عنصر سابع إلى عناصر الرسالة الستة، و سميناه بالعنصر النسقي، فهو سيصبح المولد للدلالة النسقية، وحاجتنا إلى الدلالة النسقية هي لب القضية. إذ إن ما نعهده من دلالات لغوية لم تعد كافية لكشف ما تخبئه اللغة من مخزون دلالي، ولدينا الدلالة الصريحة التي هي الدلالة المعهودة في التداول، وفي الأدب وصل النقد إلى مفهوم الدلالة الضمنية»[١١]، وبناء على ما تقدم نستطيع القول: إن ضمير المتكلم أداة فاعلة ومهمة في خلق الدلالة والاسهام بشكل مباشر في صناعة الخطاب الادبي بصورة عامة، والخطاب الشعري على وجه الخصوص.

يعد شعر تأبط شرا نمطا من الأنماط التي حفلت بكثرة ورود ضمير المتكلم فيها، وربما ذلك يعود لأسباب كثيرة منها، أنه من فئة الشعراء الصعاليك تلك الطبقة المهمشة في مجتمعه والتي عانت من التشرد والحرمان على المستويات كافة[٢١]، هذا من جانب، ومن جانب آخر أنه كان كثير الاعتداد بنفسه، ليكون ذلك دافعا من دوافع التعويض، فكلما كانت الأنا عالية عند المتحدث كان ذلك وسيلة من وسائل التخفيف عن الذات، وما يصور ذلك قوله:

إِنّي إِذا خُلَّةٌ ضَنَّت بِنائِلِها ... وَأَمسَكَت بِضَعيفِ الوَصلِ أَحذاقِ
نَجَوتُ مِنها نَجائي مِن بَجيلَةَ إِذ ... أَلقَيتُ لَيلَةَ خَبتِ الرَهطِ أَرواقِ
لَيلَةَ صاحوا وَأَغرَوا بي سِراعَهُمُ ... بِالعَيكَتَينِ لَدى مَعدى اِبنِ بَرّاقِ
كَأَنَّما حَثحَثوا حُصّاً قَوادِمُهُ ... أَو أُمَّ خِشفٍ بِذي شَثٍّ وَطُبّاقِ
لا شَيءَ أَسرَعُ مِنّي لَيسَ ذا عُذَرٍ ... وَذا جَناحٍ بِجَنبِ الرَيدِ خَفّاقِ
حَتّى نَجَوتُ وَلَمّا يَنزِعوا سَلَبي ... بِوالِهٍ مِن قَبيضِ الشَدِّ غَيداقِ
وَلا أَقولُ إِذا ما خُلَّةٌ صَرَمَت ... يا وَيحَ نَفسِيَ مِن شَوقٍ وَإِشفاقِ[١٣]

افتتح الشاعر نصه الشعري بضمير المتكلم (اني) ليكشف عن ذات عالية أكد خلالها الاعتزاز بالنفس والهمة الكبيرة التي يمتلكها، فضلا عن قدرة كبيرة على قطع أواصر التواصل بأشكالها كافة، عمن لا يرغب فيه، مع العلم أنه غير مرغوب فيه وسط مجتمعه، كونه من فئة شكلت هاجس قلق للقبيلة التي تنتمي اليها، ومما يلفت انتباه المتلقي انه جعل الضمير مفتاحا بنائيا فكان قطب الرحى الذي تدور في فلكه الكلمات، ويبدو ان استعمال الضمير بهذا الشكل ومنحه السلطة المتحكمة في بنية النص لم يأت اعتباطا، بل جرى استعماله بقصدية، لأن العادة هي استعمال الافعال والاسماء والاقوال لا الضمائر، فالشاعر هنا حاول خرق الكلمات وتكسير بنية النص من اجل اعادة البناء، لكن ليس بالطريقة المعهودة، إنما بناء الذات من خلال النص، فهذا التكسير لم يكن ليقتصر على بنية النص الشعري فقط، بل كان على مستوى الذات، وما يؤيد ذلك ما يأتي:

١-فعل الشرط الوارد في بداية النص الشعري وكان محور الحديث عن الخل، التي مثلت في جانب من جوانبها الغدر الذي اتضح من السياق في النص.

٢-النص من خلال ما يظهر لا يمتلك وحدة موضوعية في بنائه الحالي، اذ بامكان المتلقي ان يقطع أي

بيت من الأبيات الشعرية ويستغني عنه، لكنه في الحقيقة ومن خلال استعمال ضمير المتكلم بوصفه عنصرا اشاريا يكشف عن بنية مغايرة لظاهر النص، فها هي ذات الشاعر تتحرك وتعمل في الأمكنة والأزمنة جميعها.

٣-في البيت الأخير يظهر الشاعر اعادة بناء الذات من خلال عدم اهتمامه بالآخر مهما كانت صلة قرابته.

٤-الهدم واعادة البناء ثيمة أساسية من ثيمات النص، لأنه استطاع خلخلة القيم الراسخة في ذهنية المجتمع الجاهلي (الفرار من المواجهة، وعدم الاهتمام بالقطيعة، والفرح بالنجاة، مع المحافظة على الكيان الداخلي وعدم تأثير العوامل الخارجية عليه)، فضلا عن ذلك كله ان الضمير (ضمير المتكلم) جاء بأكثر من صورة، فمرة ظهر واخرى استتر، وثالثة فهم من خلال السياق.

٥-كانت الأنا طاغية في النص طغيانا كبيرا يشي بذات مقاومة فلا يخلو اي بيت من الأبيات من (الانا).

وبناء على ما تقدم، فإن ضمير المتكلم الذي استعمله الشاعر بأكثر من طريقة، كشف عن اعتزاز كبير بذات قوية لها القدرة الكبيرة والفاعلة على تحمل الأعباء وعدم الاستسلام للظروف مهما كانت قسوتها.

ومن صور الشجاعة الفردية التي ظهرت في شعره، قوله:

أَلا عَجِبَ الفِتيانُ مِن أُمِّ مالِكٍ	تَقولُ لَقَد أَصبَحتَ أَشعَثَ أَغبَرا
قَليلَ الإِتاءِ وَالحَلوبَةِ بَعدَما	رَأَيتُكَ بَرّاقَ المَفارِقِ أَيسَرا
فَقُلتُ لَها يَومانِ يَومُ إِقامَةٍ	أَهُزُّ بِهِ غُصناً مِنَ البانِ أَخضَرا
وَيَومٌ أَهُزُّ السَيفَ في جيدِ أَغيَدٍ	لَهُ نِسوَةٌ لَم تَلقَ مِنّي أَنكَرا
يَنُحنَ عَلَيهِ وَهوَ يَنزِعُ نَفسَهُ	لَقَد كُنتَ أَبّاءَ الظُلامَةِ قَسوَرا(١٤)

لم يستعمل الشاعر ضمير المتكلم بصورته الظاهرة، لأن ما يخبر به عن نفسه يغنيه عن استعماله بصورة ظاهرة، وهذا لا يعني عدم حضور الانا مطلقا، بل كانت حاضرة حضورا طاغيا وكبيرا في بعض الالفاظ التي بني عليها النص الشعري مثل (قلت، وأهز، وأهز السيف، مني، وأباء)، فهذه الكلمات كلها تدل على حضور الأنا التي تشير الى صاحبها، وهذه المرة أشارت صراحة وبصورة واضحة الى الدليل (ينحن عليه) ليكشف عن شجاعة نادرة لا تغيرها مرارة الايام، ولا سطوتها، فالالفاظ التي احتوت على الضمائر كلها كانت تؤدي الى نتيجة واحدة هي الشجاعة وقوة البأس والمواجهة[٥١]، في هذا النص، وتتغير دلالات الضمائر بوصفها اشاريات بحسب الغرض والموضوع.

واستعمل الشاعر في بعض نصوصه الضمير المستتر مستغنيا عن اظهاره بجملة مقول القول:

أَقولُ لِلَحيانِ وَقَد صَفِرَت لَهُم ... عِيابي وَيَومي ضَيِّقُ الحِجرِ مُعوِرُ
لَكُم خَصلَةٌ إِمّا فِداءٌ وَمِنَّةٌ ... وَإِمّا دَمٌ وَالقَتلُ بِالمَرءِ أَجدَرُ
وَأُخرى أُصادي النَفسَ عَنها وَإِنَّها ... لَخُطَّةُ حَزمٍ إِن فَعَلتُ وَمَصدَرُ
فَرَشتُ لَها صَدري فَزَلَّ عَنِ الصَفا ... بِهِ جُؤجُؤٌ عَبلٌ وَمَتنٌ مُخَصَّرُ[١٦]

مثلت الأن المستترة عنصرا اشاريا دالا على ذات الشاعر، فكانت فاعلة في النص، اذ عبر الشاعر عن سلطته (سلطة صاحب النص) على المتلقي والمخاطب معافي ذات الوقت، من خلال استعماله ضمير المخاطب مستترا اذ جسد في البيت الأول سلطته على الشاعر بوصفه الفاعل ومحور العملية التخاطبية، وما على الآخر الا الاصغاء والاستماع لما يقول، لا سيما ان الخطاب لم يكن متوجها الى فرد بعينه، بل الى لحيان، وبما ان الخطاب موجه الى جمع، فهذا يدل على مكانة ومقام عال، وتقدير

الكلام (أقول أنا)، وبعدما اطمأن الشاعر من وقوفه على حد فاصل قدم خيارات اخرى (الفداء، والمنة)، لكنه في السياق ذاته قدم مفارقة كبيرة تذهل المتلقي (القتل بالمر اجدر)، ليعود بعد ذلك الى استعمال الضمير بوصفه العنصر الاشاري الذي يدل على الذات، ليقدم نفسه بطريقة رائعة استطاعت النجاة من الموت المحقق، فهو مؤمن ان الموت سيدركه، لكنه في الوقت نفسه لا يسلم نفسه اليه، ما لم يستنفذ حلوله جميعها.

ومما يقدم يتبين ان الضمير ارتبط بأفعال كثيرة لا فعل واحد، مثل الهزيمة والمواجهة، والقوة والايثار، فضلا عن ذلك، فإنه ينم عن لا مبالاة وعدم اهتمام بالآخر، مما يدل على عصيان كبير، ونفس متمنعة غير راغبة بالانقياد الى الاخر، وتشكل الأنا في كثير من الاحيان لبيان موقف تجاه قضية معينة، أو لتبين مدى القوة، ومن ذلك قوله:

وَنَعلٍ كَأَشلاءِ السُمانى نَبَذتُها	إِلى صاحِبٍ حافٍ وَقُلتُ لَهُ اِنعَلِ
وَقِربَةِ أَقوامٍ جَعَلتُ عِصامَها	عَلى كاهِلٍ مِنّي ذَلولٍ مُرَحَّلِ
وَوادٍ كَجَوفِ العَيرِ قَفرٍ قَطَعتُهُ	بِهِ الذِئبُ يَعوي كَالخَليعِ المُعَيَّلِ
تَعَدّى بِزَيزاتٍ تَعِجُّ مِنَ القوا	وَمَن يَكُ يَبغي طُرقَةَ اللَيلِ يُرمِلِ
فَقُلتُ لَهُم لَمّا عَوى أَنَّ ثابِتاً	قَليلُ الغِنى إِن كُنتَ لَمّا تَمَوَّلِ[١٧]

جاء الضمير (أنا) بوصفه عنصرا اشاريا مثقلا بالدلالات والاشارات الصريحة وغير الصريحة، ليؤكد مظهرين مهمين من مظاهر الحياة وسجايا لا تقل أهمية عن السجايا الانسانية التي ظهرت في شخصية الشاعر الصعلوك، إذ استطاع أن يظهر ذلك من خلال مظهرين تجلى المظهر الأول بالايثار على النفس بالرغم من الحاجة الماسة لذلك (الى صاحب حاف وقلت له انعل)، والامر الآخر الذي ظهر جليا أيضا

هو مظهر القدرة والقوة وتحمل مصاعب الحياة بقوة الارادة، ومما يثير الاهتمام ومحاولة اعادة النظر وانعامه، صيغ الخطاب التي وردت بطريقتين مختلفتين أيضا، وهما صيغة الأمر ومقول القول، وكلاهما تدلان على مكانة الفاعل صاحب الرسالة وقدرته على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب.

ان الضمير أنا المضمر- وان جاء مستترا في النص- فانه أدى ابعادا كثيرة تشظت أفقيا وعموديا حتى حققت بنية دائرية قامت على التضاد، واشترك فيها الانساني العاقل مع الحيواني غير العاقل (الذئب) لتكشف عن مشتركات ومضمرات كانت القوة والصبر والايثار والمنعة أبرز مظاهرها، فضلا عن ذلك كله كشف الضمير المستتر عن سلطة الباث المنتج للنص على الزمان والمكان والفعل، وهنا كانت الوظيفة الاشارية فاعلة على الأصعدة جميعها.

وتظهر الذات الفردية من خلال ضمير المتكلم بصورة غريبة لتقدم صورة من صور التضحية والمغامرة، واثبات الذات، فيقول الشاعر في واحدة من قصائده:

وَشَعبٍ كَشَلِّ الثَوبِ شَكسٍ طَريقُهُ ... مَجامِعُ صوحَيهِ نِطافٌ مَخاصِرُ

تَعَسَّفتُهُ بِاللَيلِ لَم يَهدِني لَهُ ... دَليلٌ وَلَم يُحسِن لِيَ النَعتَ خابِرُ

لَدُن مَطلَعِ الشِعرى قَليلٍ أَنيسُهُ ... كَأَنَّ الطَخا في جانِبَيهِ مَعاجِرُ (١٨)

إن تلاعب الشاعر في الكلمات واستعمال الضمير الهاء (تعسفته) كان خير وسيلة للتعبير عن القوة، إذ ليس بالضرورة ان يستعمل الشاعر ضمير المتكلم بصيغته الصريحة، بل في كثير من الاحيان يكون اخفاء الضمير الاشاري ابلغ وأكثر تأثيرا، وأكثر قدرة على ايصال ما يريد الشاعر ايصاله الى المتلقي، ومن المفارقات التي تضمنتها المقطوعة في أعلاه أن الهاء لم تكن لتدل على ذات الشاعر، بل دلت على الاخر

(الشعب) غير العاقل، ليكشف من خلاله عن قدرة وشجاعة انمازت بها شخصية الشاعر نفسه، ولو جاء النص بالصيغة الاتية (تعسفت الليل من غير هاد ولا دليل) لاختفت الصورة وتلاشت الدلالة، ومن هنا يتبين لنا أهمية الضمائر الاشارية. ومن صور البطولة الاسطورية التي وظف فيها الشاعر ضمير المتكلم توظيفا بعث في القصيدة الحيوية والحركة، مبينا تغلبه على الغول، فيقول:

أَلا مَن مُبلِغٌ فِتيانَ فَهمٍ	بِما لاقَيتُ عِندَ رَحى بِطانِ
بِأَنّي قَد لَقيتُ الغولَ تَهوي	بِسَهبٍ كَالصَحيفَةِ صَحصَحانِ
فَقُلتُ لَها كِلانا نِضوُ أَينٍ	أَخو سَفَرٍ فَخَلّي لي مَكاني
فَشَدَّت شَدَّةً نَحوي فَأَهوى	لَها كَفّي بِمَصقولٍ يَماني
فَأَضرِبُها بِلا دَهَشٍ فَخَرَّت	صَريعاً لِليَدَينِ وَلِلجِرانِ
فَقالَت عُد فَقُلتُ لَها رُوَيداً	مَكانَكِ إِنَّني ثَبتُ الجَنانِ[١٩]

ان استحضار الآخر (فتيان فهم) لم يكن اعتباطا، بل جاء بقصدية عالية من لدن الشاعر، لا سيما وأنه سيكشف عن أمر خارق للعقل والشعور ويمثل نوعا من العصيان والتمرد على الذات والمجتمع وحتى المتلقي، لأن الفكرة التي قام عليها النص فيها ما يشكل على العقل والشعور، لأنها متعلقة بأمر غير مرئي، ومما يلاحظ أيضا أن الشاعر في نصه قضيتين مهمتين الاولى مجتمعية والتي اشار اليها (بفتيان فهم) والثانية اسطورية متمثلة بالغول، واستعان الشاعر بـ (ألا) و(من) وكلاهما لهما من الدلالات الشيء الكثير، ومن تلك الدلالات أهمية الرسالة التي اراد الشاعر ايصالها، ومما يثير انتباه المتلقي تعامل الشاعر مع نصه بحرفية عالية، إذ انه لم يستعمل ضمير المتكلم بصورته الظاهرة، بل عمد الى اخفائه خلف بعض

الكلمات مستعينا بالقرائن التي أظهرته بصورة أوضح مما لو استعمله بصورته الظاهرة، فوجود الضمير في كلمة (لاقيت) في البيت الأول اعطى للمتلقي مساحة فكرية للتأمل والبحث عن الذي يريد الشاعر ايصاله اليه، فضلا عن محاولته ايجاد العناصر الاشارية التي سوف ترشده وتقوده الى الحدث، وبينما ينشغل المتلقي في التأمل والبحث عن الرسالة نجد الشاعر يفاجئ المتلقي باستعمال ضمير المتكلم بصورته الصريحة، ويبدو ان اللجوء الى التصريح وتقديم الضمير بوصفه عنصرا اشاريا وبصورته المعلنة ما هو الا صورة من صور الدهشة التي اراد ان يحدثها الشاعر عند المتلقي لتتناسب والفعل الذي سيقوم به(**بأَنّي قَد لَقيتُ الغولَ تَهوي**)، فالملاقاة لم تكن ملاقاة طبيعية حتى يضمر، بل كانت ملاقاة لإنسان عاقل يدرك، بكائن غير مدرك بالبصر، وهنا كانت أنا البطولة تظهر وتتحدث، لتجعل من الخيال حقيقة تظهر للعيان، معلنة ملاقاة ذات الشاعر الحقيقية بالغول الاسطورية منتجة نصا ابداعيا فاعلا، لينتقل بعد ذلك الى اسلوب الحوار الذي يعد من تقنيات السرد المهمة والفاعلة في بنية النص الشعري والذي أخفى خلفه أنا المتكلم (قلت) ليسبغ على النص الواقعية والحقيقة، من اجل ايهام المتلقي بصدق الأمر، مقيما بينه وبينها حوارا تفاعليا معتمدا على الضمائر بوصفها عناصر اشارية مهمة اقناعية في الوقت ذاته، وما ان يشعر المتلقي بحقيقة الأمر الواهمة حتى يدخل الشاعر في صراع مع الغول مظهرا من خلال ذلك الصراع مظاهر القوة والعزة والمنعة التي امتلكها، حتى استطاع ان يخرج منتصرا من معركة تكاد تكون خاسرة في الواقع.

لقد استعمل الشاعر ضمير المتكلم (انا) ظاهرا ومضمرا تسع مرات بين الاضمار والاظهار ليفصح عن شجاعة نادرة قل نظيرها، مع العلم ان استعماله للضمائر لم يكن على وتيرة واحدة او له دلالة واحدة، بل كان لكل ضمير دلالته في البيت الذي ينتمي، ففي البيت الاول

استعمله للكشف عن امر مهم فكانت دلالته تنبيهية اخبارية، وفي البيت الثاني، جاء به ليكشف عن خصمه، وفي البيت الثالث، جاء به للاخبار عما حدث، وفي البيتين الرابع والخامس عمد الى توظيفهما للشجاعة والقوة والانتصار، وهذا يعني ان الشاعر عرف وظائف الضمائر وسبل استعمالها، طالما أنها أدت وظيفة مختلفة تفهم من خلال السياق.

نلحظ مما تقدم ان دلالات ضمير المتكلم بنوعيه الظاهر والمضمر متغير الدلالة بحسب الغرض وطبيعة الموضوع ونوع المعالجة.

٢- ضمير المخاطب الحاضر والغائب: يعد الآخر ركيزة رئيسة من ركائز الخطاب الشعر، إذ لا يمكن للخطاب الشعري أن يسير ويؤدي دلالته من دون الاخر، سواء أكان ذلك على مستوى المخاطب، أم على مستوى المتلقي، وما يهمنا هنا هو المخاطب المشار إليه داخل النص الشعري، وتعد ضمائر المخاطب احدى وسائل التشكيل النصي التي تؤدى من خلالها الرسالة، ويقسم ضمير المخاطب بوصفه عنصرا اشاريا على قسمين:

١-ضمير المخاطب الحاضر والغائب المفرد : تعد رسالة الشاعر الى المتلقي واحدة من الشفرات المهمة التي تكشف لنا عن طبيعة المخاطب سواء أكان ذلك المخاطب يمتلك صفة الفردية أم الجماعة، فاذا كانت الرسالة تحمل صيغة الافراد فهذا يعني أن الخطاب موجه الى المفرد، مع الاخذ بنظر الاعتبار أنه ليس بالضرورة أن يدل المفرد على المفرد دلالة قطعية، بل يدل في كثير من الأحيان على الجمع والعكس صحيح.

٢-ضمير المخاطب الحاضر والغائب الجمع: قد تدل بعض الرسائل التي يبعثها الشاعر على الجمع محاولا من خلالها ايصال رسالة الى المتلقي والمخاطب معا قصد الكشف عن مضمر يعلمه هو ولا يعلمه المتلقي بواسطة استعمال ضمير المخاطب الدال على المجموع، وبما أن التداخل بين ضمائر المفرد والجمع حاصل في صيغ الخطاب فسيجري تناول الموضوع دون الفصل بينهم

انما يتم ايضاح الأمر من خلال التحليل(٢٠).

لقد استعمل تأبط شرا الضمائر الدالة على المفرد والجماعة في شعره استعمالا كبيرا اذ لا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من هذا الامر محاولا من وراء ذلك الكشف عما تدل عليه مسبغا عليها الكثير من الوظائف الرمزية والابلاغية والايحائية وغير ذلك من الوظائف التي يكشف عنها السياق الشعري، ومن استعماله للضمير المفرد بوصفه عنصرا اشاريا قوله:

إِنَّكَ لا بَزّاً مَنَعتَ وَلا يَداً
وَإِنَّ السُيوفَ بِالأَكُفِّ شَوارِعُ
غَداةَ تَقولُ قَد مَلَكتُم فَأَسجِحوا
وَإِنّي لِما أَسلَكتُموني لَتابِعُ(٢١)

مثل ضمير المخاطب ثيمة دلالية واضحة وصورة حقيقية استطاع الشاعر من خلالها الكشف عن عيوب الاخر الذي وضع له الضمير في كلمة (انك) فبدلا من نعته بالجبن وما يرافقه من قيم سلبية غير محمودة استعمل بدائل للكشف عن تلك الثيمة، وعليه يكون ضمير المخاطب بوصفه عنصرا اشاريا دالا على المخاطب مثل في الوقت نفسه بنية لغوية اختزنت في داخلها علامات دالة ظاهرة ومضمرة(٢٢)، اذ إن ظاهرها المتمثل بالآخر صار معطل القدرات وشخصية غير فاعلة بالمطلق بدلالة (لا) النافية، في حين كانت في الوقت ذاته كاشفة عن الآخر الفاعل بدلالة (بالأكف شوارع)، وهنا صور العنصر الاشاري الدال على المخاطب موقف الشاعر الثابت بين (الوضوح والوضوح، وضوح الرؤية، ووضوح الفعل والفاعل في آن معا).

ان استعمال ضمير المخاطب (الكاف) المقترن ب (ان) دل على ذلك المخاطب الذي ظهر في مظهر الضعف والاستسلام، ولم يتوقف الشاعر عند هذا الحد، بل مد صورته الى البيت الثاني الذي جاء مؤكدا للبيت الاول وتبع له كتبعية المخاطب الضعيف لمن امتلك مقاليد السلطة والحكم عليه، فكان

طائعا مؤديا لفروض الاستلام والولاء والامتنان بدلالة (اسجحوا واني لمن اسلمتموني لتابع)، وقد حملت هذه الجملة بعض العناصر الاشارية المضمرة التي أظهرها الشاعر وهذا الامر طبيعي جدا، لكنه في الوقت ذاته قد عمد الى استعمال المضمر لتأكيد قوة الظاهر. وبناء على ما تقدم يمكن القول: إن ضمير المخاطب المفرد بوصفه عنصرا اشاريا جرى توظيفه للدلالة على الضعف والوهن والاستسلام والانقياد للآخر، ولم يكن هذا العنصر فاعلا لولا توظيفه في السياق ودلالة بعض العناصر عليه. واذا كان تأبط شرا قد وظف العناصر اعلاه للدلالة على الضعف والوهن المعنوي، فاننا نجده في أبيات اخرى يوظف الضمائر بوصفها عناصر اشارية توظيفا مختلفا، لتدل على الضعف البدني لا المعنوي، فيقول:

ما إِن أَراكَ وَأَنتَ إِلّا شاحِبٌ بادي الجَناجِنِ ناشِزُ الشُرسوفِ[٢٣]

حمل السياق دلالة الضمير الاشاري لا سيما حينما جعل المتكلم ناقلا للصورة الى المتلقي مخبرا عنها، ويبدو ان السبب الذي يقف وراء ذلك هو تبادل الأدوار بين الذات المخبرة والآخر المخبر عنه، فجاء الخطاب مبنيا على وحدة المرجعية والاحالة الى شخصية المخبر عنه[٤٢]، وجرى استعمال الكثير من الضمائر الاشارية الخاصة بالمخاطب، وقد وظفها اظهارا وإضمارا، مفتتحا بيته الشعري بالضمير المستتر (أنت) ليزيد من قوة الحجة والدليل في الاخبار عن الشخصية، واذا كان الشاعر قد أشار الى الضمير انت فانه لم ينس نفسه، اذ أشركها بالخطاب واستعمل لها الضمير المستتر (أنا) الناقل للحدث والصورة، وهنا كان الشاعر قد أشار الى الأنا والآخر بصورة متساوية لتفضي بالنتيجة الى تساوي الصورة بين المتحدث والمخاطب، حتى سارتا على خط واحد، وبناء على ذلك يكون الضمير (أنت) الظاهر لفظا والمستتر معنى الذي أخبر عنه السياق دالا على المضمون

كاشفا عن صورة التعب والاعياء والضمور والهزال.

ومن صور الاستعمال الخاص للاشاريات الشخصية وتوظيفها في بنية النص الشعري قوله:

أَضافَت إِلَيهِ طُرقَةُ اللَيلِ مافَتاً ثُباتاً إِذا ظَلَّ الفَتى وَهوَ أَوجَلُ
بَدا بِحَرامِ اللهِ حَتّى اِستَحَلَّهُ وَكانَ شِفاءً ثَأرُ نَفسي مُعَجِّلُ[٢٥]

إن محاولة الشاعر الصعلوك اثبات ذاته بشتى الوسائل والأساليب تعد واحدة من الطرق المهمة التي وظفوها في نتاجهم الشعري متخذين من الغزوات والتحركات والتضحيات التي قاموا بها وسيلة للكشف عن الشجاعة وقوة البأس والمراس لا سيما المنازلات التي كانت نتائجها لهم، ومن هنا – ومن خلال استعمال الضمائر- بوصفها عناصرا اشارية تتجلى بوضوح الانساق التي تظهر من خلالها، فكان اللجوء الى استعمال أسلوب التصريح يكشف عن قوة الموقف، ولم ينس الشاعر التلميح، إذ إن استعمال الضمير الدال على المخاطب بطريقة الاضمار جرى الاتيان به للكشف عن نسق القوة بدلالة (أضافت) والاضافة تعني اسباغ صفة معينة الى صفات أخرى يتمتع بها المخبر عنه، فضلا عن المفارقة، لأن الأصل في استعمال الليل وطرقاته عند الشعراء هو المجهول والخوف مما تخفيه تلك الطرقات في شعابها ومسالكها، لكن الشاعر جعل من طرقات الليل وظيفة وسمة جديدة دالة على الشجاعة والاقدام، وما كانت تلك الصورة لتظهر لولا استعمال الضمير.

ان حركة الأنا (وكان شفاء ثأر نفسي) و (أضافت اليه طرقة الليل) والآخر المتخيل (الفتى) الذي حضر من دون لازمة سوى صفة الظلال والخوف من مخاطر الطريق تجعلنا أمام صور مختلفة متأرجحة بين الشجاعة والاقدام والجبن والخوف، والذات التي تشفى بادراك ثأرها، وهنا كانت (الأنا) أنا الشاعر والـ (هو) الفتى الآخر الخائف

والعناصر الاشارية الدالة عليها ما هي الا صورة من صور الاضطراب التي يعيشها الشاعر والتي أدت الى نتيجة واحدة هي شفاء النفس.

وعليه كانت العناصر الاشارية المتمثلة بالضمائر وسيلة وآلية مهمة كشفت عن صور تعلقت احداها بالذات، وتعلقت الأخريات بالآخر بواسطة التضاد، ولم ينس الشاعر الحالة النفسية التي كشف عنها بلفظ (كان شفاء)، اذ استطاع من خلاله أن يعيد لنفسه التوازن ويشعر بالثقة العالية بالذات وقدرتها على ادراك ما ترغب به.

ومن صور استعمال الضمائر بوصفها عناصرا اشارية قوله:

فَقَد أَطلَقَت كَلبٌ إِلَيكُم عُهودُها ... وَلَستُم إِلى إِلٍّ بِأَفقَرَ مِن كَلبِ
وَهُم أَسلَموكُم يَومَ نَعفِ مُرامِرٍ ... وَقَد شَمَّرَت عَن ساقِها جَمرَةُ الحَربِ(٢٦)

تظهر مقاصد الخطاب الاشاري المتمثل بضمير المخاطب في صدر البيت الأول، اذ جرى استعمال الشاعر للخطاب مجرى العارف المتبصر بالامور المهيئة للحجة والنتيجة والبرهان المبني على آلية التكوين الدائري أو البنية الدائرية اذا اجيز لنا أن نطلق هذه التسمية في هذا السياق، فكلمة (فقد) كانت صيغة افتتاح وختام في عجز البيت الثاني وكلاهما يحيلان الى دلالة واحدة، إذ إن اطلاق العهود ونقضها موجبات لاعلان الحرب، وعليه يكون الضمير (هي) أرسلت اليكم وأنتم مرجعا اشاريا يكشف عن طبيعة الحدث والحادثة، فضلا عن ذلك انه يكشف عن آخر يقابله آخر، لا يمكن أن يكون كفوا له هذا من جانب، ومن جانب آخر، يتبين لنا ان طبيعة الضمائر في هذين البيتين لم تأت مبهمة، بل جاءت دالة كاشفة عن طبيعة الحدث، وهنا كانت وظيفة الضمائر ربط الخطاب الشعري بالحدث الواقعي الذي أشار اليه، والى الصراع والواقع المعيش حقيقة.

ولم يقتصر توظيف الضمائر بوصفها عناصرا اشارية مهمة على الخطاب

الذكوري فقط، بل كان للخطاب الانثوي حضورا في شعر الشاعر، وهذا يعني أن الشاعر يخاطب الجنسين باستعمال الضمائر لكن الصيغ والدلالات مختلفة، فيقول:

تَقولُ سُلَيمى لِجاراتِها أَرى ثابِتاً يَفَناً حَوقَلا
لَها الوَيلُ ماوَجَدَت ثابِتاً أَلَفَّ اليَدَينِ وَلا زُمَّلا
.....
يَفوتُ الجِيادَ بِتَقريبِهِ وَيَكسو حَوادِها القَسطَلا
وَيَعتَرِقُ النَقنَقَ المُسبَطِرُّ وَالجَأبُ ذا العانَةِ المِسحَلا[٢٧]

تكشف لنا الضمائر بوصفها عناصرا اشارية عن هوية الذات المتحدثة من خلال الآخر، إذ إن أسلوب الحوار (تقول سليمى) عمل على تحديد هوية وجنس المتحدث المتمثل بالمرأة، فكانت تلك الهوية مفتاحا بنائيا ووسيلة للكشف عن هوية الشاعر أيضا، فسليمى لم تكن صورة يستحضرها الشاعر للكشف أو الاخبار عن حالة مر بها، بل جاءت وسيلة للتحدي وتبديد حججها التي قدمتها، فضلا عن ذلك ان الشاعر عمد الى استعمال الضمائر المضمرة لتكشف عن صيغ وصور الصراع النفسي الذي يحاول الشاعر اخفاءه خلف الكلمات، لكن عمق المأساة والصراع الذي يعيشه مع مجتمعه الذي انفصل عنه ومنه مجتمع النساء التي وظفها الشاعر للرمز الى القبيلة التي ينتمي اليها فجعله هذا يبوح بذلك الصراع الأزلي من دون أن يعي الأمر، فاستعمل بعض العبارات الدالة على التهديد مثل (لها الوي) لينقض الحجة التي أتت بها (سليمى) ولا فرق ان كان لهذا الاسم دلالة على الانثى الحقيقية أم على القبيلة، فضلا عن ذلك إن التنويع في استعمال العناصر الاشارية المتصلة والمنفصلة الظاهرة والمستترة ما هي الا دلالات على صيغ الصراع الذاتي مع الآخر والتأرجح بين حالة الثبات وعدمه، ومحاولة إيصال رسالة الى الآخر المتلقي دالة على قوة المتحدث وطرق التعامل مع الآخر فضلا عن ذلك ان كثرة استعمال الضمائر

يكشف لنا عن ذاتية الشاعر العالية وشدة اعتداده بنفسه

الخاتمة: لا شك في ان الخوض في موضوع الاشاريات وتطبيقها او البحث عنها وعن دلالاتها في النص الشعري القديم يكشف عن نتائج ربما تكون مختلفة عما تكشف عنه الدراسات النقدية الحديثة بحكم اختلاف طبيعة النص من جانب واختلاف وجهة نظر الباحث في الموضوع من جانب آخر، فضلا عن اختلاف الفئة او الطبقة التي ينتمي اليها الشاعر، وهذا الامر بدا جليا واضحا من خلال قراءة النصوص الشعرية محل الدراسة، وبعد الانتهاء من كتابة البحث تبين لنا ما يأتي:

١-توزعت العناصر الاشارية الشخصية المتمثلة بضمائر المتكلم والمخاطب والغائب على المقطوعات والقصائد المطولة، فكان استعمالها ضرورة ملحة على الشاعر من اجل إيصال رسالته.

٢-اختلفت دلالات وابعاد العناصر الاشارية (الضمائر الشخصية) في القصائد التي قالها الشاعر، وهذا الامر فرضته مناسبة القصيدة وطبيعة الموضوع والسياق الذي وردت فيه.

٣-حاول الشاعر اشراك المتلقي في بعض الأحيان للوصول الى الدلالة بنفسه، وهذا الأمر يدل على حرفية الشاعر في استعماله للغة وتوظيف العناصر الاشارية فيها.

٤-بما أن التداولية علم من العلوم التي تحسب على اللغة تارة وعلى النقد تارة أخرى والعناصر الاشارية تمثل جزءا من جزئيات المنهج التداولي يبدو ان الشاعر وعى هذا الأمر وتعامل معه تعاملا يتناسب مع الطريقتين اللغوية والنقدية.

٥-لم يقتصر استعمال الضمائر بوصفها عناصر اشارية على التوظيف الذكوري فقط، بل كان لها النصيب أيضا في خطاب الانثى، وربما يعتقد بعضهم ان مجتمع الصعاليك بحكم ما أحاط بهم من ظروف معينة وطبيعة تعامل مختلفة من قبل مجتمعهم قد غاب أو غيب صوت الانثى بواسطة الضمائر لكن الحقيقة جاءت مختلفة حضورا واستعمالا ودلالة.

الهوامش:

١ – النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ٢٦٦.

٢ – ينظر: لسانيات النص وتداولية الخطاب، الجانب التأصيلي عند حمو الحاج ذهيبة:٧٧-٧٨.

٣ – ينظر: تهذيب اللغة : ١١/ ٢٧٧.

٤ – ينظر: معجم مقاييس اللغة ٣/ ٢٦٦.

٥ – ينظر: المقاربة التداولية في الادب والنقد

٦ – المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: ٨٧.

٧ – نسيج النص بحث في ما يكون الملفوظ نصا: ١١٦.

٨ – ينظر: نسيج النص، بحث في ما يكون الملفوظ نصا: ١١٦.

٩ – ينظر: استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٨٠.

١٠ – ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٦.

١١– نقد ثقافي أم نقد أدبي.٢٦-٢٧.

١٢ – ينظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ٩٩.

١٥ – ينظر مثلا: مدخل الى التحليل اللساني للخطاب الشعري: ٧٤.

٢٠ – ينظر: في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والاجراء: ٦٥.

٢٢ – ينظر: نسيج النص بحث في ما يكون الملفوظ نصا: ١١٧.

٢٤ – ينظر: نسيج النص بحث في ما يكون الملفوظ نصا : ١١٩.

١٣ – ديوان تأبط شرا وأخباره: ١٢٩-١٣٤.

١٤ – ديوان تأبط شرا وأخباره: ١٠٠.

١٦– ديوان تأبط شرا وأخباره: ٨٩-٩٠.

١٧ – ديوان تأبط شرا وأخباره: ١٨١– ١٨٣.

١٨ – ديوان تأبط شرا وأخباره: ٩٤-٩٥.

١٩ – المصدر نفسه: ٢٢٢-٢٢٦.

٢١ –ديوان تأبط شرا واخباره ١١١.

٢٣ – ديوان تأبط شرا وأخباره : ١٢٠.

٢٥ – ديوان تأبط شرا وأخباره ١٦١.

٢٦ – ديوان تأبط شرا واخباره ٦٦

٢٧ – ديوان تأبط شرا واخباره ١٦٤.

قائمة المصادر والمراجع:

١.نقد ثقافي أم نقد أدبي، د.عبد الله الغذامي، د. عبد النبي اصطيف، دار الفكر بدمشق، ط١، ٢٠٠٤.

٢.ديوان تأبط شرا وأخباره، جمع وتحقيق علي ذوالفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م.

٣.مدخل الى التحليل اللساني للخطاب الشعري، بوقرة نعمان، عالم الكتب الحديثة، اربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٨.

٤.استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الله بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤.

٥.آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمد أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر. ٢٠٠٢.

٦.الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د.يوسف خليف، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٦٦.

٧.تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠١.

٨.في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والاجراء: نواري سعودي أبو زيد، بيت الحكمة، ط١،الجزائر ، ٢٠٠٩.

٩.معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس ت (٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

١٠.نسيج النص بحث في ما يكون الملفوظ نصا، الازهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣.

١١.المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، بوقرة نعمان، عالم الكتب الحديث، جدار الكتاب العالمي، ط١، الأردن،٢٠٠٩.

١٢.المقاربة التداولية في الادب والنقد، د.جميل حمداوي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ٢٠١٢.

١٣.النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٠م.

١٤.لسانيات النص وتداولية الخطاب الجانب التأصيل عند حمو الحاج ذهيبة، تيزي وزو، الجزائر، دار الامل، د.ت.

Abstract:

The subject of personal semantics in poetry of T'abbata Sharran , pronouns as a model ,is one of the important topics that need research and deep study, especially in the poetry of this poet, as it has taken many deliberative dimensions according to the nature of the topic and the context in which it was mentioned, especially since the pronouns reveal many The pronouns that hide behind the words, moreover, they reveal the person for whom the pronoun was created, and tell us about the specific context to which they refer.

The personal semantics sppear in different places in the poet's poetry, Especially when it comes to self-esteem and talking about personal qualities ، and let us not forget the other place whose name or character trait is mentioned in the poet's poetry and it is worth to remmember that the pronouns will be treated according to the nature of the speech and the addressee, as some of them are specific to the speaker, and others are specific to the present addressee, whether male or female, and some of them are related to the absent, this is on one hand, on the other ,the poet is classified within a group of sects of poets in the pre-Islamic era, which is the sect of tramps of poets, whose poetry was distinguished by characteristics and features that help the researcher to apply modern critical approaches to it.

حولية المنتدى

العنوان في شعر بشرى البستاني
أنماطه ووظائفه

أ.م.د. رائد فؤاد طالب
Dr.raidfuad75@gmail.com

الباحث : احمد بيان عبد السادة

الملخص :
يسعى هذا البحث الى رصد انماط العنوان ووظائفه في شعر بشرى البستاني وابراز دلالاته الجمالية وفق منهج وصفي تحليلي في نماذج مختارة من منجزها الشعري ، وقد قمسنا البحث الى محورين ، تناول المحور الاول العنوانات الرئيسة التي تصدرت المجموعات الشعرية ، اما المحور الثاني فقد درس العنوانات الفرعية للقصائد ، محاولين الاستشهاد ببعض النصوص الشعرية التي تضيئ جوانب عتبة العنوان .

الكلمات المفاتيح : العنوان ، شعر ، بشرى البستاني .

المقدمة : احتلت دراسة العنوان في الدراسات النقدية الحديثة مكانة مهمة ، واخذت مساحة كبيرة – تنظيرا وتطبيقا- ، وذلك لما تشكله هذه العتبة من اهمية بالغة في قراءة النص وفهمه والوصول الى اعماقه الدلالية ، فبعد التطور الكبير الذي شهده النقد وانفتاح المناهج النقدية وخروجها من الدائرة المغلقة التي تقوقع داخلها البنيويون ؛ اهتم الدارسون بالعتبات النصية – الذي يعد العنوان ابرز هذه العتبات – لا لمجاورتها للنص فحسب بل لكونها مفاتيح لها القدرة على كشف دلالة

العمل وفتح مغاليقه .

فالعنوان يعد حلقة الوصل الاولى بين المتلقي ونص المبدع تلك الحلقة التي لا يمكن ان يتجاوزها المتلقي للدخول الى النص مباشرة متجاهلا العنوان مما قد يضيع عليه فرصة المكوث عند هذه العتبة متأملا اياها ومستنطقا بنياتها الدلالية التي تفتح مغاليق القصيدة وتضيء جوانبها الخفية . فالعنوان يعمل على تقديم النص للعالم ؛ وذلك لموقعه المتميز فهو بمثابة الهوية التي يتعرف بها النص ، فالعنوان ((من حيث هو تسمية للنص وتعريفٌ به وكشفٌ له ، يغدو علامة سيميائية تمارس التدليل ، وتتموقع على الحد الفاصل بين النص والعالم ، ليصبح نقطة التقاطع الاستراتيجية التي يَعبرُ منها النص الى العالم والعالم الى النص لتنفي الحدود الفاصلة بينهما ويجتاح كلٌّ منهما الآخر)) [١] وفي الشعر تحديداً يُعدَّ العنوان ((منبهاً اسلوبياً لا يُستهان به في النص الشعري ؛ لما يحمل من بنية دلالية ذات بعدين الأول صوتي والآخر تركيبي ، والنص الشعري له دلالته ولغته الخاصة ذات الابعاد المتعددة ، والعنوان هو الذي يشرف على النص لا ليضيء ما يعتم منه فحسب ، بل ليوجّه القراءة كلها ، وهذا ما يفهمه شعراء الحداثة من فلسفة العنوان واعتبار العنوان بنية نصية وليس لافتة مجردة من الدلالة فيحتمل العنوان قراءة نصية تستوقف وتوجه بقدر محمولها ذاته))[٢] .

والعنوان بفاعليته الدلالية ليس عملا معزولا عن نصه ، انما هو دلالة منتزعة من صميمه [٣] يستطيع ((ان يوحي بتفكيك النص من اجل تركيبه عبر استكناه بنياته الدلالية والرمزية ، وان يضيء لنا في بداية الامر ما اشكل من النص وغمض ، هو مفتاح تقني يجس به السيميولوجي نبض النص وتجاعيده وترسانته البنيوية وتضاريسه التركيبية على المستويين : الدلالي والرمزي)) [٤] ، ولهذا كان العنوان عملا مقصودا من لدن المبدع ، لا يأتي عفوا او من دون غايات دلالية. ومن هنا جاءت الدراسات النقدية لتؤكد عمق الارتباط بين العنوان

والنص ، إذ لا يستقيم فهم النص بعيدا عن موجهه الرئيس المتمثل في العنوان الذي يؤدي دور المرشد الى مغاليق النص والدخول الى عوالمه الخفية التي لا بد من استنطاقها وتأويلها والوصول الى عمقها الدلالي الثاوي فيها .

وقد أشار لوي هويك - الذي يُعدُّ أول من عرف العنوان تعريفاً دقيقاً – الى ان العنوان هو ((مجموعة العلامات اللسانية ، من كلمات وجمل وحتى نصوص ، قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه ، تشير لمحتواه الكلي ، ولتجذب جمهوره المستهدف))[٥] ، وهذا التعريف يؤشر لنا شكل العنوان وموقعه والوظيفة التي يقدمها داخل العمل ، ولا يختلف تعريف الدكتور خالد حسين حسين كثيراً إلا أنه يذكر الوظيفة المهمة التي يؤديها العنوان لمنح النص وجوده فيعرف العنوان بأنّه ((علامة لغوية ، تتموقع في واجهة النص ، لتؤدي مجموعة وظائف تخصُّ انطولوجية النص ، ومحتواه ، وتداوليته في اطار سوسيو– ثقافي خاصاً بالمكتوب))[٦] .

ذكر لوي هويك وبعده جيرار جينيت والكثيرون بعدهم الوظائف التي يؤديها العنوان ، إلا أنّهم لم يذكروا الوظيفة التي يقدمها العنوان للتعريف بالكاتب ، وتأكيد ذاته ، وبهذا لا نشير لقصور بالدراسات السابقة بل لصعوبة ((حصر وظائف العنوان في الأعمال المبدعة شعراً ورواية ، وقصة هذه هي البدهية الأكثر بروزاً للباحث في أمر العنونة في الإبداع))[٧] .

وفقا لما تقدم فاننا ارتأينا ان ندرس العنوان في تجربة الشاعرة بشرى البستاني التي كانت متميزة في اختيارها لعنوانات قصائدها التي قدمت عنوانات لنصوصها الشعرية حملت مشاكسة للمتلقي عكست وعيا ابداعيا كبيرا باهمية العنونة مما يجعل هذه العتبة في نصها الشعري من الصعوبة تجاوزها او اغفالها ، لاسيما ان الشاعرة كانت حريصة في ان لا تضع عنوانات قصائدها اعتباطا بل هي تسعى دائما لصدمة المتلقي وتحريك ذائقته استعدادا لتلقي نصها الشعري وفق قراءة

تأويلية بما يجعلها تحمّل المتلقي مسؤولية تأملية تسعى من خلال ذلك الى استفزاز القارئ ودفعه نحو استنطاق اول مفاتيح قصائدها وتوجيهه نحو جمالية النص الشعري بما يتكئ عليه من دلالات . حيث ان عملية اختيار العناوين « لا تخلو من قصدية كيفما كان الوضع الاجناسي للنص انّها قصدية تنفي معيار الاعتباطية في اختيار التسمية »[٨] ، وحيث أنّ العنوان – ايضا – يحمل في الوقت ذاته مقاصد النص ومقاصد الناص ، لأنّ « المرسل يتأول عمله فيتعرف منه على مقاصده ، وعلى ضوء هذه المقاصد يضع عنواناً لهذا العمل ، بمعنى أنّ العنوان من جهة المرسل ؛ هو ناتج تفاعل علاماتي بين المرسل والعمل أما المستقبل ، فانّه يدخل الى العمل من بوابة العنوان متأولاً له وموظفاً خلفيته المعرفية في استنطاق دواله »[٩] ، فالعلاقة التي تجمع الكاتب بالعنوان الذي يختاره ينبثق عنها دون شكٍّ قصدية تتضمن أبعاداً ذاتية للمؤلف فتكون هذه القصدية محملة بالايدولوجيا والانفعالات والأحاسيس فيغدو العنوان في بعدٍ من ابعاده العلائقية مطيةً لمقصدية الكاتب ، أو أنه يشف عن هذه المقصدية[١٠] ، ولكون العنوان شفرة وعلامة سيميائية ستتوسل هذه الدراسة في الغالب بالتأويل للوصول الى غايتها ، كما ستستعين بالنصوص للتحليل لأنّ العنوان « خطاب رمزي يعتمد على ادخاره لمخزون وافر من التأويلات التي تحمل كماً من الأفكار والمعاني ذات الصلة الوثيقة بالحمولة الدلالية للنص وجمالياته »[١١] .

وقد سبقتنا بعض الدراسات التي تناولت العنوان في شعر بشرى البستاني وهي وان كانت قليلة جدا الا انها لم تكن مستقلة او دارسة لكل شعرها ، فهي إما ان تكون مبثوثة في ثنايا كتب نقدية تناولت تجربة الشاعرة او من خلال قراءات نقدية او انها جاءت لدراسة مجموعة واحدة مستقلة مما يجعلها لا تعطي رؤية كاملة لشعرها كله من حيث الانماط والوظائف ، وقد اعتمدنا في بحثنا هذا منهجا وصفيا تحليليا يسعى الى الكشف عن دلالات توظيف العنوان وانماطه المختلفة

بوصفه مكونا جماليا مهما في شعر البستاني . ولما كان العنوان يتكئ على انماط متعددة ووظائف جمالية وتواصلية ، فستكون غايتنا الأولى البحث عن الانماط التي تشكل منها العنوان ووظائفه التي تؤديها لإبراز ، وسنقسم البحث الى محورين : سيكون المحور الاول مركزا على العنوانات الرئيسة التي تصدرت المجموعات الشعرية ، اما المحور الثاني فسيتناول العنوانات الفرعية للقصائد .

المحور الاول

العناوين الرئيسة أو العامة :

من البديهي أنْ تتغيرَ نظرتنا لعتبة العنوان نظراً لتغير موقعها ؛ لأنّ اعتلاء صهوة القصيدة لا يماثل اعتلاء رأس المجموعة ، فالموقع الأول سيفرض على العنوان القيام بوظائف تجعل العنوان مخلصاً لنصه فحسب ، بينما في الموقع الثاني يكون العنوان مجبراً على خدمة المجموعة كلها من خلال اختراق النصوص ، وإيجاد نقاط مشتركة بينها ، تبعاً لهذا يجب على الباحث « التفرقة بين العنوان الذي يُعد مدخلاً لنصوص عدة ، والعنوان الذي يكون لنص واحد فالعنوان الأول يجمع النصوص ويشير إليها ويحددها بإشارته ، فهو عندما يتقدم في المجموعة الشعرية فإنه يحاول أنْ يطوقَ جميع نصوص هذه المجموعة ليبوح بها عبر نصه المصغر سواء كان هذا النص / العنوان واضح الدلالة (تقريري) ام انه ينطوي على ميتالغوية يشترك القارئ في تأويله ، وهي مسؤولية كبيرة تقع على عاتق الناص في اختيار مدخل او موجه او تاج للنص »[٢١] ، كما أنّ القصيدة داخل الديوان أو المجموعة الشعرية « عبارة عن بنية دلالية مكتملة لكن هذا الاكتمال لا يمنع أنها مهيأة للدخول في بنية دلالية أكبر تخص الديوان ، هنا يمثل عنوان القصيدة علامة على اكتمالها دلالياً ، أما عنوان الديوان فعلامة على تلك البنية الأكبر التي تنتظم فيها البنيات الدلالية للقصائد كافة ، ومن ثم كان لابدَّ أنْ يخترقَ عنوان الديوان القصائد كافة ليتمكن من رد اختلاف عناوينها إليه ، بتعبير

آخر إنّ عنوان الديوان يتردد ، بهذا الشكل أو ذاك ، داخل جميع القصائد ، الأمر الذي يخلق نواة أولية للبنية الدلالية الأكبر "[٣١].

ينفتح العنوان (خماسية المحنة) على نصوص المجموعة مباشرة ، إذ يحيل الرقم (٥) لعناوين النصوص الكبيرة التي تضمها المجموعة ، وتشير المفردة الثانية (المحنة) الى موضوع النصوص فهي الثيمة المشتركة بين نصوص المجموعة ، فمن محنة (الحب ٢٠٠٣) المحنة الأكبر واحتلال الارض وصولاً الى محنة الأسوار التي ضيقت الخناق على الذات الانثوية تكتمل خماسية المحنة ، فالعنوان يفصح بشكل مباشر عن الموضوع المهيمن على نصوص المجموعة فقد ترددت مفردة (المحنة) كثيراً في المتن الشعري وفي أغلب النصوص منها :

أزرعك في قطرة دمع ..
فتفتحُ الثرياتُ أعينها ...
تفتحُ الحقولُ دوحَها ...
تفتح العناقيد ثمرها ...
تتشظى البحورُ ويشتعل سمكها في قطرة دمع ..
تفتح العروشُ بهاءها ،
وتنهض بلقيس كاشفةً عن محنتها
وتسقط البلدانْ ...
وأنا مذعورة أفتحُ للريح صدري ...
مجنونةً أنتزع السكاكين عن ظهر وطني ..[٤١]

يكشف لنا هذا المقطع وغيره الكثير بأنّ الذات الشاعرة انتقت عنوانها (خماسية المحنة) ليكون معبراً عن محتوى النصوص بشكل بارز ، لتعمل هذا العتبة على ابراز ذاتها المعذبة المحاطة بالمحن والعذاب.

إنَّ الشاعرة بشرى البستاني تبتعد كثيراً عن المباشرة في اختيار عناوين مجموعاتها ؛ لذا دائما ما يكون عنوان المجموعة عندها طافحاً بالشعرية والرمزية وهذا ما نجده في عنوان المجموعة(مكابدات الشجر) الذي يتكون من تركيب اضافي تضاف فيه النكرة (مكابدات) الى المعرفة (الشجر) فتكتسب تعريفاً نتيجة الاتصال المباشر ، فقد " سميت هذه الإضافة محضية ومعنوية ؛ لأنها متعالية عن نية الانفصال "[٥١] ، إلا أنّ هذا التعريف اكسب العنوان

طاقة رمزية متأتية من مفردة (الشجر) هذه المفردة التي تتكرر كثيراً في المتن الشعري والتي تتماهى أحيانا مع الوطن :

يا أيّها الشجرُ النبيلْ ...
خُذْ شرفتي
وانشرْ على دمِها الغمامَ
وعلّم الخيلَ الجموحة
أنْ تؤوبَ الى أعنتها
وتشربَ دمعَها
من ألف عام ..[٦١]

يؤكد هذا تردد اسم الوطن (العراق) في عناوين المجموعة بشكل مباشر أو غير مباشر (موسيقى عراقية ، قصيدة العراق ، قصيدة بابل) كما يمكن أنْ تحيل مفردة (الشجر) الى الذات الأنثوية عموما ، أو الانسان فالعنوان « يحكي قصة العذاب الانساني بمستويات وجدانية تأملية وبلغة البوح الذاتي والمكابدة الفردية التي تحيل على مكابدة انسانية شاملة وفضح عمق المعاناة والواقع المتخلف البائس الذي جرح روح الانسان المعاصر وخرب حياته »[٧١] ، فقد استطاع العنوان بدلالاته الواسعة أنْ يقولَ ويمثل نصوصه خير تمثيل ، ويجمع الدلالات المتشظية من عناوين المجموعة ، رادّها إليه مشيراً إليها بضمير محذوف ، ليؤدي العنوان وظيفته بأقل تركيب لغوي .

وتمثل ثيمة الحزن مهيمناً بارزاً في نصوص مجموعة (ما بعد الحزن) ليشير العنوان مباشرة الى موضوع النصوص ، إذ تتكون هذه المجموعة من (١٧) قصيدة احتلت نبرة الحزن فيها المتن الشعري بينما مارست بعض عناوين المجموعة التضليل ، ولم تفصح عن المحتوى بشكل مباشر ، فالعناوين الفرعية لهذه المجموعة (ما بعد الحزن) يمكن إنْ تُقسم الى مجموعتين الأولى تتصل اتصالاً مباشراً بالعنوان الرئيسي حيث تبرز دلالة الحزن جلياً في عتبة العنوان وهذه العناوين هي (أحزان امرأة ليست عصرية ، جراحات صامتة ، أغنية شريدة ، اللعنة ، كلمات الى طبيبي ، المخاض ، الشهيد ، لحظات ما قبل الانفجار ، ورقات مصغرة في الحزن ، الموت والحصار ،

وراء سياج الدم) حيث توحي هذه العناوين وتشير لموضوع القصائد لأنها تعطي دلالة الحزن والألم ، أما المجموعة الأخرى فلا يمنحنا العنوان أي دلالة تتصل بالعنوان الرئيسي ، ولا تشير فيها عتبة العنوان الى متن القصيدة ، فبينما نقرأ في المتن حزناً طاغياً ، تمنحنا بعض العناوين احساساً بالرومانسية والحب وهذه العناوين هي (وجه القمر ، بدوية في عصور ، كلمات صغيرة ، كلمات الحب ، ملصقات على جدار العصر ، السر) فهذه العناوين لم تكشف دلالة الحزن بشكل مباشر إلا أنّ متنها الشعري غارقاً بمعانيه ، من هنا نخلص الى أنّ عنوان المجموعة (ما بعد الحزن) جاء مطابقاً لمحتوى النصوص ، كاشفاً عن ذات شاعرة حزينة يطوقها الحزن وهي في بدايات شبابها خصوصا إذا علمنا بأنّ النص الأول من هذه المجموعة كتب سنة (١٩٦٨) ليستمر هذا النفس الحزين ويغطي مجمل المنجز الشعري .

إنّ عملية اختيار عنوان قصيدة ما ليكون متربعاً على رأس المجموعة هي عملية محملة بالقصدية وبعيدة عن الاعتباطية ؛ لأنَّ هذه العملية تعكس ((تصوّراً لقيمة هذا العنوان وخصبه ومرونته التشكيلية والتعبيرية وقدرته على تمثيل العنوانات الاخرى واستيعاب معطياتها السيميائية على نحو ما))[٨١] ، كما يمكن أنْ تعكسَ هذه العملية قيمة هذه القصيدة للذات الشاعرة بحيث قامت بالإحالة إليها في بداية ديوانها ، وهذه الظاهرة بارزة في المنجز الشعري لشاعرتنا . ويتكرر عنوان المجموعة (البسي شالك الاخضر وتعالي) ثلاث مرات فهو يتنقل بين ثلاثة مواقع ينطلق من المتن الشعري ليضحى عنواناً للقصيدة ثم يُرفع الى رأس المجموعة عنواناً رئيسياً :

أنشدي ،
واطرقي أبواب السؤال كي تنفتحَ شُرفُ الليلْ
ودعي السمك الأخضرَ
يشهق في بحيرات حدائقك
والبسي شالك الأخضر وتعالي .[٩١]

يؤكد هذا التكرار قدرة هذا العنوان على استيعاب العناوين الأخرى واختصار ما تريد الذات قوله فهذه المجموعة تضم (٤٥) قصيدة وعنوانها هو عنوان القصيدة الثالثة في الترتيب ، تمتاز المجموعة (البسي شالك الاخضر وتعالي) بطغيان ظاهرة الحوار مع الآخر وهذه الظاهرة واضحة وجلية في العنوان الذي يتكون من متكلم ومتلق ، ففعل الأمر (البس ﷺ (ي) المخاطبة) يستدعي آمراً ومأموراً والأخير مؤنث لوجود (ي المخاطبة) ، كما أنّ الاسم (شال) هو من لوازم المرأة لا الرجل ، تنفتح دلالة اللون الأخضر على التأويل فهو لون الحياة لون الطبيعة والنقاء ، وبضم هذه الدلالات للمرأة يتضح بأنّ الأمر هنا هو امر غير حقيقي ، فهو يمثل دعوة لتأكيد الذات الانثوية وتحقيق هويتها ، أمر صادر من الآخر الواعي بضرورة وجود المرأة ؛ لديمومة الوجود كونها الجمال الذي يزين هذا الوجود ، فالذات في القصيدة وفي أغلب نصوص المجموعة تحاور ذاتاً ذكورية واعية ، تبحث في هذه الحوارية عن الآخر الذي يُسهم في اثبات ذاتها ، لا الآخر المستلب الذي يتفرد بالقرار وحده ، ففي نصها الأول المعنون بـ (في الخلوة أعلمك كل شيء) تقول :

وتقول ....ادخلي
إنها جنةٌ قد وعدتِ بها
كنتِ مَرضيّةً ، فأعدّت لعينيكِ
قلتُ ... الدوائر مقفلةٌ حولها ،
كيف أدخلُ
قلتَ ... هو السرُّ ذاكَ
ومحنتكِ الآن هذا العبورْ[٠٢]

فهذه الحوارية التي تستمر في الكثير من نصوص المجموعة ، قد اشار إليها العنوان مباشرة ليؤكد العنوان الرئيس بحث الذات عن الآخر المختلف الذي يعي لغة الحوار لا لغة التهميش والإقصاء ولغة الحرب .

وفي عنوان المجموعة (اندلسيات لجروح العراق) تبرز هوية الذات الوطنية والقومية فالمجموعة هذه تضم (٢١) قصيدة ، تُفتتحُ بالقصيدة التي تحمل عنوان المجموعة ذاته ،

وتُختتمُ بنصها (وتبقى تفر الظلال) وترتيب العناوين جاء بالشكل الاتي (أندلسيات لجروح العراق ، بغداد ، ما روته دجلة للبحر ، صواريخ آخر الليل ، مائدة الخمر تدور ، أحزان بلقيس غرق لؤلؤة التاج ، جروح الأرض ، النخيل ، البيت ، الزمن ، الريح ، الصحراء ، القصيدة ، رقصة ، غناء ، صمت ، الحديقة ، دوار ، الليل ، وتبقى تفر الظلال) والقارئ لهذه العناوين سيرى بأنّ بعضها لا ينتمي لهذه المجموعة ، أو سيظن بأنّها اقحمت اقحاماً عليها ؛ لأنّ الدلالة التي تمنحها بعض المفردات تختلف كثيراً عن الدلالات التي تمنحها المفردات الأخرى ، فمفردة (جروح) و(أحزان) لا تمنح الاحساس نفسه الذي تمنحه مفردتا (الرقص والغناء) وغيرهما إلا أنّ هذه المفردات في العنوان تخفي الدلالة الحقيقية لتمارس التمويه على القارئ ، حيث تختفي دلالتها الأولى مع بداية عملية القراءة لينخرط المتن بجو المجموعة العام ، فهذه العتبات في الحقيقة كانت تعكس آلام الشاعرة وجروحها المرتبطة مع جروح العراق فجاء عنوانها معبراً وكاشفاً عن المضمون بشكل صريح.

إنّ حضور رمز الأم العظمى (حواء) في العنوان يستدعي خروج الخطاب من محدوديته ليشمل الذات الانثوية في كل مكان ، فعنوان المجموعة (مخاطبات حواء) يشير الى أنا انثوية فاعلة في نصوص المجموعة ، كما يشير الى طغيان الصوت الانثوي داخل المتن الشعري ، فضلاً عن طغيان المفردات والتراكيب الانثوية على عناوين قصائد المجموعة ، حيث تتكون هذه المجموعة من (١٨) قصيدة تبدأ بقصيدة (موسيقى) وتنتهي بـ (لواعج) وأكبر قصيدة في المجموعة هي (مخاطبات حواء) ، وهذا يعني بأنّ الذات الشاعرة انتخبت عنوان هذه القصيدة ليكون عنواناً للمجموعة كلها لخصوصيته وتميزه على العناوين الاخرى ، كما ولقدرته على تمثيل العنوانات الداخلية التي طغت عليها المفردات المؤنثة إذا استثنينا عنواني (دخان ، والليل) وهذه الظاهرة تعبر عن حالة نفسية خاصة بالأديبة في ميلها

الى جنسها[١٢] .

إنّ اختيار عنوان القصيدة (أنا والأسوار) ليكون عنواناً رئيسياً للمجموعة تأتي من الامكانية التي يمتلكها هذا العنوان لتشكيل العنوانات الأخرى ، وقدرته على احتوائها ، إذ يوحي هذا العنوان بصراع محتدم بين الـ (انا) الانثوية و(الأسوار) المحيطة بها ، والمقيدة لحريتها ، كما يشير لملازمة الاسوار للذات ، فعتبة العنوان في قصيدة (أنا والأسوار) تكشف لنا الصراع الطويل بين الذات الانثوية ومجموعة الاسوار التي تستلب حريتها (اسوار السلطة والمجتمع والدين) ، وفي القصيدة الثانية من المجموعة (العبور) توحي الذات بصعوبة الطريق ، وعبور الاسوار لذا تعلن صرختها ، وعشقها لوطنها ، في حين تأتي عتبة القصيدة الثالثة (الفارس) لتكشف لنا عن ضرورة التعاون بين الجنسين لمحاربة الاسوار ، وعبورها ، فالمرأة وحدها لا تستطيع الخلاص كما أنّ الرجل دون المرأة سيكون عاجزاً دون شكٍّ عن مواصلة الصمود ليوحي لنا هذا العنوان في إنّ الاسوار لا تقيد المرأة فحسب ، إلا أنّ المرأة هي المتضررة الأكبر نتيجة كثرة السجون من حولها ، لذا فهي تلتمس من الآخر / الفارس الذي يعي أهمية وجودها المساعدة لتكسير الاسوار وعبورها ، فتعترف في القصيدة الأخيرة (الاعتراف) بأنّ تأخر الفارس ، وعدم مجيئه يعني بقاءها تحت رحمة الاسوار .

لقد تمكن عنوان المجموعة (أنا والأسوار) من احتواء العنوانات الفرعية ؛ لأنه حمل الثيمة التي تشترك فيها نصوص المجموعة ، فقد مثلت الأسوار ثيمة مشتركة كشفت لنا حقيقة الاستلاب الواقع على المرأة ، ومعاناتها مع الأسوار التي ضيقت عليها الخناق ، وأحالتها الى كائن ثانوي مهمّش .

المحور الثاني

العناوين الفرعية

من الصعب التصدي لدراسة العنوان في منجز الشاعرة بشرى البستاني في هذا البحث ؛ نظراً لغزارة العناوين في منجزها ، واختلافها في

الوقت نفسه ، ونظراً لاختلاف هذه الدراسة عن غيرها ؛ لذا سيضطر الباحث الى انتخاب العناوين التي تحقق طموح هذه الدراسة ، ومن ثم الوصول الى نتائج تغني البحث وتبرز وظيفة العنوان ودلالاته .

إنّ أغلب عناوين شاعرتنا مستلة من المتن الشعري وهذا الظاهرة تؤسس ((الى عد العنوان ملخصاً لما يريد النص قوله ، ومن هنا فهو يمهد الى بؤرة القصيدة ليرفعها عنواناً))[٢٢] ، وتبعاً لهذا سيستعين البحث – احيانا – بالمتن لتحليل العنوان ومعرفة دلالاته المخفية ، لأنّ ((العنوان لا ينطلق من أفكار مسبقة ، بل يرتبط بالنص فيكون جزءاً من المعنى ، وتلخيصاً واختصاراً للنص ، أو يركز على منظور ورؤية ما))[٣٢] .

تلتجئ الذات الشاعرة الى حلم للهروب من واقعها الملغم والمليء بالقتل والدمار ، وللبحث عن وطنها الذي صيره المحتل كتلة من نار ، لهذا جاء عنوان (حلمت أنّ لي وطنا) مؤكداً لانتمائها وامتعاضها من الواقع الذي يعيشه وطنها ، إذ هي ترى في الحلم نافذة تطلُّ من خلالها على وطنٍ ينعم بالحب والأمن والسلام :

ذات غفوة ..
حلمت أن لي وطناً
وأن لي في الوطن بيتاً
وفي داخل البيت كلُّ ما قاله باشلار
امنٌ وحبٌّ وأحلام يقظة
وكرسيٌّ غيرُ مخلوع الأطراف
ومكتبٌ يليق بباحثة أكاديمية
يتوافد عليها الطلبة لتأمين سير قطاراتهم
ولإعداد خرائط طريق على غرار ادعاءات الساسة
مكتبٌ لا يلطخه دمٌ لا ادري من أين ينزفُ
ولماذا ...؟[٤٢]

فالذات انتقت جملة تمثل البؤرة التي انطلقت منها لكتابة قصيدتها لترفعها عنواناً للنص ، فمن فكرة العنوان تتوالد الافكار التي تكونت منها القصيدة .

وقد اتخذت علاقة الذات بوطنها العديد من الصور ، فقد هيمنت ثيمة الوطن على مجمل منجز شاعرتنا مما

يعكس قوة انتمائها وتعلقها بوطنها، فجاء عنوان قصيدة (الوطن) منتشراً في المتن مما يثبت هيمنة العنوان على الحدث الذي مثل الوطن فيه بؤرة تستنطق المفردات الأخرى :

أيا وطني .
أيا وطني .
أقولُ لوجهك الفتانِ :
آهٍ لو تعلّمني السبيلَ الى التصبّرِ
.....
يا وطنَ العذابْ .[٥٢]

وفي عنوانها (قصيدة العراق) جعلت الذات الشاعرة الوطن محوراً أساسياً ومضموناً نسجت حوله خيوط نصها ، فالذات تعلن للمتلقي بدءاً من عتبة العنوان عن عزمها وتوجهها ونهوضها وقصدها نحو العراق لتعطيه الصورة الشعرية التامة ، حيث تستدعي مفردة (العراق) في ذهن المتلقي ماهية العراق من الناحية التاريخية والجغرافية والسياسية والتكوين السكاني ، وتبعاً لتنوع هذه المعاني جاء شكل القصيدة ومضمونها موافقاً للدلالة الضمنية التي تحملها العنوان[٦٢] . أما في قصيدة (قمر العراق) فنكتشف من خلال إضافة النكرة (قمر) الى مفردة (العراق) خصوصية هذا القمر ، وتمتعه بسلطة تجعله عصياً عن الغياب والاضمحلال ، فقمر الذات / قمر العراق يرافق الذات في حلها وترحالها ، ومع أنّ الذات بعيدة عن وطنها ؛ فانه لم يغب قمره في ليل امنياتها ، بل كان حاضراً يبث فيها مشاعر الشوق والحنين.

ويشير عنوان القصيدة (في حديقة العراق) الى مكان الحدث الشعري فالقصيدة تصف الدمار الذي خلفه العدو في الأراضي العراقية ، فجاء المتن طافحاً بمعاني الولاء والانتماء للوطن ، إذ تصاحب مفردة (حديقة) معاني الخير والجمال ، كما أنّ الحديقة في المعجم هي « الروضة ذات الشجر ... ويقال : الحديقة : كلُّ بستانٍ عليه حائط »[٧٢]، لذا فالعنوان في الحقيقة يطرح بشكل ضمني سؤالاً تعجبياً ، إذ كيف يتحول بلدها هذا البستان الكبير المحروس بسواعد

ابنائـه الى دمـار ؟! ، ورغـم كل ذلـك ستبقى (هـذي الأرض ضيقـة عليهـم) لأنّهـم وبـكل بسـاطة لا ينتمـون إليها . إنّ ظاهـرة تكـرار مفـردة (العـراق) في عناويـن شـاعرتنا تـبرز العلاقـة القويـة التـي تربطهـا بوطنهـا ، وهـذه العلاقـة ترتقـي حتـى تصـل لدرجـة تجسـيم هـذا الكيـان ففـي عنوانهـا (أقبـل كـفَّ العـراق) يشـير الفعـل المضـارع (أقبـل) المحمـل بـدلالات الحـب والمـودة والاحـترام الي سـعي الـذات لابـراز هويتهـا الوطنيـة مـن خـلال رسـم صـورة لهـا وهـي تقبـل يـد وطنهـا ، هـذا الفعـل الـذي يقـوم بـه المـرء تجـاه مـن يحترمـه ويجلـه ، لـذا كانـت هـذه الجملـة التـي تتكـرر في المتـن وعـلى رأس المجموعـة أيضـا بمثابـة الهويـة التـي يبرزهـا الشـخص للتعريـف بنفسـه .

ومـن العناويـن التـي تـبرز انتـماء الـذات لوطنهـا بشـكل غـير مبـاشر ، عنـوان قصيدتهـا (يوسـف) الـذي تتخـذ فيـه نبـي الله يوسـف رمـزاً لوطنهـا الـذي عانـى مـن غـدر أخوتـه ، فتحـاور الـذات في المتـن يوسـف / الوطـن وتحـذره مـن الغـدر مسـتفيدة مـن قصـة يوسـف التـي تغطـي مسـاحة المتـن كلـه :

تنجـلي الغُمـة عـن سرب مـن الإخـوة
يخشـون نجاتـك
هاهمو في الليل يختانون بابك
لعبة الصيدِ
دم كذبٌ ..
قميصٌ وصحيفة
شهدتْ ما لم يقولوه
وأغضتْ ..
فأصخْ سمعكْ
هذا الدلوُ دلوٌ لغريبْ
ربما ظنوا به – جهلا – خلاصكْ[٨٢]

إذ يـؤكد العنوان (يـوسف) ظاهـره هويـة الـذات الدينيـة ، ومـن جهـة أخـرى يثبـت هـويتها الوطنيـة بعـد الرجـوع الى النـص لفـك شـفرة العنـوان المغلقـة .لا شـكَّ بـأنَّ عمليـة اختيـار اسـماء المـدن العراقيـة عنوانـاً للنصـوص لهـا دلالات مكانيـة ، إذ تكشـف انتماءهـا لأرضهـا ، فعنـوان قصيدتهـا (بغـداد) الـذي تعـدُّ رمـزاً لـكل العـراق ، يشـير بشـكل مبـاشر الى النـص الـذي تصـف

فيه اللحظة التي يهدد الاحتلال فيها بغداد ، تتخلل هذا الوصف المؤلم صورٌ متعددة من الانتماء الجميل للأرض العراقية ، ولإبراز الإرث الحضاري الكبير لبلدها ، والهوية الحضارية العريقة التي تنتمي إليها ، كذلك جاءت مفردة (بابل) في عنوانها (قصيدة بابل) لتذكّر بالتاريخ القديم والحضارة العراقية القديمة ، فتبكي الذات في المتن ضياع هذا الارث الكبير الذي يُسرق ، ويُهدم اليوم باسم الحرية والتحرير . وفي عنوان آخر يحمل اسم مدينة عراقية أخرى (البصرة) تشارك الذات الشاعرة معاناة البصرة وأهلها في الحرب العراقية الايرانية ، لتثبت عتبة العنوان فضلا عن المتن انصهار الذات بالوطن ، ومشاركته همومه بإبداعها الشعري. وقد كانت المدن العربية حاضرة في عتبة العنوان ، إذ ان انفتاح الذات نحو الهوية القومية هو دلالة من الشاعرة بأنّ الأرض العربية أرضٌ واحدةٌ ، ، ففي عنوانها (بيروت) تنصهر الهوية الوطنية في هوية أكبر لتؤكد ذاتها القومية التي يورّقها ، ويُؤلمها ما يحصل لأرضها :

بيروتُ تنشُرُ وجهي على حافةِ الجُرفِ ،
تنشرُ موَّالَ حبّي على كتفِ دبّابةٍ غازيةْ ..
وبيروتُ تستلبُ البحرَ زرقتَهُ
وتنامُ على الشطِّ مذبوحةً عاريةْ ...
ووسطَ العواذلِ ،
وسطَ التحام العيونِ تُناديكَ :
خُذها من الوجعِ القاتلِ ،
الوجع الدافئ ،
الوجع المرِّ .(٩٢)

أما عنوانها (غرناطة) فقد جاء مثيراً لأوجاع عربية ، مذكراً بأعوام ازدهار الحضارة العربية الاسلامية التي فُقدتِ اليوم ، إذ تتمنى الذات الشاعرة العودة الى ذلك الزمان حيث كانت (غرناطة) عاصمة من عواصم الخلافة الاسلامية التي وصلت لإسبانيا ، فجاء عنوانها هذا مؤكداً للهوية القومية ، وانشغال الذات بالهم العربي الى جانب همها الوطني .

وقد استغلت شاعرتنا امكانيات عتبة العنوان خير استغلال في منجزها ، فجاءتْ عناوينها محملة بدلالات تشير بشكل واضح الى الذات ، ومن هذه العناوين عنوانها (بنفسجيات للمرأة القاصرة) الذي يحمل تهمة من التهم الجاهزة للذات الانثوية ، لتشير هذه العتبة الى المتن مباشرة ، إذ تهدف الذات الشاعرة من خلال اختيار هذا الحكم (المرأة قاصرة) عنواناً لنصها التركيز على بؤرة الحدث الشعري الذي تحاول فيه الذات ابراز هويتها الانثوية أولاً ، ومن ثم تأكيد هويتها الاكاديمية ؛ لترد على هذه التهمة الملفقة ، وتستعين باللون البنفسجي في عنوانها لارتباطه الوثيق بإحساس المرأة ، وقدرته على كشف كوامن الذات الانثوية ، فإنَّ لهذا اللون ((تأثيره السحري في عالم المرأة ، لكونه مرتبطاً بإحساسها وقدرتها التعبيرية))[٠٣] .

ويتشارك كلٌّ من النص والعنوان في قصيدة (امرأة ورجل) لمنح القارئ بعض العلامات السيميائية التي تؤكد الذات الانثوية في مقابل الآخر / الرجل ، لأنّ عملية تقديم مفردة (امرأة) وجعل مفردة (رجل) معطوفاً ؛ تحمل قصدية تواصلية ، تهدف الى جعل المقدم في الكلام يمثل بؤرة اهتمام ، فالمرأة هنا بؤرة اهتمام بل بؤرة انطلاق النص بكليته[١٣] ، كما يمكن أنْ توحي صياغة العنوان برفض الذات تبعية المرأة للرجل ، لذا تعمد الى تقديم المرأة في العنوان ، وتقديم خطابها في المتن الشعري على خطاب الرجل ، كما أنّ ورود العنوان بمفردتين نكرتين جاء لمنح النص عمومية تجعله يشمل كل ذات انثوية وذكورية .

وقد وجدتْ الرموز التاريخية الانثوية مكانها في عناوين شاعرتنا ، وهذا الظهور البارز يكفي لكشف ميل الشاعرة القوي لجنسها ، فقد جاء عنوانها (أحزان بلقيس) كاشفاً لمتنه ، مشكلاً بؤرة النص ، حيث تتوحد الذات بالملكة بلقيس التي تطوقها الاحزان من كل جانب ، ليكشف لنا هذا العنوان ذاتاً حزينة تتخذ بلقيس قناعاً لتعبر من خلاله عن كل ذات انثوية معذبة .

وفي عنوانها (ليلى العامرية) تمثل

ليلى رمزاً لكل انثى عاشقة ، تتقنع الذات بهذا الرمز لتشرح معاناة المرأة في هذا العصر المليء بالغدر والخيانة ، واستحالة الارض الى غابة يحكمها الاقوى ، ففي سيادة الظلام لا يمكن أنْ يجد الحب مكانه . وقد جاء عنوانها (مكابدات ليلى في العراق) كاشفاً وبشكل واضح معاناة المرأة في العراق ، إذ يعري هذا العنوان دلالات النص الذي يستعين بـ (ليلى العامرية) ليطلقها رمزاً لكل انثى عراقية فالذات تسعى – في عتبة العنوان قبل النص – الى ابراز ذاتها الانثوية من خلال التوحد والتماهي مع نساء العراق اللاتي يعشنَ في واقع مليء بالكذب والخديعة . ويحيل العنوان (انوثة في زمن الحرب) الى ما تكابده الانثى في الحرب ، لأنّ تقييد مفردة (انوثة) بهذا الزمن الوحشي يوحي بالتناقض ، ففي الوقت الذي تثير فيه مفردة (انوثة) دلالة الرقة والعاطفة والإحساس ، تمنحنا مفردة (الحرب) دلالات القوة والموت والدماء ، ووفق هذا ستكون الانثى فاقدة لإحساسها بأنوثتها في هذا الزمن ، إذ تستطيع الحرب تغيير شكل العالم فكيف بالأنثى وهي كائن مستضعف ، فالحرب تستلب كل ادوات الانوثة .

وقد جاء عنوان (المرأة) ليؤكد ذات الشاعرة الانثوية ، حيث تشكل المرأة بؤرة الحدث في القصيدة ، والخيط الذي يصل مفردات النص بعضها ببعض ، في نصٍّ تصف فيه الذات معاناة المرأة العربية من الاعراف والتقاليد ، ويدعو المرأة للثورة والخروج من الظلام .

ويختصرُ العنوان (جنة المنفى) معاني الاستلاب الواقع على الذات الشاعرة التي تنشئ جنتها الخاصة وسط القيود ، فهذا العنوان يتربع على رأس نصٍ تقصُّ فيه الذات محاولات الآخر استلابها ، إذ يأتي العنوان مؤكدا قدرتها على بناء عوالم تخصها ، لا يستطيع الآخر او من اسمتهم بـ (حاملي البنادق) الولوج إليها ، إذ يعمل الحب بقدرته السحرية على تغيير المنفى وتحويله الى جنة :

أقفلوا الباب عليْ
لكنَّ حبكَ بستاني
وكلماتك شُرفٌ تمتد ما بين ليل وفجرْ
لا يعلمون ما يجري فيها [٢٣]

ولا شكَّ أنّ رثاء المرأة للمرأة في جانب من جوانبه يحمل قصدية ، ويهدف الى تأكيد الذات الانثوية ، وهذه الظاهرة بارزة في شعر شاعرتنا ، ففي عنوانها (الشهيدة) ترثي الذات الشاعرة الشهيدة الدكتورة باسمة سعيد ، فيعلن العنوان ابتداء بأنّ هذه المرأة المثقفة قتلت لأنّها كانت تحارب الجهل وتنشر الوعي ، فهي شهيدة لأنها ذهبت ضحية لوعيها . ويحمل عنوانها (غرق لؤلؤة التاج) معاني الخسارة والفقد ، وهذه المعاني تدعمها عتبة الإهداء الموجه الى (أ.د. ليلى عبد الله سعيد) فالمراد بـ (لؤلؤة التاج) في العنوان هي الدكتورة الشهيدة التي طالتها ايدي الغدر ، فتهدي الذات هذه القصيدة للفقيدة التي تشارك الذات هويتها الانثوية والأكاديمية ، فيتحسر العنوان على خسارة امرأة مثقفة ، قتلت لأنها شجرة مثمرة مقاومة للجهل والتخلف .

وبالاستعانة بعتبة الإهداء مرة أخرى تتضح دلالة العنوان (الفتيات ...) حيث تهدي نصها هذا الى (شهيدات فلسطين) لتكشف عتبة العنوان فضلا عن عتبة الإهداء الذات الانثوية المقاومة والرافضة لاحتلال ارضها ، لتبرز هوية الذات القومية التي تعاني وتتألم لفقدان ارضها وتشتت قومها وتمزقهم .

يتكرر العنوان (الليل) في ثلاث قصائد[٣٣] وفي مواقع مختلفة ، وهذا التكرار يكشف لنا علاقة الذات بالليل ، إذ يثير هذا الزمن الاحاسيس ، ويحرك الذاكرة لاستذكار الاحباب ، فغالباً ما يبعث الاحساس بالوحدة والغربة ، إذ يتواصل هذا البحث حتى أواخر الليل ؛ ليؤكد معاناة الذات مع ليلها الطويل ، وفي نصها الآخر الذي يحمل العنوان ذاته (الليل) ، تتضح علاقة الذات الشاعرة بالليل ، فهي تضفي عليه بعض صفات الكائن الحي ، وفي قصيدة (الملكات

...) يمكن لأي قارئ لهذا النص أن يكمل دلالة العنوان بعد الرجوع الى المتن ، نظراً لمعالجته قضية المرأة والليل ، فلا يتغير شيء اذا قمنا بتغيير العنوان الى (الملكات والليل) ، ففي المتن ترينا الذات كيف تعاني النساء / الملكات من هذا الوحش الذي يستلب كل ذات انثوية ، حتى الملكة التي تحرسها الجيوش في النهار تختفي هويتها في الليل .

وقد استغلت الذات الشاعرة الدلالات التي تستدعيها مفردة (الليل) ومن هذه الدلالات دلالة الخوف والذعر ، فقد استثمرت الذات هذه الدلالة لوصف حال الابرياء وهم يتعرضون لصواريخ الاحتلال في الليل ، إذ يثير عنوانها (اسمع في عزِّ الليل) الفضول في القارئ ، ويشوقه للدخول الى عالم النص ؛ لأنّ العنوان لا يتفضّل بكشف دلالته مباشرة ، إلا أنّه يؤشر وجود (أنا) مشاركة في الحدث ، تسمع ما يجري من حولها في زمن غالباً ما يكون الناس فيه طريحي الفراش ، وداخل النص تتمظهر كل الدلالات الغائبة ، فالذات تصف لحظة قصف الطائرات لمنازل الابرياء مخلفة وراءها الموت والدمار .

ولا يختلف العنوان (صواريخ آخر الليل) عن سابقه كثيراً ، إلا أنّه يحيل الى نصه بشكل مباشر ، حيث تتكرر مفردة (الصواريخ) في المتن محملة بالدلالات المخيفة التي يثيرها وجود الصواريخ ، ويشير الظرف الزماني (آخر الليل) الى زمن متوتر يبعث الخوف والرعب في القلب ، إنّ الذات تهدف من خلال اختيار مفردة (صواريخ) وتحديد سقوطها (آخر الليل) الى كشف عيوب الآخر / المحتل ، وتعرية نواياه السيئة التي لا تعرف التفريق بين عدو وبريء ، فالذات تشارك الابرياء آلامهم ، وتتألم لما فعله الاحتلال بأرضها .

يمارس العنوان (الحب ٢٠٠٣) التضليل والخداع ، فهو يخفي أكثر مما يفصح ، لذا سننطلق من مجموعة اسئلة تفرضها طبيعة العنوان : لمن يتوجه هذا الحب ؟ ولماذا قيد بهذه الفترة تحديداً ؟ وما الذي يجعل هذه الفترة مميزة بالنسبة للذات ؟ إنّ قراءة المتن كفيلة

بالإجابة عن هذه الاسئلة ، فنظراً لتعرض بلدها لهجمة شرسة في سنة (٢٠٠٣) كتبت الذات نصها هذا ، الذي يطفح بمعاني الحب والانتماء لوطنها ، ليكون هذا النص (الحب ٢٠٠٣) شهادة ووثيقة تثبت انتماء الذات لبلدها الممزق الجريح ، فكان الوطن هو المخاطَب في المتن ، فتقول :

غنيةٌ أنا بكْ ..
مواعيدكَ وجهتي ،
وصوتكَ
قبلتي
،
وصدرك صحرائي ... (٤٣)

إنّ احتلال امريكا وحلفائها للعراق سنة (٢٠٠٣) أثّر بشكل بارز على الشعر العراقي عامة وشعر شاعرتنا بشكل خاص ، فبعد هذه الفترة استحلت مفردات الغزو مساحة كبيرة في عناوين الشاعرة بشرى البستاني ، ومن هذه العناوين عنوانها (قبعات أمريكية) الذي يحيل الى المتن الشعري مباشرة ، ويكشف الارق الذي تسببه قبعات جنود الاحتلال للذات الشاعرة ، حيث تتكرر أكثر من (٣) مرات في المتن ، فتشير ظاهرة احتلال القبعات للمتن الى الواقع الذي يحتله مرتدو هذه القبعات ، فالتكرار في المتن علامة سيميائية تتموقع داخل النص ، وتشير الى الخارج بإخضاعها للتأويل . فترفض الذات الشاعرة التبعية للغرب ، وتدعو للمقاومة ، ومحاورة فكر الآخر حتى وإن كان هذا الآخر يتمتع بالقوة والتمكن ، إذ جاء العنوان (حوار عراقي أمريكي) كاشفاً عن ذات انثوية مقاومة للاحتلال ، تحث على مواجهة الاحتلال حضارياً بعيداً عن لغة السلاح :

الطائرة الأمريكية
قالتْ للطلاب صباح اليومْ ...
هذي القاعةُ يشملها الحظرْ .
قال الطالبُ ..
لكني لم أقرا ذلك عبرَ
وثائقِ عار العصرْ
قال الأمريكيُّ الطيارْ ..
لكنا نحن ال .. نكتبُ

نحن ال .. نقرأ ..
أنتم تتلقونْ ..[٥٣]

لا يوجد تكافؤ بين طرفي الحوار ، فلكل منهما لغته الخاصة وأسلوبه الذي يتأثر بموقعه ، فالأمريكي يمتلك السلاح والقوة ، لذا فهو يتحدث من موقع اعلى وبنبرة متعالية ، مشيراً الى تبعية العرب الفكرية للغرب التي أدت الى احتلالهم وسرقة خيراتهم .

ومن المفردات التي تكررت في عتبة العنوان عند شاعرتنا مفردة (الصمت) ، وهذا التكرار يشير الى الواقع الذي تعاني فيه المرأة من هذا القيد الذي تفرضه السلطات عليها ، جاءت مفردة (صمت) مخصصة في عنوانها (صمت انثوي) ، فقد خصصت بالصفة (انثوي) وهذا التخصيص جاء ليفرق هذا الصمت عن صمت الآخر / الرجل ، نظراً لاختلاف الضغوطات على كل جنس ، كما أنّ هذا التخصيص لم يفد أيّ تعريف ؛ لأنّ صفة الأنوثة يشترك فيها جنس النساء كله ، فالعنوان هنا شامل لكل ذات انثوية ، هو صمت مختلف فرضته سلطة المجتمع والدين والسياسة وغيرها ، تعاني الذات الشاعرة شأنها شأن أخواتها من هذا القيد ، بل على العكس أن تصميت المبدع يؤدي الى احتراقه داخلياً . وفي عنوانين متشابهين وردت هذه المفردة بصيغة النكرة كذلك (صمت)[٦٣] ، إنّ تكرار هذا العنوان وبصيغة المصدر النكرة جاء لإخراج التجربة من محدوديتها ، ومنحها شمولية تجعلها تحكي شعور كل ذات انثوية ، فالمصادر « اسماء أحداث تحيل بجذورها وموازينها على أحداث تختزل مفاهيم ذات منحى إطلاقي تجريدي ، فهي تتميز بخروجها عن الدلالة الزمنية المقيدة فالمصادر أحداث لا زمنية واللازمان قرين الاطلاق ، فتغدو هذه العناوين وقائع مطلقة تحتضن بلغتها عوالم شعرية قائمة الذات »[٧٣] ، فهذه العناوين تشرح مجتمعة معاناة المرأة مع الصمت ، الذي حاورته في الكثير من نصوصها في محاولة للتخفيف من شدة هذا القيد عليها .

ومن عناوينها التي تشكل لازمة

تتكـــرر في المتـــن الشـــعري عنوانهـــا (ســـحب الثقـــة مـــن المســـلمات) ليحيـــل الى متنـــه مبـــاشرة ، وليؤكـــد الـــذات الشـــعرية الرافضـــة لـــكل المســـلمات التـــي غـــيرت شـــكل العـــالم اليـــوم ، فالنـــص يحمـــل مجموعـــة كبـــيرة مـــن الـــرؤى والأفـــكار التـــي تخـــص الـــذات الشـــاعرة ، وتـــبرز بعـــض توجهاتهـــا وانتماءاتهـــا :

ها أنا بعد طول درسْ
أسحبُ الثقة من المسلمات جميعا .
من التاريخ ،
لأنه كثيرا ما كذب عليْ
من الاقتصاد
لأنـه كـرّس التحيـزَ وفتـح فـم الهاويـةْ .
من السياسة ..
لأنها اختارت برج الذرائع ،
وكسرت معصم الإنسان[٨٣]

يضطرنـا العنـوان (عـلي بـاب الخليقـة) للاســتعانة بالمتــن لكشــف دلالتــه ، فصيغـة العنـوان لا تمنحنـا شـيئا ، بـل يثـير بعـض الأسـئلة المضمـرة ، فمـن الـذي يقـف (عـلى بـاب الخليقـة) ؟ مـا جنسـه ؟ ومـا الغايـة مـن هـذا الوقـوف الاسـطوري ؟ . ورد العنـوان بكامـل صيغتـه في المتـن وفي سـياق يؤكـد الـذات الانثويـة المستلبة ، التـي تـصرخ وتسـتغيث ؛ لأنهـا تشـاهد الكـون يحـترق ويُدمـر دون أنْ ينقـذه أحـد :

أليس من نبعن هناك ، هنا
ليسمعَ صرخةَ امرأةٍ
على باب الخليقة تستغيثُ ..
.....
من يُدخلُ الكون البهيَّ بزهرة الرمانِ
من يحميه من هذا الدمارْ ..![٩٣]

ويقـوم عنوانهـا (رقصـة) بكـسر افـق توقـع القـارئ ، فبعكـس الإحسـاس الـذي تثـيره هـذه المفـردة في النفـس يشـير النـص الى رقـص مـن نـوع آخـر ، هـو أشـبه مـا يكـون برقـص المذبـوح ، رقـص الـذات المعذبـة الحزينـة ، فمـع القـراءة تختفـي دلالات الفـرح والسـعادة لتحـلّ محلهـا دلالات الحـزن والعـذاب ، وهـذا يؤكـد بـأنّ أغلـب العناويـن المفـردة – التـي تتكـون مـن مفـردة واحـدة – تبقـى وظيفتهـا

الدلاليــة مجــردة ولا يكتمــل معناهــا إلا مــن خــلال المحتــوى[٠٤] .يؤكــد العنــوان (تحليــل النــص) الهويــة الاكاديميــة للــذات الشــاعرة بوصفهــا ناقــدة اكاديميــة ، إذ يتكــرر العنــوان في المتــن لأكثــر مــن مــرة تصاحبــه المصطلحــات النقديــة التــي تطوعهــا الــذات لخدمــة موضوعهــا ، ولفضــح واقعهــا المــزري ، تقــول :

تحليل النص ليس أمراً عسيراً ....
فقط .. عليك أن تكونَ ماهراً في وعي اللعبةِ ،
وماكراً في تفكيكها ..
أنْ تبحثَ عن مواطن العُقد لفكّ عراها ،
عن المناورة التي تشرح أهمية الحرب
لقتل بشر الجنوب ، كي يزدهر إنسان الشمال
عن الغلالة الفاتنة ، وهي تنزاح عن هاوية
ولذلك عليكَ أنْ تتذكرَ جيداً ...
أنْ تحليلَ النص أمرٌ عسيرٌ جداً ...[١٤]

وتختــار الشــاعرة ايضــا (جملــة) لتشــكل عتبــة العنــوان مــن خلالهــا كمثــل قصيــدة (الشــاعرة لم تمــت بالرصــاص) ، إذ تهــدف هــذه القصيــدة الى اثبــات ذات الشــاعرة التــي تخيفهــا عمليــة ممارســة القمــع الفكــري ضدهــا أكثــر مــن خوفهــا مــن أداة القتــل (الرصــاص) ، فالعنــوان يركــزُ عــلى أســاس الفكــرة التــي تنطلــق منهــا الــذات لكتابــة نصهــا الــذي تحــاول فيــه وصــف احســاس الشــاعر عندمــا يواجــه المــوت ، لتصــل الى أنّ المــوت الحقيقــي للمبــدع يتجســد في قتــل ابداعــه ، واســتلاب حريتــه .

أمّــا عنوانهــا (ورقــات مشــتعلة) فتشــير المفــردة الاولى الى المــادة التــي تشــكل مــكان الكتابــة ، بينــما تصــف المفــردة الثانيــة (مشــتعلة) حالــة هــذه الورقــات الملتهبــة ابداعــاً ، في الوقــت الــذي تمنحنــا فيــه مفــردة (مشــتعلة) دلالــة ايجابيــة كالإبــداع والنــور والثــورة ، تمنحنــا دلالات الالم والحــزن وحرقــة القلــب ، إلا أن دلالــة الثــورة والرفــض طاغيــة في المتــن الشــعري ممــا يؤكــد ذاتهــا الرافضــة والثوريــة .

هوامش البحث :

١- في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية ، خالد حسين حسين ، دار التكوين ، د. ط . د . ت : ٧٧-٧٨ .

٢- علاقة الحضور والغياب في شعرية النص الأدبي ، د. سمير خليل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ بغداد ، ٢٠٠٨ : ١٠٥ .

٣- ثريا النص ، مدخل لدراسة العنوان القصصي ، محمود عبد الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، ضمن سلسلة الموسوعة الصغيرة ، العراق - بغداد ، ١٩٩٥ : ٧٤ .

٤- السيميوطيقا والعنونة ، د. جميل حمداوي ، مجلة عالم الفكر ، ع : ٣ ، ١ يناير ١٩٩٧ ، الكويت : ٩٦ .

٥- عتبات جيرار جينيت من النص الى المناص ، عبد الحق بلعابد ، ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١ ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٨ : ٦٧ .

٦- في نظرية العنوان : ٧٧ .

٧- سيمياء العنوان ، بسام قطوس ، وزارة الثقافة ، ط : ١ ، عمان الاردن ، ٢٠٠١ : ٤٩ .

٨- عتبات النص البنية والدلالة ، عبد الفتاح الحجمري ، شركة الرابطة ، ط١ ، الدار البيضاء ، ١٩٩٦ : ١٩.

٩- العنوان وسميوطيقا الاتصال الادبي ، د. محمد فكري الجزار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ط ، د.ت ، ١٩٩٨ : ١٩ .

١٠- ينظر : في نظرية العنوان : ٩٩ .

١١() عتبات النص ، باسمة درمش ، علامات في النقد ، السعودية ، مج ١٦ / ج٦١ ، ١ مايو ٢٠٠٧ : ٣٩-٤٠ .

١٢- العنوان في الشعر العراقي المعاصر انماطه ووظائفه ، د. ضياء راضي الثامري ، القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، العراق ، مج ٩ / ع٢ ، ٢٠١٠ : ٢٠ – ٢١ .

١٣-العنوان وسميوطيقا الاتصال الادبي : ٨٥ .

١٤- خماسية المحنة ، بشرى البستاني ، دار فضاءات للنشر والتوزيع ، ط : ١ ، عمان الاردن ٢٠١٣ : ٢٣-٢٤ .

١٥- في نظرية العنوان : ١٨٣ .

١٦- الاعمال الشعرية ، بشرى البستاني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط : ١ ، بيروت لبنان ، ٢٠١٢ : ٣٧٨ .

١٧- الرفض في مجموعة (مكابدات الشجر) ، عبد الغفار عبد الجبار ، ضمن كتاب (ينابيع النص وجماليات التشكيل) ، دار دجلة ، ط : ١ ، عمان الاردن ، ٢٠١٢ : ٨٦ .

١٨- علاقة الحضور والغياب في شعرية النص الادبي : ٤٥ .

١٩- البسي شالك الاخضر وتعالي ، بشرى البستاني ، دار فضاءات للنشر والتوزيع ، ط : ١ ، عمان الاردن ، ٢٠١٥ : ٤٣ -٤٤ .

٢٠- البسي شالك الاخضر وتعالي : ١١-

١٢ .

٢١- ينظر : عتبات النص ، باسمة درمش : ٦٣ .

٢٢ ()العنوان في الشعر العراقي المعاصر انماطه ووظائفه : ٢١ .

٢٣- عتبات النص : ٥٢ .

٢٤- البسي شالك الأخضر وتعالي : ٢١٣ .

٢٥- الاعمال الشعرية : ٥٨٧ .

٢٦ ()يُنظر : قصيدة العراق وجماليات التداخل العروضي ، قاسم محمود محمد ضمن كتاب (ينابيع النص وجماليات التشكيل) : ٢٣٢-٢٣٤ .

٢٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : محمد محمد تامر وآخرون ، دار الحديث ، د . ط ، القاهرة ، ٢٠٠٩ : ٢٣٢

٢٨- البسي شالك الاخضر وتعالي : ٢٥٣ - ٢٥٤ .

٢٩- المصدر نفسه : ٤٧٦ -٤٧٧ .

٣٠- دلالة الالوان في الشعر النسوي العراقي المعاصر ، فرح غانم صالح ، مجلة الاستاذ ، العراق ، ع / ٢٠٣ ، ٢٠١٢ : ٤٩٢ .

٣١- يُنظر : (جدلية التواصل / القطيعة في الخطاب النسوي المعاصر قصيدة (امرأة ورجل) انموذجاً ، د. فاتنة محمد حسين ضمن كتاب (ينابيع النص وجماليات التشكيل): ١٥٦ .

٣٢- البسي شالك الاخضر وتعالي : ٦٨ .

٣٣- ينظر : الاعمال الشعرية : ٩٥ ، ٢١٢ ، ٤٤١ .

٣٤- خماسية المحنة : ٥٨ .

٣٥- الاعمال الشعرية : ٢٢٩ – ٢٣٠ .

٣٦- ينظر : الاعمال الشعرية : ٢٠٧ ، ٣٠٨ .

٣٧- شعرية العناوين في (اللحمة الحية) لصالح القرمادي (١٩٣٣-١٩٨٢) قراءة في ما كانت به ملفوظات عناوين المجموعة بنى ورؤى ، شعبان بن بوبكر ، الحياة الثقافية ، تونس ، ع / ١٧٨ ، ١ ديسمبر ٢٠٠٦ : ١٩ .

٣٨- البسي شالك الاخضر وتعالي : ١٢٨ .

٣٩- البسي شالك الاخضر وتعالي : ٢٤٤ .

٤٠- يُنظر : عتبات النص : ٤٨ .

٤١- البسي شالك الاخضر وتعالي : ٢٣٩.

المصادر والمراجع:

اولا / الدواوين والمجموعات الشعرية :

- خماسية المحنة ، بشرى البستاني ، دار فضاءات للنشر والتوزيع ، ط : ١، عمان الاردن ٢٠١٣

- الاعمال الشعرية ، بشرى البستاني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط : ١ ، بيروت لبنان ، ٢٠١٢

- البسي شالك الاخضر وتعالي ، بشرى

البستاني ، دار فضاءات للنشر والتوزيع ، ط : ١ ، عمان الاردن ، ٢٠١٥

ثانيا / المصادر والمراجع :

- ثريا النص ، مدخل لدراسة العنوان القصصي ، محمود عبد الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، ضمن سلسلة الموسوعة الصغيرة ، العراق - بغداد ، ١٩٩٥

- سيمياء العنوان ، بسام قطوس ، وزارة الثقافة ، ط : ١ ، عمان الاردن ، ٢٠٠١

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : محمد محمد تامر وآخرون ، دار الحديث ، د . ط ، القاهرة ، ٢٠٠٩

- عتبات جيرار جينيت من النص الى المناص ، عبد الحق بلعابد ، ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١ ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٨

- عتبات النص البنية والدلالة ، عبد الفتاح الحجمري ، شركة الرابطة ، ط١ ، الدار البيضاء ، ١٩٩٦

- علاقة الحضور والغياب في شعرية النص الأدبي ، د. سمير خليل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ بغداد ، ٢٠٠٨

- العنوان وسميوطيقا الاتصال الادبي ، د. محمد فكري الجزار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ط ، د.ت ، ١٩٩٨

- في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية ، خالد حسين حسين ، دار التكوين ، د. ط . د .

- ينابيع النص وجماليات التشكيل (قراءات في شعر بشرى البستاني) ، تقديم د. خليل شكري هياس ، دار دجلة ، ط : ١ ، عمان الاردن ، ٢٠١٢

ثالثا / الدوريات :

- دلالة الالوان في الشعر النسوي العراقي المعاصر ، فرح غانم صالح ، مجلة الاستاذ ، العراق ، ع / ٢٠٣ ، ٢٠١٢

- السيميوطيقا والعنونة ، د. جميل حمداوي ، مجلة عالم الفكر ، ع : ١٣ يناير ١٩٩٧، الكويت .

- شعرية العناوين في (اللحمة الحية) لصالح القرمادي (١٩٣٣-١٩٨٢) قراءة في ما كانت به ملفوظات عناوين المجموعة بنى ورؤى ، شعبان بن بوبكر ، الحياة الثقافية ، تونس ، ع / ١٧٨ ، ١ ديسمبر ٢٠٠٦

- عتبات النص ، باسمة درمش ، علامات في النقد ، السعودية ، مج ١٦ / ج٦١ ، ١ مايو ٢٠٠٧

- العنوان في الشعر العراقي المعاصر انماطه ووظائفه ، د. ضياء راضي الثامري ، القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، العراق ، مج ٩ / ع٢ ، ٢٠١٠

Abstract :

This research seeks to monitor the patterns of the title and its functions in Bushra Al-Bustani's poetry and show its aesthetic connotations according to a descriptive-analytical approach selected models of its poetic achievement, we divided the research into two parts, The first axis dealt with the main titles that topped the poetic groups, As for the second axis it studied the sub-titles of the poems, and we were represented by some poetic texts during the study of the title.

Key words : title , poetry , Boushra Al-Bustani

حولية المنتدى

الإشاريات الشخصية وأبعادها التلطفية في أحاديث أهل البيت (ع) / مقاربة تداولية

أ.م.د حسين علي حسين
م.م وسام جميل الحسن

الملخص :

يتناول هذا البحث استجلاء ما تحمله الإشاريات الشخصية (personal deictics) من الدلالات في السياق التداولي، إذ يعد مفهوم الإشاريات أحد أهم المفاهيم التي تعنى بها الدراسة التداولية، وتوجد في كل لغة من اللغات بعض الكلمات أو التعبيرات التي تعتمد في بيان دلالتها على السياق الذي تستخدم فيه، ولا يمكن تفسيرها وفهم المقصود منها بمعزل عن سياقها، والتي تتطلب معرفة المتلقي بسياقها الذي قيلت فيه ليتمكن من تفسيرها وفهم مقاصدها، وكذلك معرفة مرجعها (reference) الذي تشير إليه، وبما أن وظيفة هذه التعبيرات الإشارية هي تعويض المشار إليه في المقام الإشاري، لذا كان لها دور كبير في التعويض عن بعض العبارات ومنها المحظور اللغوي لتلطيف الكلام، والذي يتعذر التصريح بها لأسباب معينة قد تكون اجتماعية – ثقافية من قبيل مراعاة اللياقة في الكلام وتجنب الابتذال، أو دفع الضرر كما هو الحال في المجال السياسي على سبيل المثال، وقد تميزت أحاديث أهل البيت (ع) بالتنزه في اختيار الألفاظ والمعاني، وحسن

التعبير والتأدب بآداب القرآن الكريم والرسول المصطفى (ص)، وذلك باجتناب الألفاظ المحظورة التي تخدش الحياء أو تؤذي الذوق العام والآداب والأعراف ومراعاة الحشمة، ونزوعهم نحو التلطف في الاستعمال اللغوي في كل المستويات، وقد التمسوا من أجل ذلك آليات ووسائل متنوعة في سبيل إبلاغ مقاصدهم لمخاطبيهم بطريقة مهذبة ومقبولة، ومن جملة هذه الآليات التي استعملوها (ع) لتحاشي المحظورات هي الإشاريات .

الكلمات المفتاحية: التلطف ، التداولية ، الإشاريات الشخصية ، الحديث الشريف ، أهل البيت (ع) .

المدخل

التداولية والتلطف والإشاريات الشخصية: المفهوم والإجراء

أن ما حصل في النصف الثاني من القرن العشرين من تلاقح بين بعض الحقول العلمية قد أسهم في إحداث نقلة نوعية في بعض الميادين، ونخص منها الدرس اللغوي الحديث، فبعد أن كان موسوماً بالبنيوية الشكلية (سوسير ـــ Saussure) والتوليدية (تشومسكي ـــ Chomsky) أصبحت التداولية (pragmatics) موضع عناية علماء اللغة، حيث بُنيت النظرية التداولية على أسس فلسفية ومعرفية واجتماعية ونفسية، مما يؤهلها لتوفير الفهم المناسب للاستعمال اللغوي وفق الوظيفة الاجتماعية التواصلية للغة، وكان من أبرز رواد ذلك التيار الفلسفي فريج (frege)، وراسل (Russell)، وفنجتشاين (Wittgenstein)، وستراوس (strawson)، وكارناب (carnap)، وبارهيلل (bar-hillel)، ثم أخذت معالم هذه النظرية تتضح على يد الفيلسوف الإنكليزي أوستن (Austin) ١٩٦٢م وخليفته الذي أكمل مسيرته من بعده سيرل (Searle) ١٩٦٩م، وكذلك كرايس (grice) ١٩٧٥م[1]، بعد ذلك ظهرت بوادر قيام هذه النظرية عن طريق اهتمامات بعض المتخصصين، وبسبب اتساع المجالات التداولية وتنوعها اتسعت تبعاً لذلك تعريفاتها التي قدمها

الباحثون، ويعتبر أقدم تعريف للتداولية هو تعريف موريس (morris)، والذي يعرفها بأنها «جزء من السيميائية، التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات»[٢]، وهنالك تعريف آخر جاء به فرانسيس جاك (francis Jacques) بأن التداولية تتطرق إلى اللغة باعتبارها ظاهرة خطابية تواصلية واجتماعية معاً، يمكن فهمها وتحديد قواعد استعمالها[٣]، بمعنى أن اللغة تخضع لمعايير اجتماعية تؤثر في استعمالها .

وخلص الدكتور محمود أحمد نحلة إلى أن التداولية تعني «دراسة اللغة في الاستعمال in use في التواصل in interaction لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول negotiation اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما»[٤]، ويرى البحث أن التداولية تعنى بدراسة الاستعمال اللغوي ضمن سياقاتها المحددة لإدراك المقاصد .

وتدخل التداولية ضمن آليات الاستراتيجية التلميحية (اللاتصريحية) للخطاب، وذلك بحسب أغراض المتكلم ورغباته التي يسعى للتعبير عنها ، ويمكننا إيجاز أبرز مهام التداولية في[٥]:

١-دراسة استعمال اللغة، فهي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها، بل تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة .

٢-بيان أسباب الأفضلية للتواصل غير المباشر على التواصل المباشر الحرفي .

٣-شرح كيفية جريان العملية الاستدلالية في معالجة الملفوظ .

٤-شرح أسباب فشل معالجة اللسانيات البنيوية في معالجة الملفوظ.

مفهوم التلطف ـــ Euphemism : إنّ من جملة الأسباب التي ترجح أفضلية التواصل غير المباشر على التواصل المباشر هو تلطيف الكلام واجتناب المحظور اللغوي، ويعود لفظ (التلطف) في أصله إلى الجذر اللغوي (لطف)، و (اللام والطاء والفاء) أصل يدل على

الرفق ، فاللطف: هو الرفق في العمل[٦]،واللطيف الذي يوصل إليك إربك في رفق، واللطيف من الكلام: ما غمض معناه وخفي، والتلطف للأمر: الترفق له»[٧]، ومنه قوله تعالى: ((فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً)) الكهف:١٩، والمعنى «وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يُغبن، أو في أمر التخفي حتى لا يُعرف»[٨]، وبهذا يمكن القول بأن معنى التلطف من الناحية اللغوية هو الترفق أو التخفي في أساليب الكلام، وأن هذا الترفق الكلامي أو التخفي بالنسبة للمعاني لا يخلو من القصدية من قبل المتكلم لتحقيق غاية معينة .

وقد اتفقت أغلب الدراسات على أن ما يدل على هذا المصطلح في الدراسات الغربية هو المصطلح اليوناني (Euphemism)، ومعناه الحرفي هو الكلام الحسن (well speaking)[٩]، ويعرف أولمان (ullmann) هذا المصطلح بعد إشارته إلى أن استبدال الكلمات ذات المغزى السيء أو المخيف بالكلمات اللطيفة الخالية من ذلك بأنه من ضروب حسن التعبير ثم يعرفه بأنه «وسيلة مقنعة بارعة لتلطيف الكلام وتخفيف وقعه»[١٠]، ويقع في الطرف الآخر المقابل له مصطلح (taboo)، وهو مصطلح بولينزي يطلق على كل ما هو محظور من مقدس أو ملعون سواء كان إنساناً أم كلمة أم أي شيء آخر[١١]، وقد حظي التلطف في الدرس اللغوي الغربي بعناية بالغة من حيث التنظير والتطبيق، وبرزت مصطلحات هذه الظاهرة في اللغات الأوربية في الربع الأخير من القرن الثامن عشر[١٢]، فالتلطف لا يتوقف عند حدود كونه مجرد مصطلح، بل هو عبارة عن ظاهرة لغوية تحدث في اللغة بفعل طبيعة المجتمعات الناطقة بتلك اللغة، وذلك بسبب العادات والتقاليد السائدة في مجتمع معين، ونظراً للعلاقة الوطيدة بين اللغة والمجتمع مما يجعلها تتأثر بطبيعة المجتمع وتؤثر فيه أيضاً .

والمجتمع العربي من جملة هذه المجتمعات التي شهدت هذه الظاهرة ، فلم تغب هذه الظاهرة عن التراث اللغوي العربي، وكان

للغويين العرب القدماء عناية كبيرة بها، وقد تنوعت المصطلحات التي استعملوها للتعبير عنها ومنها: الكنايات اللطيفة، تحسين اللفظ، حسن التعريض، ما يستحسن لفظه، التنزه، تلطيف المعنى ... وغيرها[١٣]، ومنها إشارة الفراء (٢٠٧هـ)، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ((وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)) سبأ: ٢٤، والمقصود هو: وإنا لعلى هدى وأنتم في ظلال مبين، والمعنى الظاهري هو « إنا لضالون أو مهتدون، وأنكم أيضاً لضالون أو مهتدون، وهو – الله تعالى – يعلم أنّ رسوله المهتدي وأن غيره الضّال، فأنت تقول في الكلام للرجل: إن أحدنا لكاذب فكذّبته تكذيباً غير مكشوف، وهو في القرآن وفي كلام العرب كثير أن يوجه الكلام إلى أحسن مذاهبه إذا عُرف»[١٤]، وقد أدرك اللغويون العرب المحدثون أهمية هذه الظاهرة وأفردوا عدة تعريفات لمصطلح (التلطف)، ومنها تعريف الدكتور أحمد مختار عمر بأنه « إبدال الكلمة الحادة بكلمة أقل حدة وأكثر قبولاً»[١٥]، وترجمة كلمة (euphemism) عند علية عياد هو (لطف التعبير ، التورية ، التهوين)، والمقصود به بحسب تعريفها بأنه « استعمال مجاز ملطف في مكان كلمه أو عبارة موجعة أو بغيضة مثال: لفظ أنفاسه الأخيرة، بدلاً من مات، أو بيت الأدب، بدلاً من المرحاض»[١٦]، وهذا يعني أن ظاهرة التلطف هذه قد تكون في استعمال أو استبدال كلمة واحدة وقد تتسع إلى أكثر من ذلك على مستوى الجملة أو العبارة، وهذا يمثل دليلاً على اهتمام اللغويين العرب القدماء والمحدثين بهذه الظاهرة، ومحاولة منهم لتتبع آثارها اللغوية وأبعادها الاجتماعية، على الرغم من تعدد المصطلحات التي وردت عندهم للتعبير عن هذه الظاهرة، وكثرة الإشارة إليها بشكل ضمني من قبل الآخرين .

ويرى أهل اللغة أن هنالك عدة دوافع تقف وراء ظاهرة التلطف كالعامل الديني، فالدين الإسلامي يحث وبشكل واضح على استعمال الألفاظ اللطيفة إلا في حالات معينة قد يقتضيها المقام، ويؤكد ذلك ما

جاء في قوله تعالى: ((ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)) ق:١٨، وللعامل النفسي الدور الكبير في إدخال بعض الألفاظ ضمن دائرة المحظورات وتقبل غيرها، ويتجلى ذلك بوساطة بعض الجوانب النفسية كالخوف والفزع، والتفاؤل والتشاؤم أو التطير الذي له دور كبير في حياة الناس، فضلاً عما يحاول المتكلم دائماً تجنبه من المحظورات اللغوية الدالة على كل ما يتعلق بالأمور الجنسية أو ما يتعلق بالدنس بسبب الحرج ودواعي الحشمة، ويلجأ إلى استعمال المحسنات اللفظية لغرض التلطف، أضف إلى ذلك العامل الاجتماعي وما تمثله العادات والتقاليد بوصفها عاملاً من عوامل تجنب بعض الألفاظ وتفضيل أخرى بديلاً عنها، ومن هذه العادات والتقاليد في المجتمع العربي الإسلامي هي المحافظة على المرأة وتجنب ذكر اسمها، ويلجأ المتكلم إلى بدائل تلطيفية مثل القارورة والحرث والأهل وغيرها[١٧]، وهذا الأمر لا زال مستمراً حتى يومنا هذا في مجتمعاتنا، وكذلك العامل السياسي، فمن وظائف اللغة هو التعبير عن الفكر، لذا تستعمل اللغة أحياناً لإخفاء الفكر أو إخفاء الافتقار إلى الأفكار، ويشيع هذا الاستعمال في لغة السياسيين أحياناً، فيلجأ أحدهم إلى استعمال كلام كبير ليغطي على أفكاره الهزيلة، أو استعمال العبارات اللطيفة المهذبة مكان العبارات التي لا يستسيغها المجتمع[١٨]، وتتداخل هذه العوامل الداعية إلى التلطف فيما بينها حيث يرتبط بعضها ببعض ويكون سبباً فيه، وللعامل الاجتماعي الدور الكبير والمؤثر في كل ذلك، فثقافة المجتمع والأعراف والتقاليد لها اليد الطولى في تحريك بوصلة هذه الظاهرة واتساع دائرتها، ولا يخفى ما لظاهرة التلطف من الأهمية على أنها جزء من الاستراتيجية التخاطبية، والتي تقوم على أساس التلميح لا التصريح، وهي بطبيعة الحال استراتيجية هادفة لا تخلو من القصدية، فالتلطف من الوظائف الإيجابية للغة، حيث يعمل على ستر بعض المحظورات اللغوية في المجتمع في مختلف المجالات، ويتبع

المتكلم أحياناً طرقاً متنوعة لغرض تلطيف كلامه باعتماد التلميح، وكانت الإشاريات الشخصية من الوسائل التي اتبعها أهل البيت (ع) لتلطيف خطاباتهم وتهذيبها.

الإشاريات الشخصية ـــ personal deictic : إنّ من بين الجوانب التي تعنى التداولية في البحث فيها هي الإشاريات (deixis)[١٩]، وتعتبر الإشاريات من العناصر اللغوية المهمة والتي لا يمكن معرفة المقصود منها بمعزل عن المقام، والإشاريات الشخصية تمثل إحدى الأقسام الخمسة للإشاريات وهي: الإشاريات الشخصية، الإشاريات الزمانية، الإشاريات المكانية، الإشاريات الخطابية، والإشاريات الاجتماعية، وتشتمل الإشاريات الشخصية على (الضمائر وأسماء الإشارة والموصولات)، فهي العناصر الإشارية التي تدل على المتكلم وحده، أو معه غيره مثل (أنا / نحن)، وكذلك العناصر الدالة على المخاطب مذكراً كان أو مؤنثاً، مفرداً أو مثنى أو جمعاً نحو (أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم،أنتنّ)، أما بالنسبة لما يشار به إلى الغائب نحو (هو، هي، هما، هم، هنّ)، فيشترط في دخوله ضمن الإشاريات أن يكون حراً ولا يعرف مرجعه من السياق اللغوي، ومتى ما عرف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشاريات[٢٠]، والإشاريات من حيث الاصطلاح هي «مايدل على أي شيء يتعين من جهة بموضوع ويثير من جهة أخرى فكرة معينة في الذهن، ويوجد فيها القصد في التواصل... وهي حدث أو شيء يشير إلى حدث أو شيء آخر... ولابد للإشارة من مادة أو مرجع، كما لابد من مؤول لها»[٢١].

ويطلق على التعبيرات الإشارية أحياناً مصطلح (المعيّنات)، أو كما يحب بعضهم أن يسميها بالقرائن الإشارية، والمقصود بها هي «تلك الكلمات أو التعابير أو الروابط أو الوحدات اللغوية التي ترد في ملفوظ كتابي أو شفوي، تحدد الظروف الخاصة للتلفظ، وتبين الشروط المميزة لفعل القول ضمن سياق تواصلي معين، ومن ثم لايتحدد مرجع هذه القرائن

والمعيّنات الإشارية دلالياً وإحالياً إلا بوجود المتكلمين في وضعية التلفظ والتواصل المتبادل»[٢٢]، ولم يغفل العلماء العرب أهمية التعبيرات الإشارية ودورها الدلالي، وتعرف هذه التعبيرات الاشارية عند العرب بـ(المبهمات)، وهي تنتمي عندهم إلى الدلالة الوضعية[٢٣]، ويعود السبب في تسميتها بالمبهمات إلى صحة أو إمكانية إطلاقها على كل شيء من إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد وغيرها، وأنه لا يمكن تحديد دلالتها إلا بأمر ما خارج عن لفظها، ويندرج تحت هذا المفهوم (المبهمات) كل ما هو ليس بمعلوم من الأسماء نحو أسماء الاشارة والاسماء الموصولة والضمائر والظروف المبهمة وما أشبهها من حيث الافتقار إلى التوضيح[٢٤]، ولم تكن دراسة العلماء العرب لهذه الوحدات اللغوية الإشارية بشكل مستقل تحت عنوان معين، بل كان تناولهم لها على شكل إشارات متفرقة بين أبواب وفصول مختلفة، فنجد مثلاً أن سيبويه (١٨٠هـ) يشير إلى ذلك في باب مجرى نعت المعرفة عليها فيقول: «و أما الأسماء المبهمة فنحو هذا وهذه، وهذان وهاتان، وهؤلاء، وذلك وتلك، وذانِك وتانِك، وأولئك، وما أشبه ذلك. وإنما صارت معرفة؛ لأنها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أُمّته»[٢٥]، وهذا يعني أن أسماء الإشارة التي تعد من المبهمات تعتبر من المعارف بحسب ما يراه سيبويه، وقد أدخلها بعضهم في باب الكناية أيضاً ومنهم ابن فارس (٣٩٥هـ) فقال: «الاسم يكون ظاهراً مثل: زيد، وعمر، ويكون مكنياً، وبعض النحويين يسميه مضمراً وذلك مثل: هو، هي، وهما، وهنّ ... وأن أول أحوال الاسم الكناية، ثم يكون ظاهراً ... وذلك أن أول حال المتكلم أن يخبر عن نفسه ومخاطبه فيقول: أنا، وأنت، وهذان لا ظاهر لهما، وسائر الأسماء تظهر مرة ويكنى عنها مرة ... وقولنا: قام زيد، فإذا كنينا عنه قلنا: قام، فنستر الاسم في الفعل»[٢٦].

ونجد أن بعض الأصوليين يطلق على هذه التعبيرات الإشارية مصطلح (المبهمات) أيضاً، ومنهم الشيخ

ضياء الدين العراقي (١٣٦١هـ) فقال: «في المبهمات كأسماء الإشارة والضمائر والموصولات ونحوها من الأسماء المتضمنة للمعنى الحرفي، حيث أنه وقع فيها الخلاف من حيث عمومية الموضوع له فيها وخصوصيته ... وإجمال القول فيها هو أن المعنى والموضوع له في هذه الأسامي ... عبارة عن معان إبهامية تكون نسبتها إلى الذوات التفصيلية من قبيل الإجمال والتفصيل لا من قبيل الكلي والفرد، مع اشتمالها على خصوصية زائدة كخصوصية الإشارة والغيبة والخطاب والمعهودية ونحوها»[٢٧]، فهي عنده عبارة عن أسماء إشارية علاقتها بمرجعها التفصيلي علاقة إجمال وتفصيل، فالإجمال يكون في العنصر الإشاري، بينما التفصيل يكمن في المرجع المحال أو المشار إليه .

ومن الجدير بالذكر أن هذا الإبهام ليس المقصود منه الغموض المطلق، بل إن هذه المبهمات تعمل على التوجيه أو الإحالة إلى مرجع أو مسمى آخر، فهو ضرب من الإبهام الإيجابي الذي يخدم العملية التخاطبية، ومن فوائده أنه يعمل على تحفيز ذهن المتلقي للبحث عن المرجع المحال إليه لفهم واستجلاء المعنى المقصود، فهو إبهام يقود إلى الكشف والبيان وإفادة المعنى عن طريق البحث والتأويل[٢٨]، وبهذا فهو يدخل ضمن آليات استراتيجيات الخطاب التي يعمد إليها المتكلم أحياناً بشكل مقصود، فالمتكلم أحياناً وفي ظروف سياقية اجتماعية يلجأ إلى المناورة الدلالية وعدم التصريح المباشر مراعاة للأعراف التي يخضع لها الاستعمال اللغوي .

وبهذا يتضح لنا بأن العلماء العرب قد عنوا كثيراً بهذه الوحدات اللغوية؛ نظراً لدورها الدلالي في العملية التخاطبية، وكذلك دورها في شدّ المتلقي إلى مخاطِبه والتفاعل معه، ويثبت التفاتهم إلى أهميتها الدلالية أيضاً ما أشار إليه الدكتور محمود السعران بضرورة ما يتوجب على الباحث في هذا الموضوع أن يدرسها في كل فن من فنون القول، وكذلك في كل وظيفة من الوظائف الكلامية، مع مراعاة سياق الكلام

والوضع الاجتماعي لكل من المتكلم والمتلقي[٢٩]؛ وذلك للدور الذي تضطلع به هذه التعبيرات الإشارية في الحدث الكلامي داخل سياق معين .

وتعتبر الإشاريات(deictics)) مجالاً خصباً للبحث التداولي؛ وذلك لما تحمله هذه الوحدات اللغوية من المقاصد والدلالات التي لا يمكن الكشف عنها بعيداً عن سياقها، لذا فقد حظيت باهتمام كبير من قبل التداوليين، كونها إحدى الآليات المعتمدة التي يقوم عليها البحث التداولي، وكان أول من وضع مصطلح الإشاريات هو بيرس (peirce)[٣٠]، في حين ذهب ليفنسون (levinson) إلى أن هذه «التعبيرات الإشارية تذكير دائم للباحثين النظريين في علم اللغة بأن اللغات الطبيعية وضعت أساساً للتواصل المباشر بين الناس وجهاً لوجه، وتظهر أهميتها البالغة حين يغيب عنا ما تشير إليه فيسود الغموض ويستغلق الفهم»[٣١]، مما يُظهر دور المقام بالنسبة لهذه التعبيرات الإشارية في إبراز معانيها، كما أنه يعبر عن قصور البحث اللغوي الشكلي في إدراك المقاصد التخاطبية وخصوصاً في مبحث الإشاريات .

وقد أطلق الغربيون عدة مصطلحات على هذه العناصر الإشارية خلال دراساتهم، فهي عند بيرس (peirce) تسمى الوحدة الإشارية (index)، بينما رومان جاكبسون (Roman Jakobson) يسميها القرائن المدمجة أو الواصلة (embrayeurs)، في حين أطلق عليها بار هيليل (bar-hillel) مصطلح التعبير الإشاري أو المؤشر (indicateur)، ومصطلحات أخرى مثل القرائن الإشارية (schifter)، أو مصطلح دليل التلفظ (indice de lenonciation)، وبعض الباحثين يستعمل للتعبير عنها مصطلح المعينات (deictiques)، وهو مصطلح مشتق من الكلمة اليونانية (ديكتيكوس –deiktikos)، والتي تعني تلك المرجعيات الإحالية القائمة على الظروف الخاصة للتلفظ، ومنها هوية المتكلم والمتلقي، ومكان وزمان التلفظ

(أنا، هنا، الآن)[٣٢]، وهذا يعني أنها تكون في حالة ملازمة دائمة للظروف والقرائن السياقية التي تشير إليها، حيث يكون من مهامها تحيين الملفوظ وبيان مكانه، وتعيين هوية الأطراف المتخاطبة مع الأخذ بنظر الاعتبار الظروف المحيطة بالحدث الكلامي .

وقد ذهب بنفنست (Benveniste) إلى القول بأنه «خارج الخطاب الفعّال، الضمير ليس إلا شكلاً فارغاً، الذي لا يمكن أن يرتبط بموضوع أو بتصور»[٣٣]، فالعنصر الإشاري بحسب (بنفنست) يكون شكلاً فارغاً وليس له أي محتوى، ما لم يرتبط بمرجع معين، سواء كان ذلك المرجع شخص أو أي شيء آخر.

مما سبق «يتضح أن الإشاريات مثل أسماء الإشارة والضمائر، من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي؛ لأنها خالية من أي معنى من ذاتها، فبالرغم من ارتباطها بمرجع إلا أنه مرجع غير ثابت»[٣٤]، أي أنه يتغير ذلك المرجع بتغير السياق .

وعلى الرغم من كون هذه التعبيرات الإشارية عبارة عن أشكال فارغة لا تحمل معنى في ذاتها خارج السياق، وإنما يتحدد معناها ويتغير بتغير المقام أو المرجع الذي تحيل إليه، إلا أنها بهذه الحال تؤدي عدة وظائف في طياتها، وتنحصر هذه الوظائف في علاقتها المرجعية بحسب المقام الذي ترد فيه، وبما أن وظيفة هذه التعبيرات الإشارية هي تعويض المشار إليه في المقام الإشاري، فقد يعمد المتكلم في بعض الأحيان إلى وضع الالتباسات المتعمدة، والقصد من وراء ذلك هو خلق الالتباس المرجعي على المتلقي، وقد أطلقت أوريكيوني (Orecchioni) ما يعرف بالتضمينات على بعض الحالات التي ترافق استعمال الإشاريات، وذلك عند استعمال بعض العناصر الإشارية بخلاف أصلها الذي وضعت له، كاستعمال ضمير الجمع لمخاطبة المفرد أو للمتكلم المفرد، وقد ينتقل استعمال عناصر الإشارة المكانية إلى ما يسمى بالمسافة العاطفية والتي تعرف بالإشارة الوجدانية

(empathic deixis) كالتحقير بالقرب والتعظيم بالبعد[٣٥]، ومثال الأولى قوله تعالى: ((أهذا الذي يذكر آلهتكم)) الأنبياء:٣٦، ومثال التعظيم نحو قوله تعالى: ((ألم ذلك الكتاب)) البقرة:١ــــ٢.

وتستعمل الإشاريات كما ترى أوريكيوني لتأدية أغراض تضمينية مثلها مثل بقية التعبيرات اللغوية الأخرى، وذلك لتبليغ بعض المعاني الضمنية التي يتعذر التصريح بها لأسباب معينة قد تكون اجتماعية – ثقافية من قبيل مراعاة اللياقة في الكلام وتجنب الابتذال، وقد يلجأ المتكلم إلى ذلك أحياناً لكي لا يتحمل مسؤولية كلامه ودفع الضرر عن نفسه كما هو الحال في المجال السياسي على سبيل المثال[٣٦]، فيعمد المتكلم إلى إخفاء المعنى الحقيقي مكتفياً بالتضمين ومعوّلاً على امكانية متلقيه التاويلية ليكتشف ذلك بنفسه .

وتتمتع هذه التعبيرات الإشارية بمجموعة من المؤهلات التي تجعلها صالحة للتضمين، فهي غير متعينة المدلول، وإنما يتعين مدلولها بحسب الاستعمال ضمن سياق معين، لذا فإنها تنطبق على مدلولات كثيرة ومتنوعة مما يمنحها ضرباً من التوسع في مجالات مختلفة، وأن اتصافها بالعمومية بشكل يفوق القدر المتواضع عليه لغوياً في غيرها يظفي عليها بعداً يسمح لها بالتصرف في الأدوار الدلالية التي تؤديها[٣٧]، فهي أشبه بالمخزونات اللغوية والفكرية والاجتماعية التي تسمح باستعمالها في السياق لغرض المناورة في المعنى، فقد يرغب المتكلم بأن يجعل الشيء الذي يتحدث عنه وراء حجاب عند استعماله العنصر الإشاري، لتكون العلاقة بين الإشارة والمعني بها (المشار إليه) عندئذ كأنها كناية عن ذلك الشيء[٣٨]، حيث نجد أن المتكلم قد يعزب أحياناً عند ذكر اسم الشخص أو الشيء الذي يريد التحدث عنه لسبب مانع، فيلجأ إلى استعمال العنصر الإشاري المناسب للتعويض عن المشار إليه .

ويشير الدكتور هادي نهر في معرض حديثه عن أهمية الإشاريات

ودورها في التعويض عن المحظور وتلطيف الكلام فيقول: «إذا كانت هذه الضمائر تتنامى وتتماهى معبرة عنه فإنها في المقابل قد أحالت على مخاطب غائب تنزهاً من ذكر الأسماء والأشياء بألفاظها»[٣٩]، فهذه التعبيرات الإشارية بمثابة الكناية عن الأشياء أو الأشخاص عندما يتحاشى المتكلم التصريح بذلك لأسباب اجتماعية أو ثقافية أو نفسية وغيرها.

وقد التمس آل البيت (ع) آليات ووسائل متنوعة لتحاشي كل ما هو مبتذل أو غير مناسب من الألفاظ في سبيل إبلاغ مقاصدهم لمخاطبيهم بطريقة مهذبة ومقبولة، لما له من آثار سلبية تنعكس على نفسية المتلقي عند استعمال المحظور، ومن جملة هذه الآليات التي استعملوها (ع) لتحاشي المحظورات هي الإشاريات الشخصية، حيث تحتل هذه التعبيرات الإشارية أهمية كبيرة على مستوى الاستعمال اللغوي، فعلى الرغم من أن «نسق الاستدلال الإشاري ليس الوحيد الذي يمكن للغات الطبيعية أن تلجأ إليه، ولكن بدون شك هو الأهم، والأكثر أصالة؛ لأن هذا الاستدلال له خصوصية الإنجاز ليس في علاقته بوحدات أخرى داخلية في الخطاب، ولكن في علاقته بشيء خارجي ومتغاير المعطيات الملموسة للمقام التواصلي»[٤٠]، فعلاقتها بالوحدات الداخلية للخطاب تمنحه صفة التماسك والترابط بين أجزاءه، أما علاقتها بالأشياء الخارجية المقامية فتجعل الخطاب أكثر انسجاماً مع محيطه الخارجي، وهذا الاستدلال الإشاري بوساطة المشيرات قد منحها إنجازاً تأثيرياً من حيث القدرة الإبلاغية من جهة، ومن حيث مستوى الاستعمال اللغوي في الحديث الشريف من جهة أخرى، إضافة إلى ما تحمله هذه الأحاديث الشريفة من القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية التي تستوجب تدبرها وفهمها من قبل المتلقي، خصوصاً وأن هذه المرسلات صادرة ممن لهم من الشأن على المستوى اللغوي والديني والاجتماعي ما لا يخفى، فضلاً عن ذلك فإن علاقة هذه المشيرات بالأشياء الخارجية المقامية

(المشار إليها) يؤهلها لتكون أداة لتجنب المحظورات وتلطيف الكلام، مع إمكانية تغير معطياتها الدلالية بتغير المقام الذي ترد فيه، وسيتضح ذلك أكثر عن طريق الأمثلة التطبيقية التي سوف نتناولها في مجالات معينة .

الإشاريات الشخصية :

١-أسماء الإشارة :

-روي عن منصور بن حازم أنه سأل الإمام جعفر الصادق (ع) فقال له: «بأبي أنت وأمي إن الأنفس يُغدا عليها ويُراح ، فإذا كان ذلك ، فمن ؟ فقال له أبو عبد الله (ع): ((إذا كان ذلك فهو صاحبكم))، وضرب بيده على منكب أبي الحسن (ع) الأيمن وهو يومئذ خماسيّ»[٤١].

إنّ العدول عن ذكر الاسم الصريح لما هو مخيف يمثل سلوكاً يمليه ذلك المحرم الذي يتجسد في المخوف أو المُتطيَّر منه، فالتعبير عن الموت والمفضي إليه من الأمراض والعاهات وغيرها يعتبر من الأمور المكروهة لدى الإنسان[٤٢]؛ لذلك التجأ الناس إلى التعبير عنها بطرق غير مباشرة، وقد عرف السلوك اللغوي طريقة للتعبير عنها بوسائل مختلفة ومنها التعبير الإشاري، ومما لا يخفى في هذا الحديث الشريف الاستدلال الإشاري باستعمال أكثر من عنصر إشاري في السياق اللغوي، وما يعنينا من هذه المشيرات في هذا المقام هو (ذلك) في قوله (ع): (إذا كان ذلك)، كما أن هذا الاستعمال الإشاري استعمل في النص مرة عند الإمام (ع) وأخرى عند الرجل الذي سأل الإمام (ع)، مع تبادل الأدوار بين المرسِل والمرسَل إليه بين المخاطبة والتلقي، وفي كلا الاستعمالين كان المرجع المشار إليه غير مصرح به والمقصود به هو (الموت)[٤٣]، فقد استعمل كل من المتكلم والمتلقي الأسلوب الكنائي بالإشارة عن المرجع المقصود تجنباً لذكره، وذلك باعتباره من الألفاظ التي تدخل ضمن دائرة المحظورات اللغوية النفسية الاجتماعية، واحترام المقام الاجتماعي للمتلقي والتخفيف من الأثر النفسي المرافق لمثل هذه الألفاظ، ومن الأبعاد الأخرى لهذا الاستعمال الإشاري أن المشير (ذلك) يستعمل للإشارة إلى البعيد،

وبذلك يكون من جملة المقاصد التداولية هو تمني إبعاد مضمون المرجع المشار إليه وهو (الموت) عن الشخص المعني بالخطاب، مما يجعل الخطاب يظهر بصورة أكثر تلطفاً واهتماماً من حيث المقاصد .

-ومما روي عن الإمام جعفر الصادق (ع) أن امرأة جاءت فأستأذنت للدخول عليه، فأذن لها وكانت معها مولاة لها فقالت له: يا أبا عبد الله أخبرني عن اللواتي باللواتي، ما حدّهن ؟ فقال الإمام (ع): ((حدّ الزنا، إنه إذا كان يوم القيامة أُتي بهنَّ وأُلبسنَ مُقطّعات من نار، وقُمّعنَ بمقامع من نار وسُربلنَ من النار ... أيتها المرأة، إن أول من عمل هذا العمل قوم لوط ...))[٤٤]، إن أسماء الإشارة والضمائر وغيرها من المشيرات المقامية يمكن التعرف على مرجعها المشار إليه إما بالاشارة الحسية كاليد وغيرها، أو بالإشارة الذهنية بين المتخاطبين، وإما بدلالة الحال على المشار إليه، باعتبار أن المقام التخاطبي يشتمل على جميع العناصر المكونة للعملية التخاطبية كالأشخاص والزمان والمكان وكل ما يحضر فيه[٤٥]، واسم الإشارة (هذا) الموجود في قوله (عمل هذا العمل) من المشيرات المقامية التي تشير إلى مرجعها الموجود في ذهن المتلقي، سواء كان ذلك المتلقي المباشر المتمثل بشخص المرأة السائلة أم المتلقي غير المباشر، خصوصاً وأن المتلقي المباشر (المرأة) قد استعمل نفس الأسلوب وهو التعبير الإشاري بالموصولات (اللواتي باللواتي) لإبلاغ قصدها التخاطبي إلى شخص الإمام (ع) بطريقة غير مباشرة، فالمرجع المشار إليه في كلتا الحالتين من قبل الإمام (ع) والمرأة التي سألته هو نفس المرجع، وهو معلوم عندهما (السحاق)، فضلاً عن استعماله (ع) للمشير الاجتماعي (قوم لوط)، والذي يشير إلى فئة اجتماعية مقامية ذهنية عرفت ببعض السلوكيات غير المشروعة، وبهذا يتجلى الدور الاستعمالي الكبير لما يسمى بالمعوضات الإشارية، وأهميتها التواصلية في إبلاغ المقاصد التخاطبية بطرق تلطيفية تحافظ على العرف الاجتماعي واحترام الفاصلة الاجتماعية بين المتخاطبين،

فقد أسهمت اللغة العربية انطلاقاً من سعتها ومرونتها في التعبير في إمكانية تغليف بعض الألفاظ التي تخص هذا المجال آلة وعملية، وذلك باللجوء إلى بعض الحيل والتقنيات اللغوية والألاعيب الفنية التي تبلغ المقصود وتبعد الحرج[٤٦]، ومن هذا المنطلق تنوعت أساليب الخطاب عند المعصومين (ع) بتنوع مجالاته، وذلك بحسب ما ينسجم ومتطلبات الحياة الاجتماعية، وكل ما من شأنه تنظيم السلوك الفردي والاجتماعي باتباع التوجيه والإرشاد في مجالات مختلفة .

-و ورد عن الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال: ((إذا بلغتْ نفس أحدكم هذه – وأومأ بيده إلى حلقه – قرّت عينه))[٤٧]، وفيما يخص الاستعمال الإشاري فإن مصطلح «المشيرات المقامية قد يضيق فيشمل الإشارة الحسية حركة وإيماء، وقد يتسع ليشمل الإشارة المعنوية باللفظ دون الحركة، وقد يتخصص بدلالة الانعكاس، وهو ما جعل قائمة المشيرات المقامية متضمنة للصنفين»[٤٨]، والمقصود بالإشارة الحسية هو الإشارة التي تحصل باستعمال أحد الأعضاء أو حركة بما يمكن أن يستعمل للإيماء أو الإشارة، بحيث يتسنى لمن يشير أن يعين المشار إليه (الشخص أو الشيء) بتوجيه إشارة باللفظ مصحوبة بالحركة، وكما أن المشير اللغوي لما هو في المقام محكوم بحدود المسافة من حيث البعد والقرب، كذلك يكون المشير الحسي تحكمه المسافة فيما لا يخرج عن حيز البصر[٤٩]، وفي هذا الحديث الشريف استعمل المتكلم كلا المشيرين المقامين اللفظي والحسي للدلالة على المشار إليه، فالمشير اللفظي المتمثل بالعنصر الإشاري (هذه) رافقه الإيماء باليد إلى الحلق، إلا أن المشار إليه المقامي في هذا الحديث لا يتمثل في الشيء المادي المنظور وهو الحلق، بل المقصود من هذا الاستعمال الإشاري هو ذلك الشيء الموجود في ذهن كل من المتكلم ومتلقيه وهو(الموت)، فبلوغ نفس الإنسان إلى هذه الحلق يعني بلوغه حالة الموت، وقد تضافر هذان المشيران في الاستدلال الإشاري لما هو في المقام، ومما

يوحي بأن عدم التصريح بالمرجع كان لغرض تلطيف الكلام، هو أن الإمام (ع) كان يتحدث مع أصحابه كما يبدو، بدليل قوله (ع) لهم إذا بلغت نفس أحدكم الموت قرُّت عينه، ولم يقل (الموت) بل عوض عنه بالإشارة، فالمقام كان يتطلب أن يكون الخطاب لطيفاً، وقد تكرر هذا الاستدلال الإشاري في أحاديث أخرى[٥٠]، حيث كانت الإشارة اللفظية مصحوبة بالحسيّة كذلك، في مقام كان يدعو إلى الجري على عادة العرب في ترك الكلمات المحظورة، وبالأخص بوجود ارتباط اجتماعي معين بين الأطراف المتخاطبة .

-ونقل عن رجل يدعى الحلبي أنه سأل الإمام جعفر الصادق (ع) عن رجل رهن جاريته عند قوم فهل يحل له أن يطأها ؟ فأجابه الإمام (ع) بقوله: ((إن الذين ارتهنوها يحولون بينه وبين ذلك، قلت: - السائل - أرأيت إن قدر عليها خالياً ؟ قال (ع): نعم، لا أرى هذا عليه حراماً))[٥١]، إن ما يمكن ملاحظته في هذا الحديث الشريف أنه قد اشتمل على مجموعة من العناصر الإشارية المختلفة نحو: الذين، الواو والهاء في (ارتهنوها)، الواو في (يحولون)، الهاء في (بينه)، ذلك، ضمير المتكلم في (أرى)، هذا، الهاء في (عليه)، وهذا أمر طبيعي، فلا يخلو أي كلام سواء كان شفوياً أو مكتوباً في أي لغة من اللغات من وجود مثل هذه الوحدات الإشارية، والتي تعمل على جعل المقول متماسكاً مترابطاً داخلياً ومنسجماً مقامياً، فضلاً عما تحمله من الأبعاد التداولية إذا ما علمنا بأنها علامات تخلو من أي معنى في ذاتها، وإنما يتحدد معناها عن طريق ارتباطها بمرجعها التي تشير إليه في السياق التخاطبي، ومما نتلمسه من بعض هذه الوحدات الإشارية التي وردت في هذا الحديث الشريف أنها تحمل بعداً تلطفياً تمثل في اسمي الإشارة (ذلك ، وهذا)، حيث تعتبر أسماء الإشارة من جملة العلامات اللغوية الإشارية التي لا يمكن تحديد مرجعها إلا في السياق التخاطبي، والتي تأخذ بعين الاعتبار ظروف وملابسات السياق لتوضيح المعنى وتقريبه[٥٢]، وبالتالي فإن الإمام (ع) لم يذكر في كلامه

مرجع كل من هذين العنصرين الإشاريين، بل أشار بهما إلى مرجع موجود في السياق التخاطبي أي في سؤال السائل الذي تضمن المرجع وهو لفظ (الوطئ)، فمرجع العنصر الإشاري غير موجود في خطاب الإمام (ع)، والذي سوغ له ذلك هو معرفة المتلقي نفسه بالمرجع المشار إليه، ومما لا يخفى على كل ذي نظر أن عزوف الإمام (ع) عن ذكر ذلك المرجع هو محاولة منه لإظهار كلامه بصورة مهذبة يتحاشى فيها ذكر ذلك اللفظ (المرجع) كونه من المحظورات العرفية، وأن استعمال كل من هذين العنصرين الإشاريين بهذه الطريقة من قبل الإمام (ع) في خطابه هذا يحمل بعداً تداولياً آخراً، فالقول بإمكانية استعمال اسم الإشارة للدلالة على كل ما يحيط بك من إنسان أو حيوان أو جماد أو حدث معين، فهو يستعمل أيضاً لبيان حال المشار إليه من حيث القرب أو البعد مثل (هذا زيد، ذاك، ذلك عمرو)[٥٣]، وعلى هذا الأساس فقد «يميل المتكلم إلى معاملة الأشياء البعيدة مادياً على أنها بعيده نفسياً مثلاً: ذلك الرجل هناك، مع ذلك قد يرغب المتكلم في جعل شيء قريب مادياً (مثل عطر استنشقه) بعيداً نفسياً بقوله: لا أحب ذلك العطر، وفقاً لهذا التحليل فإن كلمة مثل (ذلك) لا تمتلك معنى دلالياً ثابتاً ولكنها تشبع بمعنى ما في سياق المتكلم»[٥٤]، وهذا ما نلحظه في قصدية استعمال (ذاك) في المرة الأولى و(هذا) للمشار إليه القريب في المرة الثانية من قبل الإمام (ع)، ففي الأولى أراد بُعد إمكان حصول الأمر المشار إليه بسبب وجود المانع من تحققه، أما في الثانية فالمراد بها امكانية حصول أو تحقق المشار إليه وعدم وجود الحرمة أو المانع من الأمر، وهذا يدل على الكفاءة اللغوية والتداولية التي يحملها المتكلم المتمثل بالإمام (ع).

-وجاء رجل فسأل الإمام الصادق (ع) عن العزل فأجابه الإمام (ع) فقال: ((ذاك إلى الرجل ، يصرفه حيث يشاء))[٥٥]، لقد ردت في هذا الصدد جملة من الأحاديث الشريفة التي تهدف إلى تنظيم هذه العلاقة المقدسة، وبيان الحقوق

والواجبات المترتبة على جميع الأطراف بطريقة مهذبة ولطيفة لا تخدش الحياء، وكانت التعبيرات الإشارية أداة طيّعة لذلك، وإذا ما نظرنا فيما يراه المختصون بأن ما يتألف منه النص هو «عدد من العناصر التي تقيم فيما بينهما شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر، وتسهم الروابط التركيبية والروابط الزمنية والروابط الإحالية في تحقيقها»[٥٦]، فإننا نجد مضمون ما ذهبوا إليه ينطبق على هذا الحديث الذي بين أيدينا، حيث يتألف من مجموعة من العناصر التركيبية والإشارية، ومن هذه العناصر الإشارية الإحالية العنصر الإشاري (ذاك)، والذي يحيل إلى المرجع الموجود في سؤال الرجل الذي سأل الإمام (ع) في السياق التلفظي وهو لفظ (العزل)، والمشير الآخر هو الضمير (الهاء) الخاص بالمرجع الغائب، وكذلك المشير المكاني المتمثل في قوله (حيث يشاء)، والذي يراد به الاشارة المكانية لما هو معلوم لدى المتكلم ومتلقيه[٥٧]، وهذه العناصر الإشارية وما تحيل إليه تتضافر فيما بينهما مع العناصر الأخرى المكونة لعملية الخطاب، لتمنحه نوعاً من التماسك والانسجام بين أجزاءه ومع محيطه الخارجي، أما فيما يخص المشير الخاص بالغائب وهو (الهاء) في قوله (يصرفه) فإن مرجعه المشار إليه غير موجود في السياق اللغوي، والمراد به هو (ماء الرجل)، ويرى (دي بوجراند) بأن هذه المشيرات إلى غير مذكور تستعمل لغرض الكناية عن مرجعها، حيث « تعود الكنائيات في الإحالة لغير مذكور إلى أمور تستنبط من الموقف لا عبارات تشترك معها في الإحالة في نفس النص أو الخطاب ... وللإحالة إلى غير مذكور على وجه الخصوص كفاءة من حيث تجاوزها للخطوة البينية التي تتمثل في تسمية المفهوم»[٥٨]، وهذا ما اختاره المتكلم المتمثل بشخص الإمام (ع) بتجاوزه للتصريح بالمرجع وتسميته، ولجأ إلى الكناية عنه باستعمال المشير الإحالي لما هو غير مذكور بل موجود في المقام، وذلك لتغليف اللفظ

الصريح بطريقة تجعله أكثر مقبولية عند المتلقي .

-وروي عن الإمام جعفر الصادق (ع) أنه قال: ((أيّما رجل كان بينه وبين أخ له مما رآه في حق، فدعاه إلى رجل من إخوانه ليحكم بينه وبينه، فأبى إلا أن يرافعه إلى هؤلاء، كان بمنزلة الذين قال الله عزّ وجلّ: ((ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمِروا أن يكفروا به)) النساء:٦٠))[٥٩]، إن اللغة بوصفها وسيلة تواصلية اجتماعية ترتبط بطبيعة المجتمع الناطق بها تقوم بعدد من الوظائف، وتظهر هذه الوظائف بحسب طبيعة الاستعمال اللغوي للمتكلم، ومن جملة هذه الوظائف هي امكانية إخفاء بعض الأفكار أو الآراء التي لا يمكن التصريح بها، وهذا شائع بشكل كبير في لغة السياسة والسياسيين[٦٠]، وفي الوقت الذي يجري فيه الحديث في الوسط اللغوي بأن اللغة وسيلة تواصل، هناك من يرى بأن «أفضل وصف للغة وإن ذكرت كثيراً على أنها وسيلة تواصل، هو أنها آلة، وجميع الآلات ما هي إلا توسيعات، أو تهذيبات لأعضائنا الحسية... شأنها شأن النظارة الأحادية الزجاجة أو العين نفسها، قادرة على تمويه أي تقديم أعضاء ملائمين جدد إلى سياقات علاماتنا»[٦١]، وهذا ما يمكن ملاحظته في عملية الاستدلال الإشاري عندما تكون غايته تضمينية، فالمتكلم يحاول باستعماله الاستدلال الإشاري أن يوجد ملائمة بين العنصر الإشاري والمشار إليه المقامي، ضمن سياق معين لغرض التمويه وتخطي المرجع المحظور، وبالتالي تنقية وتهذيب الخطاب قبل عرضه على الأعضاء الحسية السمعية للمتلقي، ليكون أكثر مقبولية وخالياً من الانعكاسات السلبية، ويتجلى لنا في هذا الحديث الشريف رغبة الإمام (ع) في استعمال العنصر الإشاري (هؤلاء)، مشيراً به إلى المرجع المقامي غير المذكور والمراد به هم حكام الجور وقضاتهم[٦٢]، والمشير (هؤلاء) من الأسماء المبهمة التي يشار بها للقريب، وقد يقصد الإمام (ع) بعداً آخر بهذا الاستعمال

وهو التحقير بالقرب[٦٣]، نحو قوله تعالى: ((أهذا الذي يذكر آلهتكم)) الأنبياء:٣٦، وبذلك لا تقتصر أبعاده التداولية على تجنب ذكر المحظور السياسي فقط، بل قد يقصد تحقير المرجع المشار إليه المعلوم في ذهن متلقيه بصورة غير مباشرة .

٢- الضمـــــــــائر :

- روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال: ((يُسلب منه روح الإيمان ما دام على بطنها فإذا نزل عاد الإيمان . قال – الراوي - : قلت له: أرأيت إن همّ ؟ قال (ع): لا ، أرأيت إن همّ أن يسرق أتقطع يده؟))[٦٤]، كما هو واضح أن هذا الحديث قد اشتمل على مجموعة من العناصر الإشارية المختلفة، ومنها هو العنصر الإشاري المتمثل بضمير الغائب للمشار إليه، وضمير الغائب « يدخل في الإشاريات إذا كان حراً لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي، فإذا عرف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشاريات»[٦٥]، وما نلحظه في هذا الحديث أن المشار إليه الغائب الذي يمثل مرجعاً للعنصر الإشاري (الهاء) في (منه) وكذلك في كلمة (بطنها) غير موجود في السياق اللغوي، وكما هو معلوم بأن المشار إليه في (منه) يكون مذكراً، أما الإشارة في آخر كلمة (بطنها) فإنها تعود على مشار إليه مؤنث، وكلاهما غير موجود في السياق اللغوي ولم يصرح بهما المتكلم، بل اكتفى بالمقام التخاطبي معيناً على معرفة المقصود بالإشارة، معتمداً على المعرفة المشتركة بينه وبين المخاطب لفهم المقصود، حيث «ترتبط الإشارة جلياً بأهداف المتكلم، مثلاً تعريف شيء ما، وبمعتقدات المتكلم، أي هل يتوقع من المستمع معرفة ذلك الشيء بالتحديد؟ في استعمال اللغة»[٦٦]، ولا شك بأن المتكلم المتمثل بشخص الإمام (ع) في هذا المقام كان يهدف إلى مقصود معين باستعماله الإشارة وترك التصريح بالمشار إليه، والذي يمثل مرجعاً للهاء في (منه) وهو لفظ (الزاني)، أما المشار إليه في الهاء من (بطنها) فالمراد به هو (الزانية)، فضلاً عما يتضمنه قوله (ما دام على بطنها) من إشارة زمكانية أراد أن يشير بها إلى فترة

ممارسة ذلك الفعل بوجوده المكاني، فتنقية الكلام من الألفاظ المبتذلة والمحظورة كان هدفاً يقصده الإمام (ع) لتلطيف كلامه، بعد اطمئنانه بأن المتلقي قادر على معرفة ذلك الشيء المشار إليه وبلوغ المقصود من الخطاب، لذلك لم يكن استعماله للإشاريات أمراً اعتباطياً خالياً من الهدف المقصود .

-ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا (ع) أنه قال: ((يُستنجى ، ويُغسل ما ظهر منه على الشرج ، ولا تدخل فيه الأنملة))[٦٧]، إن من مظاهر التلطف في الكلام هو الابتعاد عن الألفاظ ذات الدلالات المستهجنة كما هو معلوم، والتي تواجه الانسان في حياته اليومية نتيجة قيامه بأمور لا غنى عنها منها ما يتعلق بعملية استفراغ الطعام على سبيل المثال، فعندما يضطر المتكلم أحياناً للتعبير عما يتعلق بذلك فلا مناص له إلا بالعدول عن اللفظ الحرام إلى ما سواه[٦٨]، مما يمكن أن يجعل المخاطب يفهم المقصود بطريقة ترتقي بالملفوظ وترفع الحرج ويتنزه بها اللسان، وكان للضمائر الإشارية نصيباً في هذا المجال، وذلك بأداء وظيفة كنائية عن المرجع المقامي المحرم، وبحسب «المعروف أن معاني الضمائر معانٍ عامة لا تدل على شيء مفرد»[٦٩]، فهي ممكن أن تصدق على أي شيء يشار بها إليه، وفي هذا الحديث الشريف نجد أن الضمير الإشاري للغائب (الهاء) في (منه) قد استعمل لهذا الغرض، فالمرجع المشار إليه من قبل المشير غير مذكور، ورتبته مقامية ذهنية معلومة لدى طرفي الخطاب ويراد به (الغائط)، حيث يلجأ المتكلم أحياناً لدواعٍ مقامية إلى استعمال الأسلوب غير المباشر، وذلك عن طريق الاستدلال الإشاري للتعبير عن مقاصده من أجل مراعاة الذوق العام بحسب العرف الاجتماعي، وهذا ما تجسد في حديث الإمام (ع) في هذا المقام .

-وسأل أحدهم الإمام جعفر الصادق (ع) عن رجل باع جارية على أنها بكر ولم يجدها على ذلك ؟ فقال الإمام الصادق (ع): ((لا تُرد عليه ، ولا يوجب عليه شيء ، إنه يكون يذهب في حال مرض ، أو

أمر يصيبها))[٧٠]، تستعمل الإشارة الإحالية أحياناً كأداة للتعبير عن المسكوت عنه في العملية التخاطبية، وذلك عندما تشتمل على ما لم يصرح به من المعاني، ويعرف ذلك بالتقنية الإخفائية، والتي تجعل المتلقي يحاول أن يربط بين المشير ومرجعه الذي يشير إليه للوصول إلى ما يقصده المتكلم[٧١]، والعنصر الإشاري الظاهر للغائب (الهاء) في (إنه)، وكذلك المستتر (هو) بعد الفعل (يذهب) من المشيرات التي تحيل إلى مرجع واحد يقع خارج السياق اللغوي، وبحسب جون ليونز (John Lyons) فإن هذه الوحدات اللغوية الضميرية بإمكانية تقبلها لأي مرجع بحسب المقام الذي ترد فيه، جعلها ذلك لا تملك أي معنى حقيقي محدد في اللغة بخلاف الوحدات اللغوية غير الضميرية التي تحتوي على معنى ثابت، ويتراوح مرجع الوحدة اللغوية الضميرية من حديث إلى آخر[٧٢]، وفي هذا الحديث الشريف فإن كلا العنصرين الإشاريين يشيران إلى ذات المرجع المقامي الذي لم يصرح به المتكلم (غشاء البكارة)، إن اتباع هذه الاستراتيجية اللاتصريحية من قبل الإمام (ع) والسكوت عن بعض المحظورات اللغوية لم يكن خالياً من القصدية في الخطاب، بل هو استعمال لغوي مقصود، ودعوة أيضاً إلى اتباع هذه التقنية لإخفاء الألفاظ المكشوفة، والاستعانة بالبدائل اللغوية الكفيلة بتأدية دورها الإبلاغي بشكل أكثر مقبولية .

-وجاء عن الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال: ((إذا أولجه فقد وجب الغسل والجلد والرجم، ووجب المهر))[٧٣]، إن ما نلحظه في هذا الحديث الشريف هو استعمال ضمير الغائب (الهاء) في (أولجه) كعنصر إشاري للإشارة إلى مرجع ما يقع خارج السياق اللغوي، وقد ذهب النحاة العرب إلى إجراء مقابلة بين ضمائر الحضور (أنا و أنت) وبين ضمائر الغائب، وقد عبروا عن هذا التقابل بأنه مقابلة بين الحضور والغياب في عملية الخطاب، أما بنفنيست(Benveniste) فيرى بأن الاختلاف

ما بين هذه الضمائر يشرع باعتبار أن المجموعة الأولى التي هي للحضور (أنا و أنت) تدل على الشخص، أما المجموعة الثانية التي للغائب فهي دالة على اللاشخص، فالمقابلة بين ضمائر الشخص وضمائر اللاشخص لا تختلف عن المقابلة بين الحضور والغياب، حيث تشتمل العملية التخاطبية في الحقيقة على طرفي المتكلم والمخاطب (أنا و أنت)، في حين تغيب المجموعة الثانية التي للغائب عن تلك العملية، ففي المجموعة الأولى يوجد شخص يتكلم عن نفسه (أنا) مع المتلقي (أنت)، أما ضمير الغائب بحسب بنفنيست والمسمى بالشخص الثالث فقد يحمل دلالة على شخص ما أو شيء ما لا يتعلق بشخص، بل هو مجرد شكل لفظي يضطلع بوظيفة التعبير عن ذلك اللاشخص[٧٤]، وهذا ما يبدو جلياً في هذا الحديث الشريف، فالضمير الخاص بالغائب (الهاء) في (أولجه) يمثل مشيراً يعود إلى مرجع مقامي ليس بشخص، بل هو شيء آخر والمراد به (العضو الذكري)، وبطبيعة الحال فإن السبب من وراء هذا الاستعمال الإشاري هو رغبة المتكلم في الالتزام بما حقه الستر وعدم البوح عنه من الأعضاء، وما يتعلق بها من الأمور المحكوم عليها بحكم العرف الاجتماعي والأخلاقي .

٣- الموصولات :

-فقد روي عن الإمام محمد الجواد (ع) أنه قال: ((إن الحسين بن علي (ع) لما حضره الذي حضره ، دعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين (ع) فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصيّة ظاهرة ... فيه والله مايحتاج إليه ولد آدم منذ خلق الله آدم ، إلى أن تفنى الدنيا، والله إن فيه الحدود ، حتى أن فيه أرش الخدش))[٧٥]، إن بعض العناصر الإشارية تحتاج إلى مفسِّرَين اثنين لا مفسِّر واحد من أجل معرفة المقصود بها وكشف إبهامها، ومنها الإشارة بالموصول، فإنها تحتاج إلى مفسِّر مقالي يتمثل في صلة الموصول، والثاني يكون ذهني، ويتمثل في معرفة المخاطب بمضمون الصلة، حيث تعمل جملة الصلة على تعريف المخاطب بما كان معلوماً عنده قبل ذكر الموصول

بأنه يتصف بمضمون الصلة نحو قولك: رأيت الذي سرق البيت، فالاسم الموصول في هذه الحالة لا يمكن أن يتعرف إلا إذا كان لدى المخاطب علم بحادث السرقة، ويشترك الاسم الموصول في هذا مع الضمير في أن ما يفسّرهما يجب أن يكون معلوماً عند المخاطب قبل ذكرهما، لهذا يعتبر الموصول مع صلته بمنزلة الاسم الواحد أو الضمير[٧٦]، ويطلق عليه بعضهم تسمية ضمائر الموصول، وأنه يشترك مع التعبيرات الإشارية الأخرى في وظيفة الإشارة والمرجعية[٧٧]، وما نلحظه في هذا الحديث هو خير مثال لما ذكرناه، فالمشير الموصولي (الذي) في قوله (ع): (لما حضره الذي حضره) لا يمكن أن يستغني عن صلته التي تليه والمتمثلة في الجملة الفعلية، وإنه بمعيتها يحيلان إلى المرجع أو المفسر المقامي غير المذكور في السياق اللغوي، والذي سوغ عدم ذكره من قبل المتكلم هو حضوره الذهني لدى المخاطب، وبذلك فقد تعاضد مفسِّران أحدهما ذهني مقامي والآخر لغوي مقالي على تمكين المتكلم من عدم ذكر اللفظ المحظور وهو(الموت)، والذي يمثل مرجعاً للعنصر الإشاري (الذي)، وكذلك على مساعدة المخاطب من أجل فهم المقصود من الاستعمال الإشاري وإزالة الإبهام .

- وجاء عن قتيبة الأعشى أنه قال: «أتيت أبا عبد الله (ع) أعود ابناً له، فوجودته على الباب فإذا هو مهتمّ حزين، فقلت: جعلت فداك، كيف هو الصبي ؟ فقال (ع): (والله إنه لما به)، ثم دخل فمكث ساعة ثم خرج إلينا قد أسفر وجهه وذهب التغير والحزن، قال فطمعت أن يكون وقد صلح الصبي فقلت: كيف الصبي جعلت فداك ؟ فقال (ع): (قد مضى لسبيله ...)»[٧٨]، إن من القواعد الاجتماعية العرفية للمتكلم في بعض المجتمعات كراهية التصريح بذكر الأمراض أمام مخاطبيه؛ وذلك لما له من أثر نفسي سلبي على المتلقي، ويعتبر الخوف من المرض من الأمور التي تبعث على الألم والحزن والشعور بالخطر، وهذا بطبيعة الحال يلقي بظلاله على العامل النفسي لدى

الانسان، مما يجعله يسلك سلوكاً معيناً للاحتماء، حيث يعدل المتكلم عن ذكر المخوف منه باعتباره من المحظورات ويكتفي بالإشارة إليه، مع اطمئنانه بامكانية إبلاغ مقاصده وفهمها[٧٩]، وذلك مراعاة منه لأثرها النفسي على المتلقي وتماشياً مع العرف الاجتماعي السائد، وهذا ما لمسنا له آثاراً في الأحاديث الشريفة عند الأئمة من أهل البيت (ع).

إنّ حديث الإمام (ع) في هذا المقام يمثل أنموذجاً لتجنب هذا المحظور اللغوي الاجتماعي وتلطيف الكلام، والوسيلة إلى ذلك هي اعتماده على الاستدلال الإشاري بالمشير الموصولي (ما)، وأعانه على ذلك معرفة المتلقي بملابسات المقام المتمثلة بمرض ابن الإمام (ع)؛ لأن سؤال الرجل للإمام (ع) (كيف الصبي؟) مبني على معرفة بوجود شخص مريض هو ابن الإمام (ع)[٨٠]، وكان جوابه (ع) (لما به) أي «ملكه الأمر الذي هو متلبس به، وإيراد (ما) هنا للتفخيم والتبهيم، نحو قوله تعالى: ((فغشيهم من اليمّ ما غشيهم)) طه:٧٨ ، وإيراد (اللام) لعلّه لبيان أنه قد أخذه المرض الذي معه، فلا يمكن أخذه منه، فكأنه صار ملكه»[٨١]، وبهذا يكون الإمام (ع) قد أوصل رسالته إلى متلقيه تلميحاً وبطريقة لطيفة، وكذلك المتلقي يكون قد فهم المقصود، وكان للكفاءة اللغوية والكفاءة التأويلية (التداولية) بين طرفي الخطاب دور كبير في إنجاح العملية التخاطبية وبلوغ الفائدة منها .

-وجاء عن الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) في رجل نسي أن يقصر من شعره وهو حاجّ حتى ارتحل من منى؟ فقال (ع): ((ما يعجبني أن يلقي شعره إلا بمنى، وفي قول الله عز وجلّ: ((ثم ليقضوا تفثهم)) الحج :٢٩ ، قال (ع): هو الحلق ، وما في جلد الإنسان))[٨٢]، مما نلحظه في هذا الحديث هو استعمال العنصر الإشاري (ما) في قوله : ((ما في جلد الإنسان))، ولم يذكر المتكلم المرجع المشار إليه بشكل صريح، والمراد بمرجع هذا المشير الموصولي هو مضمون (التفث)،

والـذي لم يُـصرَّح بمضمونـه حتـى في الاسـتعمال القـرآني، وقـد مثـل بـدوره غايـة في مراعـاة اللامسـاس وتهذيـب الخطـاب، فالمرجـع المقصـود بـ (مـا) هـو الوسـخ والـدرن مطلقـاً بـما في ذلـك قـص الأظفـار والشـارب وحلـق الـرأس والعانـة والإبـط ومـا إلى ذلـك، و(في) التـي في جملـة الصلـة بمعنـى (عـلى) أي مـا عـلى ظاهـر بشرتـه مـن الوسـخ والـدرن وغـير ذلـك[٨٣]، حيـث تمثـل جملـة الصلـة قرينـة للموصـول تعمـل عـلى شرح المقصـود بـه؛ لأن «ضمـير الموصـول قـد يصـف اسـماً ظاهـراً متقـدم الرتبـة واللفـظ فيكـون الظاهـر مرجعـاً لـه، وقـد لا يصـف ظاهـراً فتكـون الصلـة أيضـاً للمقصـود بالموصـول فهـي تحـدده، كـما تحـدد الصفـة الموصـوف أي كـما يتحـدد المنعـوت بالنعـت»[٨٤]، وهـذا الأخـير هـو مـا يتمثـل في هـذا الحديـث الشريـف مـن حيـث ضمـير الموصـول وصلتـه، ودورهمـا في تحديـد المقصـود بالموصـول وبيانـه للمتلقـي ممثـلاً بالمرجـع المقامـي غـير المذكـور والـذي أشرنـا إليـه، وذلـك لغـرض ضبـط الألفـاظ وصيانتهـا مـن اللفـظ المبتـذل، وقـد لاحظنـا ذات التوجـه مـن حيـث طبيعـة الاسـتعمال اللغـوي وتهذيبـه بـين القـرآن الكريـم والحديث الشريـف .

-روي عـن الإمـام محمـد بـن عـلي الباقـر (ع) عندمـا سـأله أحدهـم هـل يكـون الجـماع مكروهـاً في وقـت مـن الأوقـات ؟ فقـال الإمـام (ع) : ((نعـم ، مـا بـين طلـوع الفجـر إلى طلـوع الشـمس، ومـن مغيـب الشـمس إلى مغيـب الشـفق، وفي اليـوم الـذي تنكسـف فيـه الشـمس، وفي الليلـة التـي ينخسـف فيهـا القمـر ... ولقـد بـات رسـول الله (ص) عنـد بعـض أزواجـه في ليلـة انخسـف فيهـا القمـر، فلـم يكـن منـه في تلـك الليلـة مـا كان يكـون منـه في غيرهـا حتـى أصبـح، فقالـت لـه: يـا رسـول الله ، ألبغـض كان منـك في هـذه الليلـة ؟ قـال: لا ، ولكـن هـذه الآيـة ظهـرت في هـذه الليلـة ...))[٨٥]، فقـد اشـتمل هـذا الحديـث الشريـف عـلى عـدد مـن التعبـيرات الإشـارية المختلفـة، ولكـن مـا يعنينـا في هـذا المقـام هـو (مـا) الموصولـة في (فلـم يكـن منـه في تلـك الليلـة مـا كان يكـون منـه في غيرهـا)،

حيث تعتبر الموصولات من جملة التعبيرات الإشارية (المبهمات)، فالموصولات «ضرب من المبهمات، وإنما كانت مبهمة لوقوعها على كل شيء من حيوان وجماد وغيرها، كوقوع (هذا) و(هؤلاء) ونحوهما من أسماء الإشارة على كل شيء»[٨٦]، وبهذا فإنها تعتبر من العناصر الإشارية التي ممكن أن يشار بها إشارة حسية إلى الموجودات حولك، وكذلك إشارة ذهنية إلى ما هو معلوم لدى المخاطب مثلها مثل أسماء الإشارة، وفيما يخص (ما) الموصولة فإنها تكون بمعنى (الذي) وتحتاج إلى ما بعدها من جملة الصلة، وتستعمل للإشارة إلى ذوات ما لا يعقل، كما تستعمل للإشارة إلى صفات من يعقل[٨٧]، نحو قوله تعالى: ((ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً)) النحل:٧٣، وقوله تعالى: ((يصهر به ما في بطونهم والجلود)) الحج:٢٠، فالمشار إليه في الآية الأولى ما لا يعقل وهو (الأصنام)، أما في الآية الثانية فالمشار إليه صفة لمن يعقل، ويلجأ المتكلم إلى استعمال الإشارة بالموصولات أحياناً اعتباراً لمقام التلفظ، ومن الغايات المقامية التداولية للإشارة الموصولية هي تجنب التصريح بالمشار إليه مما هو محظور أو مستهجن[٨٨]، نحو قوله تعالى: ((وراودته التي هو في بيتها عن نفسه)) يوسف:٢٣، وهذا ما جعل الإمام (ع) يستعمل (ما) في هذا المقام دون التصريح بالمشار إليه، فضلاً عن كونه معلوماً لدى المتلقي بحسب السياق التخاطبي والمراد به (الوطي أو المواقعة)، وخصوصاً أن المقام يستوجب الترفع والتنزه في الخطاب؛ لأنه في معرض الحديث عن رسول الله (ص)، وبهذا فقد أظهر خطابه بصورة لطيفة ومقبولة ومؤثرة في المخاطب .

الخاتمة:

١-إنّ للنظرية التداولية دوراً كبيراً في الوقوف على ظاهرة التلطف وتحديد ملابساتها، وذلك بما تحمله من الآليات أو الأدوات التي تبحث في علاقة الملفوظ بالمقام، مع الأخذ بنظر الاعتبار التأثير والتأثر المتبادل بين اللغة ومستعمليها.

٢-تعتبر ظاهرة التلطف من الظواهر اللغوية التي لا تكاد تخلو منها أي لغة من اللغات؛ وذلك بفعل علاقة التأثير المتبادلة بين اللغة والمجتمع الناطق بها من جهة، والعادات والتقاليد السائدة في ذلك المجتمع من جهة أخرى.

٣-لقد كان للغة العربية بشكل عام والحديث الشريف للمعصومين (ع) بشكل خاص نصيب من وجود هذه الظاهرة، فالمجتمع العربي جزء من جملة المجتمعات التي شهدتها، والتراث اللغوي العربي يثبت بأن العلماء العرب القدماء قد تنبهوا إلى ذلك، ولكن لم تتبلور لهم نظرية خاصة بهذا الخصوص.

٤-اتسمت رسالة أهل البيت (ع) الإرشادية ممثلة بأحاديثهم الشريفة بمسايرة الأعراف الاجتماعية والثقافية للمجتمع، فضلاً عن اتباع منهجية القرآن الكريم، وذلك من حيث تهذيب الخطاب واجتناب المحظورات اللغوية بحسب أعراف وتقاليد تلك المجتمعات.

٥-تقف وراء اللجوء إلى التلطف واللاتصريح جملة من العوامل أو الأسباب وأهمها: العامل الديني، والعامل النفسي، والعامل الاجتماعي، والعامل اللغوي، إضافة إلى العامل السياسي، وقد تتداخل هذه العوامل مع بعضها لتدفع بالمتكلم نحو اجتناب التصريح.

٦-لقد كان العلماء العرب على معرفة بأهمية التعبيرات الإشارية (المبهمات) ودورها الدلالي ضمن سياق معين؛ نظراً لإمكانية اطلاقها على كل شيء من إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد وغيرها، ولا يمكن تحديد دلالتها إلا بأمر ما خارج عن لفظها؛ لذا أطلقوا عليها تسمية المبهمات، في حين أدخلها آخرون ضمن مباحث الكنائيات لما لها من دور في التعويض عن مرجعها المشار إليه.

٧-إنّ للتعبيرات الإشارية (المبهمات) دوراً كبيراً في خدمة العملية التخاطبية، فمن فوائدها أنها تعمل على تحفيز ذهن المتلقي للبحث عن المرجع المحال إليه لفهم واستجلاء المعنى المقصود، فهو إبهام يقود إلى الكشف والبيان وإفادة المعنى عن طريق البحث والتأويل.

٨-إنّ الإشاريات تتمتع بأهمية كبيرة على المستويين الداخلي والخارجي للخطاب، على المستوى الداخلي فعلاقاتها بالوحدات الداخلية للخطاب تجعله أكثر تماسكاً وترابطاً بين أجزاءه، أما على المستوى الخارجي فإن لها علاقات خارجية مع الأشياء الخارجية المقامية (المشار إليها)، مما يمنح الخطاب صفة الانسجام مع محيطه الخارجي ليحظى بالمقبولية.

٩-لقد كان في استعمال الإشاريات في الحديث الشريف عند المعصومين (ع) مطيّة للبعد الكنائي، فالعناصر الإشارية في التعبيرات التداولية تستعمل أحياناً لغرض المناورة في المعنى، مما يجعلها أداة يمكن تسخيرها لغرض تلطيف الكلام وتخليصه من المحظورات بالإشارة إليها دون ذكرها.

الحواشي:

١- ينظر ما التداوليات – عبد السلام إسماعيلي :١٧ ، ومبادئ التداولية – جيوفري ليتش :١٠

٢- المقاربة التداولية – فرانسواز أرمينكو :٨

٣- ينظر المصدر نفسه :٨

٤- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصرة – د. محمود أحمد نحلة :١٤

٥- ينظر: المصدر نفسه :٢٦ ، والتداولية نشأة المفاهيم والتصورات – مزايتي مريم :٢٧٤

٦- ينظر معجم مقاييس اللغة – أحمد بن فارس :٥/ ٢٥٠

٧- لسان العرب – ابن منظور (لطف) : ٩/ ٣١٦

٨- تفسير الكشاف - الزمخشري : ٦١٥

٩- ينظر المحظورات اللغوية دراسة دلالية - د. كريم زكي : ١٧

١٠- دور الكلمة في اللغة – ستيفن أولولمان :١٧٧

١١- ينظر المصدر نفسه :١٧٤

١٢- ينظر المحرم اللغوي – محمد كشاش :٢١ ، مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي – د. محمد عفيف :١٣٧

١٣- ينظر : المحظور اللغوي والمحسن اللفظي في القرآن الكريم – عصام الدين

أبــو زلال :١٧ -١٨ ، وظاهــرة التلطــف في اللغــة العربيــة والكرديــة – نهلــة حســين : ٢٠٢

١٤- معــاني القــرآن – الفــراء :٢/ ٣٦٢، وينظــر المحظــور اللغــوي والمحســن اللفظــي في القــرآن الكريــم :٦

١٥- علم الدلالة – أحمد مختار :٢٤٠

١٦- معجــم المصطلحــات اللغويــة والأدبيــة – عليــة عيــاد :٤٧

١٧- ينظــر: دور الكلمــة في اللغــة :١٧٤- ١٨٢ ، ودلالــة الألفــاظ :١٣٩- ١٤٥ ، والمحظــور اللغــوي والمحســن اللفظــي في القــرآن الكريــم:٦٥- ٧٢

١٨- ينظــر أضــواء عــلى الدراســات اللغويــة المعــاصرة – د. نايــف خرمــا :١٧٥

١٩- ينظــر النظريــة البراجماتيــة اللســانية – د. محمــود عكاشــة :٨٢

٢٠- ينظــر : آفــاق جديــدة في البحــث اللغوي المعــاصر :١٧، والمصطلحــات الأساســية في لســانيات النــص و تحليــل الخطــاب – نعــمان بوقــرة :٨٧، وتداوليــة الإشــاريات في الخطاب القــرآني – حمــادي مصطفــى: ٦٥- ٧١

٢١- المصطلحــات الأساســية في لســانيات النــص وتحليــل الخطــاب :٨٦

٢٢- التداوليــة بــين النظريــة والتطبيــق – د. جميــل حمــداوي :٢٩

٢٣- ينظــر علــم الدلالــة عنــد العــرب – عــادل فاخــوري :٢١

٢٤- ينظــر المبهــمات وخصائصهــا في النحــو العــربي – د. منــيرة محمــود الحمــد :١٦٤- ١٦٥

٢٥- كتاب سيبويه – سيبويه :٢/ ٥

٢٦- الصاحبــي في فقــه اللغــة – أحمــد بــن فــارس :٤٤٠

٢٧- نهايــة الأفــكار – ضيــاء الديــن العراقــي :١/ ٥٩

٢٨- ينظــر المبهــمات ودلالاتهــا الأســلوبية في شــعر فهــد العســكر – مطلــق محمــد مبــارك :١٣٧

٢٩- ينظــر اللغــة والمجتمــع – د. محمــود الســعران:١٣٩

٣٠- ينظــر آفــاق جديــدة في البحــث اللغــوي المعــاصر : ١٦

٣١- المصدر نفسه :١٦-١٧

٣٢- ينظــر التداوليــة بــين النظريــة والتطبيــق : ٢٨ -٢٩ ، وتحليــل الخطــاب الشــعري – محمد مفتاح :١٥١

٣٣- فعــل القــول مــن الذاتيــة في اللغــة – أوريكيــوني :٥٤

٣٤- اســتراتيجيات الخطــاب – عبــد الهــادي الشــهري: ٨٠

٣٥- ينظــر المعنــى الضمنــي في الترجمــة الأدبيــة – محمــدي بوزينــة : ٤٣-٤٤ ، وآفــاق جديــدة في البحــث اللغــوي المعــاصر :٢٣

٣٦- ينظــر المعنــى الضمنــي في الترجمــة الأدبيــة :٤٦

٣٧- ينظر مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية – صابر الحباشة : ١١٧

٣٨- ينظر استراتيجيات الخطاب :٢٩٨ ، وأنماط الإشارة ودلالة الوظيفة – د. محمد عبد الرحمن :١٨٤

٣٩- المحسنات والمحظورات اللغوية في نهج البلاغة – د. هادي نهر :١٣

٤٠- فعل القول من الذاتية في اللغة :٨٣

٤١- كتاب الكافي :١/ ٣٦٥ ، ومرآة العقول – العلّامة محمد باقر المجلسي :٣/ ٣٣٣

٤٢- ينظر المحرم اللغوي :٣١-٣٤

٤٣- ينظر مرآة العقول :٣/ ٣٣٣

٤٤- الكافي :٣/ ٩٧ ، تهذيب الأحكام – الشيخ الطوسي :١/ ١٥٩

٤٥- ينظر المشيرات المقامية في اللغة العربية – نرجس باديس :٦٧

٤٦- ينظر المحرم اللغوي :١٠٣

٤٧- كتاب الكافي : ٣/ ١٣٤ ، وكتاب الوافي – محمد محسن الفيض الكاشاني :٢٤/ ٢٥٧

٤٨- المشيرات المقامية في اللغة العربية :٦٤

٤٩- ينظر : المصدر نفسه :٦٥ ، ومقاربات تداولية في كتاب معاني القرآن للنحاس – علاء سامي :١٤

٥٠- ينظر كتاب الكافي : ٨/ ٦٨، ٧١

٥١- المصدر نفسه : ٥/ ٢٣٦ ، تهذيب الأحكام :٧/ ٢٠٢

٥٢- ينظر : استراتيجيات الخطاب :٨٠ ، وتداولية الإشاريات في الخطاب الروائي – لبنى بو خناف :٧٨

٥٣- ينظر مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية :١١٣-١١٤

٥٤- التداولية – يول :٣٣

٥٥- كتاب الكافي :٥/ ٥١٠ ، وسائل الشيعة – الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي:١٧/ ١٤٥

٥٦- علم اللغة والدراسات الأدبية – برند شبلينر :١٨٨

٥٧- ينظر تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني : ٦٧

٥٨- النص والخطاب والإجراء - ، روبرت دي بوجراند :٣٣٢

٥٩- كتاب الكافي :٧/ ٤٥٠ ، ومن لا يحضره الفقيه – أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي :٣/ ٦

٦٠- ينظر أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة :١٧٥

٦١- معنى المعنى – اوغدن وريشاردز :١٨٨

٦٢- ينظر كتاب الكافي (الهامش) :٧/ ٤٥٠

٦٣- ينظر الإشاريات في سورة الزخرف – إسراء زيدان خلف :٥١٦، والتلخيص في علوم البلاغة – القزويني :٦٢

٦٤- كتاب الكافي :٢/ ٢٧٣ ، كتاب الوافي

:٥/ ١٠١٨

٦٥- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر :١٨

٦٦- التداولية – يول :٤٠

٦٧- كتاب الكافي :٣/ ٢١ ، والاستبصار – الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي : ١/ ٥٥

٦٨- ينظر المحرم اللغوي :١٢٣

٦٩- اجتهادات لغوية – د. تمام حسان :٢٢٥

٧٠- كتاب الكافي :٥/ ٢١٤ ، الاستبصار :٣/ ١٠٤

٧١- ينظر المسكوت عنه في نهج البلاغة – فراس تركي عبد العزيز :١٠٢

٧٢- ينظر لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب - حمو الحاج ذهبية :١٠٨

٧٣- الكافي :٦/ ١١٤ ، الاستبصار : ٣/ ٢٨٧

٧٤- ينظر المشيرات المقامية في اللغة العربية :١٣٠ -١٣٢

٧٥- كتاب الكافي :١/ ٣٦٠ ، كتاب الوافي : ٢/ ٣٤٢

٧٦- ينظر المشيرات المقامية في اللغة العربية :١١٣

٧٧- ينظر تداولية الإشاريات في قصة موسى (ع) – نهلة حسين طه :٩٦٣

٧٨- الكافي :٣/ ٢١٦ ، بحار الأنوار – الشيخ محمد باقر المجلسي :٤٧/ ١٨٦

٧٩- ينظر المحرم اللغوي : ٣١

٨٠- ينظر التداولية – يول :٥٦

٨١- مرآة العقول :١٤/ ١٨٥

٨٢- كتاب الكافي : ٤/ ٥٠٤ ، ومن لا يحضره الفقيه :٢/ ٣٠٤

٨٣- ينظر كتاب الوافي :١٤/ ١٢٠٤ ، ١٢٠٧

٨٤- اللغة العربية معناها ومبناها – د. تمام حسان :١١١

٨٥- كتاب الكافي :٥/ ٥٠٥ ، من لا يحضره الفقيه :٣/ ٢٦٣

٨٦- شرح المفصل – ابن يعيش :٢/ ٣٧٢

٨٧- ينظر شرح المفصل :٢/ ٣٨٠

٨٨- ينظر مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية :١٠١

مصادر البحث ومراجعه:

القرآن الكريم .

- اجتهادات لغوية، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٧م.
- الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ)، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الحديث، قم، إيران، ط١، ١٣٨هـ.ش.
- استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية

تداوليـة، عبـد الهـادي بـن ظـافر الشـهري، دار الكتـاب الجديـد المتحـدة، بـيروت، لبنـان، ط١، ٢٠٠٤م .
•أضـواء عـلى الدراسـات اللغويـة المعـاصرة، د. نايـف خرمـا، المجلـس الوطنـي للثقافـة والفنـون والآداب، الكويـت، ١٩٧٨م .
•آفـاق جديـدة في البحـث اللغـوي المعـاصر، د. محمـود أحمـد نحلـة، دار المعرفـة الجامعيـة، مـصر، د.ط، ٢٠٠٢م .
•بحـار الأنـوار الجامعـة لـدرر أخبـار الأئمـة الأطهـار، الشـيخ محمـد باقـر المجلـسي (١١١١هـ)، تحقيـق: مؤسسـة إحيـاء الكتـب الإسـلامية، نـور وحـي، قـم، ط١، ١٣٨٨هـ .
•تحليـل الخطـاب الشـعري، د. محمـد مفتـاح، المركـز الثقـافي العـربي، الـدار البيضاء، تونـس، ط٣، ١٩٩٢م.
•التداوليـات بـين النظريـة والتطبيـق، د. جميـل حمـداوي، المغـرب، تطـوان، ط١، ٢٠١٩م .
•التداوليـة، جورج يـول (George Yule)، ترجمـة: د. قـصي العتـابي، الـدار العربيـة للعلـوم، بـيروت، لبنـان، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م .
•تفسـير الكشـاف عـن حقائـق التنزيـل وعيـون الأقـاويل في وجـوه التأويـل، لأبي القاسـم جـار الله محمـود بـن عمـر الزمخـشري (٥٣٨هـ)، اعتنـى بـه: خليـل مـأمون شـيحا، دار المعرفـة، بـيروت، لبنـان، ط٣، ٢٠٠٩م .
•التلخيـص في علـوم البلاغـة، جـلال الديـن محمـد بـن عبـد الرحمـن القـزويني الخطيـب (٧٣٩هـ)، تحقيـق: عبـد الرحمـن البرقوقـي، دار الفكـر العـربي، القـاهرة، مـصر، ط١، ١٩٠٤م .
•تهذيـب الأحـكام، للشـيخ أي جعفـر محمـد بـن الحسـن الطـوسي (٤٦٠هـ)، صححـه وعلـق عليـه: عـلي أكـبر الغفـاري، دار االكتـب الإسـلامية، طهـران، ط١، ١٣٨٦هـ - ش .
•دلالـة الألفـاظ ، د. إبراهيـم أنيـس، مكتبـة الأنجـلو المصريـة، مـصر، ط٣، ١٩٧٦م .
•دور الكلمـة في اللغـة، سـتيفن أولمـان، ترجمـة: د. كـمال محمـد بـشر، مكتبـة الشـباب، القاهـرة، مـصر، د.ت
•شرح المفصـل للزمخـشري، موفـق الديـن أبي البقـاء يعيـش بـن عـلي بـن يعيـش الموصـلي (٦٤٣هـ)، تحقيـق: د. إميـل بديـع يعقـوب، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، لبنـان، ط١، ٢٠٠١م .
•الصاحبـي ، لأبي الحسـن أحمـد بـن فـارس بـن زكريـا (٣٩٥هـ)، تحقيـق: أحمـد صقـر، مطبعـة عيسـى البـابي الحلبـي، القاهـرة، مـصر، د.ت .
•علـم الدلالـة عنـد العـرب، عـادل فاخـوري، دار الطليعـة، بـيروت، لبنـان، ط٢،

١٩٩٤م .
•علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط٥، د.ت .
•علم اللغة والدراسات الأدبية، برند شبلينر، ترجمة: محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر، القاهرة، مصر، ١٩٨٧م .
•فعل القول من الذاتية في اللغة، ك – أوريكيوني، ترجمة: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٧م .
•كتاب الكافي، لثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٩هـ)، ضبطه وصححه وعلق عليه: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٨م .
•كتاب الوافي، محمد محسن الفيض الكاشاني (١٠٩١هـ)، تحقيق: السيد ضياء الدين الحسيني، مطبعة الرسول، قم، إيران، ط١، ١٤٣٠هـ .
•كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قمبر (١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م .
•لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت .
•لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، الأمل للطباعة والنشر، المدين الجديدة، الجزائر، د.ط، ٢٠١٢م .
•اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م .
•اللغة والمجتمع، د. محمود السعران، الاسكندرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٣م .
•مباديء التداولية، جيوفري ليتش، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د.ط، ٢٠١٣م .
•المحرم اللغوي في ضوء الثقافة العربية، د. محمد كشّاش، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
•المحظورات اللغوية – دراسة دلالية للمستهجن والمحسن من الألفاظ، كريم زكي حسام الدين، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م .
•مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، د. محمد عفيف الدين دمياطي، مكتبة لسان عربي، مالنج، أندونيسيا، ط٢، ٢٠١٧م .
•مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، العلامة محمد باقر المجلسي (١١١١هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ط٢، ١٤٠٤هـ .
•المشيرات المقامية في اللغة العربية، نرجس باديس، مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠٩م .
•المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، د. نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١،

٢٠٠٩م .
•معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٣٨م
•معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، د. علية عزت عياد، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م
•معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، د.ط ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩ م .
•معنى المعنى ، أوغدن ورتشاردز، ترجمة: د. كيان أحمد حازم، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، د.ت
•مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية – قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني، صابر الحباشة، دار صفحات، دمشق، سورية، ط١، ٢٠١١م.
•المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة: د. سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط ، د.ط ، ١٩٨٦م .
•من لا يحضره الفقيه، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي (٣٨١هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٦م .
•النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٨م .
•النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)- دراسة المفاهيم والنشأة والمباديء، د. محمود عكاشة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م .
•نهاية الأفكار- تقرير أبحاث آية الله الشيخ آغا ضياء الدين العراقي (قدس)، الشيخ محمد تقي البروجردي النجفي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط٧، ١٤٣٨هـ .
•وسائل الشيعة ومستدركها، للمحدّث الفقيه الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، إيران، ط٢ ، ١٤٣٤هـ .

الرسائل والأطاريح

•المحظور اللغوي والمحسن اللفظي في القرآن الكريم – دراسة دلالية، عصام الدين عبد السلام محمد إبراهيم أبو زلال، إشراف: د. عبد المنعم تليمة، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م .
•المسكوت عنه في نهج البلاغة، فراس تركي عبد العزيز، أطروحة دكتوراه، إشراف: د. نجاح فاهم صابر العبيدي، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة كربلاء، ٢٠١٧م .
•المعنى الضمني في الترجمة الأدبية، محمدي بوزينة فائزة، رسالة ماجستير، إشراف: د.

باني عمري، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، الجزائر، ٢٠٠٦م .
•مقاربات تداولية في كتاب معاني القرآن للنحاس (٣٣٨هـ)، علاء سامي عبد الحسين، رسالة ماجستير، إشراف: د. علي فرحان جواد، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، ٢٠١٦م .
البحوث المنشورة
•الإشاريات في سورة الزخرف، أسراء زيدان خلف، مجلة زانكو بو زانسته (مجلة العلوم الإنسانية)،العراق، دهوك، المجلد٢٢، العدد٥ – ٢٠١٦م .
•أنماط الإشارة ودلالة الوظيفة، د. محمد عبد الرحمن محمد الريحاني، جامعة المنيا، مجلة علوم اللغة، المجلد الخامس، العدد٣ – ٢٠٠٢م .
•التداولية : نشأة المفاهيم والتصورات، مزايتي مريم، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي، الجزائر، العدد٨ – ٢٠١٥م .
•تداولية الإشاريات في الخطاب الروائي لإبراهيم الكوني، لبنى بوخناف، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالمة، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد٢٧ – ٢٠١٩م .
•تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني، حمادي مصطفى، جامعة الجيلالي، الجزائر، مجلة الأثر، العدد٢٦ – ٢٠١٦م .
•تداولية الإشاريات في قصة موسى (ع) في القرآن الكريم، م.م نهلة حسين طه، كلية التربية – شقلاوة، جامعة صلاح الدين، مجلة تويزر، العدد٤ – ٢٠١٩م .
•ظاهرة التلطف في اللغة العربية والكردية (عبارات الموت أنموذجا)، نهلة حسين طه، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة صلاح الدين، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، العدد ٣٤- كانون الثاني ٢٠١٩م .
•ما التداوليات، عبد السلام إسماعيلي علوي، في كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط٢، ٢٠١٤م .
•المبهمات وخصائصها في النحو العربي، د. منيرة محمود الحمد، مجلة جامعة الإمام، العدد٢٣ – ١٤١٩هـ .
•المبهمات ودلالتها الأسلوبية في شعر فهد العسكر، مطلق محمد مبارك المرشاد، حوليات آداب عين شمس، المجلد٤٤- ٢٠١٦م .
•المحظورات والمحسنات اللغوية التركيبية في نهج البلاغة، د. هادي نهر، جامعة جندارا، المملكة الأردنية .

Abstract

This research aims at clarifying personal deictic from the pragmatic contextual meanings. The concept of sign is considered one of the most important concepts that pragmatics is interested in and it exists in all languages where some words or expressions rely on the context to get their meanings and are not easy to interpret and understand without the context. This means the receivers cannot understand those expression without knowing the context where they were used. It also required knowing the references that they refer to. Since the functions of such referential expressions is to compensate the linguistic taboos and make speech nicer by stating some of the implied meanings that are difficult to state for some socio-cultural reasons and in order to make language tact. The speaker may rely on this strategy to avoid responsibility of the speech، or to by out of the blame as the case in the political side. The speeches of Ahlulbeit (PBUT) were characterized by using good meanings and expressions stemming from the Quran and prophet Mohammed's speeches and avoid the taboo languages that are inappropriate. They also tend to use softer nicer language even in their politics and they followed different ways to achieve their goals such as their use of the deictic references.

النّقد اللّغويّ في القراءات القرآنيّة، المحتسب لابن جنيّ (٣٩٢هـ) أنموذجًا

أ.م.د. سعيد إبراهيم صيهود
جامعة البصرة - كليّة التربية البدنيّة وعلوم الرّياضة
Saaedibrahim60@gmail.com

الملخّص:

يسعى هذا البحث إلى دراسة النقد اللّغويّ الموجّه إلى بعض القراءات القرآنيّة التي لا تخضع ولو بوجهٍ إلى قواعد العربيّة، وهؤلاء النقّاد هم أصحاب معاني القرآن وإعرابه كالكسائيّ والفرّاء، ومنهم من ألّف في القراءات القرآنيّة كأبي عليّ النحويّ، وابن مجاهد، وابن خالويه، وكان ابن جنيّ أبرز هؤلاء النقّاد؛ لما تميّز به منهجُه من الردود التي لا يراها صحيحةً مستقيمة، ومن ثمّ كان (المحتسب) أهمّ مصادر البحث، على أنّ أكثر نقده في القراءات انصبّ على آراء ابن مجاهد؛ وذلك لسببٍ واضح، وهو أنّ (المحتسب) إنّما هو شرح لـ (السّبعة)، وهذا كان ديدن ابن جنيّ في كتبه، فهو لا يتوانى في نقد الآراء ونقد أصحابها.

والنقد اللّغويّ للقراءات القرآنيّة عند ابن جنيّ لم يكن ذا مرجعيّة واحدة، بل كان ذا مرجعيّات متعدّدة تشمل مستويات اللّغة صوتًا كالإدغام والهمز والمدّ والتقاء السّاكنين، وبنيةً كالصِّيغة، و(فعيل) مصدرًا ونحوًا كنصب المضارع، والتأنيث وزيادة(لا)، وضمير الفصل والتنوين، ودلالةً كاستعمال الاسم الأعجميّ عند العرب، وغير ذلك.

المقدِّمة:

يقوم النّقد اللّغويّ على أساس ضبط التّعابير والأقوال منَ الأخطاء التي تتعلّق باللّغة من جوانبها الصّوتيّة والصّرفيّة والنحويّة والدِّلاليّة، وقد حرص اللّغويّون على سلامة القراءات القرآنيّة منَ الخطأ من جانب اللّغة واجتهدوا في تعليل القراءات لتطابقَ قواعد العربيّة ولو بوجهٍ منَ الوجوه، وألّفوا في القراءات السّبع المتواترة، والشّاذة، وترجموا للقرّاء وجعلوهم طبقات، وقد وجّهوا نقدًا للقراءات التي لا توافق العربيّة، بل انتقدوا أصحابها واصفين إيّاهم بمختلف العبارات كالجهل وعدم معرفة لغة العرب، وقد حاولنا استجلاء مناحي هذا النّقد اللّغويّ في القراءات تحت محورين على النحو الآتي:

أوّلًا: النّقد اللّغويّ في كتب معاني القرآن:

يضع العلماء المعنيّون بالقراءات القرآنيّة شروطًا ومقاييسَ لقبول القراءة أو رفضها، من مثل السّند الذي وردت عليه القراءة، ومطابقة القراءة ولو بوجهٍ واحد من وجوه اللّغة صوتًا وبنيةً وتركيبًا ودلالةً، وهو السّبب الذي دعاهم إلى التأليف في القراءات ورواياتها وأسانيدها، يقول ابن الجزريّ بعد أن ذكر مجموعة منَ القرّاء: (ثمّ إنّ القرّاء بعد هؤلاء المذكورين كثروا، وتفرّقوا في البلاد وانتشروا، وخلفَهم أُممٌ بعد أمم، عرفتْ طبقاتهم، واختلفتْ صفاتهم؛ فكان المتقن للتّلاوة، المشهور بالرّواية والدّراية، ومنهم المقتصر على وصفٍ من هذه الأوصاف، وكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقلّ الضّبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحقِّ، فقام جهابذة علماء الأمّة، وصناديد الأئِمّة، فبالغوا في الاجتهاد، وبيّنوا الحقَّ المراد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعَزوا الوجوه والرّوايات، وميّزوا بين المشهور والشّاذ، والصّحيح والفاذّ، بأصول أصّلوها، وأركان فصّلوها)[1] والذي يفهم من كلامه أنّ ثمّة قراءات صحيحة لا اختلاف عليها، وثمّة قراءات غير صحيحة ولا يمكن قبولها لمخالفتها المقاييس التي

وضعوها ممّا لا يتناسب مع أنظمة اللّغة كالإعراب والدّلالة واللّغة وغيرها.

ونجد النحّاة يقفون موقفًا متشدِّدا منَ القرّاء وقراءاتهم، وهو ما ألمح إليه الدكتور فاضل السّامرّائيّ في قوله: (غير أنّ موقف النحّاة ولا سيّما البصريين غريبٌ في بابه فهم يُلحِّنون ويُضعِّفونَ قسمًا منَ القراءات التي لا تُوافق أقيستهم ومذهبهم، فالقراءة الثابتة الموصولة هي الحجّة لا أقيسة النحّاة، وينبغي أن تكون أقيسة وراءها لا أمامها ولكنّ ذلك لم يكن بل وقفوا منها موقفَ الناقد الرادِّ لقسم منَ القراءات المضعَّف للقسم الآخر الملحَّن لطائفة أخرى)[٢].وهذا ما نراه واضحًا عند أبي الطيّب اللّغويّ، فقد حمل حملةُ شعواءَ على القرّاء ووصفهم بالجهل وخطّأهم في كثير منَ المواضع، ولا سيّما علماء الكوفة كالكسائيّ الذي يقول فيه نقلًا عن أبي حاتم: (لم يكن لجميع الكوفيين عالمٌ بالقرآن ولا كلام العرب ولو لا أنّ الكسائيّ دنا منَ الخلفاء فرفعوا من ذكره لم يكن شيئًا، وعمله مختلطٌ بلا حجج ولا علَلَ إلّا حكايات منَ الأعراب مطروحةً؛ لأنّه كان يلقنهم ما يريد وهو على ذلك أعلم الكوفيين بالعربيّة والقرآن وهو قدوتهم وإليه يرجعون)[٣]. وفي هذا الكلام كما هو واضح حطٌّ من مكانة الكسائيّ ومنزلته في علم العربيّة، بل هو نقدٌ لمكانة الكوفيين وعلومهم في العربيّة.

ومن ذلك أيضًا ما قاله عن حمزةَ الزيّات القارئ من عدم معرفته بالعربيّة ولا كلام العرب، قال: (أهل الكوفة يتّخذونه إمامًا معظّمًا مقدَّمًا وليس يُحكى عنه شيءٌ منَ العربيّة وإنّما هو صاحب قراءة، وأمّا عند البصريين فلا قدرَ له، حدّثنا جعفر بن محمد قال: حدّثنا إبراهيم بن حُميد قال: أخبرنا أبو حاتم قال: سألت عن حمزةَ أبا زيد والأصمعيّ ويعقوب الحضرميَّ وغيرهم منَ العلماء فأجمعوا على أنّه لم يكن شيئا، ولم يكن يعرف كلام العرب ولا النحو ولا كان يدّعي ذلك، وكان يلحن في القراءات القرآنيّة ولا يعقله (وَمَا أَنْتُم بِمُصْرِخِيَّ)[٤] بكسر الياء الشّديدة وليس ذلك من كلام العرب ونحو هذا منَ القراءة، في

حين أنّ حمزة كان يقول: ما قرأت حرفًا من كتاب الله إلّا بأثر)[٥]

ونجد موقفًا مشابهًا لهذا الموقف منَ الزيّات وقراءاته عند الذّهبيّ الذي يرى أنّ قراءة حمزة الزيّات بدعةٌ، ونقل عنِ القاضي أبي يعلى الحنبليّ كراهية قراءة حمزة والإدغام ولا يُصلّى خلف من يقرأ بها[٦]. وهو في هذا النقد لم يُحدّد قراءة معيّنة، بل كان نقدُهُ موجّهًا إلى القارئ بصورة عامّة.

ومن ذلك ما قاله المازنيّ عن نافع بن نعيم في قراءة قوله تعالى: (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ)[٧] بالهمز، قال: (فأمّا قراءة مَن قرأ من أهل المدينة (مَعَائِشَ) بالهمز فهي خطأ فلا يُلتفت إليها، وإنّما أخِذَت عن نافع بن نعيم، ولم يكن يعرف ما العربيّة، وله أحرفٌ يقرأها لحنًا نحوًا من ذلك)[٨]. وفيه نقدٌ للقارئ قبل أن يكون نقدًا للقراءة ما يؤكّد أنّ النحّاة كان لهم موقفٌ متشدّد ومتزمّت منَ القراء وقراءاتهم إلّا ما صحّ منها ممّا يرونه موافقًا لمقاييسهم في اللّغة وقواعدها.

وقد أفرد ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل إعراب القرآن) بابًا للردّ على من أشكل على القرآن سمّاه (باب ما ادّعي على القرآن منَ اللّحن) فدافع فيه عن كلّ موضع وجدوه مُخالفًا بزعمهم العربيّة أو يُخالف موضعًا آخرَ منَ القرآن، وانتقد كذلك بعض القراءات التي ليس لها وجهٌ في العربيّة على أنّه لم يسمِّ القارئ باسمه، فقال: (وكذلك لحن اللّاحنين منَ القرّاء المتأخّرين، لا يُجعل حجّةً على الكتاب.. ثمّ خلف قومٌ بعد قومٍ من أهل الأمصار وأبناء العجم ليس لهم طبعُ العربيّة، ولا علم التكلّف، فهفوا في كثير منَ الحروف وزلُّوا وقرأوا بالشّاذّ وأخلّوا)[٩] ثمّ يصف قراءة أحد القرّاء بالاضطراب والتخليط والافراط في المدّ والهمز (منهم رجلٌ ستر الله عليه عند العوام بالصلاح، وقرّبه منَ القلوب بالدّين، لم أرَ فيمن تتبّعت وجوه قراءته أكثر تخليطًا، ولا أشدّ اضطرابًا منه؛ لأنّه يستعمل في الحرف ما يدعه في نظيره، ثمّ يؤصّل أصلًا ويُخالف إلى غيره لغير ما علّة، ويختار في كثير منَ الحروف ما لا مخرجَ له إلّا على

طلب الحيلة الضّعيفة)[١٠] ويُفهم من هذا أنّ قبول القراءة عنده مشروطٌ بمطابقتها وجهًا شائعًا من وجوه العربيّة، لا وجهًا ضعيفًا، كما انتقد القراءات التي تُبالغ في وجوه العربيّة منَ الإشباع والإدغام وما يصعب على المتعلّم، (هذا إلى نبذه في قراءته مذاهب العرب وأهل الحجاز، كإفراطه في المدّ والهمزة والإشباع، وإفحاشه في الإضجاع والإدغام، وحمله المتعلّمينَ على المركب الصّعب، وتعسيره على الأمة ما يسّره الله، وتضييقه ما فسّحه، ومنَ العجب أنّه يُقرئ النّاس بهذه المذاهب، ويكره الصّلاةَ بها، ففي أيّ موضعٍ تستعمل هذه القراءتان كانت الصّلاة لا تجوز بها؟)[١١].

ولا بدّ منّ الإشارة هنا إلى أنّ النّقد اللّغويّ لم يكن موجّهًا للقرآن الكريم، فقد تكفّل الله سبحانه وتعالى بحفظه، وإنّما كان النّقد منصبًّا على بعض القراءات القرآنيّة الشّاذة وغير الصّحيحة، ولم يقفِ الأمر عند ذلك الحدّ، بل نجد بعض العلماء ينتقدون أصحاب سند القراءة، وينتقدون كذلك كلّ من يقرأ بتلك القراءة، ويمكن أن نشير إلى أبرز العلماء الذين كان لهم موقفٌ نقديّ منَ القراءات غير الصّحيحة-في نظرهم- وهؤلاء النّقاد هم الذين عُنوا بالقراءات القرآنيّة ممّن كتب في معاني القرآن وإعراب القرآن وكذلك من ألّف في القراءات القرآنيّة، منهم مثلًا:

١-معاني القرآن للكسائيّ (ت ١٨٩هـ):

اشتهر الكسائيّ بالنحو، فقد قال فيه أبو بكر الأنباريّ: (اجتمعت في الكسائيّ أُمور: كان أعلمَ النّاس بالنّحو وأوحدهم بالغريب، وكان أوحد النّاسِ بالقرآنِ، فكانوا يكثرون عليه حتى يُضطرَّ أن يجلسَ على كرسيّ ويتلو القرآن من أوّله إلى آخره، وهم يسمعون منه ويضبطون عنه)[١٢]. إلّا أنّنا نجد موقفًا مغايرًا لهذا الرّأي وهو ما مرّ بنا سابقًا من انتقاد أبي الطّيب اللّغويّ للكسائيّ بل جلّ علماء المدرسة الكوفيّة، ولا بأسَ من إعادته هنا، يقول فيما نقله عن أبي حاتم: (لم يكن لجميع الكوفيين عالمٌ بالقرآن ولا كلام العرب ولولا أنّ الكسائيّ دنا منَ الخلفاء فرفعوا

من ذكره لم يكن شيئًا، وعمله مختلطٌ بلا حجج ولا علل إلّا حكايات منَ الأعراب مطروحةً؛ لأنّه كان يلقنهم ما يريد وهو على ذلك أعلم الكوفيين بالعربيّة والقرآن وهو قدوتهم وإليه يرجعون)[١٣]. فهو يرى أنّ سبب شهرته هو قربه منَ الخلفاء ورفعهم إيّاه، وهذا يبدو تناقضًا منَ الأنباريّ، فكيف يكون عالمًا بالعربيّة والقرآن وأعلم الكوفيين ثمّ لا يكون شيئًا؟

وقدِ اشتهر الكسائيّ بالقراءات القرآنيّة فكان أحد القرّاء السّبعة ووضعه أصحاب التراجم في طبقات القرّاء، فضلًا عن أنّه رأس المدرسة الكوفيّة في النحو؛ لهذا لم نجد له نقدًا لقراءة قرآنيّة،

٢-معاني القرآن للفرّاء (٢٠٧هـ):

يحدّد الفرّاء القراءة الصّحيحة والمقبولة بما أجمع عليه القرّاء وما جاء به الكتاب، وتتردّد عنده عبارات ينتقد فيها بعض القراءات كالشّاذّة، والضّعيفة، أو لست أشتهي ذلك، أو لا أحبّ ذلك وغيره، يقول في زيادة حرف ليس موجودًا فيما عليه القرّاء: (ولست اشتهي ذلك ولا آخذ به، اتّباع المصحف إذا وجدت له وجهًا من كلام العرب وقراءة القرّاء أحبُّ إليّ من خلافه، وقد كان أبو عمرو يقرأ: (إنّ هذينِ لَسَاحِرَانِ)[١٤] ولست أجترئ على ذلك، وقرأ: (فَأَصَّدَّقَ وَأَكُونَ)[١٥] فزاد واوًا في الكتاب، ولست استحبّ ذلك)[١٦]. ولا شكَّ أنّ هذا نقدٌ لهذه القراءة؛ لأنّها لم تكن مطابقة لما عليه جمهور القرّاء.

ومنه قراءة قوله تعالى: (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ)[١٧] بالعطف، أي أنتم وشركاؤكم، قال: (ولست أشتهيه لخلافه للكتاب؛ ولأنّ المعنى فيه ضعيفٌ، لأنّ الآلهةَ لا تعمل ولا تُجمع)[١٨] وهو إنّما يرى ذلك أخذًا بالقاعدة النحويّة التي تجعل العطف على نيّة تكرار العامل، وهذا لا يتناسب مع المعنى الذي أرادته الآية الكريمة.

ومن عباراته في النقد اللّغويّ القبح في العربيّة أي من جانب اللّغة وهو ما وصف به قراءة جرّ الأرحام من قوله تعالى: (وَتَّقُوا اللهَّ الذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ)[١٩] قال: (وفيه قبحٌ؛ لأنّ العربَ لا

تـردّ مخفوضًـا عـلى مخفـوضٍ وقـد كُنِّـيَ عنـه... وإنّـما يجـوز ذلـك في الشِّـعر لضيقـه)[٢٠] وهـذا نقـدٌ مـن جانـب النحـويّ، والقاعـدة النحـويّ تـرى أنّـه لا يجـوز العطـف عـلى الضّمـير المجـرور.

ومنـه تذكـير الفعـل إذا جـاء فاعلـه مؤنّثًـا بعـد (إلّا) فقـال في قـراءة (تُـرى) و(تَـرى) مـن قولـه تعـالى: (فَأَصْبَحُـوا لَا يُـرَى إِلّا مسَـاكِنُهُمْ)[٢١]: (وفيـه قبـحٌ في العربيّـة؛ لأنّ العـربَ إذا جعلـت فعـل المؤنّـث قبـل إلّا ذكّـروه، فقالـوا: لم يقـم إلّا جاريتُـك، ومـا قـام إلّا جاريتُـك، ولا يـكادون يقولـون: مـا قامـت إلّا جاريتُـك؛ وذلـك أنّ المـتروك أحـدٌ، فأحـد إذا كانـت لمؤنّـث أو مذكّـر ففعلهـا مذكّـر، ألا تـرى أنّـك تقـول: إن قـام أحـدٌ منهـنّ فاضربـه، ولا تقـل: إن قامـت إلّا مسـتكرهًا)[٢٢] وهـذا النقـد اللّغـوي اسـتند فيـه الفـرّاء إلى قاعـدة نحويّـة ومـا قالـت العـرب في التأنيـث.

ومـن عباراتـه النّقديّـة المتعلّقـة بالإعـراب الوهـم، قـال في قـراءة قولـه تعـالى: (..وَمَـا أَنْتُـمْ بِمُصْرِخِـيَّ)[٢٣] بكسـر يـاء المتكلّـم: (ولعلّهـا مـن وهـم القـرّاء طبقـة يحيـى فإنّـه قـلّ مـن سـلم منهـم مـنَ الوهـم، ولعلّـه ظـنَّ أنّ البـاء في (بِمُصْرِخِـيّ) خافضـة للحـرف كلِّـه)[٢٤]. وهـو هنـا ينتقـد القـراءة والقـرّاء بالوهـم، وهـو نقـدٌ يرتبـط بالجانـب النّحـويّ، فالضّمـير يكـون مبنيًّـا ولا يتغـيّر بتغـيّر الإعـراب.

وممّـا ورد في كتابـه الوهـم واللّحـن في القـراءة وهـو مـا نقلـه عـنِ الأعمـش أنّـه قـال: (كنـت عنـد إبراهيـم النّخَعيّ وطلحـةُ بـن مـصرِّف يقـرأ: (قَـالَ لِمَـنْ حَوْلَـهُ أَلَا تَسْـتَمِعُونَ)[٢٥] بنصـب الـلّام مـن (حَوْلَـهُ) فقـال إبراهيـم: مـا تـزال تأتينـا بحـرفٍ أشـنعَ، إنّـما هـي (قَـالَ لِمَـنْ حَوْلِـهِ) قـال: قلـت: لا، إنّـما هـي (حَوْلَـهُ، قـال فقـال إبراهيـم : يـا طلحـةُ كيـف تقـول؟ قـال كـما قلـت: (لِمَـنْ حَوْلِـهِ) قـال الأعمـش: قلـت: لحنتـما لا أجالسـكما اليـوم)[٢٦] وهـذا نقـدٌ مـن الجانـب النحـويّ اسـتند فيـه الفـرّاء إلى قاعـدة الإعـراب والبنـاء في الأسـماء.

وممّـا نسـبه إلى اللّحـن قـراءة (نُجِّـي) بنـون واحـدة مـن قولـه تعـالى: (وَكذلِـكَ نُجِّـي الْمُؤْمِنِـينَ)[٢٧] وهـي مكتوبـة بنـون واحـدة وتقـرأ بنونـين،

قال: (كأنّه احتمل اللّحن ولا نعلم لها جهةً إلّا تلك؛ لأنّ ما لم يسمَّ فاعلُه إذا خلا باسمٍ رفعهُ)[٢٨] فهو هنا لم يجد للقراءة وجهًا من اللّغة صحيحًا فنسبها إلى اللّحن.

وقد ينسب الفرّاء القراءة أو القارئ إلى الغلط والظّنّ وهو ما وصف به رفع الشّياطين بالواو من قراءة الحسن قوله تعالى: (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ)[٢٩] فقرأ (الشّيَاطُونَ)، قال: (وكأنّه من غلط الشّيخ ظنَّ أنّه بمنزلة المسلمين والمسلمون)[٣٠]. كما قد ينسب الغلط إلى العرب كهمز غير المهموز ما جعله يرفض القراءة كهمز (رَبَتْ) أي: رَبَأتْ من قوله تعالى: (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ)[٣١]، قال: (فإن كان ذهب إلى الربيئة الذي يحرس القوم فهذا مذهب، أي ارتفعت حتى صارت كالموضع للربيئة، فإن لم يكن أراد من هذا فهو من غلط قد تغلطه العرب فتقول: حلّأت السّويق، ولبَّأت بالحجّ، ورثّأت الميّت،... وهو ممّا يرفض من القراءة)[٣٢]

ونجد نقد الفرّاء لا يقف عند القراءات غير الصّحيحة، بل امتدّ إلى الآراء التي لا تتلاءم مع مقتضيات اللّغة، فمن ذلك تخطئته أهل الكلام الذين يرون أنّه (إذا اجتمع لهم أحمق وعاقل لم يستجيزوا أن يقولوا: هذا أحمق الرّجلين ولا أعقل الرّجلين، ويقولون لا نقول: هذا أعقل الرّجلين إلّا لعاقلين تفضّل أحدهما على صاحبه، وقد سمعت قول الله: (أَصْحَابُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا)[٣٣] فجعل أهل الجنة خيرًا مستقرّا من أهل النار، وليس في مستقرّ أهل النار شيء منّ الخير فاعرف ذلك من خطئهم)[٣٤]. وهذا نقدٌ نحويّ اعتمد فيه على دلالة أفعل التفضيل من جواز المفاضلة بين المختلفين والمتشابهين.

وبذلك يمكن القول إنّ النقد اللّغويّ عند الفرّاء كان ذا مرجعيّة لغويّة ولا سيّما الجانب النحويّ مستدلّا على ذلك بكلام العرب وقواعد العرب التي وضعها النحويّون.

٣-معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (٣١١هـ):

ممّن اشتهر بنقد القراءات القرآنيّة

غير الصّحيحة، والصّحة عنده تقوم على أساس السّند ومطابقة قواعد اللّغة العربيّة كما مرّ عند ابن مجاهد، يقول في قراءة الإتباع من قوله تعالى: (الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ) [٣٥] بكسر الدّال إنّ هَذا جائز في اللّغة وغير جائز في القرآن، فلا يجوز فيه إلّا الرّفع؛ (لأنّ السّنّة تتّبع في القرآن، ولا يُلتفت فيه إلى غير الرّواية الصّحيحة التي قد قرأ فيها القرّاء المشهورون بالضّبط والثّقة، والرّفع القراءة،...وإنّما تشاغلنا نحن برواية هذا الحرف لنحذّرَ النّاس من أن يستعملوه، أو يظنّ جاهلٌ أنّه يجوز في كتاب الله عزّ وجلّ، أو في كلام، ولم يأتِ لهذا نظيرٌ في كلام العرب ولا وجه له)[٣٦]. فهو يشدّد على القراءة الصّحيحة ويصف من يقرأ بغيرها ممّا هو شاذّ بأنّه جاهل، وهو نقدٌ مبنيّ على عدم مطابقة القراءة لقواعد العربيّة، وإن كان اللّغويّون قد أشاروا إلى وجود هذا الاستعمال في كلام العرب وهو ما سمّوه بالإعراب على المجاورة أوِ الإتباع، فلا معنى لقوله إنّه لم يأتِ في كلام العرب ولا وجهَ له.

ومن ذلك نقده القراءات التي تعارض بوجهٍ منَ الوجوه قواعد الإعراب كما في قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا) [٣٧] قرأ أبو جعفر بضمّ التّاء وهو من أهل الثّبت في القراءة (إلّا أنّه غلط في هذا الحرف؛ لأنّ الملائكة في موضع خفض، فلا يجوز أن يرفعَ المخفوض ولكنّه شبّه تاء التأنيث بكسر ألف الوصل؛ لأنّك إذا ابتدأت قلتَ اسجُدوا، وليس ينبغي أن يقرأ القرآن بتوهُّم غير الصّواب) [٣٨]. وهو هنا يشير إلى التعارض الحاصل بين ما يؤدّيه التقاء السّاكنين من إخلال في الإعراب ممّا لا يجوز عنده.

ثانيًا: النقد اللّغويّ في كتب القراءات القرآنيّة:

لعلّ أبرز كتب القراءات القرآنيّة التي نلحظ فيها النّقد اللّغويّ واضحًا وجليًّا ما يأتي:

١-السّبعة في القراءات لابن مجاهد (٢٤٥هـ):

وهو صاحب كتاب (السّبعة في القراءات)، وكان يعتمد في قبول القراءة مطابقتها لخطّ المصحف

العثمانيّ، وصحّة سندها، وموافقتها لقواعد العربيّة ولو بوجهٍ واحد، ولعلّ موقفَه من ابن شنّبوذ يوضّح مذهبه النّقديَّ في ذلك، فقد كان ابن شنّبوذ يقرأ بالقراءات الشّاذة، فمن ذلك قوله تعالى: (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)[٣٩] بإبدال (أمامهم) مكان (وراءهم) و إضافة (صالحة) بعد (سفينة)، وقد حاول ابن مجاهد منعه من ذلك وإرجاعه إلى الصّواب ولكنّه أصرّ على خطئه[٤٠]. وواضحٌ أنّ السّبب في ذلك هو عدم مطابقة القراءة للرّسم الموجود في القرآن الكريم والذي عليه أكثر القرّاء.

والموقف الآخر كان مع ابن مقسم العطّار الذي يرى أنّ كلّ ما صحّ ولو بوجه واحد منَ العربيّة يجوز القراءة به في الصّلاة وغيرها، فمن ذلك قوله تعالى: (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَرَجُوا نَجِيًّا)[٤١] فكان يقرأ: (خَلَصُوا نُجَبَاء)، ولا معنى لنجابة إخوة يوسف مع يأسهم منه، وإنّما المعنى خرجوا يتناجون بينهم ويتشاورون، (وله كثيرٌ من هذا الجنس من تصحيف الكلمة واستخراج وجه بعيد لها مع كونها لم يقرأ بها أحد)[٤٢]، فما كان منِ ابن مجاهد إلّا أن يرفعَ أمره إلى الحكّام وولاة الأمر ليردّوه عن ضلاله[٤٣]. وهذان الموقفان منِ ابن مجاهد يبرهنان على حرصه في اختيار القراءات القرآنيّة الصّحيحة ورفضه أيّ قراءة لا تنطبق عليها الشّروط التي وضعها.

ولعلّ أبرز العبارات التي تتكرّر في النّقد اللّغويّ للقراءات القرآنيّة عند ابن مجاهد هي الغلط في العربية، والوهم، أو لا وجهَ له أو ليس بشيء، أو هو رديء جدًا وليس من كلام العرب، فمن ذلك ما يراه من أنّ الدّال والتّاء لا يجوز فيهما إلّا الإدغام ولا يجوز الإظهار كقوله تعالى: (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ)[٤٤]، وكذلك التّاء في الطّاء لا يجوز فيهما إلّا الإدغام، كقوله تعالى: (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ)[٤٥]، قال ابن مجاهد: (على انّ ابن المسيّبيّ قد روى عن أبيه (قد تَبيَّن) بإظهار الدّال عند التّاء، وهذا ممّا أخبرتك أنَّ إظهاره خروجٌ من كلام العرب، وهو رديء جدًّا لقرب الدّال منَ التّاء وأنّهما بمنزلة

واحدة فثقل الإظهار)[٤٦]. ولا شكَّ في أنَّ وصف القراءة بأنها ليست من كلام العرب أو هي رديئة جدًّا نقدٌ لغوي يرتبط بعلم الأصوات منَ الإدغام والإظهار.

وقد حاول ابن مجاهد أن يجدَ وجهًا صحيحًا للقراءة القرآنيّة بعد أن يبيّن خطأها وعلّة مخالفتها للقراءة التي عليها القراء كما في قوله تعالى: (ثُمّ ائْتُوا صَفًّا)[٤٧]، فقد قرأ ابن كثير بكسر الميم وبغير همز وياء، قال: (وهذا غلطٌ؛ لأنّه كسر الميم من (ثمَّ) وحظُّها الفتحُ، ولا وجهَ لكسرها؛ وإنّما أراد ابن كثير أن يتّبع الكتاب، فلفظ بالياء بعد فتحة الميم التي خلفتِ الهمزة)[٤٨]. فقد غلّط القراءة أوّلًا فيما يتعلّق بالهمز ثمّ التمس لها حجّةً أو وجهًا من وجوه العربيّة، ولا يبعد أن يكون ابن مجاهد أراد أن الخطأ في الرواية عنِ ابن كثير وليس في القراءة كما يرد عنه الكثير في ذلك فهو في الغالب يُخطِئ الرواية ولا يخطِئ القارئ.

٢-إعراب القراءات القرآنيّة وعللها، وإعراب ثلاثين سورة منَ القرآن الكريم لابن خالويه (ت٣٧٠هـ):

يبين ابن خالويه موقفه منَ القراءات على أساس ورودها عن الرّسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، قال: (ومتى ما صحّ الشيء عن النبيّ (ص) لم يحلّ للنحويّ ولا غيره أن يعترض عليه)[٤٩]، أو ما ورد عنِ أئمّة القراءات فلا تقبل إلّا على ذلك، فعنده (أنّ القراءة سنّةٌ لا تُحمل على قياس العربيّة إنّما يتبع به الأئمّة)[٥٠].لذلك نجده يحاول جاهدًا الدّفاع عن القراءات القرآنيّة وإيجاد تعليل مناسب لها وعدم الطّعن في أئمّة القراءات وتخطئتهم، فمن ذلك قراءة قوله تعالى: (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ...)[٥١] بالهمز وكسر الهاء، أي (أرجئه)، قال: (فقال ابنُ مجاهد هو غلطٌ، وكذلك عند النحويين هو غلطٌ؛ لأنّ الكسرة لا تجوز في الهاء إذا سكن ما قبلها نحو منهم واضربهم، وله عندي وجهٌ وذلك أنّ الهمزة لمّا سكنت للجزم وبعدها الهاء ساكنة على لغة من يسكّن كسر الهاء لالتقاء السّاكنين.. فيُحمل قول من خطّأه أن يكونَ خطأ الرّواية ولم ينعم النّظر

في هذا الحرف. وقد اجترأ جماعةٌ في الطّعن على هؤلاء السّبعة في بعض حروفهم وليس واحدٌ منهم عندي لاحنًا بحمد الله، فإن قال قائل: فقد لحّن يونسُ والخليلُ وسيبويهِ رضي الله عنهم حمزةَ في قراءته (فَمَا اسْتَطَاعُوا)[٥٢] فالجواب عن ذلك كالجواب فيما سلف؛ لأنّ هؤلاء –وإن كانوا أئمّةً– فربّما لم يأخذوا أنفسهم بالاحتجاج لكلّ من يروي عن هؤلاء السّبعة كعناية غيرهم به، وسترى الاحتجاج لحمزة وجميع ما يلحّن فيه ولا قوةَ إلّا بالله)[٥٣] وهو هنا يرفض اتّهام القرّاء بالخطأ وينسب الخطأ إلى الرواية أي الخطأ في النقل عنِ القارئ وهو منهج التزمه جلّ من كتب في القراءات من العلماء، فالقرّاء عندهم بعيدون عنِ الخطأ واللّحن.

وعلى هذا المنهج في نسبة الخطأ إلى الرّواية لا إلى القارئ يسير ابن خالويه، فمن ذلك ما ردّ به نقد ابن مجاهد قراءة قوله تعالى: (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا)[٥٤] (وَلُؤْلُوا) بهمزة واحدة، فابن مجاهد يرى أنّها خطأ، وابن خالويه يرى أنّ الخطأ إن كان في الرّواية فلا كلام فيه ؛ إذ كثيرًا ما يقع الخطأ في الرّواية بسبب النّقل مشافهةً ، وإن كان من جانب العربيّة فإنّها تحتمل الهمز وعدمه وهمز أحدهما، كلّ ذلك جائزٌ[٥٥].

وهو لا يتحرّج في انتقاد القراءة التي ليس لها وجهٌ في العربيّة، وقد يقسو في الردّ، من نحو ما نقله عنِ الحجّاج في قراءة قوله تعالى: (إنّ رَبَّهُم بِهِم يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ)[٥٦]، قال: (وقرأ الحجّاج على المنبر وكان فصيحًا (أنّ ربّهم) بالفتح، فلمّا علم أنّ اللّام في خبرها أسقط اللّام لئلّا يكون لحنًا، فقرأ: (أنّ ربَّهُم بِهِم يَومَئِذٍ خبيرٌ) ففرّ منَ اللّحن عند النّاس، ولم يبلْ بتغيير كتاب الله لجرأته على الله وفجوره)[٥٧] وهذا وإن كان حكمًا عامّا على الحجّاج إلّا أنّه يمكن أن يعدّ منهجًا لنقد القراءة ووصفها باللّحن ووصف القارئ بها بالفجور.

ومن منهجه في القراءات أنّه لا يجوّز همز غير المهموز ويعدّه غلطًا، فمن ذلك ردّه على الحسن البصريّ في إجازته ذلك من قوله تعالى :

(وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ)[٥٨]، قال: (فقال النحويّون غلط الحسن كما أنّ العرب قد تغلط في بعض ما لا يهمز فيهمزونه يقولون حلّأتُ السّويقَ، يشبِّهونه بحلّأت الإبلَ إذا زجرتها عنِ الماء)[٥٩] وهو منهج متشدّد كما يبدو لأنّ همز غير المهموز شائعٌ عند العرب وإن كان هذا غير جائز في القرآن الكريم، وإنّما أجازوه في لغة الشّعر للضّرورة.

وثمّة منهج آخر عند ابن خالويه وهو ما يسمّى بنقد النقد مرتبط بما قلناه من الدّفاع عنِ القراءات القرآنيّة، وذلك فيما رواه عن جعفر بن محمّد أنّه سئل عن قوله تعالى: (إنّ هذَانِ لَسَاحِرَانِ)[٦٠] فقال: إنّ فرعون كان لحنةً قبطيًّا، فيقول: إنّ هذانِ فحكى القرآن عنه ذلك، قال ابن خالويه في الردّ على هذا الرّأي: (ويُخطِّئ هذا التّوجيه أنَّ فرعون لم يتكلّم العربيّة .. وكيف يغيب هذا عن شيخنا؟!)[٦١] فهذا نقدٌ على تأويل الحسن وتوجيهه .

ومن ذلك ردّهُ على نقد نُصير صاحبِ الكسائيّ الذي يرى في قراءة قوله تعالى: (إلى صِراطِ العزِيزِ الحَمِيدِ. الله الذي لهُ مَا في السَّماواتِ والأرْضِ)[٦٢] بجرّ لفظ الجلالة أنّ الابتداء بالجرَّ قبيحٌ والأولى أن يُبتدأ بالرّفع، فردّ ابن خالويه هذا الرّأي منتقدًا إياه، (وذلك غلَطٌ منه؛ لأنّ الوقفَ والابتداءَ لا يوجب تغييرَ إعراب إذ لو كان كما زعم لوجب على مَن وقَفَ على (الحمدُ لله رَبِّ العَالمينَ)[٦٣] أن يبتدِئ (الرّحْمَنِ الرّحِيمِ) وهذا واضحٌ جِدًّا)[٦٤] وهذا دفاعٌ عن قراءة الجماعة وهو في الوقت نفسه نقدٌ لنقدِ القراءة .

٣- الحجة للقرّاء السّبعة لأبي عليّ النحويّ (٣٧٧هـ):

يبني أبو عليّ النحويّ منهجه في قبول القراءة من عدمه على أساس وروده في الأثر ونصّ القرّاء عليها وإن طابقت وجهًا من وجوه العربيّة، ولعلّ السّبب في ذلك أنّها وردت عنِ الرّسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، يقول: (إلّا أنّه لا ينبغي أن يخرجَ عمّا قرأت به القرّاء؛ لأنّ القراءةَ سنّةٌ، فلا ينبغي أن تُحملَ على ما تُجوّزه العربيّة حتّى ينظمَّ إلى ذلك الأثرُ من قراءة القرّاء)[٦٥]، ولذلك نجده ينتقد القراءات التي

ليس لها وجهٌ مِنَ العربيّة كإدغام النّون في الجيم في قراءة عبيد عن أبي عمرو وعبيد عن هارون عن أبي عمرو قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ)[٦٦]، قال: (مدغمةً كذلك قالا، وهو وهمٌ لا يجوز فيه الإدغام: لأنّ الأولى متحرّكةٌ، والثانية ساكنةٌ، والنون لا تُدغم في الجيم، وإنّما خفيتْ لأنّها ساكنةٌ تخرج مِنَ الخياشيم، فحذفتْ مِنَ الكتاب وهي في اللّفظ ثابتةٌ، ومن قال مدغم فقد أخطأ)[٦٧] وهذا نقدُ صوتيّ قائمٌ على أساس مخالفة القراءة لمقاييس اللّغة في الإدغام؛ إذ النون لا تُدغم إلّا في حروف مجموعة في كلمة (يرملون) ما جعله يصف القراءة بها بالغلط والتّوهّم مِنَ القرّاء.

ويلاحظ على منهجه في النقد اللّغوي أنّه يرفض القراءة التي ليس لها مثال من لغة العرب، فمن ذلك قراءة قوله تعالى: (يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ)[٦٨] قال: (وأمّا من قال: يجوز أن فَعْيَلًا و (يُضَاهِئُونَ) مشتقٌّ منه فقولٌ لم يذهبْ إليه أحد علمائنا، وهو ظاهر الفساد؛ لإتيانه ببناء لم يجئ في كلامهم...وهذا نقضٌ للأصول التي عليها عمل العلماء، وهدمٌ لها)[٦٩]، فالقراءة التي لا تطابق العربيّة ولو بوجه مِنَ الوجوه مرفوضة عنده وقد وصف التعليل بها بالفساد.

وقريبٌ من ذلك همزُ غير المهموز من قوله تعالى: (أولَئِكَ هُم شَرُّ البَرِيَّةِ)[٧٠] بهمز البريّة وإن كان لها وجهٌ في العربيّة، (وهمز من همز البريّة يدلّ على فساد قول من قال: إنّه مِنَ البرى الذي هو التراب، ألا ترى أنّه لو كان كذلك لم يجز همزُ من همزه على حالٍ إلّا على وجه الغلط، كما حكوا: استلأمت الحجر، ونحو ذلك مِنَ الغلط الذي لا وجهَ له في الهمز)[٧١] ولعلّ في هذا تشدّدًا في النقد اللّغوي وإن كان متعلّقًا بالقرآن وقراءاته، فهو ينكر هنا القراءة وينكر الوجه الذي فسِّرت به وهو همز غير المهموز فهو شائعٌ في اللّغة ولا يمكن تطبيقه على لغة القرآن الكريم وتخريجه عليه؛ لأنّه كلام الله.

ثالثًا: النّقد اللّغويّ في المحتسب لابن جنيّ (٣٩٢هـ):

يغلب على النّقد اللّغويّ عند ابن جنيّ في القراءات القرآنيّة ردوده على آراء ابن مجاهد، على أنّ هناك تباينًا في أسلوب ابن جنيّ عند الردّ على آراء العلماء، فمرّةً يخالفها من غير تجريح وتجهيل، بل يذكر خطأها محاولًا تفنيدها بالأدلّة والبراهين والشّواهد، وفي أحيان أخرى يخرج على هذا الأسلوب العلميّ فيسخر من رأي متجاهلًا إيّاه واصفًا صاحبه بالجهل وإن كان من كبار العلماء(د صولـه). ولذلك نجده يقف موقفًا متزمّتًا ممّن لا يفقه ما تمتاز به العربيّة وبالتّالي عدم فهمه للغة القرآن التي خوطب بها، يقول: (ونعوذ بالله ممّا يجنيه الضّعف في هذه اللّغة العربيّة على من لا يعرفها، فإنّ أكثر من ضلّ عنِ القصدِ حتى كُبَّ على منخريه في قعر الجحيم إنّما هو لجهله بالكلام الذي خوطبَ به، ثمَّ لا يكفيه عظيم ما هو عليه وفيه دون أن يجفوها، ويُعرض عمّا يوضّحه له أهلوها، نعم، ويقول: ما الحاجة إليها؟ وأين وجه الضّرورة الحاملة عليها؟ نعوذ بالله منَ التّتابع في الجهالة والعدول عمّا عليه أهل الوفور والمثالة)[٧٢]، وكان النّقد اللّغويّ للقراءات القرآنيّة عند ابن جنيّ وغيره منَ اللّغويين مبنيًّا وموجّهًا (إلى الضّبط اللّغويّ والنّحويّ لبعض القرّاء في قراءاتهم، وكلّ نقد القرّاء كان ذا مرجعيّة لغويّة نحويّة وصرفيّة وصوتيّة)[٧٣]، لذا عُني ابن جنيّ بدراسة القراءات المتواترة والشّاذة في كتبه وتعليلها لتوافقَ وجهًا منَ العربيّة، ذلك لأنّ القراءات القرآنيّة متواترها وشاذها ينبغي الاعتماد عليها في دراسة العربيّة الفصحى؛ فرواياتها أوثق الشّواهد على ظواهرها اللّغوية صوتيّة وصرفيّة ونحويّة، ولعلّنا لا نبالغ إذا قلنا إنّ القراءات الشّاذة أغنى مأثورات التراث العربيّ منَ المادة اللّغويّة وهي صالحة أساسًا للدراسات الحديثة ما يشير إلى صورة من تاريخ هذه اللّغة[٧٤]. وقدِ اختار ابن جنيّ القراءات الشّاذّة والاحتجاج لها بما تتميّز به من أصول وقواعد لغويّة، وهو يبيّن ذلك بقوله عنها: (إلّا أنّنا وإن لم نقرأ في التّلاوة به مخافة الانتشار فيه، ونتابع من يتبع في القراءة كلّ

جائز روايةً ودراية، فإنّا نعتقد قوّة هذا المسمّة شاذًّا وأنّه ممّا أمر الله تعالى به بتقبّله وأراد منّا العملَ بموجبه، وأنّه حبيبٌ إليه، ومرضيٌّ منَ القول لديه، نعم وأكثر ما فيه أن يكونَ غيره منَ المجتمع عندهم عليه أقوى منه إعرابًا وأنهضُ قياسًا؛ إذ هما مسندانِ إلى السّلف (رضي الله عنه) فإن كان هذا قادحًا فيه ومانعًا منَ الأخذ به فليكوننّ ما ضعف إعرابه ممّا قرأ بعض السّبعة به هذه حاله)[٧٥] وقال أيضًا: (ولسنا نقول ذلك فسحًا بخلاف القرّاء المجتمع في أهل الأمصار على قراءاتهم، أو تسويغًا للعدول عمّا أقرّته الثّقات عنهم، لكن غرضُنا منه أن نُريَ وجهَ قوّة ما يسمّى الآن شاذًّا، وأنّه ضاربٌ في صحّة الرّواية بجرانه، آخذٌ من سمت العربيّة مهلة ميدانه، لئلّا يُرى مرًى أنّ العدولَ عنه إنّما هو غضٌّ منه أو تهمةٌ له)[٧٦]، ولهذا نجد ابن جنيّ يُحاول جاهدًا أن يُدافعَ عن هذه القراءات ويجدَ لها تعليلًا مناسبًا يتّفق ولو بوجهٍ من وجوه اللّغة، وعلى هذا يمكن أن نحدّد مستويات النّقد اللّغويّ في القراءات القرآنيّة عند ابن جنّي على النّحو الآتي:

أ- النّقد الصّوتيّ:

لعلّ هذا المنحى يمثّل أبرز مستويات النّقد اللّغويّ عند ابن جنيّ لما عُرف عنه اهتمامه بالدّراسات الصّوتيّة، فمن الموضوعات التي انتقد فيها القراءات القرآنيّة:

١-الإدغام:

حدّد ابن جنيّ حالات الإدغام في الأصوات التي يكون بينها تقاربٌ في المخرج والصِّفة، ويدغم الصّوت الأقلّ صفة في الصّوت الأكثر صفةً، قال في إدغام الضّاد في الطّاء في قراءة قوله تعالى: (قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ)(٧٧) : (هذه لغةٌ مرذولةٌ، أعني إدغام الضّاد في الطّاء؛ وذلك لما فيها منَ الامتداد والفشوّ، فإنّها منّ الحروف الخمسة التي يُدغم فيها ما يجاورها، ولا تدغم هي فيما يجاورها، وهي الشّين والضّاد والرّاء والفاء والميم، ويجمعها قولهم: ضمّ شَفَر، وقد أخرج بعضهم الضّاد من ذلك وجمعها في قولهم: مِشْفَر)

(٧٨) فالضّاد لا تُدغم فيما يجاورها، بل يُدغم ما يجاورها فيها؛ لأنها تمتلك صفة الامتداد والفشوّ، ولذلك عدّ القراءة بها مرذولة.

ومن ذلك إدغام النّون في الظّاء من قوله تعالى: (لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)(٧٩) (لِنَظُّرَ)، قال: (ظاهر هذا أنّه أدغم نون ننظر في الظّاء، وهذا لا يُعرف في اللّغة، ويشبه أن تكون مخفاةً فظنّها القرّاء مدغمةً على عادتهم في تحصيل كثير منَ الإخفاء إلى أن يظنّوه مدغمًا، وذلك أنّ النون لا تُدغم إلّا في ستّة أحرف ويجمعها قولك يرملون)(٨٠) فأساس القراءة هنا عنده مبنيٌّ على الظنّ وليس قائمًا على أساس منَ اللّغة ولا وجه للإدغام في ذلك.

إنَّ هذا المنهج عند ابن جنيّ لم يكن وطّردًا فقد نجده في كثير منَ الأحيان يحاول أن يجدَ ما يبرّر القراءة ولو بوجهٍ واحد من وجوه اللّغة رادًّا على من أنكر ذلك وهو ما يمكن أن نسميَه بنقد النّقد كما في قراءة قوله تعالى: (لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ..)(٨١) بتشديد الدّال، قال أبو حاتم: هذا لا يجوز؛ فليس فيه إلّا تاء واحدةٌ، ولا يجوز تتداركه، وهو خطأ منه أو عليه، وقد ردّ هذا الرأي ابن جنيّ معلّلًا القراءة بوجهٍ منَ اللّغة، قال: (قول أبي حاتم: هذا خطأ-لا وجهَ له؛ وذلك أنّه يجوز على حكاية الحال الماضية المنقضية، أي لولا يقال فيه: تتداركه، كما تقول: كان زيدٌ سيقوم، أي: كان متوقّعًا منه القيام، فكذلك هذا)(٨٢) وهذا يمثّل نقدًا لنقد أبي حاتم هذه القراءة، وهو وجهٌ صحيح كما يبدو، فحذف التّاء مطّرد في كلام العرب، وإدغامها في الدّال سائغٌ شائعٌ عندهم.

٢-همز غير المهموز:

قد تهمز العرب ما لا يهمز، وبه قرئ قوله تعالى: (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ)(٨٣) بهمز خُطُوات، فوصفها بأنّها مرفوضةٌ وخطأ، قال ابن جنيّ: (أمّا الهمز في هذا الموضع فمردودٌ، لأنّه من خطوتُ لا من أخطأتُ، والذي يُصرف هذا إليه أن يكونَ كما تهمزه العرب ولا حظّ له في الهمز، نحو حلّأتُ السّويق، وَرَثأتُ روحي بأبيات، والذّئب يستنشئ

ريح الغنم، والحمل على هذا فيه ضعفٌ، إلّا أنّ الذي فيه من طريق العذر أنّه لما كان من فعل الشّيطان غلب عليه معنى الخطأ، فلمّا تصوّر ذلك المعنى أطلعت الهمزة رأسها، وقيل خُطُؤات)(٨٤) ويلظ أنّ ثمةَ اضطرابًا عند ابن جنيّ هنا فمرّةً يسم القراءة بالغلط ويرفضها، ومرة يحاول تخريجها بوجهٍ من وجوه اللّغة وهو همز ما لا يهمز عند العرب، ثمّ يقرّر أنّ هذا الوجه فيه ضعف.

٣-ترك الهمز:

أجاز ابن مجاهد الهمز وعدمه في قوله تعالى: (وَلَا يَـؤُودُهُ حِفْظُهُمَا) (٨٥) فمن لم يهمز خلف الهمزة بواو ساكنة وجمع بينها وبين الواو، ومن ترك الهمز قال: يوْدُه، قال ابن جنيّ: (خلّطَ ابن مجاهد في هذا التفسير تخليطًا ظاهرًا غير لائقٍ بمن يعتدّ إمامًا في روايته، وإن كان مضعوفًا في فقاهته؛ وذلك أنّ قوله تعالى: يؤوده لك فيه التحقيق والتخفيف، فمن حقّق أخلصها همزةً، قال: يؤوده كيعوده، ومن خفّف جعل الهمزةَ بين بين، أي بين الهمزة والواو؛ لأنّها مضمومة، فجرى مجرى قولك في تخفيف لَؤم: لُوُم، مؤونة: موونة، ولا يخلصها واوًا لأنّها مضمومة...كذا أحسن الظنّ بهؤلاء المشيخة، فأمّا ترك الهمز أصلًا فشاذٌّ، وينبغي لمن هو دونهم أن يصانَ عن أن يُظنَّ ذلك به، فقول ابن مجاهد: إنّه يخلف منَ الهمزة واوٌ ساكنة فيجتمع ساكنان شديد الاضطراب)(٨٦) فقد انتقد ابن مجاهد في إجازته الهمز ووصفه بالضّعف في الفقه وتخليطه في التفسير والاضطراب الشّديد في ذلك.

٤-التقاء السّاكنين:

المعروف عند العرب أنه عندما يلتقي ساكنان يُكسر السّاكن الأول، ولكن ورد في بعض القراءات القرآنيّة ضمّ الأول إتباعًا لحركة ما بعد السّاكن الثاني، وهو ما أنكره ابن جنيّ كما في قراءة قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا)(٨٧) بضمّ التاء، قال: (هذا ضعيفٌ عندنا جدًّا؛ وذلك أنّ الملائكة في موضع جرٍّ، فالتاء إذًا مكسورةٌ، ويجب أن تسقطَ ضمة الهمزة من اسْجُدوا؛ لسقوط الهمزة

أصلًا إذا كانت وصلًا، وهذا إنّما يجوز ونحوه إذا كان ما قبل الهمزة حرفٌ ساكنٌ صحيح نحو قوله عزّ اسمه (وَقَالَتُ اخرُج)(٨٨)، وادخلُ ادخل، فضُمّ لالتقاء السّاكنين لتخرجَ من ضمّةٍ إلى ضمّة، كما كنت تخرج منها إليها في قولك: اخرج، فأمّا ما قبل همزته هذه متحرّك – ولا سيّما حركة إعراب- فلا وجهَ لأن تحذف حركته ويحرّك بالضمّ ...لأنّ حركة الإعراب لا تستهلك لحركة الإتباع إلّا على لُغيّة ضعيفة، وهي قراءة لغة البادية) (٨٩) وإنكاره هذه القراءة وتضعيفه إيّاها قائمان على أنّها تراعي الإتباع على حساب الإعراب ما جعله يرفضها ويصفها بأنّها لغة البادية.

٥-إبدال الحاء عينًا:

تبدل بعض قبائل العرب العين حاءً وهو لغة هذيل (٩٠)، وبه قرئ قوله تعالى: (ثُمَ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنَنَهُ حَتَّى حِينٍ) (٩١) بالحاء، وقد روي أنّ عمر سمع رجلًا يقرأ بها فقال له: مَن أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب إليه: أنزل الله عزّ وجلّ القرآن عربيًّا وجعله بلغة قريش فأقرئ النّاس بها ولا تقرئهم بلغة أخرى كهذيل والسّلام(٩٢)، وهذا نقدٌ لهذه القراءة مبنيٌّ على مسألة صوتيّة تتعلق بالإبدال الصّوتيّ عند قبائل العرب، وهو ما رفضه عمر وعدّه ليس من لغة القرآن فلا يمكن أن يُقرأ بها.

وقد حاول ابن جنيّ كعادته الدّفاع عن هذه القراءة وإيجاد وجه لها منَ العربيّة، قال: (العرب تُبدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما في المخرج، كقولهم: بُحثر ما في القبور، أي بُعثر، وضبعتِ الخيلُ، أي: ضبحت... فعلى هذا يكون عَتّى وحتّى، لكنّ الأخذَ بالأكثر استعمالًا، وهذا الآخر جائزٌ وغير خطأ)(٩٣) وهذا ردٌّ منه على من خطّأ هذه القراءة ولكنّ الأولى ما كان شائعًا ومطَّردًا وليس قليلًا.

٦-المدّ:

خطّأ ابن جنيّ قراءة أبي جعفرَ قوله تعالى: (سَوَءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) (٩٤) بمدّ همزة استَغفرتَ وعدّها ليست من طريق العربيّة في

المدّ وهي قراءة فيها ضعف عنده؛ لإثباته همزة الوصل واستغنائه عنها بهمزة الاستفهام(٩٥). فالمدّ هنا غير جائز عنده هنا لاجتماع همزتين كلّ منهما تؤدّي وظيفة معيّنة .

ومن ذلك ما نقله عنِ ابن مجاهد من تخطئته قراءة قوله تعالى: (..وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا) (٩٦) بالمدّ وعدّه إياها ليست بذات شيء وهي كذلك قراءةٌ منكرة في ظاهرها عند ابن جنيّ، إلّا أنّ لها وجهًا آخرَ وليست لحنًا مقطوعًا به وهو إشباعه فتحة الهمزة فنشأ عنها ألفٌ فصارت مدًّا(٩٧).فهو على الرّغم من إنكاره هذه القراءة حاول أن يجد لها وجهًا وتعليلًا مقبولًا منَ العربيّة.

٧-تسكين المتحرّك:

نقد ابن جنيّ قراءة قوله تعالى: (قُلْنَ حَاشَى لله)(٩٨) بحذف الألف وسكون الشِّين وهي قراءة ضعيفة عنده لالتقاء السّاكنين الألف والشِّين ولا إدغامَ في الشِّين، ولا موجبَ لتسكين الشِّين، ثمّ علّل ذلك الحذف بأنّه أتبع حذف الألف حذف الفتحة إذ هي لاحقة به فهي كالتكرير في الراء والصّفير في الصّاد والسّين والزاي وبقية صفات الحروف، فإذا حذف الحرف حذف معه ما يصحبه منَ الصِّفة كالتكرير والتفشيّ والصّفير وغيرها(٩٩). ويبدو أنّ في هذا النّقد كثيرًا منَ التّكلف ليناسب وجهًا من وجوه اللّغة؛ فتعليله هنا قائمٌ على قياس ما شذَّ وندر بما شاع واطّرد منَ اللّغة. ولعلّ منَ الجدير بالذكر أنّ ضعف القراءة عند ابن جنيّ وغيره من علماء اللّغة لا يراد به الضّعف في السّند أو الرّواية ممّا هو شائعٌ في القراءات، بل المراد ضعفها في جانب من جوانب اللّغة.

ب- النّقد الصّرفيّ:

وهو النقد المتعلّق ببنية الكلمة من حيث سلامتها من جانب الصّيغة وتناسب حروفها أو تنافرها وغير ذلك، ولعلّ ما يمكن أن يعدّ من هذا الجانب عند ابن جنيّ ما يأتي:

١-الصّيغة:

اختلف ابن جنيّ مع ابن مجاهد في قياس صيغة الفعل من قراءة قوله تعالى: (إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ) (١٠٠) بمدّ الألف (آيَدْتُكَ)، فابن

مجاهد يرى أنّها على فاعلتك، أمّا ابن جنيّ فلا يرى ذلك سديدًا واصفًا إيّاه بالتّوهّم، قال: (هذا الذي توهّمه ابن مجاهد، أنّ آيدتك على فاعلتك لا وجهَ له، وإنّما أيدتك أفعلتك، منّ الأيد، وهو القوّة(١٠١). وفي هذا كما هو واضح نقد لرأي ابن مجاهد ووصفٌ له بالتوهّم.

٢-التأنيث:

غلّط ابن مجاهد قراءة قوله تعالى: (لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا)(١٠٢) بالتّاء على التأنيث، وقد ردّ ابن جنيّ هذا الرّأي، قال: (ليس ينبغي أن يطلقَ على شيء له وجهٌ في العربيّة قائمٌ وإن كان غيره أقوى منه أنّه غلطٌ، وعلى الجملة فقد كثر عنهم تأنيث فعل المضاف المذكّر إذا كانت إضافته إلى مؤنّث، وكان المضاف بعض المضاف إليه أو منه أو به)(١٠٣) فهو هنا يعترض على ابن مجاهد في إنكاره هذه القراءة؛ لأنّ لها وجهًا في العربيّة وهو تأنيث المضاف وتعليل ذلك بوروده في شواهد شعريّة. وهذا يدخل فيما سمِيَ بنقد النقد وهو ما بدا منهجًا واضحًا عند ابن جنيّ، إذ كثيرًا ما كان يُدافع عنِ القراءة وينقد ما يراه العلماء أنّه غلط أو ضعيف وغير ذلك.

٣-بناء (فعيل) مصدرًا:

أنكر ابن مجاهد مجيء (فعيل) مصدرًا، وقد نقل عنه ابن جنيّ في قراءة قوله تعالى: (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا)(١٠٤) بفتح العين وقوله تعالى: (أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا) بفتح الصّاد، وقال: لا أعرف لهما في العربيّة أصلًا، ويقرأ كذلك: بُكِيًّا بضمّ الياء، فردّ هذا الرأيَ ابن جنيّ وانتقد ابن مجاهد فيم ذهب إليه، قال: (ولا وجهَ لإنكار ابن مجاهد ذلك؛ لأنّ له في العربيّة أصلًا ماضيًا، وهو ما جاء منَ المصادر على فعيل نحو الحَوِيل، والزّويل، والشّخير، والنّخير، فأمّا (البُكيُّ) فجماعة، وهي فُعُول كالحُثيّ، والدُّنيّ، والفُليّ، جمع فلاة، والحُليّ) (١٠٥). وهذا يدخل في باب نقد النقد؛ فإنكار ابن مجاهد أن يكون للقراءة أصلٌ في العربيّة نقدٌ لها من جانب علم الصّرف، وردّ ابن جنيّ قول ابن مجاهد وإثباته مجيء فعيل مصدرًا نقدٌ على نقد.

ج- النّقد النحويّ:

ويتعلّق هذا النّقد بالجانب التركيبي من حيث الإعراب ووظائف الأدوات وقواعد اللّغة وقد خالف فيها ابن جنيّ آراء العلماء وانتقد توجيههم لها، ومن تلك الموضوعات:

١-الحذف :

خالف ابن جنيّ ابن مجاهد في قراءة قوله تعالى: (وَالذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكَمْ)(١٠٦) قُرئ بفتح الياء بالبناء للمعلوم، وقد رفض ابن مجاهد القراءة مشيرًا إلى أنها لا يُقرأ بها، فردّ ابن جنيّ ذلك موجّهًا إيّاها على حذف المفعول، والتّقدير: والذين يتوفّون آجالهم أو أعمالهم، وهو كثير في القرآن الكريم والكلام الفصيح إذا دلّ عليه دليلٌ، كقوله تعالى: (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيءٍ)(١٠٧) أي: أُوتِيت شيئًا من كلّ شيء(١٠٨). وإنّما رفض ابن مجاهد القراءة؛ لأنّه لم يجد لها توجيهًا نحويًّا يتناسب مع المعنى الذي تؤدّيه القراءة، وواضحٌ أنّ ردّ ابن جنيّ وتوجيهه القراءة هو في ذاته نقدٌ لرأي ابن مجاهد يتعلّق بالإعراب.

ومن ذلك أيضًا ما نقله عن ابن مجاهد في توجيهه قراءة قوله تعالى: (أنْ يُؤْتَى أحَدٌ مِثْلَ مَا أوْتِيتُمْ) (١٠٩) أن يُؤْتِيَ أحَدًا، وهو ما ينبغي أن تكون عليه القراءة، وهو خلاف ما يراه ابن جنيّ من أنّ قراءة الجماعة هي الأولى والأقرب إلى القبول، فيقول: (لا وجهَ لإنكار ابن مجاهد رفع أحد مع قوله يُؤتيَ مسمّى الفاعل، وذلك أنّ معناه أنْ يُؤتِي أحدٌ أحدًا مثلَ ما أوتِيتُم، كقولك: أن يُحسنَ أحدٌ مثلَ ما أحسنَ إليكم، أي أن يُحسنَ أحدٌ إلى أحدٍ مثلَ ما أحسِنَ إليكم، فتحذفَ المفعول ويكون معناه ومفادُه أنَّ نعمةَ الله سبحانه وتعالى لا تُقاس بها نعمةٌ، وهذا مع أدنى تأمّل واضح)(١١٠)، وكلام ابن جنيّ هنا فيه تلميح بتخطئة ابن مجاهد ونقد التّوجيه النحويّ الذي وجّه فيه القراءة كقوله لا وجه لإنكاره، ومع أدنى تأمّل، وكأنّ ابن مجاهد لم يتأمل قراءة الجماعة.

٢-زيادة (لا):

وممّا أنكره ابن مجاهد زيادة (لا) في قراءة قوله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي اليَتَامَى)(١١١) بفتحِ

التّاء من (تُقْسِطُوا) بحجّة أنّه لا أصلَ له في العربيّة، فردّ ذلك ابن جنيّ بقوله: (هذا الذي أنكره ابن مجاهد مستقيمٌ غير منكر؛ وذلك على زيادة (لا)، حتى كأنّه قال: وإن خِفْتُم أن تقسِطوا في اليتامى، أي تجوروا، يقال: قسط: إذا جار، وأقسط: إذا عدل، قال الله جلّ وعلا: (وَأَمَّا القَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا)(١١٢) وزيادة (لا) قد شاعت عنهم واتّسعت، منه قوله تعالى: (لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ) وقوله تعالى: (وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ)(١١٣) فيمن ذهب إلى زيادة (لا) وقال معناه وما يشعركم أنّها إذا جاءت يُؤمنون)(١١٤)، وكذا علّله الزمخشريّ على زيادة (لا)، أي: وإن خفتم أن تجوروا(١١٥). فتبيّن بذلك خطأ ابن مجاهد في التّوجيه النحويّ لهذه القراءة، وهو من باب نقد النّقد كذلك وهو في الوقت ذاته دفاعٌ عنِ القراءة.

٣-ضمير الفصل:

خطّأ ابن جنيّ سيبويه في قراءة قوله تعالى: (هَـؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ)(١١٦) قُرئ بنصب (أَطْهَرُ)، وقد ذكر سيبويه هذه القراءة وضعَّفها، وقال فيها احتبي ابن مروان في لحنه(١١٧)، وإنّما قبح ذلك عنده؛ لأنّه ذهب إلى أنّه جعل (هُنَّ) فصلًا، وليست بين أحد الجزأين اللّذين هما مبتدأ وخبر ونحو ذلك، كقولك: ظننت زيدًا خيرًا منك، وكان زيدٌ هو القائم، وأنا من بعد أرى أنّ لهذه القراءة وجهًا صحيحًا، وهو أن تجعلَ (هُنَّ) أحدَ جزأي الجملة، وتجعلها خبرًا لـ(بناتي)، كقولك: زيدٌ أخوك هو، وتجعل (أطهرَ) حالًا من (هُنَّ) أو من (بناتي)، والعامل فيه معنى الإشارة، كقولك: هذا زيدٌ هو قائمًا أو جالسًا أو نحو ذلك، فعلى هذا مجازه، فإنّما على ما ذهب إليه سيبويه ففاسدٌ كما قال)(١١٨). وهذا يمكن أن يعدّ من باب نقد النّقد؛ فسيبويه ينقد القراءة ويصفها بالضعف والقبح والقراءة بها لحنٌ من جانب اللّغة، وابن جنيّ يردّ هذا النقد ويوجه القراءة توجيهًا آخرَ ويصف رأي سيبويه بالفساد وهو الخطأ في الرّأي.

٤-اللّام المؤكِّدة:

يروي ابن جنّي عن أبي عليّ النحويّ نقده أحد الأندلسيين فيما يتعلّق بقراءة قوله تعالى: (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ)(١١٩) لَتَزُولَ بفتح اللام الأولى والثانية، قال: (ودخلتُ على أبي عليّ بُعيدَ عوده من شيراز سنة تسع وستّين، فقال: ألا أحدِّثك؟ قلتُ له: قل، قال: دخل إليّ هذا الأندلسيّ فظننته قد تعلّم، فإذا هو يظنّ أنّ اللّام التي تصحب إن المخفّفة منَ الثقيلة هي لام الابتداء، قلت: لا تعجب، فأكثر مَن ترى هكذا[120] فأبو عليّ ينقد هذا الأندلسيّ الذي لا يفرّق بين لام الابتداء ولام التوكيد وهو بالتّالي نقدٌ للقراءة.

٥-نصب المضارع:

وقد ورد ذلك في قراءة قوله تعالى: (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ)[121] بنصب المضارع (آوِي)، وهو ما لا وجهَ له عند ابن مجاهد، أمّا ابن جنّي فيرى أنّ ما أنكره ابن مجاهد سائغٌ جائزٌ، ويكون الفعل معطوفًا على (قوّة)، والتقدير عنده: لو أنّ لي قوّةً أو أويًا إلى ركنٍ شديد، فتُضمر أن وتنصبَ الفعل بعدها[122]. وردّ ابن جنّي هنا بمثابة نقد لرأي ابن مجاهد من حيث التوجيه النحويّ.

٦-كسر نون الجمع:

نقل ابن جنّي عن أبي حاتم قوله في قراءة قوله تعالى: (قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ)[123] بكسر نون الجمع، قال: (وقد شكلها بعض الجهّال بالحضرة مكسورة النون، قال: وهذا خطأ؛ لو كان كذلك لكان مُطَّلِعِي، تقلب واو مُطلِعُون ياء، يعني لوقوع ياء المتكلّم بعدها، والأمر على ما ذهب إليه أبو حاتم، إلّا أن يكونَ على لغة ضعيفة، وهو أن يُجرى اسم الفاعل مجرى الفعل المضارع؛ لقربه منه فيُجرى مُطْلِعُونِ مُجرى يُطْلِعُونِ،....وهذا شاذٌّ كما ترى، فلا للقياس عليه)[124] فقد وصف قارئ القراءة بكسر النون بالجاهل وإن كان ابن جنّي قد حاول تعليل القراءة بوجه من العربيّة ثمّ عاد ليقرّر أنّ هذا شاذٌّ ولا يقاس عليه.

٧-التّنوين:

نقد ابن جنّي سيبويه فيما نقله

عنه ابن سلّام من قوله: كان عمر يقرأ: (على تَقْوًى مِنَ الله)[١٢٥] قلت: على أيِّ شيءٍ نوّنَ؟ قال: لا أدري ولا أعرفه. قلت: فهل نوّنَ أحدٌ غيره؟ قال: لا.. قال ابن جنيّ: أخبرنا بهذه الحكاية أبو بكر جعفر بن عليّ بن الحجّاج عن أبي خليفة الفضل بن الحُباب عن محمّد بن سلّام. فأمّا التّنوين فإنّه وإن كان غير مسموع إلّا في هذه القراءة فإنّ قياسه أن تكون ألفه للإلحاق لا للتأنيث، كتترًى، فيمن نوّن وجعلها ملحقةً بجعفر. وكان الأشبه بقدر سيبويه ألّا يقفَ في قياس ذلك وألّا يقولَ: لا أدري ولولا أنّ هذه الحكاية رواها ابن مجاهد وروياها عن شيخنا أبي بكر لتوقّفت فيها، فأمّا أن يقولَ سيبويه لم يُقرأ بها أحدٌ فجائزٌ يعني فيما سمعه، لكن لا عذرَ له في أن يقولَ: لا أدري؛ لأنّ قياسَ ذلك أخفُّ وأسهلُ على ما شرحنا من كون ألفه للإلحاق)[١٢٦]. وقد أعاد ابن جنيّ هنا وكرّر نقد سيبويه لقوله لا أدري وهو ما لا عذرَ له عنده؛ لسهولته وخفّته وهو الإلحاق كما يرى.

د- النّقد الدّلاليّ:

وهو النقد المتعلّق بدلالة الألفاظ وما يمكن أن يكون نقدًا للنصّ من جانب معنى الكلمة المفردة واستعمالاتها في اللّغة، وممّا ورد من نقد عند ابن جنيّ يتعلّق بهذا الجانب ما يأتي:

الاسم الأعجميّ:

أخذ ابن جنيّ على العرب تخليطهم في الاسم الأعجميّ كترك الهمز من (إسرائيل) في قراءة قوله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ التي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ)[١٢٧] بغير همز، ونقل كذلك عن أبي عليّ أنّ العرب تخلّط في الاسم الأعجميّ إذا نطقت به، فمن ذلك[١٢٨]:

هَلْ تعْرِفُ الدارَ لِأمِّ الخَزْرَجِ
مِنْها فَظَلْتَ اليَوْمَ كَالْمُزَرَّجِ

فالأصل المزرجنِ، منَ الزرجون وهو الخمر والنون أصلٌ فيه، ومنه قول رؤبة[١٢٩]:

في خِدْرِ ميَّاسِ الدُّمى المُعَرجنِ

فهو منَ العرجون، والقياس فيه أن يقولَ: المزرجنِ، ومنه قولُ لبيد[١٣٠]:

دَرَسَ المَنَا بِمُتَالِعٍ فَأَبَانِ
بِالحبسِ بينَ البِيدِ والسُّوبَانِ

أراد المنازل، قال ابن جنيّ: (وإذا

جاز للعرب أن تُخلِّطَ في العربيّ وهو من لغتها، فكيف-ليت شعري-فيما ليس من لغتها؟)[١٣١] وهذا تجنٍّ منه على اللّغة العربيّة وتكلّف، وقد خالف فيه ما أورده في كتابه (الخصائص) وما نسبه إليها منَ الشّجاعة في الحذف والتّقديم والتأخير وغيرها، فيما سمّاه بـ(بابٌ في شجاعة العربيّة)، وفي (باب ما قيس من كلام العرب فهو من كلام العرب) يقول: (هذا موضعٌ شريفٌ، وأكثر الناس يضعف عنِ احتماله؛ لغموضه ولطفه، والمنفعة به عامّة والتساند إليه مقوٍّ مجدٍ... ويؤكّد هذا عندك أنّ ما أعربَ من أجناس الأعجميّة قد أجرته العرب مجرى أصول كلامها)[١٣٢] وعلى هذا يكون ما ذكره منَ نقد للعرب في الكلام الأعجميّ من هذا الباب كالحذف والإبدال، وقد استدلّ بالشواهد نفسها التي استشهد بها على تخليط العرب فيها.

ومن ذلك ما يتعلّق بأسماء الأنبياء كإدريس(ع)، فقد قرأ قتادة قوله تعالى: (سَلَامٌ على إل يَاسِين)[١٣٣] :(وَإِنَّ إدْرِيسَ)، (سَلَامٌ على إدْرِيسِن)، قال ابن جنيّ: (أمّا ما رواه ابن مجاهد عن ابن مسعود: إدريس وإدراسين فيجب أن يكونَ من تحريف العرب الكلم الأعجمي لأنّه ليس من لغتها، فتُقِلُّ الحفلَ به)[١٣٤] وهذا نقدٌ يتعلّق بجانب من جوانب اللّغة وهو دلالة الاسم الأعجميّ وتعامل العرب مع هذه الأسماء.

الخاتمة ونتائج البحث:

وأخيرًا نخلص إلى القول:

إنّ القراءات القرآنيّة تزخر بمادة لغويّة ثرّة ينبغي الاعتماد عليها في دراسة اللّغة من جوانبها جميعًا الصّوت والصّرف والنّحو والدّلالة، وهذا ينطبق على القراءات المتواترة والشّاذة، ولعلّنا لا نبالغ إذا قلنا إنّ القراءات الشّاذة منَ المصادر التي رفدت الدراسات اللّغويّة الحديثة بمادة لغويّة ما ينمّ عن حالة من حالات هذه اللّغة، وكان للنّقد اللّغويّ نصيبٌ وافر في القراءات القرآنيّة ليس في كتب القراءات فحسب، بل في كتب معاني القرآن، ومن أبرز هؤلاء النقّاد الفرّاء

والزّجاج، فضلًا عن أصحاب كتب القراءات كأبي عليّ النحويّ وابن خالويه وابن مجاهد وغيرهم.

وكان للّغويين من أصحاب التراجم دور بارز في النّقد اللّغويّ لبعض القراء وقراءاتهم التي لا تُوافق وجهًا من وجوه اللّغة، كأبي الطيِّب اللّغويّ الذي حمل حملةً على بعض القرّاء كحمزة والكسائيّ وجهّلهما وكان يصف قراءتهما باللّحن في القرآن، وأنّهما ليس لهما معرفة بكلام العرب.

ولعلّ ابن جنيّ أبرز هؤلاء اللّغويين فكان نقده لبعض القراءات القرآنيّة ذا مرجعيّة صوتيّة وصرفيّة ونحويّة ودلاليّة، فقد انصبّ نقده في القراءات القرآنيّة في (المحتسب) على أراء ابن مجاهد التي وردت في (السّبعة)، محاولًا في ذلك الدّفاع عنِ هذه القراءات وإيجاد تعليل وتوجيه صحيح لها، فما لا يجوز ولا وجهَ له عند ابن مجاهد جائزٌ عند ابن جنيّ وإن كان ضعيفًا، وهو ما يمكن أن يُطلقَ عليه نقد النّقد.

وأبرز الموضوعات التي وردت في النقد اللّغويّ للقراءات عند ابن جنيّ على مستوى الصّوت الإدغام وهمز غير المهموز وترك الهمز والتقاء السّاكنين، وعلى المستوى الصّرفيّ الصّيغة وبناء (فعيل) مصدرًا، وعلى المستوى النحويّ الحذف ونصب المضارع والتنوين، وعلى المستوى الدّلالي الاسم الأعجميّ وما يراه ابن جنيّ من تخليط العرب فيه.

ومنهج ابن جنيّ في النقد اللّغويّ للقراءات القرآنيّة له طريقان: الأوّل: أن يذكر القراءة ثمّ يذكر رأيه المخالف لها من دون تجريحٍ، والثاني: أن يقسوَ في الردّ والنقد ويستعمل مصطلحات تقلّل من شأن القارئ وقراءته كالغلط والتخليط.

الهوامش:

(١) النّشر في القراءات العشر:١/ ٢٠

(٢) ابن جنيّ النحويّ:٧٥

(٣) مراتب النحويّين:٧٤

(٤) سورة إبراهيم:٢٢

(٥)مراتب النحويّين:٢٦

(٦) طبقات القرّاء:١١٦

(٧) سورة الأعراف:١٠

(٨) شرح الملوكيّ في التصريف: ١/ ٣٠٧

(٩) تأويل مشكل القرآن:٤٢

(١٠) المصدر السّابق:٤٢

(١١) المصدر السّابق:٤٢-٤٣

(١٢) نزهة الألبّاء:٧٧

(١٣) مراتب النحويّين:٧٤

(١٤) سورة طه:٦٣

(١٥) سورة المنافقون:١٠

(١٦) معاني القرآن للفرّاء:١/ ١٨٨

(١٧) سورة يونس:٧٠

(١٨) معاني القرآن للفرّاء:١/ ٣١٨

(١٩) سورة النساء:١

(٢٠) معاني القرآن للفرّاء:١/ ١٧٧

(٢١) سورة الأحقاف:٢٥

(٢٢) معاني القرآن للفرّاء:٢/ ٣٤٤

(٢٣) سورة إبراهيم:٢٢

(٢٤) معاني القرآن للفرّاء:٢/ ١٠

(٢٥) سورة الشّعراء:٢٥

(٢٦) معاني القرآن للفرّاء:٢/ ١٠

(٢٧) سورة الأنبياء:٨٨

(٢٨) معاني القرآن للفرّاء:٢/ ١٢٠

(٢٩) سورة الشّعراء:٢١٠

(٣٠) معاني القرآن للفرّاء:٢/ ١٨٠

(٣١) سورة الحجّ:٥

(٣٢) معاني القرآن للفرّاء:١/ ١٢٥

(٣٣) سورة الفرقان:٢٤

(٣٤) معاني القرآن للفرّاء:٢/ ١٦٤

(٣٥) سورة الفاتحة:١

(٣٦) معاني القرآن وإعرابه:١/ ٥١

(٣٧) سورة البقرة:٣٤

(٣٨) معاني القرآن وإعرابه:١/ ١٠٤

(٣٩) سورة الكهف:٧٩

(٤٠) السّبعة في القراءات:١٩

(٨١) سورة القلم:٤٩

(٨٢) المحتسب:٢:٣٢٧

(٨٣) سورة البقرة:٨٣

(٨٤) المحتسب:١/ ١١٧

(٨٥) سورة البقرة:٢٥٥

(٨٦) المحتسب:١/ ١٣٠-١٣١

(٨٧) سورة البقرة:٣٤

(٨٨) سورة يوسف:٣١

(٨٩) المحتسب:١/ ٧١

(٩٠) تفسير البحر المحيط:٥/ ٤٠٠

(٩١) سورة يوسف:٣٥

(٩٢) المحتسب:١/ ٣٤٣

(٩٣) المصدر السّابق:١/ ٣٤٣

(٩٤) سورة المنافقون:٦

(٩٥) المحتسب:٢/ ٣٢٢

(٩٦) سورة الرّوم:٩
(٩٧) المحتسب:٢/ ١٦٣
(٩٨) سورة يوسف:٥١
(٩٩) المحتسب:١/ ٣٤٣
(١٠٠) سورة المائدة:١١٠
(١٠١) المحتسب:١/ ٩٥
(١٠٢) سورة الأنعام:١٥٨
(١٠٣) المحتسب:١/ ٢٣٦-٢٣٧
(١٠٤) سورة مريم:٨
(١٠٥) المحتسب:٢:٣٩
(١٠٦) سورة البقرة:٢٣٤
(١٠٧) سورة النمل:٢٣
(١٠٨) المحتسب:١:١٢٥
(١٠٩) سورة آل عمران:٧٣
(١١٠) المحتسب:١:١٦٣
(١١١) سورة النّساء:٣
(١١٢) سورة الجنّ:١٥
(١١٣) سورة الأنعام:١٠٩
(١١٤) المحتسب:١/ ١٨٠-١٨١
(١١٥) الكشّاف:٢/ ٢١٤
(١١٦) سورة هود:٧٨
(١١٧) الكتاب:٢/ ٣٩٧
(١١٨) المحتسب:١/ ٣٢٧
(١١٩) سورة إبراهيم:٤٦
(١٢٠) المحتسب:١/ ٣٦٧
(١٢١) سورة هود:٨٠
(١٢٢) المحتسب:١/ ٣٢٦
(١٢٣) الصّافات:٥٥
(١٢٤) المحتسب:٢/ ٢٢٠
(١٢٥) سورة التّوبة:١٠٩ (٤١) سورة يوسف:٨٠
(٤٢) معجم الأدباء:٣/ ١٣٢
(٤٣) السّبعة في القراءات:١٩
(٤٤) سورة البقرة:٢٥٦
(٤٥) سورة آل عمران:٧٢
(٤٦) السّبعة في القراءات:١١٥
(٤٧) سورة طه:٦٤
(٤٨) السّبعة في القراءات:٤٢١
(٤٩) إعراب القراءات وعللها:١/ ١٠١
(٥٠) المصدر السّابق:٢/ ١١١
(٥١) سورة الأعراف:١١١
(٥٢) سورة الكهف:٩٧
(٥٣) إعراب القراءات وعللها:١/ ١٩٨
(٥٤) سورة الحجّ:٢٣
(٥٥) إعراب القراءات وعللها:٢/ ٧٢
(٥٦) سورة العاديات:١١
(٥٧) إعراب ثلاثين آية:١٧١
(٥٨) سورة يونس:١٦
(٥٩) إعراب ثلاثين آية:٥١
(٦٠) سورة طه:٦٣
(٦١) إعراب القراءات وعللها:٢/ ٤٠
(٦٢) سورة إبراهيم:١-٢
(٦٣) سورة الفاتحة:١
(٦٤) إعراب القراءات وعللها:١/ ٣٣٤
(٦٥) الحجّة للقرّاء السّبعة:٢/ ٤٠٧
(٦٦) سورة الأنبياء:٨٨

(٦٧) الحجّة للقرّاء السّبعة:٣/ ١٦٠
(٦٨) سورة التّوبة:٣٠
(٦٩) الحجّة للقرّاء السّبعة:٢/ ٣٢٢
(٧٠) سورة البيّنة:٦
(٧١) الحجّة للقرّاء السّبعة:٤/ ١٣٥
(٧٢) المحتسب:٢/ ٢٥٠
(٧٣) النّقد اللّغويّ في التراث العربيّ:٩٦٠
(٧٤) القراءات القرآنيّة:٧-٨
(٧٥) المحتسب:١/ ٣٣
(٧٦)المصدر السّابق:١/ ٣٢-٣٣
(٧٧) سورة البقرة:١٢٦
(٧٨) المحتسب:١/ ١٠٦
(٧٩) سورة يونس:١٤
(٨٠) المحتسب:١/ ٣٠٩
(١٢٦) المحتسب:١/ ٣٠٤
(١٢٧) سورة البقرة:٤٠
(١٢٨) البيت غير منسوب في الخصائص: ٢٨٣
(١٢٩) ديوان رؤبة:٩٦
(١٣٠) ديوان لبيد:٢/ ١١٢
(١٣١) المحتسب:١/ ٨٠
(١٣٢) الخصائص:٢٨٢
(١٣٣) سورة الصّافات:١٣٠
(١٣٤) المحتسب:٢/ ٢٢٥

المصادر:

القرآن الكريم.
• ابن جنّيّ النحويّ، د. فاضل صالح السّامرّائيّ، دار عمّار، الأردنّ، ط٢، ٢٠٠٩م.
• إعراب القراءات السّبع وعللها، ابن خالويه (ت٣٧٠)، تحقيق: د. عبد الرّحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
• تأويل مشكل إعراب القرآن، ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.
• تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: د. عبد الرّزاق المهديّ، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
• الحجّة للقرّاء السّبعة، أبو عليّ الفارسيّ (ت٣٧٧هـ)، تحقيق: كامل مصطفى الهنداويّ، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
• الخصائص، ابن جنّيّ (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمّد عليّ النجّار، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٦م.
• الدراسات اللّهجيّة والصّوتيّة عند ابن جنّيّ، د. حسام سعيد النّعيميّ، دار الرّشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، جمهوريّة العراق، ١٩٨٠م.
• ديوان رؤبة بن العجّاج، ترتيب وتصحيح: وليم بن الورد البروسيّ، دار

الآفاق الجديدة، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٧٩م.
• ديوان لبيد بن ربيعة، دار صادر، بيروت-لبنان، ط١، (د.ت).
• شرح الملوكيّ في التّصريف، ابن يعيش، تحقيق: د. فخر الدّين قباوة، المكتبة العربية بحلب، ١٩٧٣م.
• طبقات القرّاء، شمس الدّين الذّهبيّ (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: د. أحمد خان، ط١، ١٩٩٧م.
• القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللّغة الحديث، د. عبد الصّبور شاهين، مكتبة الخانجيّ بالقاهرةط٣، ٢٠٠٧م.
• كتاب إعراب ثلاثين سورة منَ القرآن الكريم، ابن خالويه (ت٣٧٠هـ)، دار التربية للطباعة والنّشر والتّوزيع، بغداد.
• كتاب السّبعة في القراءات، ابن مجاهد (ت ٢٤٥هـ)، تحقيق: د. شوقيّ ضيف، دار المعارف، ط٤، ٢٠١٠م.
• كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجيّ، ط٣، ٢٠٠٦م.
• الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: د. عبد الرزّاق المهديّ، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت- لبنان،ط١، د.ت
• المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جنيّ (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النّجديّ و د. عبد الحليم النجّار و د. عبد الفتّاح شلبيّ، القاهرة، ٢٠٠٩م.
• معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ (ت)، تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت-لبنان، ١٩٩٣م.
• معاني القرآن، الفرّاء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
• معاني القرآن وإعرابه، الزّجّاج (ت٣١١هـ)، تحقيق: د. عبد العزيز عبده شلبيّ، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.
• مراتب النحويين، أبو الطّيب عبد الواحد بن عليّ اللّغويّ (ت٣٥١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة (د.ت).
• نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباريّ (ت)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
• النشر في القراءات العشر، ابن الجزريّ، أبو الخير محمد بن محمد،(ت٨٣٣هـ)، تحقيق: عليّ محمد الضّباع، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط١، د.ت.
• النقد اللّغويّ في التراث العربيّ، د. ممدوح محمد خسارة، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، مج ٨٤، ج٤، ٢٠٠٩م.

Linguistic criticism in Quranic readings, Al Mohtasib for Ibn Genie (392AH) as a model

Abstract:

This research seeks to study the linguistic criticism directed at some Quranic reading that are not subject , in any way, to the rules of Arabic . these critics are the owners of the meaning and expressions of the Quran , such as al-Kissai and al-Fara , and among them were write in the Quranic reading, such as Abu Ali Al-Nahawi , Ibn Mujahid, Ibn Khalawayh, and Ibn Jinni was the most famous of these critics.

What distinguished his method from the responses that he does not see as correct and straight, and then (Al- Muhtasib) was the most important source of research.

Although most of his criticism of the reading focused on the opinion of Ibn Mujahid.

Linguistic criticism of the Quranic reading according to Ibn Jinni did not have a single reference , but rather had multiple reference , including the levels of the language with a sound, such as slurs ,hams, tides, convergence of residents, and so on.

محور
الدراسات الإسلامية

حولية المنتدى

أحوال نزول الوحي على الرسول محمد(صلى اللّه عليه وآله وسلم) / دراسة في الافتراءات الاستشراقية
الصرع وفقدان الوعي والهوس / إنموذجا

المدرس الدكتور ثـائـر هادي رسن راشد العقيلي
المدرسة / إعدادية الرسالة للبنين / مديرية تربية البصرة
:dr.thaer78@gmail.com

الملخص:
تعددت المدارس الفكرية التي اهتمت في دراسة السيرة النبوية بمختلف الموضوعات عبر التاريخ سواء في حيثيات المصدرية العربية التي صورت الوحي محور بحثنا الموسوم ((أحوال نزول الوحي على الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم) قراءة في الفكر الأستشراقي والإسلامي))، بصور مختلفة أمثال صلصلة الجرس والثقل والكرب وهيأة السكران وغير ذلك أو التيارات الاستشراقية التي تمثل النزعة العدائية السمة البارزة في اغلب الدراسات التي صورت صورة احوال الوحي بالصرع وفقدان الوعي والهوس ونحن في بحثنا هذا سوف ندرس هذه الحيثيات المختلفة وقد اتضح لنا عدم صحة كل ذلك بالأدلة النقلية والعقلية.

المقدمة:

يمثل الفكر الأستشراقي بمختلف مدارسه مساراً مهماً من المسارات التي ينبغي الوقوف عليها،خصوصاً في المسارات التي اهتمت في السيرة النبوية،من أجل الدفاع عن تلك السيرة العطرة ،ولمعرفه متبنيات تلك المدارس الأستشراقية ،وذلك لان الأغلب من تيارات تلك

المدارس يحمل الدوافع العصبية والمذهبية من أجل تشويه المنظومة الإسلامية . ونجد هذا المعنى يذهب إليه احد الباحثين المحدثين بقوله: ((نادراً ما نرى مستشرقاً لم يتناول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) أو الدعوة الإسلامية في كتبه أو أبحاثه وإننا نستطيع أن نؤكد رغم تبدل النظرة الأستشراقية ...فأن الأغلبية من المستشرقين لم يتمكنوا من التخلص من الفكر المعادي والتفسير المشوهة للرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) والقران الكريم))[1].

ومن دون شك أن هذه النظرة لها بيئة فكرية انطلقت منها ويبدو إنها ترجع إلى ثقافة الرأي العام الأوربي في العصور الوسطى بل أثرها اتسع فامتد إلى عصر النهضة مثل دانتي في الكوميديا العالمية الذي كان الإسلام في نظرة ليس أكثر من زندقة وفولتير يصف الإسلام والرسول بصفات نابية تناقض كل القيم التي نادت بها حركة التنوير الأوربية واستمر العداء وصولاً إلى القس الكاثوليكي لامنس الفرنسي الذي كان متعصباً كثيراً على السيرة النبوية.[2].

نجد عدد من المفارقات الفكرية في اهتمام الأستشراق في دراسة السيرة النبوية ، وتحديداً في عدد من البعديات المهمة والتي يأتي في مقدمتها منظومة الوحي وفي جميع مفاصلها الفكرية ،والتي تتمثل في أمرين مهمين هما:

الأول:تبني المستشرقون إنكار النبوة والوحي الإلهي المنزل على الرسول (محمد صلى الله عليه واله وسلم) وتكذيبهما.[3] ،الثاني:إتباع المستشرقون مناهج عديدة في معالجة السيرة النبوية ومنها الوحي، ومن أبرز تلك المناهج المنهج التحليلي والأثر والمؤثر والعلماني والنفسي والتشكيك والهدم والبناء،وأبرز من اعتمد على الأخير مونتكمري وات وغوستاف وغيرهما،وهذه مناهج تشكك في السيرة ومنكرة للوحي.[4].

بحثا يشير إلى أمرين مهمين الأول:المظاهر الجسدية التي ترافق الوحي المحمدي والثاني:الثنائية النصية في الفكر الأستشراقي

والإسلامي لتلك الأحوال بصورة عامة ومناقشة أقوال المستشرقون بصورة خاصة. ومن الجدير بنا الإشارة إلى نقطة جوهرية في البحث والتي تتلخص في اعتماد المدارس الأستشراقية على مصادر المدرسة السنية فقط،الأمر الذي يخلق مصدرية أحادية الفكر في المنظومة الاستشراقية في مخرجات النتائج التي تدرس أي مفصلية من مفاصل السيرة النبوية .وهذا الأمر نجدهُ في جميع اهتماماتهم في الشرق الإسلامي.

في هذه الدراسة سوف نعتمد على المنهج التحليلي للنصوص التي سوف نعتمد عليها،متعمدين في ذلك على المصادر المتنوعة التي تتطلبها الدراسة ،والبحث قائم على فرضية الدفاع عن جزئية من جزئيات السيرة النبوية والتي تتمثل تحديداً في أحوال نزول الوحي على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم).وان هذه المديات البحثية تستلزم منا دراسة البحث بمقدمة وعدد من المحاور وخاتمة. وابرز تلك المحاور الأتي.

اولاً :دراسة مفهوم الوحي في اللغة والاصطلاح.

ثانياً:الوحي في النص القرآني.

ثالثاً :العلاقة بين الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وصورة الوحي

رابعاً: أقوال المستشرقون في أحوال نزول الوحي.

وهذا يستلزم منا بعد الذي تقدم دراسة هذا البحث عبر عدد من المحاور أبرزها الأتي.

اولاً: دراسة مفهوم الوحي في اللغة والاصطلاح.

شكل الوحي ظاهرة من الظواهر ذات البعدية الثنائية بين الأرض والسماء، بواسطة تواصلية تعد من أسمى وأقدس الوسائط التي تسخر لأداء تبليغ رسالات السماء عن طريق الأنبياء والرسل (عليهم السلام)، الأمر الذي أفرز إشكالية حقيقة الوحي كمنظومة، ويستلزم منا ذلك دراسة المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الوحي كالأتي:

١- الوحي لغةً.

يرجع أصل الوحي إلى الفعل الثلاثي، وحى: والوحي هو الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام

والكلام الخفي[٥]، بل كل ما ألقيته إلى غيرك[٦]. ويقال: وحيت إليه الكلام، وأوحيت وأوحى وحيا، وأوحى إليه، بعثه[٧]، والوحي: يوحيه الله سبحانه إلى أنبيائه، وسمي وحياً لأن الملك أسره عن الخلق، وخص به النبي المبعوث إليه، وأصل الإيحاء، ان يسر بعضهم إلى البعض، قال تعالى: ((يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا))[٨]، وكذلك الإيماء يسمى وحياً[٩].

٢-الوحي اصطلاحاً .

عرف المفيد الوحي الاصطلاحي بقوله : ((وأصل الوحي هو الكلام الخفي ، ثم قد يطلق على كل شيء قصدية إفهام المخاطب على السر له عن غيره، والتخصيص له به دون من سواه، وإذا أضيفت إلى الله تعالى كان فيما يخص به الرسل (صلى الله عليهم) خاصة دون من سواهم على عرف الإسلام وشريعة النبي(صلى الله عليه واله وسلم) ....))[١٠].

ومن هنا يتضح أن العوامل المشتركة بين التعريفين ، هي أن الوحي كلام خفي للاتصال بالأنبياء والرسل (عليهم السلام) ، وغيرهم بواسطة أو دونها .

ثانياً : الوحي في النص القرآني.

شكل النص القرآني الحجر الأساس في فهم أبعاد الوحي ، بما له من انعكاسات مختلفة ، فأول ما نلاحظه البعدية الرقمية للوحي ، والتي بلغت (٧٨) موضعاً [١١]، وعند استقراء آيات النص القرآني التي أشارت للوحي ، نستطيع أن نقسمها إلى عدة أقسام أبرزها :-

١- الوحي النبوي :-

ونقصد بالوحي النبوي : هو الوحي الذي يختص بالأنبياء والرسل (عليهم السلام) فقط ، وقد أشار النص القرآني له في عده آيات منها قوله تعالى : ((وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ))[٢١]، وقوله تعالى : ((وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ))[٣١].

ومن الأبعاد ذات الأسس المهمة في النص القرآني، بما يرتبط برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) منها ما يرتبط بالحكمة التي أوحى الله

بها إليه، والتي أشار لها في قوله تعالى: ((ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِ))[٤١]. وفي سياق اطلاعه على الغيب قال تعالى: ((ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ))[٥١]، ويبدو على الرغم من عظمة المنزلة والعلاقة بين الحق سبحانه وتعالى ورسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) والتي أكدت النصوص القرآنية إتباعه الوحي كما في قوله تعالى: ((قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي))[٦١]، نجد النص القرآني يشير إلى لغة التهديد والوعيد تجاهه(صلى الله عليه واله وسلم) كما في قوله تعالى: ((وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ))[٧١].

٢- الوحي غير النبوي.

ونقصد بالوحي غير النبوي: هو الوحي غير المختص بالأنبياء والرسل (عليهم السلام) وهو على أقسام منها: الوحي التكويني كما في قوله تعالى: ((فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَا))[٨١]، ومنها: وحي الإلقاء بالمدارك الغريزية كما في قوله تعالى: ((وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ))[٩١]، ومنها وحي الإلهام، كما في قوله تعالى: ((وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ))[٠٢]، ومنها: وحي الوساوس الشيطانية كما في قوله تعالى: ((وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا))[١٢].

ثالثاً: العلاقة بين الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وصورة الوحي.

على الرغم من أهمية محورية الوحي في الرسالة، نجد النص القرآني، قد غيب الكثير من الجزئيات بصورتها المباشرة، وأحياناً غير المباشرة، وهذا ما سوف نحاول إن نتلمسه للبحث عن أبرز معالم العلاقة الثنائية بين الوحي والنبوة، التي شكلت سورتا التكوير والنجم المادة الأساسية في أبعاد ذلك، أن أول ما يتبادر للذهن في دراسة علاقة الوحي بالنبوة، اللقاء الأول

بين الملك المرسل ورسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ومادة الحديث والأجواء التي سادت بين الطرفين ؟ ويبدو أن النص القرآني قد أغفل تفاصيل هذه الحيثيات في بدايات النزول ثم تدرج في إنزالها وتوثيقها في سورتي التكوير ثم النجم .

١-صور اللقاء بين النبي (صلى الله عليه واله وسلم) والوحي.

يفهم من بعض إشارات النص القرآني أن اللقاء الأول كان في السماء وذلك في قوله تعالى : ((وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ))[٢٢]، وقوله تعالى : ((وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ))[٣٢]، ويبدو من الجمع بين الآيتين أن رؤية رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لجبرائيل (عليه السلام) ، قد تحققت وهو بالأفق والمراد بالأفق : ناحية الشرق من السماء[٤٢]، ويراد بالمبين : الناحية الظاهرة[٥٢] . ويبدو من دلالات الآية الإطلاق في تحقق الرؤية ، أننا لا نستبعد وقوع رؤية رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لجبرائيل (عليه السلام) بالعين الباصرة ، وهذا المتبنى تعززه بعض الروايات التاريخية ، منها ما روي عن السيدة عائشة قالت : ((من زعم ان محمداً رأى ربه عز وجل ، فقد أعظم الفرية على الله عز وجل ، ولكن رأى جبريل (عليه السلام) ، مرتين في صورته وخلقه ساداً ما بين الأفق))[٦٢]، ومن هنا يتضح أن مكان الرؤية للقاء الأول ، كان في السماء الأرضية ، كما أشارت إلى ذلك الآيات ، أما اللقاء الثاني كان في السماء غير الأرضية ، وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى : ((وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ))[٧٢] أما ما يرتبط بمادة الحديث التي دارت بين رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وجبريل (عليه السلام) ، فلم تتضح من خلال النص القرآني ، فغاية ما تم الإشارة إليه البعد التعليمي من الوحي وذلك في قوله تعالى : ((إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ))[٨٢] وقوله تعالى : ((عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ))[٩٢].

يبدو إن هاتين الآيتين لا توضحان الحديث الذي دار بين رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وجبرائيل (عليه السلام) ، فغاية ما أكدته الآية الأولى كما يرى جعيط بقوله

: ((هـذا المقطـع ذو أهميـة كـبرى لعـدة أسـباب هـو ينعـت الـوحي بأنـه قـول أي إفصـاح بالـكلام ورسـول كريـم مبعـوث مـن الله يحمـل إلى محمـد كـلام الله))[٠٣]، اما الآيـة الثانيـة : أكـدت التعليـم الإلهـي النـازل مـن السـماء عـن طريـق جبريـل (عليه السلام) ، إلا إنهـا أغفلـت طبيعـة ذلـك التعليـم ، والراجـح أن أحـد أهـم مصاديـق ذلـك التعليـم ، القـرآن الكريـم ، والتـي كانـت سـورة الفلـق مـن أوائـل نزولـه وهـذا مـا سـوف ندرسـه في المحـور التاريخـي .

ويبـدو مـن جميـع الآيـات المتقدمـة ، فضـلاً عـن قولـه تعـالى : ((فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ))[١٣]، إن أجـواء اللقـاء الأول كانـت أجـواء وديـة ؟! خصوصـاً أن الآيـة تحمـل أبعـاد الهمـس والإيحـاء ، والمهـم جـداً أن نصـوص القـرآن لم تسـجل حالـة ذهنيـة أو اسـتغراب تملكـت روع رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) الأمـر الـذي يعكـس المعرفـة السـابقة بينهـما أو علمـه (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) بإحـدى وسـائل الوحـي المختلفـة.

أكـد النـص القـرآني في عـدة آيـات عـلى صفـات نعـت بهـا جبرائيـل (عليه السلام) منهـا قولـه تعـالى : ((إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ))[٢٣]، وفي قولـه تعالى : ((ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَّكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ))[٣٣]، وقولـه تعـالى : ((عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ))[٤٣]، ويبـدو إن هـذه الأوصـاف السـبعة مـن الحـق سـبحانه لجبرائيـل (عليه السلام) تؤكـد عظمتـه التـي جعلـت منـه مـلاكاً لأداء دور الرسـول بـين السـماء والأرض ، وهـذه الإشـارات تؤكـد اختصـاص جبرائيـل (عليه السلام) ، برسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم)، دون سـائر الملائكـة والتـي منهـا قولـه تعـالى : ((قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ))[٥٣]، وقولـه تعـالى : ((وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ))[٦٣]، وقولـه تعـالى : ((قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ))[٧٣].

إن هـذه الآيـات تعـد دليـلاً قاطعـاً عـلى عـدم صحـة بعـض المرويـات

التي رواها المؤرخون ، منها ما روي عن عامر الشعبي، قال : ((إن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، أُنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، وكان معه إسرافيل ثلاث سنين ، ثم عزل عنه إسرافيل واقرن به جبريل عشر سنين بمكة وعشر سنين مهاجراً بالمدينة .....))[٨٣] .

وأبرز ما نسجله من ملاحظات على هذا النص الآتي :-

١- قد أشارت الآيات والتي منها (٩٧) من سورة البقرة والآية (١٩٢) من سورة الشعراء ، والآية (١٠٢) من سورة النحل ، إلى أن الملك المختص بنزول الوحي هو جبريل (عليه السلام) ، وليس ملكاً آخر .

٢- عدم وجود الحكمة من تكليف غير جبريل (عليه السلام) ، بملازمة النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، طول انقطاع الوحي طيلة ذلك . لذلك فنحن لا نسلم بصحة هذه الرواية .

على الرغم من أن جبريل (عليه السلام) ، كان له دور مهم ، كواسطة الاتصال بين الأرض والسماء ، إلا إنها كما يبدو لم تكن الوحيدة بدليل قوله تعالى : ((وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ))[٩٣].

وقد فسر الخزاري هذه الآية بقوله : ((والمعنى ما كان لبشر أن يكلمه الله نوعاً من أنواع التكليم، إلا بهذه الأنواع الثلاثة: ان يوحى وحياً، او يكون من وراء حجاب، او ان يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء، ثم إن ظاهر الترديد في الآية بـ (أو) هو التقسيم على مغايرة بين الأقسام ، وقد قيد القسمان الأخيران بقيد كالحجاب والرسول الذي يوحي إلى النبي، ولم يقيد القسم الأول بشيء ، فظاهر المقابلة يفيد ، أن المراد به التكليم الخفي من دون أن يتوسط واسطة بينه تعالى وبين النبي أصلاً، وإما القسمان الآخران ففيهما قيد زائد، وهو الحجاب او الرسول الموحي وكل منهما واسطة غير أن الفارق أن الواسطة الذي هو الرسول يوحي إلى بنفسه والحجاب واسطة ليس بموحٍ، وإنما الوحي من ورائه، ولما كان للوحي في جميع

هـذه الأقسـام نسـبة إليـه تعـالى عـلى اختلافهـا صـح إسـناد مطلـق الوحـي إليـه بـأي قسـم مـن الأقسـام تحقـق ...))[٠٤].

وينبغـي لنـا ان نتسـاءل هـل كان جبريـل (عليه السلام) يـأتي بصورتـه الحقيقيـة لرسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) أم يـأتي بصـورة أخـرى كالآدميـين ؟ وإذا كان كذلـك فهـل كانـت هنـاك صـورة واحـدة أم صـور عـدة ؟

إن الجـواب يسـتلزم منـا الوقـوف عـلى النـص القـرآني ثـم الروايـات التاريخيـة ، ومـا نجـده في النـص القـرآني الإشـارة إلى تحقـق الرؤيـة الحقيقيـة مـن رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) لجبريـل مرتـين ، الأولى في الأرض كـما في قولـه تعـالى : ((وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ))[١٤]، والثانيـة في السـماء كـما في قولـه تعـالى: ((وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ))[٢٤]. ولكـن مـا يلاحـظ إن إثبـات الرؤيـة مـن خـلال النـص القـرآني ، لم يصاحبهـا إشـارة إلى هيـأة جبريـل (عليه السلام) الحقيقيـة ، إمـا الروايـات التاريخيـة ، فنجدهـا رسـمت لنـا عـدة صـور لجبريـل (عليه السلام) عنـد لقائـه برسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) ، أبرزهـا :-

١- روي عـن ابـن عبـاس قـال : ((كان رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) يغـدو إليـه عـلي في الغـداة ، وكان يحـب أن لا يسـبقه إليـه أحـد، فـإذا النبـي في صحـن الـدار ، وإذا رأسـه في حجـر دحيـة بـن خليفـة الكلبـي ... فانتبـه النبـي فقـال : مـا هـذه الهمهمـة، فأخـبره الحديـث، فقـال : لم يكـن دحيـة ، كان جبرئيـل ....))[٣٤].

٢- روي عـن عمـر بـن الخطـاب قـال : ((بينـما نحـن ذات يـوم عنـد نبـي الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) ، إذ طلـع علينـا رجـل شـديد بيـاض الثيـاب شـديد سـواد الشـعر .... لا نـرى عليـه أثـر السـفر ولا يعرفـه منـا أحـد حتـى جلـس إلى نبـي الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) ... ثـم قـال يـا محمـد أخـبرني عـن الإسـلام .... ثـم قـال : أخـبرني عـن الإيـمان .... ثـم قـال : أخـبرني الإحسـان ..... فقـال لي : رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) : يـا عمـر أتـدري مـن السـائل

قال : قلت : الله ورسوله أعلم قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم))[٤٤].

٣- روي عن أبي سعيد الخدري قال : ((كنت مع النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ، بمكة إذ ورد عليه أعرابي طويل القامة عظيم الهامة محتزم بكساء ملتحف بعباء قطواني ، قد تنكب قوساً وكنانة ، فقال : للنبي (صلى الله عليه واله وسلم): يا محمد أين علي بن أبي طالب من قلبك ؟ فبكى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم).... ثم قال : يا أعرابي والذي فلق الحبة وبرأ النسمة وسطح الأرض على وجه الماء ، لقد سألتني عن سيد كل أبيض وأسود وأول من صام وصلى وزكى وتصدق .... قال : فغاب الأعرابي من بين يدي رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، فقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لأبي سعيد : يا أخا جهينة هل عرفت من كان يخاطبني في ابن عمي علي بن أبن طالب ؟ فقال : الله ورسوله أعلم قال : كان والله جبريل هبط من السماء إلى الأرض ليأخذ عهودكم ومواثيقكم لعلي بن أبي طالب(عليه السلام)))[٥٤]. وأبرز ما نسجله على هذه النصوص الآتي.

١- إن هذه النصوص تثبت عدم تشكل جبريل (عليه السلام) في مجيئه لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، في صورة أو هيأة واحدة .

٢-لم تنحصر دوافع مجيء جبريل (عليه السلام) ، لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، لإنزال القرآن او نحوه ، بل أحياناً يأتي لتعليم المسلمين بعض الأحكام والآداب الشرعية .

٢-صور نزول الوحي:

وبعد الذي تقدم من هذا المتبنى الاستشراقي القائل بإصابة الصرع لرسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) لابد لنا من الوقوف لمعرفة المرويات الإسلامية ومدى انسجامها او عدم انسجامها معه،ويبدو لنا من خلال استقراء بعض المصادر نجدها ، قد شكلت قاعدة وأساس للمتبنيات الاستشراقية ،وقد مر بنا في هذه المقولة بعض المرويات ،وسوف نشير إلى عدد منها هنا ومن أبرزها الأتي.

١- صلصلة الجرس .

روي عـن السـيدة عائشـة قالـت : ((سـأل الحـارث بـن هشـام رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) فقـال : كيـف ينـزل عليـك الوحـي؟ فقـال رسـول الله : كل ذلـك يأتينـي الملـك أحيانـاً في صلصلـة الجـرس ، وهـو أشـقه عـليَّ فيفصـم عنـي قـد وعيتـه ، ويتمثـل لي الملـك أحيانـاً في صـورة رجـل فيكلمنـي فأعـي مـا يقـول))[٦٤].

٢ - الثقل والتربد :

روي عـن ابـن عبـاس قـال : ((كان إذا نـزل عـلى رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) الوحـي ثقـل عليـه ، وتربـد لـه جلـده ، وأمسـك النـاس عـن كلامـه))[٧٤].

٣-الكرب والتربد :-

روي عـن عبـادة بـن الصامـت، قـال : ((إن النبـي (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) كان إذا نـزل عليـه الوحـي كُـرب لـه وتربـد وجهـه))[٨٤].

٤- هيئة السكران :-

روي أنـه: ((كان إذا أوحـي إلى رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) وقُـذ لذلـك سـاعة كهيئـة السـكران))[٩٤].

٥- شدة التعرق :-

روي عـن السـيدة عائشـة قالـت : ((ولقـد رأيتـه ينـزل عليـه الوحـي في اليـوم الشـديد الـبرد ، فيغصـم عنـه وان جبينـه ليتفصـد عرقـاً))[٠٥].

٦- نكـس رأسـه :- روي عـن عبـادة بـن الصامـت قـال:((كان النبـي (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) إذا أُنـزل عليـه الوحـي نكـس رأسـه ونكـس أصحابـه رؤوسـهم ، فلـما أتـلي عنـه رفـع رأسـه))[١٥].

٧- احمرار الوجه.

روي عـن عبـادة بـن الصامـت قـال : ((كنـا جلوسـاً عنـد النبـي (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) إذا احمـر وجهـه ، وكان يفعـل ذلـك ، إذا نـزل عليـه الوحـي ، فأخـذه كهيئـة الغـشي لمـا يجـد مـن ثقـل ذلـك ، فلما أفـاق قـال : خـذوا عنـي ، قـد جعـل الله لهن سبيـلاً ...))[٢٥].

وبعـد دراسـة هـذه المرويـات نسـجل الآتي .

١- إن جميـع النصـوص غيبـت زمكانية هـذه الصـور بصـورة تامـة ، بحيـث لا يسـتطيع الباحـث ان يعتمـد عـلى خـط بيـاني لمعرفـة صعـود أو نـزول هـذه الصـور وانعكاسـاتها عـلى فـرض

صحتها .

٢- يبدو أن جميع هذه الصور أثبتت البعد الإلزامي والقهري في حدوثها وليس لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) اختيار في ذلك .

٣- إن هذه الصور عموماً وصورة المغشي عليه وصورة كهيئة السكران خصوصاً تجعل من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) محل انتقاص او استهزاء من المجتمع ، وهذا أمر لا يمكن أن نتعقله او قبوله مطلقاً .

٤- لو جمعنا هذه الصور المتعددة خصوصاً صورة المغشي عليه وهيئة السكران او تنكيس الرأس ، ينتج لنا أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) كان مصاباً بحالة من انفصام الشخصية او الصرع او الجنون الوقتي ، وحاشا لسيد الكائنات ان يكون كذلك وهو المنزه من السماء في قوله تعالى : ((وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ)).

٤-وجود بعض الروايات المعارضة لهذه المرويات ، إذ لم نجد فيها إحدى هذه الصور ، كصورة نزول بصورة دحية الكلبي او صورة الأعرابي، فضلاً عن جميع مرويات الغار التي لم تشر إلى هذا الأمر مطلقاً. الأمر الذي يدفعنا للاعتقاد إن هذه الروايات جاءت متأخرة بالمقارنة مع سائر عناوين الروايات أعلاه .

٥-أننا لا نجد من الحكمة وجود هكذا صور مطلقاً ، تكون مصاحب لنزول الوحي، بل ربما أثرها أكثر سلبية من الايجابيات المترتبة عليها .

٦-لم نجد في القرآن الكريم أي أشارة إلى حالة مشابه مر بها احد من الأنبياء (عليهم السلام) ،كما حال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في المتبنيات الاستشراقية والمرويات الإسلامية كما سوف نبين ذلك في هذه الجزئية.

ومن جملة ما تقدم من هذه الملاحظات ، فأننا نعتقد بعدم صحة جميع هذه الروايات.

وبعد الذي تقدم علينا ان نقف مع متبنيات مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) حول صور نزول الوحي ،وما نفهمه من النصوص الواردة أنها لا تتبنى ما تذهب إليه الروايات الإسلامية مطلقاً، ومن ابرز تلك الروايات ما روي عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قوله

: ((ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن كان فطيما أعظم ملكا من ملائكة يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره))[٣٥].ونلاحظ من هذا النص ان الرسول الأكرم عاش مرحلة مهمة من مراحل الإعداد الإلهي حتى يصل إلى مقام الرسالة،وهذا يعكس بصورة جلية انه لم يمر في ملابسات نزول الوحي فضلاً انه كان على علم تام في نزول الوحي الخاص في الرسالة.

وروي في ذات السياق عن زرارة قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : ((كيف لم يخف رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيما يأتيه من قبل الله أن يكون ذلك مما ينزغ به الشيطان ؟ قال : فقال : إن الله إذا اتخذ عبدا رسولا أنزل عليه السكينة والوقار ، فكان يأتيه من قبل الله عز وجل مثل الذي يراه بعينه))[٤٥] .

نجد في هذا النص إشارة مهمة تتمثل في الرعاية الإلهية في أنزال السكينة على الرسول وليس رسول الإسلام فحسب بل جميع رسل السماء وهذا الأمر نجده واضحاً من إشارة الإمام المطلقة .وعند قراءة النصين معاً نجد الاشتراك واضحاً الرعاية الإلهية للرسل والمشاهدة الحقيقة للوحي .

وبعد الذي تقدم علينا ان ندرس حقيقة مهمة تعد أساس لدراسة جميع التهم التي وجهت إلى النبي (صلى الله عليه واله وسلم) من قبل المستشرقين وذلك في مسار جزئية مهمة تتمثل في فرضية هل كان نزول الوحي على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) نزولاً روحياً أو مادياً؟.وهذا السؤال طبيعي ومهم جداً من أجل الرد على جميع الروايات بل يعد أساس نرد من خلاله على جميع ما يروى في مصادرنا أو مصادر المستشرقين ايضاً.؟.

أن أول المصادر التي يجب الوقوف عليها للبحث عن حقيقة هذا الاتجاه الفكري الذي نحن في صدد البحث عن أحوال نزول الوحي القرآن الكريم ،ولم نجد فيه إلى ما يرتبط في هذا المعنى قوله تعالى :((إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا))[٥٥]... وهنا ينبغي علينا الوقوف

على الأبعاد التفسيرية حول هذه الآية ، وبمختلف المدارس الفكرية ذات الاتجاهات العقدية ،ومن بين من فسر هذا المعنى الوارد في الآية وقال الشريف الرضي : ((والمراد به أن القرآن لعظم شأنه ، وصعوبة أدائه ، كالعبء الثقيل الذي يشقّ على من حمّله ، وألقى عليه ثقله)) [٦٥]. و قال الطوسي: ((إخبار من الله تعالى لنبيه أنه سيطرح عليه قولا ثقيلا . وقال الحسن وقتادة : إنه يثقل العمل به لمشقة فيه . وقال ابن زيد : معناه العمل به ثقيل في الميزان والأجر ، ليس بشاق . وقيل : معناه قول عظيم الشأن ، كما تقول هذا الكلام رزين ، وهذا قول له وزن إذا كان واقعا موقعه)). [٧٥]

وقال الطباطبائي : ((قوله تعالى : إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا « الثقل كيفية جسمانية من خاصته أنه يشق حمل الجسم الثقيل ونقله من مكان إلى مكان وربما يستعار للمعاني إذا شق على النفس تحملها أو لم تطقها فربما أضيف إلى القول من جهة معناه فعد ثقيلا لتضمنه معنى يشق على النفس إدراكه أو لا تطيق فهمه أو تتحرج من تلقيه كدقائق الأنظار العلمية إذا ألقيت على الإفهام العامة ، أو لتضمنه حقائق يصعب التحقق بها أو تكاليف يشق الإتيان بها والمداومة عليها . والقرآن قول إلهي ثقيل بكلا المعنيين : أما من حيث تلقي معناه فإنه كلام إلهي مأخوذ من ساحة العظمة والكبرياء لا تتلقاه إلا نفس طاهرة من كل دنس منقطع عن كل سبب إلا الله سبحانه ، وكتاب عزيز له ظهر وبطن وتنزيل وتأويل تبيانا لكل شئ ، وقد كان ثقله مشهودا من حال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بما كان يأخذه من البرحاء وشبه الإغماء على ما وردت به الأخبار المستفيضة . وأما من حيث التحقق بحقيقة التوحيد وما يتبعها من الحقائق الاعتقادية فكفى في الإشارة إلى ثقله قوله تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون «[٨٥]. وقوله تعالى : « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى «[٩٥]. وأما من حيث القيام بما يشتمل

عليه من أمر الدعوة وإقامة مراسم الدين الحنيف ، وإظهاره على الدين كله فيشهد به ما لقي (صلى الله عليه وآله وسلم) من المصائب والمحن في سبيل الله والأذى في جنب الله على ما يشهد به الآيات القرآنية الحاكية لما لقيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من المشركين والكفار والمنافقين والذين في قلوبهم مرض من أنواع الإيذاء والهزء والجفاء .فقوله : « إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا « المراد بالقول الثقيل القرآن العظيم على ما يسبق إلى الذهن من سياق هذه الآيات النازلة في أول البعثة ، وبه فسره المفسرون)).[٠٦].

وفي مسار تفسيري أخر فسرها الطبري بقوله : ((اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا فقال بعضهم : عني به إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا العمل به . ذكر من قال ذلك : ، عن الحسن ، في قوله : إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا قال : العمل به ، ولكن العمل به ثقيل عن قتادة قوله : إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ثقيل والله فرائضه وحدوده . وقال آخرون : بل عني بذلك أن القول عينه ثقيل محمله . ذكر من قال ذلك :، عن هشام بن عروة ، عن أبيه أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها ، فما تستطيع أن تتحرك حتى يسري عنه : قال ابن زيد ، في قول الله : إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا قال : هو والله ثقيل مبارك القرآن ، كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة . وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال : إن الله وصفه بأنه قول ثقيل ، فهو كما وصفه به ثقيل محمله ثقيل العمل بحدوده وفرائضه .))[١٦].

وقال ابن العربي: ((قوله تعالى (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) فيها قولان :أحدهما :ثقله على النبي حين كان يلقيه الملك إليه وقد سئل كيف يأتيك الوحي فقال أحياناً يأتيني الملك مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قال وقد كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيتفصَّد جبينه عرقاً الثاني : ثقل العمل به قاله الحسن وقتادة

وغيرهما والأول أولى لأنه قد جاء (وما جعل عليكم في الدين من حرج)) [٢٦]. وجاء عن النبي بعثت بالحنيفية السَّمحة وقد قيل أراد ثقله في الميزان)) [٣٦]. وفسرها الرازي بقوله : (((إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) ذكروا في تفسير الثقيل وجوهاً أحدها : وهو المختار عندي أن المراد من كونه ثقيلاً عظم قدره جلالة خطره ، وكل شيء نفس وعظم خطره ، فهو ثقل وثقيل وثاقل ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء...)). [٤٦].

ومن خلال ما تقدم نجد أن الأعم الأغلب من الآراء تتجه إلى القول في المعنى المعنوي وليس المادي. ومن الجدير بالقول إننا أذا استقرانا الآيات الشريفة ذات العلاقة مع الأنبياء (عليهم السلام)، لم نجد أي إشارة تشير إلى علاقة نزول الوحي بالصور السلبية مثل تعرق وارتعاش وغير ذلك .

رابعاً: أقوال المستشرقون في أحوال نزول الوحي.

نلاحظ ان المستشرقين قد اعتمدوا في دراسة أحوال نزول الوحي على النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) من حيث المصدرية الفكرية على مصادر أهل السنة، الأمر الذي يعكس أحادية المصدرية في دراساتهم ،وهذا المنهج اعتمدته اغلب المدارس الأستشراقية وربما جميعها ، ونحن سوف نشير إلى بعض الآراء بصورة دقيقة ومركزة من خلال أقوال أشهر المستشرقين وهي كالأتي :

١-الصرع .

تعد شبهة إصابة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بالصرع حال نزول الوحي من أقدم المفتريات على السيرة ،إذ ورد أقدم إشارة لها في كتابات البيزنطي ثيوفانيس Theophanes [٥٦]،فمن الندرة ان تجد كاتباً غربياً لم يتعرض لهذه الشبهة .[٦٦]. واعتقد إن الأمر يرجع إلى عدد من المشتركات مابين جميع المستشرقون يرجع منها إلى العداء الكبير إلى الإسلام ونبيه والاعتماد على عدد من الروايات التي التاريخية التي تنتشر في مرويات

السيرة النبوية، التي تكون في الغالب أحادية الفكر في المنظومة الإسلامية . (٧٦). (٨٦).

ومن بين المستشرقين الذين قالوا في أن الأحوال التي تنتاب النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) حال نزول الوحي هو صرع مير وقد بين ذلك مشيرا إلى الروايات التاريخية التي اعتمد عليها للتجذير التاريخي لهذه الأحوال حيث يقول : ((في سن الرابعة ولما كان وديعة عند بني سعد عند مرضعته حليمة السعدية حدثت للرضيع حادثة غريبة عصفت بقلب مرضعته بشدة ولعلها كانت نوبة صرع)).(٩٦)،ويرى في موضع آخر:((وسرعان ما تكررت أعراض الصرع التي انتابت وديعتها، مما حملها إلى التخلي عنه بعد عام)).(٠٧)ويرى أيضا: ((ولا نجافي الصواب إذا عددنا تلك النوبات التي أقلقتْ حليمة، نوبات صرعية،تمثلت في بنيان محمد بأعراض طبيعية وحالات هياج وإغماء مصحوب بنشوة ،صور لعقله ان هذه النوبات ذات صلة بفكرة الوحي التي عكف أتباعه على عدها برهانا على ذلك دون أدنى ريبة))(١٧).

نلاحظ أن مير تبى هذه النتيجة بناءاً على المرويات الإسلامية ،التي أخذها مأخذ المسلمات ومن دون الدراسة التحليلية الدقيقة لها،وهذه أبرز المفارقات التي نجدها في المتبنيات الأستشراقية في دراساتهم للتاريخ الإسلامي ،الجهل في دراسات الباحثين المختصين في هذه المرويات ، ونجد مير قد أشار إلى عدد من المحطات في سيرة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) من خلال الإشارات المتقدمة الأولى: الرحلة إلى بني سعد والثانية:شق الصدر . واعتقد ان المحطتين غير صحيحتين وقد قامت عدد من الدراسات بتقديم الأدلة على عدم صحة رحلة النبي محمد(صلى الله عليه واله وسلم) إلى بني سعد.(٢٧) فضلاً عن عدم صحة شق الصدر التي تشير المرويات التاريخية إلى وقوعه أكثر من مرة.(٣٧).

ونجد الأطباء يؤكدون على حقيقة أخرى خلاف التي يشير لها مير، وذلك من خلال الوقوف على أنواع

الصرع فهم يذكرون أن هناك نوعين من الصرع هما،النوع الأول (Grand mal or major convulsions) (الصرع العظيم)،والنوع الثاني (Petit mal –Absence attack) (الصرع الصغير).فالنوع الأول له من الأعراض لا تنسجم مع ما كان يحصل عند نزول الوحي.وأبرز تلك الأعراض الأتي.

١-مدة الصرع مستمرة لمدة ثواني أو دقائق أو حتى ساعات .
٢-تسبق حالة الصرع عادة بحالة الخوف ،أو أحساس برائحة كريهة أو هلوسة سمعية مع أحساس غريب يشبه الخدر في الذراع والساق .
٣-يظهر هذا النوع من الصرع في كل الأعمار .
٤-تصاحبه حركات موقعية في الوجه والأطراف .
٥-يبدأ الصرع بحالة مفاجئة من البكاء بسبب تقلص عضلات التنفس .
٦-فقدان الوعي .
٧-حالات من الانبساط والتقلص الشديد الذي يصيب الأطراف والجذع .
٨-توقف التنفس مع ازرقاق .
٩-فقدان السيطرة على الإدرار والخروج .
١٠-عض اللسان عند مرحلة التقلص .
١١-بعد ذلك تتوقف فعاليات الجهاز الحركي الزائدة عن حدها ويرجع التنفس الى الوضع الطبيعي .
١٢-يشعر المريض بتعب عام مع صداع في بعض الأحيان مع بقايا من الشلل النصفي وتدهور في الإحساس العصبي مع صعوبة في البلع .
١٣- يحصل للمريض بعد الصرع حالة من النسيان لكل ما حدث ،مع نعاس قد يبقى لأيام قليلة.[٤٧].

ومن هنا يتضح عدم صحة ما ذهب إليه مير بإلصاق تهمة الصرع بالرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه واله وسلم).
ومن أبرز من درس النص محل الدراسة العليلي قائلاً: ((لقد أسس مير هذه القضية على رواية ابن سعد، في معرض حديثه عن حادثة

شـق الصـدر وعـلى فـرض صحـة هـذه النصوص،مـن الناحيـة الطبيـة لا توجـد علاقـة بـين الـصرع وشـق الصـدر ،كذلـك يبـدو ان ميـور أقـام هـذه القضيـة وفـق رؤيـة تخمينيـة،اذ وردت صيغـة «probably a fit of epilepsy» مـن المحتمـل انهـا نوبـة صرع» في سـياق حديثـه الـذي يتعـارض مـع المنحـى الثبـوتي الـذي شـدد عـلى انهـا نوبـات صرع تكـرر حدوثهـا، حتـى غـدت سببا لإرجاعـه إلى أمـه ، كـما انـه خالـف سـياق روايـة ابـن سـعد الأصليـة، الـذي أشـار إلى ان الرسـول كان منتقـع اللـون أي متَغَـيَّرَ اللـون إمّـا مـنْ خَـوْفٍ، وإمّـا مـنْ مَـرَضٍ،لم يـشر إلى أي مـن أعـراض الـصرع، كـما ان هـذه الحادثـة لم تكـن سـببا في إرجاعـه إلى أمـه بنحـو نهائـي لان الـذي حملهـا إلى التخـلي عـن حضانتـه نهائيـا قصـة الغمامة،وليـس كـما يـرى ميـور بسـبب تكـرار نوبـة الـصرع، وهـذا يـدل عـلى ان قراءتـه لروايـة ابـن سـعد قـراءة إسـقاطيه، فضـلا عـن ان مصـادر السـيرة لم تذكـر حـدوث أعـراض صرعيـة عـلى النبي(صـلى الله عليـه والـه وسـلم) لما كان في سـن الرابعـة مـن عمـره حتـى ينخلـع قلـب مرضعتـه)) [٥٧].

ويظهـر مبلـغ التهافـت لـدى ميـور بنحـو جـلي عندمـا يقـر بـان الرسـول(صلى الله عليـه والـه وسـلم) :((عـاش صحيحـا حتـى سـن الأربعـين وعندهـا أصـاب عقلـه المـرض))[٦٧] وهـذا يناقـض مقولتـه السـابقة بشـأن المرحلـة المرضيـة المبكرة وإقـراره بأنـه كان تـام الصحـة حتـى سـن الأربعـين ولم تبـدأ العـوارض إلا عنـد تقبـل الوحـي؛ فـلا يعقـل انـه كان مصابـا بحالـة مرضيـة ولم تظهـر عليـه طـوال ٣٦عامـاً،))،[٧٧].

وقـد أنظـم الى متبنـى ميـور كازيمرسـكي قـال: ((مـن العسـير ان نسـتعمل دائـما في ظـل هـذا الغمـوض اسـم مكـر او خبـث ولـن يفيـد ايضـاً انـه كان مصابـاً بالـصرع اوفريسـة لحالة الجنـون ...ان مايهـم ليـس ان يشـبه المـصروع اوالمجنـون ولكـن بالتحديـد ماهـو وجـه الاختـلاف بينـه وبـين هـولاء المجانـين والمصروعـين...)). [٨٧].

وكذلـك ديورانـت الـذي قـال: ((وكثـيرا مـا كان إثنـاء هـذه الـرؤى

ان يسقط على الأرض ويرتجف او يغشى عليه ويتصبب العرق من جبينه...وقد يكون إرجافه ناشئا من نوبة الصرع...ولكننا لا نسمع بأنه عض في خلالها على لسانه أم حدث ارتخاء في عضلاته كما يحدث عادة في نوبات الصرع وليس في تاريخ محمد ما يدل على انحطاط قوة العقل التي يؤدي إليها الصرع لها عاده بل نراه على العكس يزداد ذهنه صفاء ويزداد قدرة على التفكير وثقة بالنفس وقوة في الجسم والروح والزعامة كلما تقدمت به السن وقصارى القول إنا لا نجد دليلاً قاطعاً على ان ما كان يحدث للنبي كان من قبيل الصرع)) (٩٧).

وما يلاحظ على ما ذهب إليه ديورانت عدم الإشارة إلى الروايات التاريخية التي استقى منها هذا الاتجاه الفكري غير المتزن والدقيق فهذه الروايات التاريخية في المصادر، لم نقف فيها على ما يشر إليه من سقوطه الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) على الأرض أو يغشى عليه أو يدخل في غيبوبة مهما كان نوعها وتسميتها،فضلاً عن الارتجاف ، وقبل الدخول في دراسة انعكاسات هذا النص لابد من الإشارة إلى أن ديورانت ينفي هذا الاتجاه بقوله : ((وقصارى القول انا لا نجد دليلاً قاطعاً على ان ما كان يحدث للنبي كان من قبيل الصرع)) (٠٨).

ومن الجدير بالإشارة إليه اتفاق مونتغمري وات مع ديورانت في أبعاد هذه التهمة عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بقوله: ((أكد أعداء الإسلام غالباً ان محمداً كان مصابا بالصرع ،وان تجاربه الدينية لهذا لا قيمه لها ،ولكن الأعراض الموصوفة لأتشبه أعراض الصرع لان هذا النقص يؤدي إلى تخاذل جسدي وعقلي ،بينما ظل محمد حتى أخر حياته مالكاً لقواه العقلية)). (١٨). وانضم المستشرق لوبون معهم حينما ينفي تهمة الصرع بقوله : ((وقيل إن محمدا كان مصابا بالصرع ولم أجد في تواريخ العرب ما يبيح هذا القطع في هذا الرأي ،)). (٢٨).

بينما جولد زيهر قال: ((أن الحالة التي تعتري الرسول في إثناء تلقيه الوحي تختلف عن المصابين به

فعـلاً ،وان إصابتـه بالـصرع لا يذكـر إطلاقـاً مـا مربـه ، بـل لاينـس هـذه الفـترة مـن حياتـه بعـد إفاقتـه مـن نوبتـه نسـياناً تامـاً ولا يذكـر شـيئاً ممـا صنـع أو حـل بـه خلالهـا ذلـك أن حركـة الشـعور والتفكـير تتعطـل فيـه تمـام التعطيـل ،وهـذه الإعـراض التـي تصيـب المـرضى مـن الـصرع لا تنطبـق ومـا يعـتري الرسـول مـن حـالات نفسـية وفسـيولوجية في أثنـاء نـزول الوحـي عليه،لأنـه كان يكـن مقترنـاً دومـاً بالغيبوبـة الجسـمية مـع تنبـه الإدراك الروحـي غايـة التنبيـه ،بـل انـه كثـيراً مـا ينـزل الوحـي والنبـي في تمـام يقظتـه العاديـة)) [٣٨].

وقـال لامانـس في هـذا السـياق: ((أرادوا ان يجعلـوا منـه مصابـاً بالعُصاب وعرضـه لنوبـات صرع وأزمـات هسـتيرية ؟أن الذاكـرة تكـون معطلـة لـدى المصابـين بالـصرع في حـين نـرى العكـس لـدى محمـد بعـد الـرؤى التـي يشـاهدها ،لا نعلـم شـيئاً تقريبـاً عـن الثلاثـين سـنة الأولى مـن عمـره ، يبـدو مـن غـير المسـموح لنـا أن نعتمـد عـلى هـذه الظواهـر المرضيـة في طفولتـه والتـي أوردتهـا السـيرة النبويـة ،بعـد ان اسـتبعدنا بالكامـل هـذه الوثيقـة الإسـلامية عـن الطفولـة)) [٤٨].

٢-فقدان الوعي:

تعـد تهمـة القـول بفقـدان الوعـي للرسـول محمـد (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) إحـدى التهـم التـي قـال بهـا عـدد مـن المسـتشرقين ،ومـن أبرزهـم رودنسـون الـذي يـرى:))ان نـزول الوحـي عـلى النبـي يمثـل دائـماً تجربـة مؤلمـة بحيـث يمتلـئ وجـه النبـي عرقـاً والارتعـاش تهـز ويبقـى سـاعة مـن غـير وعـي كـأنه في حـال سـكر لا يسـمع مـا يقـال لـه ويعـرق بغـزارة حتـى في الأوقـات البـاردة ويسـمع أصـوات غريبـة لسلاسـل أو أجـراس أو هديـر)) . [٥٨].

لقـد بينـا فيـما سـبق أن مفهـوم نـزول الوحـي عـلى الرسـول محمد(صـلى الله عليـه والـه وسـلم) ليـس نـزولاً ماديـاً بـل نـزولاً معنوياً،وهـذا لازمـة استبعاد التعـرق والارتعـاش ،وفقـدان الوعـي ،والتعـرق ،والأصـوات الغريبـة كأصـوات السلاسـل والأجـراس او هديـر، ممـا جـاءت في النـص .ومـا ينبغـي الوقـوف عليـه هنـا مسـألة فقـدان الوعـي التـي لم يبـين

رودنسون الروايات التي استقى منها هذه الجزئية،بل لا اعتقد بوجود روايات في مصادر التاريخ والسيرة في هذا الخصوص ،واعتقد ان الأخير بما أشار جمع بين الحالات التي فيها الصوت وغيرها، وهذا الأمر يعد تطورا كبيراً بالمقارنة مع بالهوس أو الصرع.

ويبدو التجني الواضح في هذا القول الاستشراقي إذ ليس من المنطقي ان يكون المثل الأعلى في المجتمع بين المسلمين بمثل هذه الصورة ،كونها صورة غير محمودة وترسم فقدان المثل الأعلى بين المسلمين.

يذكر ارفنج فيقول: ((عندما كان محمد في غار حراء ملتحفا بردائه سمع مناديا يناديه من الأعلى ؛ رفع رأسه فإذا بالضوء الساطع مالئلاً المكان الذي لم يستطع تحمل روعته مما افقده الوعي ،وبعد ان استرد وعيه نظر إلى الملاك وكان بشكل إنسان الذي اطل عليه عن بعد لابسا رداءا حريريا منقوش عليه حروف ،قال الملاك :اقرأ! قال الرسول (ﷺ) :إنا لا اعرف القراءة ،كرر الملاك اقرأ باسم ربك الذي خلق ،خلق الإنسان من علق ،اقرأ وربك الأكرم ،الذي علم بالقلم ،علم الإنسان ما لم يعلم)) (٦٨).

يبدوان ارفنج لم يبين النص التاريخي الإسلامي الذي اعتمد عليه في هذه المقولة ،وأنا استقرب إلى ما ذهب إليه ،واصنف هذا النقل بين فرضيات الكذب المحض أو التدليس ، وإذا قلنا بصحة ذلك وهو فرض بعيد نستطيع القول أن المرويات من المرويات النادرة والشاذة في المصادر الإسلامية .

٣-الهوس.

من جملة التهم التي الصقها المستشرقون في الرسول الأعظم محمد(صلى الله عليه واله وسلم) اتهامه بالهوس، ومن أبرز الذين تبنوا ذلك لوبون قائلاً : ((وقيل إن محمدا كان ...إذا نزل الوحي عليه اعتراه احتقان وجهي فغطيط فغشيان ، وإذا عدوت هوس محمد ، ككل مفتون ، وجدته حصيفا سليم الفكر.ويجب عد محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كما هو واضح وذلك كأكثر مؤسسي

الديانـات ، ولا كبـير أهميـة لذلـك فأولـو الهـوس وحدهـم لا ذو المـزاج البـارد مـن المفكريـن ، هـم الذيـن ينشـئون الديانـات ويعـودون النـاس ، ومـن يبحـث في عمـل المفتونـين في العـالم يعـترف بأنـه عظيـم ... ولـو كان العقـل ، لا الهـوس هـو الـذي يسـود العـالم لـكان للتأريـخ مجـرى آخـر ... ولا يقـف أي قـول بخـداع محمـد ثانيـة أمـام سـلطان النقـد كـما يلـوح لي ، ومحمـد كان يجـد في هوسـه مـا يحفـزه إلى اقتحـام كل عائـق ، ويجـب عـلى مـن يـود أن يفـرض إيمانـه عـلى الآخريـن أن يؤمـن بنفسـه قبـل كل شيء .. .)). (٧٨).

يبـدو لنـا ان القـول بهـذه التهمـة التـي أطلقهـا لوبـون لم تـأت مـن فـراغ وإنـما هنـاك دوافـع تختفـي وراء هـذا المسـار المشـوه لتشـويه سـيرة الرسـول محمد(صـلى الله عليـه والـه وسـلم) وشـخصه المقـدس، ولعـل منهـا إنـكار الرسـالة بصـورة تامـة وليـس الوحـي كونـه متفـرع منها.لذلـك قـال بالهـوس ولم يحـدد مفهـوم معـين لـه، الأمـر الـذي يجعـل المطلعـين عـلى ذلـك يتوسـعون في الفهـم مـن أجـل توسـيع دائـرة التشـويه.فضلاً انـه جعـل الهوس مـن ملازمـات أصحـاب الديانـات الذيـن ينجحـون في تأسـيس الديانـات الكبـيرة ،وهـذا أمـر لا يمكـن قبولـه أن كثـير منهـم لم ينجـح في التوجـه إلى الديانـات ،ومـن الملفـت للنظـر أن يمجـد في عقليـة الرسـول (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) وهـذا التمجيـد يناقـض القـول في الهـوس الـذي جعلـه احـد أسـباب قيـادة العـالم .

أمـا سـائر الاشـارت الأخـرى التـي أشـار لهـا كحـالات مرافقـة لنـزول الوحـي مـن ((احتقـان وجهـي فغطيط فغشـيان))،لم تشـير لهـا المرويـات التاريخيـة فظـلاً عـن أننـا ناقشـنا ذلـك فيـما تقـدم وأثبتنـا عـدم صحـة التهـم المنسـوبة مـن قبـل المسـتشرقين سـواء التـي قالـت بالـصرع أو فقـدان الوعـي أو هـذه التهمـة القائلـة في الهـوس.

الخاتمة

وفي ختـام هـذا البحـث الموجـز والمركـز ننتهـي بعـدد مـن النتائـج التـي تـم اسـتخلاصها مـن هـذه الدراسـة ،ومـن ابـرز تلـك النتائـج الأتي.

١-أن المصـادر الإسـلامية شـكلت

المشكلة الأساسية والقاعدة التي انطلق منها المستشرقين لتبني بعض المسارات الفكرية التي لا تمت إلى الحقيقة في شيء.

٢-أن القرآن الكريم شكل منطلق في فهم حقيقة الوحي الذي يعد المحور الذي لحقت به التهم الاستشراقية وأشارت الآيات إلى أنواع الوحي وخلو آياته من أي ظاهرة مشابهة كانت مرافقه لسائر الأنبياء حال نزول الوحي.

٣-اعتمد المستشرقين على المرويات الضعيفة والشاذة بل كذبوا على التاريخ الإسلامي في ما يرومون التأسيس إليه.

٤- أن جميع ما ذهب إليه المستشرقون فضلاً عن المرويات الإسلامية القائلة في وجود حالات كانت ترافق نزول الوحي هي مرويات غير صحيحة وغير منطقية.

٥-أن الاهتمام في الدراسات الاستشراقية في هذه المرحلة من أهم التوجهات وهي دعوة منا الى فتح الباب على الدراسات في هذا المجال بصورة أوسع.

الهوامش:

١ - فوزي ،الأستشراق والتاريخ الإسلامي، ٥١

٢ - فوزي ،الأستشراق والتاريخ الإسلامي، ٥١

٣ - سالم الحاج ،نقد الخطاب الأستشراقي،٢٩٨/ الكعبي، صورة أصحاب الكساء،١٣٣.

٤- برتو ،الرسول الكريم في كتابات المستشرقين، ٤٣.

٥ - الجوهري ، الصحاح ،٦/ ٢٥١٩؛ ابن منظور، لسان العرب،١٥/ ٣٧٩ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ،٢٠/ ٢٧٩.

٦ - ابن منظور ، لسان العرب ، ١٥ / ٢٧٩.

٧ - ابن منظور ، لسان العرب ، ١٥ / ٣٧٩.

٨ - سورة الأنعام ، الآية (١١٢) .

٩ - الزبيدي ، تاج العروس ، ٢٠ ، ٣٧٩ .

١٠ - تصحيح اعتقادات الإمامة ، ١٢٠ .

١١ - عبد الباقي ، المعجم المفهرس ، ٩٠٠-٩٠١ .

١٢ - سورة النساء ، الآية (١٦٣) .

١٣ - سورة الأعراف ، الآية (١١٧) .

١٤ - سورة الإسراء ، الآية (٣٩) .

١٥ - سورة آل عمران ، الآية (٤٤) .

١٦ - سورة الأعراف ، الآية (٢٠٣) .

١٧ - سورة الإسراء ، الآية (٨٦) .

١٨ - سورة فصلت ، الآية (١٢) .

١٩ - سورة النحل ، الآية (٦٨) .

٢٠ – سورة القصص ، الآية (٧) .
٢١ – سورة الأنعام ، الآية (١١٢) .
٢٢ – سورة التكوير ، الآية (٢٣) .
٢٣ – سورة النجم ، الآية (٧) .
٢٤ – الطباطبائي ، الميزان ، ١٩/ ٢٥ .
٢٥ – الطباطبائي ، الميزان ، ٢٠ / ١٩٥ .
٢٦ – البخاري ، صحيح ، ٤ / ٨٣ ؛ البيهقي ، دلائل النبوة ، ٢/ ٣٧ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٢/ ١٦٦ ؛ المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ٨/ ٢٨٩ .
٢٧ – سورة النجم ، الآية (١٣-١٤) .
٢٨ – سورة التكوير ، الآية (١٩) .
٢٩ – سورة النجم ، الآية (٥) .
٣٠ – من السيرة النبوية ، ٣٩ .
٣١ – سورة النجم ، الآية (١٠) .
٣٢ – سورة التكوير ، الآية (١٩) .
٣٣ – سورة التكوير ، الآية (٢٠-٢١) .
٣٤ – سورة النجم ، الآية (٥) .
٣٥ – سورة البقرة ، الآية (٩٧) .
٣٦ – سورة الشعراء ، الآية (١٩٢-١٩٤) .
٣٧ – سورة النحل ، الآية (١٠٢) .
٣٨ – ابن سعد ، الطبقات ، ١/ ١٩١ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٢/ ١١٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢/ ٣٥٣ ؛ الذهبي ، تاريخ ، ١/ ١٢٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣/ ٧.
٣٩ – سورة الشورى ، الآية (٥١) .
٤٠ – بداية المعارف ، ١/ ٢١٢ .
٤١ – سورة التكوير ، الآية (٢٣) .
٤٢ – سورة النجم ، الآية (١٣-١٤) .
٤٣ – الطوسي ، الأمالي ، ٦٠٤ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ٣٧/ ٢٩٥ .
٤٤ – ابن حنبل ، مسند ، ١/ ٥١ ؛ البيهقي ، السنن ، ١٠ / ٢٠٣ ؛ السيوطي ، شرح سنن النسائي ، ٨ / ٩٩ .
٤٥ – البرقي ، المحاسن ، ٢/ ٣٣١ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ٤٠/ ١٠ .
٤٦ – ابن إسحاق ، سيرة ابن إسحاق ، ١٤٦-١٤٧ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ١/ ١٩٨ ؛ البخاري ، صحيح ، ١/ ٢ ؛ مسلم النيسابوري ، صحيح ، ٧/ ٨٢ ؛ الترمذي ، سنن ، ٥/ ٢٥٨ .
٤٧ – ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق ،١٤٧؛ الرازي، تفسير الرازي ،٣٠ / ١٧٤ ؛ الزيعلي، تخريج الأحاديث،٤/ ١٠٩
٤٨ – ابن سعد ، الطبقات ، ١/ ١٩٧ ؛ ابن حنبل ، مسند ، ٣١٧ ؛ مسلم النيسابوري، صحيح ، ٧/ ٨٢ ؛ السيوطي ، الجامع الصغير ، ٢/ ٣٢٢.
٤٩ – ابن سعد ، الطبقات ، ١/ ١٩٧ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢/ ٣٥٦ ؛ السيوطي ، الجامع الصغير ، ٢، ٣٢٣ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٧/ ١٥١ .
٥٠ – ابن سعد ، الطبقات ، ١/ ١٩٨ ؛ ابن حنبل ، مسند ، ٦/ ٢٥٧ ؛ البخاري ، صحيح ، ١/ ٣ ؛ الترمذي ، سنن ، ٢٥٧ ؛

النسائي ، سنن ، ٢/ ١٤٩ .

٥١ – مسلم النيسابوري ، صحيح ، ٧/ ٨٣ ؛ الطبري ، جامع البيان ،٤/ ٣٨٩ ؛ المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ٣/ ٤٦ ؛ السيوطي ، الجامع الصغير ، ٢/ ٣٢١ .

٥٢ – الطبري ، جامع البيان ،٤/ ٣٩٠ ؛ السيوطي ، الجامع الصغير ، ٢/ ١٢٩ .

٥٣– ابن شهر أشوب،مناقب ،٢،٢٨/ المجلسي، بحار الأنوار،١٥،٣٦١

٥٤ – المجلسي،بحار الأنوار،١٨،٢٦٢.

٥٥ – سورة المزمل ،اية ٥

٥٦ – تلخيص البيان ،٣١٨

٥٧ – التبيان،١٠،١٦٢

٥٨ – سورة الحشر،اية ٢١

٥٩ – سورة الرعد ،٢١.

٦٠ – تفسير الميزان،٢٠،٦١

٦١ – جامع البيان ،٢٩،١٥٩

٦٢–سورة الحج،ايه ٧٨

٦٣ – أحكام القران،٤،٣٢٨

٦٤ – تفسير الرازي ،٣٠،١٧٤

٦٥() عوض ،مصدر القرآن، ١٩٠.

٦٦()العليلي،الوحي والنبوة،١٤٣/ الدراسات القرآنية ، ٢٦٧.

٦٧() نصري ، اراء المستشرقين الفرنسيين ،١١٥/ العليلي ، الدراسات القرآنية ، ٢٦٧.

٦٨() للوقف على تفاصيل اكثر في الرد على هذه التهمة ينظر عوض ، مصدر القران ، ٧٥–٨٠

٦٩() Muir, The life of Mahomet,vol.I, p .٢١. نقلا عن العليلي ،الوحي والنبوة، ١٤٣

٧٠() Muir, Composition ,p .٩.نقلاً عن العليلي ،الوحي والنبوة،١٤٤

٧١() Muir,The life of Mahomet, vol.I, p. ٢١.نقلاُ عن العليلي ،الوحي والنبوة،١٤٤

٧٢()العقيلي ،شخصية الرسول ،٧٩–٩٢

٧٣()العقيلي ،شخصية الرسول ،١١٤–١٢٤

٧٤–الزهو،الأستشراق الأمريكي،١٤

٧٥–العليلي ،الوحي والنبوة ،١٤٥.

٧٦– Muir, Mahomet and Islam.p .٣٠. نقلاُ عن العليلي ،الوحي والنبوة،١٤٤

٧٧–العليلي ،الوحي والنبوة ،١٤٥.

٧٨–نصري ،اراء المستشرقين ا لفر نسين ، ١٣٥

٦–٧٩١–قصة الحضارة،١١، ٢٥–٢٦

٨٠–قصة الحضارة،١١، ٢٥–٢٦.

٨١ – محمد في مكة،١٠١.

٨٢ – حضارة العرب،١٣٣ –١٣٥.

٨٣ – العقيدة والشريعة في الإسلام،٦

٨٤–momhomet fut-ilsincere.٩نقلاً عن الكعبي ،صورة أصحاب الكساء ،١٣٤

٨٥–نصري ،أراء المستشرقين ا لفر نسيين ، ١١٨.

٨٦ – الزهو،الأستشراق الأمريكي،١٤٨

٨٧ – لوبون ، حضارة العرب : ١٣٣

قائمة المصادر والمراجع

أولاً :- القرآن الكريم :-

ثانياً :- المصادر الأولية :-

-أبـن إسـحاق، محمـد بـن إسـحاق بـن يسـار (ت١٥١هـ٧٦٨م).

١- سـيرة ابـن إسـحاق ،تـح سـهيل زكار ،ط١ ،قـم ، ١٩٧٨م.

- البخـاري ، أبـو عبـدالله محمـد بـن إسـماعيل بـن إبراهيـم (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م

٢- صحيـح البخـاري ، د ط ، اسـتانبول ، ١٩٨١ م .

- البرقـي ، أحمـد بـن محمـد بـن خالـد (ت ٢٧٤هـ / ٨٨٧م).

٣-المحاسـن ، تـح جـلال الديـن الحسـيني ، ط١ ، طهـران ، ١٣٧٠ هـ.

- البيهقـي ، احمـد بـن الحسـين (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) .

٤- دلائـل النبـوة ومعرفـه أحـوال صاحـب الشريعة،ط١،بـيروت،١٩٨٥م٠

٥- السنن الكبرى ، د ط ، دمكا ، د ت .

- الترمـذي ، أبـو عيسـى محمـد بـن عيسـى بـن سـورة (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

٦- سـنن الترمـذي ، تـح عبدالوهـاب عبـد اللطيـف ، ط٢ ، بـيروت ، ١٩٨٣م.

- ابـن الجـوزي ، أبـو الفـرج عبدالرحمـن بـن علي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).

٧- المنتظـم في تاريـخ الأمـم ، تـح محمـد عبدالقـادر (وآخـرون) ، ط١ ، بـيروت ، ١٩٩٢م

-الجوهـري، إسـماعيل بـن حمـاد (٣٩٣ه / ١٠٠٢م) ٠

٨-الصحـاح تـاج اللغـة وصحـاح العربيـة تح أحمـد عبـد الغفور،ط٤،بـيروت،١٩٨٧م٠

- ابـن حنبـل ، الإمـام ابـو عبـدالله احمـد بـن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م).

٩-مسـند احمـد بـن حنبـل ، د ط ، بـيروت ، د ت .

- الذهبـي ، شـمس الديـن محمـد بـن احمـد بـن عثـمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

١٠-سـير أعـلام النبلاء،تـح شـعيب الارنؤوط،ط٩،بـيروت، ١٩٩٣م٠

- الـرازي ، فخـر الديـن محمـد بـن عمـر بـن الحسـين (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) .

١١- تفسير الرازي ، ط٣ ، دمكا ، د ت .

-الزبيدي،محـب الديـن ابي فيـض (ت ١٢٥٠ه/ ١٨٣٤م) ٠

١٢-تـاج العـروس مـن جواهـر القاموس،تح علي شـيري،ط٢،بيروت ،١٩٩٤م٠

- الزيعـلي ، جمـال الديـن عبـدالله بـن يوسـف بن محمـد (ت٧٦٢هـ/ ١٣٦١م) .

١٣- تخريـج الأحاديـث والآثـار ، تـح عبـدالله بـن عبدالرحمـن السـعد ، ط١، الريـاض ، ١٤١٤هـ

- سـبط ابـن الجـوزي ، شـمس الديـن ابـو المظفـران (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م).

١٤- تذكـرة الخـواص ، ط١ ، بـيروت ،

٢٠٠٤ م) .
- ابن سعد ، محمد بن عمر (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٥ م).
١٥- الطبقات الكبرى ، د ط ، بيروت ، ١٩٨٥م .
- السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين بن عبدالرحمن (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م).
١٦-الجامع الصغير ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨١م .
١٧- شرح سنن النسائي ، د ط ، بيروت ، د ت .
-الطبراني ، ابو القاسم سليمان بن احمد (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م).
١٨- الأوائل ، تح محمد شكور ، ط١ ، بيروت ، ١٤٠٣هـ.
-الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).
١٩- تاريخ الرسل والملوك ، تح محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٥، القاهرة ، د ت.
-الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/ ٨٢٦م) .
٢٠- التبيان في تفسير القرآن ، د ط ، دمكا ، د ت .
٢١- الأمالي ، ط١ ، قم ، ١٤١٤هـ.
- ابن كثير ، أبو الفدا اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).
٢٢- البداية والنهاية ، تح علي شيري ، ط١ ، بيروت ، ١٤٠٨هـ.
- المتقي الهندي ، علاء الدين بن علي (ت ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م) .
٢٣- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، د ط ، بيروت ، ١٩٨٩ م .
- المجلسي ، الشيخ محمد باقر (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م) .
٢٤- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، ط٢ ، بيروت ،١٩٨٣م.
- المقريزي ، تقي الدين (ت٨٤٥هـ/ ٨٤٤١ م) .
٢٥- إمتاع الأسماع ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٩م .
- المفيد ، محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) .
٢٦-تصحيح اعتقادات الامامية ، تح حسين دركاهي ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٩٣م.
- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١م) .
٢٧- لسان العرب ، د ط ، قم ، ١٤٠٥هـ.
- النسائي ، ابو عبدالرحمن احمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ/ ٩١٥م) .
٢٨- السنن الكبرى ، تح عبدالغفار سليمان ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩١م.
- ابن هشام ، أبو محمد بن عبدالملك (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م) .
٢٩- السيرة النبوية ، تح مصطفى السقا (وآخرون) ، ط٣ ، بيروت ، ٢٠٠٥م .

ثالثاً :- المراجع الثانوية :-

- عبدالباقي ، محمد فؤاد.
٣٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دط ، دمكا ، دت .
-العليلي ،حيدر مجيد.
٣١-الدراسات القرآنية عند المشتشرق وليم مير الوحي والنبوة أنموذجا ، ط١ ، النجف الاشرف ، ٢٠٢١م.
-عوض ،ابراهيم .
٣٢- دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي ، دط ، دمكا ، دت.
- الطباطبائي ، محمد حسين.
٣٣- الميزان في تفسير القرآن ، تح إياد باقر سلمان ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٦ م .
-الحاج،ساسي سالم.
٣٤-نقد الخطاب الأستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية ،
ديورانت ،ول.
٣٥-قصة الحضارة،ط١،بيروت،دت.
-مونتغمري، وات .
٣٦-محمد في مكة، دط،بيروت،دت.
- لوبون، غوستاف.
٣٧-حضارة العرب ، دط ، القاهرة (د. ت).
-نصري، احمد.
٣٨- أراء المستشرقين الفرنسيين في القران الكريم دراسة نقدية ،ط١، بيروت،٢٠٠٩.
-جولد زيهر.
٣٩-العقيدة والشريعة في الإسلام، ط١،بيروت دت.
رابعاً: الرسائل الجامعية.
العقيلي ،ثائر هادي رسن.
٤٠-شخصية الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)في القرآن الكريم دراسة تاريخية ،أطروحة دكتوراه غير منشورة،جامعة البصرة كلية الآداب ،٢٠١٥م.
-العليلي ، حيدر مجيد حسين .
٤١-الوحي والنبوة في رؤية المستشرق وليم مير ،أُطروحة دكتوراه غير منشورة،جامعة البصرة ،كلية التربية للعلوم الإنسانية ،٢٠١٤م.
-الزهو،سامي احمد ،.
٤٢-الأستشراق الأمريكي السيرة النبوية ارفنج أنموذجا ،رسالة ماجستير غير مطبوعة ،جامعة تكريت كلية التربية ،٢٠٠٤م.
الكعبي، شهيد كريم محمد.
٤٣-صورة أصحاب الكساء بين تجني النص واستباحة الخطاب الاستشراقي هنري لامنس أنموذجا دراسة تحليلية،أطروحة دكتورة مطبوعة، جامعة البصرة ،كلية الآداب،٢٠١٥م.

Abstract

Intellectual Schools which are concerned with the study of the Prophetic Biography are varied with numerous topics cross history whether in terms of the facts Arabic Sourcing which manifested the revelation , the subject matter of our research entitled (the circumstances of the descending of the revelation to Prophet Mohammad (Peace be upon Him) reading Islamic and Oriental Sources through various manifestations such " the Jingle of the Bell ", "Grief and Distress" and " Drunk's Manifestation", etc. or Oriental trends which represent a hostile tendency as the prominent characteristic prevailing in most studies portrayed the manifestation of the revelation with epilepsy, blackout and obsession. In this research, we are going to study such numerous facts and, by considering mental – based and Quranic - Sunna Text – based proofs, we have come to a conclusion that such allegations are untrue and void.

محور
الدراسات السياسية

حولية المنتدى

عبد السلام عارف رؤية مستقبلية في مسار العلاقات العراقية ـ الإيرانية (١٩٦٣ـ١٩٦٦)

أ. م. هلال كاظم حميري الشبلي
وزارة التربية العراقية/ المديرية العامة لتربية النجف الاشرف
hilaldr8@gmail.com

ملخص البحث:

يحتل كل من العراق وإيران موقعًا جغرافيًا متميزًا من خلال موقعهما العالمي والإقليمي ، وهما مرتبطان بحدود طويلة ، معظمها برية ، لا تفصل بينها عوائق جبلية طويلة أو عوائق طبيعية مائية ، والعديد من الأنهار التي تنبع من الأراضي الإيرانية وتتدفق. في أرض العراق بسبب تراجع الأراضي الإيرانية في اتجاه جنوب وشرق العراق ، ولهذا كان لها أهمية اقتصادية وسياسية ، فضلاً عن مشاركتها في ممر شط العرب المائي. وكان من أسباب الصراع الحدودي بينهما ، نظرا لموقعها المميز في أعالي الخليج العربي ، وهي من الممرات المائية التي تدخل الأراضي العراقية على امتداد الحدود الإيرانية وصولا إلى شمال مدينة البصرة العراقية. وهذه المنافسة ، استمر حتى القرن الثامن عشر ، ورغم استمرار التوترات والمنافسة الحدودية في القرن التاسع عشر ، إلا أن الوضع أصبح أكثر استقرارًا في ظل الاحتلال البريطاني ، الذي أرسل فرق مسح مشتركة لرسم الحدود التي لطالما شهدت مسارات تعديل لها أكثر من مرة.

المقدمة:

يحتل كل من العراق وإيران مكانة جغرافية متميزة من خلال موقعهما الجغرافي ،وتربطهما حدود طويلة أكثرها برية ،لا تفصلها موانع طبيعية جبلية أو مائية طويلة، وتخترق هذه الحدود عدد غير قليل من الأنهار التي تنبع من الأراضي الإيرانية وتصب في الارضي العراقية بسبب انحدار الأراضي الإيرانية باتجاه الجنوب والشرق العراقي ، لهذا كانت لها أهميه اقتصادية وسياسية ،فضلا عن اشتراكهم في ممر مائي مهم «شط العرب» ،كان واحد من أسباب الصراع الحدودي بين البلدين، وذلك لموقعة المهم أعالي الخليج العربي ،ويعد من الممرات المائية الذي يدخل الاراضي العراقية بمحاذات الحدود الإيرانية وصولا الى شمال مدينة البصرة العراقية.

بدأت المنافسة بين الجانبين منذ القرن الثامن عشر في عهد الحكم العثماني، واستمرت في القرن التاسع عشر ،لكن الموقف اصبح أكثر استقرارا تحت الحكم البريطاني ، الذي أرسل فرق مسح مشتركة لرسم الحدود التي لطالما شهدت مسارات تعديل لأكثر من مرة . والصراع العراقي الإيراني ، واحد من الصراعات التي تطورت لأشد حالاتها وهي الحرب ، بسبب الخلافات الحدودية بين البلدين ، وشكلت أحدى ابرز مدخلات الصراعات والحروب في الوقت الماضي والحاضر ، ولكن تاريخ العلاقات الثنائية أشار أكثر من مرة الى حالة توتر وصراع وحرب بسبب مشكلة الحدود بينهما.

اقتضت طبيعة البحث ان يقسم على اربع مباحث ، تستفتح بمقدمة، وتنتهي بخاتمة ونتائج، تتكفل المقدمة بالتعريف على دور العراق السياسي والثقافي والاجتماعي وعلاقاته مع ايران في عهد الرئيس عبدالسلام عارف(١٩٦٣-١٩٦٦).أما المبحث الاول يتكلم عن مرحلة التأسيس

والخلاف الحدودي بين العراق وايران ،ويستعرض المبحث الثاني: الموقف الايراني في تهجير يهود العراق ،اما المبحث الثالث: يستعرض العلاقات العراقية الإيرانية في العهد الجمهوري ،وينظر المبحث الثالث في علاقات عبدالسلام عارف الداخلية مع البعث والحكومة الإيرانية.

المبحث الأول : مرحلة التأسيس والخلاف الحدودي

تعّد مرحلة بداية العشرينات من القرن العشرين مفصلية في تاريخ العلاقات الايرانية –العراقية فقد شهدت ولادة دولتين قويتين العراق وايران ،وكلاهما يطلان على الخليج العربي ولهم أدوار مهمة في هذه المنطقة الحيوية من العالم ، وأن العلاقات بينهما سجلت أحداث واضحة على المنطقة بأسرها ، في بداية تأسيس الدولة العراقية المستقلة وايران فاقت للتو من تغير سياسي مهم في نشاطها الداخلي ،بعد ان نجح رضا خان) [1])في حمل برلمان بلاده على انهاء آخر حكام المملكة القاجارية «احمد شاه « في ٣١ تشرين الأول ١٩٢٥ ، وأصبح اول شاه بهلوي ، وتم تتويجه على العرش في ٢٥ نيسان ١٩٢٦ ، كما اعلن ولده محمد رضا ولياً للعهد على المملكة والتي استمر حكمها ٥٣ سنة أنتهى عام ١٩٧٩. [2]

وجاء تأسيس الدولة العراقية الحديثة في ٢٣ آب ١٩٢١ بعد انهيار الدولة العثمانية على أيدي القوات البريطانية التي أحتلت الأراضي العراقية خلال الحرب العالمية الاول ١٩١٤ ـ١٩١٨ [3].

ونتيجة للضغوطات الشعبية أعلن البريطانيين عن تشكيل أول حكومة عراقية عام ١٩٢٠ برعايتهم ،أما طبيعة العلاقة بين العراق وايران ،وعلى الرغم من الصلات التاريخية والثقافية والدينية التي اوجدتها الطبيعة الجغرافية –السكانية بين العراق وبلاد فارس ،الا ان الأخيرة كان موقفها مشبعاً بروح الجفاء تجاه

الحكومة الوطنية التي اقامها الملك فيصل الأول في ٢٣ آب ١٩٢١ ، حيث لم تعترف بالحكومة العراقية لمدة ثماني سنوات على الرغم من إعتراف عدد كبير من الدول الأوربية والآسيوية بها ، وقد بقي ممثلو فارس في كربلاء والنجف والبصرة وخانقين وبغداد يرجعون الى دار الإعتماد البريطانية في بغداد من اجل معالجة القضايا ومنها قضايا الحدود والجنسية ، متجاهلين بذلك الحكومة العراقية (٤) .

وقد عللت ايران تأخير اعترافها لوجود عوامل ساهمت في تأخير هذا الاعتراف ومن أهمها الامتيازات التي يمنحها العراق للأجانب بموجب الاتفاقية العراقية الموقعة بين الحكومتين العراقية والبريطانية في ٢٥ اذار ١٩٢٤ والتي استثنت الجالية الفارسية في العراق بموجب احكام مادتها الأولى(٥) .

وأعتقد أن هذه الأتفاقية فصّلتها بريطانيا على رعاياها في وقت كان العراق لاحول له ولاقوه ، والتأخير بأعلان التأييد للحكم العراقي الجديد كان بسبب المشاكل الموروثة من الحكم العثماني وبالتالي أمتنعت الحكومة الايرانية بإعطاء التأييد لتلك الاسباب :ومنها العنجهية الشاهنشاهية في نظرتها الى جيرانها بأنها هي ألاقدم وهي الأفضل وبالتالي لا يروق لها حكومة لها نظام ديمقراطي وبرلمان تحكم في العراق ،وأن قضية الامتيازات الأجنبية التي لم يحصل عليها رعايا بلاد فارس في العراق ،في دفع صحافة الجانبين الى نشر مقالات استفزازية بحق كل منهما ، يضاف الى ذلك ان ممثل الحكومة الفارسية في عصبة الأمم هاجم السياسة العراقية في ١٧ أيلول ١٩٢٤ بشدة حول موضوع الامتيازات ، مستنداً على ان الرعايا الفرس كانوا يتمتعون بالامتيازات الممنوحة للأجانب من رعايا الدول الكبرى في عهد الدولة العثمانية التي كان العراق جزءاً منها (٦).

الادعاء الايراني ليس في محلة كون الحكومة العراقية أنداك تدار من قبل الحاكم البريطاني، ومع ذلك بررت السلطة العراقية رفضها لطلب الحكومة الفارسية في الحصول على الأمتيازات لرعاياها لعدم اعتراف حكومة فارس بالحكومة العراقية، وكذلك ليس من مصلحة العراق أعطاء الأمتيازات لأنها سوف تدفع بعض العراقيين الى التجنس بالجنسية الفارسية فضلاً عن عدم تمتع العراقيين المقيمين في بلاد فارس بالأمتيازات القضائية التي كانت تمنحها دولة فارس للرعايا العثمانيين المقيمين فيها كذلك أتصال حكومة فارس بالمعتمد السامي البريطاني وتجاهلها الحكومة العراقية ،وأن سبب تأخير العراق عن تنفيذ التزاماته أمام أيران (٧)،وفق مجموعة الأعتبارات السياسية والدبلماسية ،ومع هذا تمكنت الحكومة العراقية من اقناع الحكومة البريطانية بالغاء تلك الأتفاقية .

وعلى أي حال طالب العراق بريطانيا في مذكرتين الأولى في ١٧ تشرين الثاني ١٩٢٨ والثانية في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٨ بالغاء الأتفاقية العدلية المعقودة بينهما ، ليتسنى له الغاء الأمتيازات الممنوحة للأجانب الواردة في المادة الأولى من تلك الأتفاقية(٨) ،حينها ارسلت بريطانيا مذكرة الى عصبة الأمم المتحدة في ١٦ شباط ١٩٢٩ فوافقت العصبة في ٤ آذار ١٩٢٩ على استبدال الأتفاقية العدلية بأتفاقية جديدة تلغى فيها الأمتيازات الأجنبية ، ويتساوى فيها الأجانب في الحقوق بما فيهم رعايا أيران في العراق بعد حصولها على بعض الامتيازات من الحكومة العراقية من جانبها ،رحبت أيران على لسان مندوبها لدى عصبة الأمم بقرارها الذي اصدرته في ٢٩ آذار ١٩٢٩ ، كما ان شاه ايران ارسل برقية الى الملك فيصل بهذه المناسبة وبادله الملك ببرقية مماثلة ،

الأمر الذي مهد الطريق الى اعتراف حكومة فارس بالمملكة العراقية(٩) .

أذ قام رستم حيدر(١٠) رئيس الديوان الملكي العراقي موفداً من الملك فيصل بزيارة طهران بتاريخ ٢٠ نيسان ١٩٢٩ ، لغرض تقديم الشكر الى شاه ايران على برقية التهنئة التي بعثها الى الملك ،وكذلك لتلقي اعتراف الحكومة الفارسية بالعراق . وبعد مقابلة الوفد العراقي مع رئيس الوزراء الايراني في ٢٥ نيسان ١٩٢٩ ،قدم الأخير اعترافه بالحكومة العراقية ، ثم عاد الوفد العراقي وبصحبته رسالة من الشاه الى الملك فيصل تؤكد حسن الرابطة بين البلدين.

ارسلت الحكومة الفارسية عناية الله خان كأول وزير مفوض لها في العراق ، فقام بأجراء مفاوضات مع الحكومة العراقية لعقد أتفاق بين الجانبين وفعلاً تم توقيع الاتفاق في ١١ آب ١٩٢٩ وكان الغرض منه معاملة ممثلي وقناصل البلدين على حد سواء ،وكذلك معاملة رعايا الطرفين بالمثل ، فضلاً عن تسهيل الصادرات الايرانية الى العراق وبالعكس وكانت مدة الاتفاقية سنة واحدة تجدد في ختام كل ستة اشهر بعد موافقة الطرفين(١١) .

على الرغم من اعتراف ايران بالعراق ، وقيام علاقات دبلوماسية بين البلدين، الا ان ايران لم تعترف بشرعية الحدود بينها وبين العراق ، تلك الحدود القائمة على بنود «معاهدة ارض روم الثانية»(٢١) لسنة ١٨٤٧ وبروتوكول القسطنطينية لسنة ١٩١٣ وكذلك محاضر جلسات لجنة تحديد الحدود العثمانية – الفارسية لسنة ١٩١٣ – ١٩١٤ ، وقد اتضح ذلك من خلال الأعمال المسلحة التي قامت بها في شط العرب وتعرضها للسفن العراقية ، وأنشائها المخافر داخل الأراضي العراقية، كما انها تجاوزت على حصة العراق في مياه الأنهر الحدودية المشتركة(١٣) .

وعقب دخول العراق عضوية

عصبة الأمم في ٣ تشرين الأول ١٩٣٢ ، ارسل رضا شاه برقية تهنئة الى الملك فيصل بهذه المناسبة ، وكان الشاه يأمل في انضمام العراق الى العصبة ، مناسبة لتغيير موقفه بشأن نظرية خط التالوك(٤١)، والتنازل لايران عن جزء من حدوده في شط العرب وبعد أن يأس الطرف الايراني من الحصول على مكاسب اقليمية ، قام بسلسلة من الأعمال والحوادث على طول الحدود العراقية ـ الايرانية خلال السنوات من ١٩٣٢ حتى ١٩٣٤ ، تمثلت هذه الأعمال بالسلب والنهب من مجموعات من الأشقياء الايرانيين في مناطق بنجوين ، كما قام رعايا ايران وبتحريض من حكومتهم بالأعتداء على الأراضي العراقية في لواء العمارة وأستغلالها . وفي مجال الأنهر الحدودية ، قامت ايران ببناء السدود كما هو الحال في السد الذي أقامته على نهر كنكير ، الذي تسبب في جفاف البساتين في منطقة مندلي ، وقد تبودلت المذكرات حول تلك الحوادث الا انها لم تؤدِ الى حل.

الا أن الزيارة التي قام بها الملك فيصل الاول الى طهران في ٢٢ نيسان ١٩٣٢ ، وبصحبته وفد رسمي برئاسة رئيس الوزراء نوري السعيد ، فشلت لأثارة ايران موضوع شط العرب ، وأعلنت عن رغبتها في ان يكون خط التالوك (THALWEG) هو خط الحدود بين البلدين ، الا ان الملك فيصل رفض تحقيق رغبة ايران هذه ، كما رفضت ايران مشروعاً بريطانيا بشأن تشكيل مجلس يضم العراق وايران وبريطانيا لصيانة وتنظيم الملاحة في شط العرب ، وفيما عدا ذلك فقد اتفق الطرفان على الدخول في مفاوضات رسمية بشأن المشاكل المتعلقة بين البلدين ومنها اتفاقيات قضائية وتنظيمية لسكان عدد من سكان الحدود بين البلدين(١٥).

كذلك قام رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد بزيارة الى طهران في ٥

مايس ١٩٣٤، بعد تجدد الحوادث والخروقات التي قامت بها ايران على طول الحدود العراقية حاملاً رسالة من الملك غازي الى شاه ايران ، يدعوه فيها الى حل مرضي للقضايا التي لم تحل منذ زيارة الملك فيصل عام ١٩٣٢ الا ان زيارة نوري السعيد لم تؤدِ الى نتيجة وفشلت في تحقيق الهدف الذي يسعى العراق اليه بسبب اصرار ايران على عدم اعترافها بشرعية الحدود(١٦) .

وفي الوقت الذي إشتدت فيه الأزمة على الحدود بين البلدين ادعت ايران هي الأخرى، من خلال المذكرات التي بعثتها الى الحكومة العراقية ، ان العشائر العراقية قد قامت بتهديم السدود التي تبنيها ايران داخل اراضيها ، كما ان العراق قد اقام حشوداً عسكرية في منطقة زرباطية ، وان هناك طائرات عراقية تخترق الحدود الايرانية ،الا ان الطرف العراقي قد قلل من اهمية الادعاءات الايرانية وعدها مبالغا فيها ، واكدت الحكومة العراقية بانها كانت تعطي الأوامر الى سلطة الطيران العراقية والبريطانية على حد سواء بعدم تجاوز الحدود)(٧١) . وعندما يأس العراق لحل خلافاته مع ايران ، وان مشاكل الحدود التي تثيرها ايران ظلت مستمرة ، قرر في ٢٥ تشرين الأول ١٩٣٤ رفع شكوى الى عصبة الأمم حول تلك المشاكل ، مع ابقاء الباب مفتوحاً امام ايران في حال رغبتها الى التوصل لحل الخلافات والمشاكل القائمة بينها وبين العراق عن طريق المفاوضات المباشرة(١٨).

وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٤ رفع وزير الخارجية العراقي نوري السعيد مذكرة الى السكرتير العام لعصبة الأمم ، تضمنت شكوى العراق عن الانتهاكات التي تقوم بها الحكومة الايرانية ضد سيادة العراق(٩١) ، كما ارسلت وزارة الخارجية في ٢ كانون الثاني ١٩٣٥ الى مجلس عصبة الأمم وثائق رسمية

بشأن الاتفاقات الموقع عليها من الحكومة الفارسية والدولة العثمانية حول طبيعة الحدود والتي لا تعترف بها حكومة الشاه(٢٠) .

اوعز مجلس العصبة الى الممثل الإيطالي البارون لويزي دراسة المشكلة مع الجانبين العراقي والايراني ، ومن ثم تقديم نتائج الدراسة والتوصيات التي يتوصل اليها الى مجلس العصبة ، وفعلاً اتصل لويزي بممثلي الحكومتين العراقية والايرانية ، وجرت محادثات في روما في شباط ١٩٣٥ ، لم يتمكن فيها الطرفان التوصل الى تسوية مقبولة ، ثم جرت محادثات في جنيف في ٤ مايس ١٩٣٥ ، اتفق فيها الجانبان على نقل مفاوضاتهما الى عاصمتي البلدين(٢١) .

تعد مشكلة الحدود الدولية من أهم المشكلات الدولية وأعقدها ، لأنها مصدر رئيسي للمنازعات الدولية ، وهي مشكلة عامة لأنها تتعلق بسيادة كل دولة من الدول المجاورة الأخرى ، وأن كثيراً من دول العالم لم تفصل في موضوع الحدود مع جاراتها بسبب عدم الاتفاق الناجم عن المطامع التوسعية بين الدول والاختلافات العقائدية أو اختلاف النظم السياسية فيها(٢٢).

وفي ٦ ايلول ١٩٣٥ سافر الوفد العراقي الى جنيف ، ليعرض على مجلس العصبة نتائج المفاوضات التي اجرتها الحكومة العراقية مع الحكومة الايرانية ، وهناك استؤنفت المفاوضات بين الوفدين العراقي والايراني المتواجد في جنيف ايضاً، وعلى اثرها سحب العراق شكواه من مجلس العصبة في ٤ تشرين الثاني ١٩٣٥ ، على ان تستمر المفاوضات المباشرة بين البلدين ، وفي ٧ كانون الاول ١٩٣٥ ، وصل بغداد وفد ايراني ليستكمل المفاوضات من اجل تسوية مشاكل الحدود ، لكن الوفد عاد الى طهران في ١٨ نيسان ١٩٣٦ ، بسبب أنشغال الحكومة العراقية في انتفاضة الفرات الأوسط

(٢٣) وانقلاب بكر صدقي) [٤٢] .

لهذا تعثرت فيه المفاوضات العراقية الايرانية بشأن تسوية الخلافات حول مسألة الحدود وشط العرب ، بل اوشكت تلك المفاوضات على التوقف لأن الحكومة العراقية التي سبقت الانقلاب ابدت الشدة في عدم التفريط بالحقوق العراقية وعدم منح ايران امتيازات اقليمية على حساب سيادة العراق الوطنية ، وخاصة فيما يخص شط العرب كما ان ايران كانت دوماً تتبع سياسة التوسع في مطالبها كلما ،حاول العراق ايجاد مخرج في التوصل الى حل الأزمة الناشئة بسبب الخلافات الحدودية ،وفي محاولة منها لاستغلال الفرصة الناشئة عن الانقلاب والحصول على ما عجزت ان تناله في السابق ، عقد مجلس الوزراء الايراني جلسة طارئة برئاسة الشاه أثر تأليف الوزارة العراقية الجديدة ، استعرض خلالها العلاقات العراقية الايرانية ، وتقرر فيها تكليف وزير الداخلية بأن يبرق الى وزير ايران المفوض في بغداد للاجتماع مع رئيس الوزراء العراقي حكمت سليمان والسؤال عن الخطوات التي تتخذها الحكومة العراقية في مسألة الخلاف وما يراه العراق من حل لتلك الأزمة وبعد ان تم الاجتماع بين وزير ايران المفوض في العراق ورئيس الوزراء العراقي ، ابلغ الأخير الوزير الايراني ان يبرق الى حكومته في طهران عن استعداد العراق لقبول أي اقتراح تتقدم به ايران لفض الخلاف المزمن بين البلدين[٥٢].

اسهمت عدة عوامل في اسراع الحكومة العراقية نحو التوصل الى حل خلافات العراق مع ايران ، نتيجة الضغط الايراني الذي تعرضت له الحكومة العراقية في محاولة من ايران للحصول على اكبر قدر ممكن من المكاسب في شط العرب واستغلال حكومة الشاه الوضع المتدهور الناتج من

عدم تجانس الوزارة الجديدة التي يرأسها حكمت سليمان (٦٢)، وقد كان لنشاط الدوائر السياسية التركية الأثر البالغ في التأثير على السياسة العراقية الخارجية من اجل دفعها الى الموافقة على حل نهائي لمشكلة الحدود العراقية- الايرانية ، ومن ثم انضمامها الى الميثاق التي تزعم تركيا انشائه (٧٢).

توصلت الدولتان في ٢٦ حزيران ١٩٣٧ الى أبرام معاهدة الحدود والبرتوكولات الملحقة بها في أعقاب مفاوضات وزيارات واتصالات أسهمت فيها الجمهورية التركية وظن معظم المراقبين أن فرصة تحسن العلاقات بين العراق وايران أصبحت جيدة وأن هذه المعاهدة تنص أن الحدود بين الطرفين تبقى في المنطقة تمتد أساساُ على الضفة الإيرانية لشط العرب وأن العراق يسيطر على كامل مجرى النهر الملاحي ما عدى بعض الاماكن المعينة بما يسمى (وفاق الشرق الأوسط وجرت المفاوضات ،على الرغم من اصدر الملك غازي ارادة ملكية خول فيها وزير الخارجية ناجي الأصيل ابرام المعاهدة والتوقيع عليها ، فوقعها الأخير بالحروف الأولى فيما وقعها عن الجانب الايراني وزيرها المفوض في بغداد ، وفي اليوم التالي أتخذ مجلس الوزراء العراقي قراراً بتأليف وفد الى ايران برئاسة وزير الخارجية من اجل توقيع المعاهدة المذكورة ، فضلاً عن معاهدة عدم اعتداء ومعاهدة التحكيم الموقع عليها بالأحرف الأولى في جنيف ، كما خول وزير الخارجية حق المفاوضة حول الاتفاقية المتعلقة بحسن الجوار والشؤون القنصلية واسترداد المجرمين والقضاء والملاحة (٨٢) والتي اعتبرت أول معاهدة حدود بالمعنى الصحيح واتخذت أساساً لمعاهدات الحدود التالية لها ،حيث عرفت خط الحدود بين الدولتين من أوله الى أخره ، وقد أقّرت

هـذا التعريـف كل مـن معاهـدة صلـح كـردن لسـنة ١٧٤٦ ومعاهـدة أرض روم الأولى لسـنة ١٧٢٣ ولكـن هـذه المعاهـدات وأن جـاءت بتعريـف الخـط الحـدود بيـد أن هـذا التعريـف جـاء غامضـاً مبهـماً تعـوزه الدقـة ويحيطـه الالتبـاس (٩٢).

تعـد مسـألة تحديـد الحـدود والتـي أقامهـا البـشر أوجـدت أشـكال عديـدة ومتنوعـة مـن التوتـر وتحولـت في الغالـب الى حـروب لا نهايـة لهـا ، دفاعـاً عـن تلـك الحـدود واقتحامهـا لهـا ونقلهـا واجتيازهـا وتغيرهـا وأنكارهـا أو الاسـتيلاء عليهـا وغالبـاً مـا أدى الى حـالات مـن المواجهـات الحربيـة (٩٣) .

وفي ٢٨ حزيـران وصـل الوفـد العراقي طهـران حيـث وقعـت المعاهـدة بـين الحكومتـين العراقيـة والايرانيـة في ٤ تمـوز ١٩٣٧ والتـي عرفـت فيـما بعـد بمعاهـدة ١٩٣٧ ، وقـد وقعهـا عـن الجانـب العراقـي وزيـر الخارجيـة ناجـي الأصيـل فيـما وقعهـا عـن الجانـب الايـراني وزيـر خارجيتهـا عنايـة الله سـميعي . وبعـد اربعـة ايـام مـن توقيـع المعاهـدة المذكـورة أي في يـوم ٨ تمـوز ١٩٣٧ تـم التوقيـع عـلى عقـد ميثـاق سـعد آبـاد ،الـذي تزعمتـه تركيـا والـذي ضـم اضافـة لتركيـا كل مـن العـراق وايـران وافغانسـتان(٩٤) .

وعـلى اثـر توقيـع معاهـدة عـام(٩٥) ١٩٣٧ بـين العـراق وايـران ، فقـد تـم عقـد معاهـدة صداقـة بـين البلديـن في ١٨ تمـوز سـنة ١٩٣٧ ومعاهـدة اخـرى بينهـما لحـل النزاعـات بالطـرق السـلمية في ٢٤ تمـوز١٩٣٧ واتفـاق خـاص لتنظيـم اعـمال لجنـة تحديـد الحـدود العراقيـة الايرانيـة في ٨ كانـون الاول ١٩٣٧ (٩٦)

كانـت نصـوص معاهـدة ١٩٣٧ تنـص في مادتهـا الثالثـة عـلى تنظيـم اعـمال لجنـة تخطيـط الحـدود العراقيـة الايرانيـة ، ومـن اجـل ذلـك وقـع وزيـر الخارجيـة العراقـي ووزيـر ايـران المفـوض في بغـداد في ٨ كانـون الاول ١٩٣٨ اتفاقيـة بهـذا الشـأن ، والـف

البلدان لجان مشتركة باشرت اعمالها في كانون الاول ١٩٣٨(١) ، لكن تلك اللجان توقفت في آيار ١٩٤٠ بسبب الظرف الدولي الذي احاط بالمنطقة(٣٤) . لكن أيران رفضت عام ١٩٤١ المعاهدة نتيجة الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ وخضوع شط العرب لسيطرة بريطانية (٣٥) وبما ان العراق وايران لم يكونا بمعزل عن التطورات السياسية التي شهدها العالم على اثر اندلاع تلك الحرب ، فقد تعرض البلدان الى ضغوط شديدة من قوات الحلفاء(٣٦) وعلى اثر موقف الحكومة العراقية المؤيد للحلفاء نتيجة ارتباطها مع بريطانيا في معاهدة عام ١٩٣٠ ، ونتيجة تأثير الشخصيات القومية العربية التي لجأت الى العراق واسهامها الفعال في صنع القرار السياسي وخاصة داخل المؤسسة العسكرية ، فقد ادى ذلك الأمر الى قيام بعض قادة الجيش بحركة ٢ مايس ١٩٤١ وتشكيل حكومة الدفاع الوطني برئاسة رشيد عالي الكيلاني(٣٧) .

وعلى الرغم من التقارب الذي حصل بين الحكومتين العراقية والايرانية بعد توقيعهما معاهدة سعد آباد ، الا ان ذلك التقارب صاحبه تباعداً في علاقة ايران مع بريطانيا نتيجة توجهات السياسة البريطانية ازاء الحكومة الايرانية ، بسبب تعاون الأخيرة مع المانيا وخاصة في المجال العسكري ، الأمر الذي جعل ايران تنظر بعين الرضا نحو حركة مايس في العراق باعتبارها حركة وطنية تهدف الى التخلص من الاستعمار البريطاني واضعاف هيبته عن طريق تعاونها مع الألمان ،الا ان التأييد الايراني للحركة لم يكن واضحاً بل التزم الصمت(٣٨).

اوفدت حكومة الدفاع الوطني طالب مشتاق ليكون منسقاً لها مع السفارة الألمانية في طهران من اجل الحصول على المساعدات الألمانية ، وتقديم التسهيلات امام القوات الألمانية لاستخدامها المطارات

العراقية ، كما كان لاعتقاد الشاه بانتصار القوات الألمانية على قوات الحلفاء في أكثر من موقعة نهاية لبريطانيا ، الأمر الذي دفعه الى التعاون مع رشيد عالي الكيلاني والسماح له ولقادة الحركة باجتياز الحدود الايرانية في ٢٩ مايس ١٩٤١ ، حينما إقتربت القوات البريطانية من بغداد(٣٩) .

وفي تطوير خطير من جانب ايران عّدت ايران قادة حركة مايس لاجئين في اراضيها وسمحت لهم بممارسة نشاطهم السياسي والعسكري الذي يهدف الى تنظيم مقاومة سرية في العراق(٤٠))، لكن تسارع الأحداث حال دون ذلك كما ان فشل الحركة منع طالب مشتاق من تقديم اوراق اعتماده كقائم بأعمال السفارة العراقية في طهران ، في حين بقى شاكر الوادي(٤١))في منصبه كقائم بأعمال السفارة العراقية وهو المنصب الذي كان يشغله قبل قيام الحركة(٤٢).

طالبت ايران في ٤ نيسان ١٩٤٩ بإعادة المباحثات الخاصة بلجنة تحديد الحدود التي توقفت جراء تلك الحرب ، فقد قدم الوزير الايراني المفوض في بغداد مذكرة ضمنها مجموعة من المطاليب التي رفضها العراق كونها تتعارض والمصلحة الوطنية العراقية ، وبدلاً من ذلك قدم العراق في ١٥تموز١٩٥٠ مذكرة الى الحكومة الايرانية ضمنها مبدأين اولاهما : ان يحتفظ كل من العراق وايران بسيادته على اقسام شط العرب التي في منطقته والتي أقرت بموجب معاهدة عام ١٩٣٧ ، وثانيهما:ان تكون صلاحية لجنة تحديد الحدود التي اقرت سابقاً استشارية لا تنفيذية وقد قبلت ايران المبدأ الأول ، لكنها رفضت الثاني(٤٣)..

وفي سنة ١٩٥٥ أثارت الحكومة الايرانية موضوع المادة الخامسة المارة الذكر، وبناء على رغبتها أجتمع وفدان من الحكومتين

العراقية والايرانية في طهران وتوصلا الى أتفاق بهذا الشأن ، لكن ايران غيرت رأيها فيما بعد ولم تحضر الأجتماع المقرر لتنفيذ الأتفاق(٤٤) . عاود العراق مناقشة تسوية الحدود بين رئيس وزراء العراق نوري السعيد ورئيس وزراء ايران منوشهر اقبال ، أثناء أنعقاد المجلس الوزاري لحلف بغداد في كراچي عام ١٩٥٧ ،، ومن اجل ايجاد الصيغ المناسبة لحل المشاكل المعلقة اقترح رئيس الوزراء العراقي تعيين خبير سويدي يساهم في معاونة لجنة تحديد الحدود اثناء قيامها في تأدية اعمالها . وقد وافق الجانب الايراني على اقتراح رئيس وزراء العراق وتبودلت المذكرات بين الجانبين بهذا الشأن حتى جاءت زيارة الملك فيصل الثاني الى طهران في العام نفسه لتسهم في التوصل الى اقرار الاتفاق الذي يدعو الى اشراك محكم من الحكومة السويدية كي يسهم في العمل الى جانب لجنة تحديد الحدود المشار اليها سابقاً ، وفي العام ١٩٥٨ تم تعيين المحكم السويدي كما تم تعيين ممثلي البلدين الذين سيعملون في اللجنة لكن السفارة السويدية في طهران أعلنت بأن المحكم لن يستطيع الحضور حتى بدء تشرين الثاني من العام نفسه ، وفي ١٤ تموز ١٩٥٨ قامت الثورة العراقية واطيح بالنظام الملكي ، ونتيجة لذلك فقد اجل استدعاء المحكم السويدي (٤٥) .

المبحث الثاني :موقف الحكومة الايرانية من تهجير يهود العراق الى فلسطين

تغير موقف الحكومة الشاهنشاهية اتجاه العراق منذ أربعينات القرن العشرين على الصعيدين الداخلي والخارجي بشكل كبير لصالح الحركة الصهيونية(٦٤) اصبحت ايران خاضعة بشكل او بأخر الى الدولتين اللتين تبنتا الكيان الصهيوني في وجوده والدفاع عنه ، فانعكس كل ذلك ايجابيا على الحركة الصهيونية

في ايـران والعـراق عـلى حـد سـواء ،لاسيما عندما تـولى محمـد رضـا شـاه زمـام الامـور في ايـران في السـابع عـشر مـن ايلـول عـام ١٩٤١ ،بعـد اجبـار الحلفـاء وبالتحديـد «بريطانيـا والاتحـاد السـوفيتي» لأبيـه التنـازل عـن العـرش عـلى اعتبـار انـه متعـاون مـع المانيـا[٧٤] واصبحـت حمايـة وديمومـة النظـام الايـراني مـن اولويـات السياسـة البريطانيـة والامريكيـة[٨٤]، ممـا انعكـس بوضـوح عـلى الـدور الـذي مارسـته ايـران في دعمهـا لتهجـير اليهـود الى فلسـطين ، وقـد اسـهم الجنـود الصهاينـة الذيـن دخلـوا مـع القـوات البريطانيـة الى ايـران عـام ١٩٤١ ، في تنشـيط الحركـة الصهيونيـة فيهـا، فـبرزت داخـل ايـران جمعيـات صهيونيـة تعمـل لتهجـير اليهـود الى فلسـطين[٩٤] .

لهـذا سـمحت السـلطات الايرانيـة بممارسـة النشـاط الصهيـوني بقـدر كبـير مـن الحريـة ، ومـن بـين العوامـل التـي شـجعت اليهـود الايرانيـين عـلى ممارسـة النشـاط الصهيـوني انـه إتيحـت لهـم فرصـة عقـد لقـاءات كثـيرة مـع اللاجئـين اليهـود مـن اوربـا، ومنـدوبي الاسـتيطان الصهيوني في فلسـطين ، كـما سـمحت السـلطة في نيسـان عـام ١٩٤٢ للوكالـة اليهوديـة بتأسـيس مكتـب لهـا في طهـران ، وشـهد العـام ذاتـه وصـول مبعوثـي حركـة (الطليعـي) وحـركات الشـباب الصهيـوني مـن فلسـطين الى العاصمـة الايرانيـة طهـران[٠٥] .

العـراق نبـه ايـران مـن اتسـاع النشـاط الصهيـوني فيهـا وحذرتهـا للخطـر الكبـير الـذي يهـدد البلديـن لقيـام هـذه الجمعيـات واسـتمرارها في تهجـير اليهـود الى فلسـطين ، ودعتهـا للتعـاون وتبـادل المعلومـات فيـما يخـص عمـل هـذه الجمعيـات وخصوصـاً (الجمعيـة الصهيونيـة الايرانيـة) دفعـاً للنتائـج الوخيمـة التـي يهمهـا تفاديهـا[١٥] . وقـد وجـدت الحكومـة العراقيـة ان النشـاط الصهيـوني في ايـران انعكـس عـلى يهـود العـراق ، بعـد ان

اخذ يمتد في نشاطه لضم الرعايا العراقيين والسوريين (اليهود) فيها الى الجمعيات الصهيونية ، واستطاعوا خلال سنتين تهجير (١٤٦) يهودي الى فلسطين بطريقة غير مشروعة سالكين ببواخر خاصة طريق– الخليج العربي – خليج عمان – البحر العربي – خليج عدن – البحر الأحمر – قناة السويس – يافا – حيفا[٣٥] .

اتبعت السلطات الايرانية بتضليل السلطات العراقية من خلال تزويدها بمعلومات خاطئة تتهم فيها يهود عراقيين موجودين في ايران بالانخراط بالنشاط الصهيوني ، ولكن بعد التحقيقات ثبت للحكومة العراقية خلاف ما تدعيه ايران[٣٥] ، ويبدو انها كانت تبغي من وراء ذلك تحقيق أمرين اولهما : ارباك التحقيقات التي تجريها الحكومة العراقية لمواجهة النشاط الصهيوني ونشطاء الحركة الصهيونية ، والثاني: دفع الحكومة العراقية الى اعتقال اليهود العراقيين بعد عودتهم الى العراق على اعتبار انهم من اعضاء الحركة الصهيونية بناءً على المعلومات الايرانية وهم غير ذلك ، مما يخلق ارباكا لوضع اليهود في العراق واشعارهم انهم مهددين سواء كانوا متعاونين مع الصهيونية او غير ذلك .

بعد اعلان الكيان الصهيوني (دولته) ، كان وجود الصهاينة في طهران أمراً طبيعياً ، سواء ممن تواجد منهم في مهمات رسمية ، او المقيمين فيها لمدة طويلة بحكم ممارستهم للانشطة الاقتصادية المختلفة، مما سهل ارسال المبعوثين الصهاينة لهذا البلد لغرض اتخاذه محطة انتقالية لتهجير يهود العراق الى فلسطين[٤٥] .

وادى اعتراف ايران رسمياً باسرائيل (٥٥) ، الى ردود فعل قوية في الاقطار العربية فقطعت الجمهورية العربية المتحدة علاقاتها مع ايران واصدرت بياناً بهذا الشأن ، اما العراق فأنه على الرغم من عدم قطعه العلاقات معها الا انه استنكر

هـذا الاعـتراف لان ايـران دولة مسـلمة ، واعترافهـا باسرائيـل يتناقـض مـع مـا تمليـه روابـط الديـن والتاريـخ والموقـع الجغـرافي والمصالـح المتبادلـة بينهـا وبـين الاقطـار العربيـة (٦٥) .

ومـع ذلـك فلـم يمنـع ايـران الاسـتمرار في علاقاتهـا مـع اسرائيـل ويكفـي ان نذكـر ان اتفاقـاً سريـاً قـد عقـد بـين ايـران واسرائيـل حينـما مّـر «بـن غوريـون «رئيـس وزراء اسرائيـل في مطـار طهـران وهـو في طريقـة الى بورمـا في السـادس مـن كانـون الاول عـام١٩٦١م(٧٥) ، تضمـن تعزيـز العلاقـات الايرانيـة – الاسرائيليـة، وارسـال بعـض ضبـاط السـافاك الايرانيـين الى تـل ابيـب لتدريبهـم هنـاك عـلى احـدث الاسـاليب لمواجهـة الحـركات السياسـية المناوئـة للنظـام في ايـران(٨٥) ، وبخاصـة حـزب تـوده (٩٥) .

امـا اهـم العوامـل التـي سـاعدت الحركـة الصهيونيـة عـلى اسـتخدام ايـران كممـر لتهجـير يهـود العـراق الى فلسـطين هـي انعـدام الـروح الدينيـة والوطنيـة لـدى المتعاونـين مـع الصهاينـة مـن الادلاء والمهربـين وذلك بسـبب الجهـل المدقـع الـذي جعلهم لا يدركـون خطـورة عملهـم ومـا يلحقـه مـن ضرر بالمصالـح الوطنيـة ، بمعنـى آخـر ان نجـاح الحركـة الصهيونيـة قـد تـم بفعـل الجهـل والتخلـف وضحالـة الوعـي الوطنـي وتراخـي السـلطات العراقيـة في اتخـاذ الاجـراءات الصارمـة بحـق عمليـات التهريـب والقائمـين عليهـا.

ولهـذا سّـهل ايـران عبـور ثلاثـة مـن اعضـاء الحركـة الصهيونيـة السريـة في العـراق نحـو ايـران في تشريـن الثـاني عـام ١٩٤٨ ، وصـلا الى عبـادان في كانـون الاول مـن نفـس العـام مـع جهـاز لاسـلكي لغـرض تامـين اتصـال مبـاشر بـين الحركتـين في طهـران وبغـداد[٠٦] .

بذلـك تكـون الفـترة الممتـدة مـا بـين (١٩٤٦-١٩٥٠) قـد شـهدت عوامـل داخليـة وخارجيـة اسـهمت

في تخلخل وضع اليهود في العراق ، وفسحت المجال على نحو واسع للحركة الصهيونية بدعم بريطاني – امريكي وبمؤازرة إيرانية من ممارسة نشاطها بحرية كبيرة وفاعلة ، خصوصاً فيما يتعلق بالهجرة غير الشرعية . كما ساهمت احداث هذه الفترة بتصدع العلاقة بين اليهود وبقية ابناء الشعب ، بعد ان نجحت الصهيونية بإذابة الفارق بين اليهودي والصهيوني ، وبالرغم من ذلك لم تكن النتائج فيما يخص خلق رغبة جماعية ليهود العراق بالهجرة الى الكيان الصهيوني متوافقة وآمال وطموحات الحركة الصهيونية ، مما دعاها للتفكير جدياً وبشكل حاسم للتعاون مع بريطانيا والولايات المتحدة لإيجاد وسيلة تقتلع الطائفة اليهودية من جذورها واجبارها على التوجه الى الكيان الصهيوني ، مستغلة لتحقيق هذا الغرض ضعف ارادة الحكم الملكي وخضوعها بشكل تام للسيطرة البريطانية – الامريكية الداعمتين للكيان الصهيوني (١٦).

واستنكر الرأي العام العراقي اقامة ايران علاقات دبلوماسية مع اسرائيل كما شنت الصحافة العراقية حملات شديدة على حكومة الشاه، وهذا من شأنه أن يعّقد العلاقات العراقية –الإيرانية المتشنجة أصلاً .

المبحث الثالث: العلاقات العراقية الإيرانية في العهد الجمهوري

ادى قيام الثورة في العراق عام ١٩٥٨م الى توتر العلاقات بين ايران والعراق وزاد في توترها الارث الثقيل من المشاكل الحدودية التي كانت تقع بينهما قبل قيام الثورة لاسيما في منطقة شط العرب ، وتخوفت ايران كثيراً من قيام ثورة مشابهة فيها فأخذت تؤجج الدعاية ضده ، فالعراق يختلف عن بقية الاقطار العربية من حيث كونه دولة خليجية كبيرة وقيام الثورة فيه يشكل خطراً على ايران ، لذا فلا غرو ان تتجه ايران لا خذ تعهد من الولايات المتحدة الامريكية للوقوف

الى جانبها ليس في حالة تعرضها لعدوان سوفيتي فقط ، بل ضد أي عدوان عراقي محتمل(٢٦) .

حينها سعت ايران وتماشياً مع مصالحها الخاصة الى الأعتراف بالجمهورية الجديدة في ٣٠تموز ١٩٥٨ ، بعدما كانت الأستعدادات تجري في انقرة من قادة الدول الأسلامية الأعضاء في حلف بغداد ايران ، تركيا ، افغانستان لعقد اجتماع يبحث في قضايا الحلف كما ويهيئ من اجل التوجه الى لندن ، لعقد الدورة الأعتيادية هناك ، وحال سماع اعضاء الحلف نبأ اندلاع الثورة وتعذر وصول الملك فيصل ونوري السعيد، تغير مضمون الأجتماع من الأهتمام بالحلف الى الأهتمام بأنقاذ الحكم في العراق ، وفي الأجتماع الذي عقده الحلف في ١٧ تموز١٩٥٨ دعا قادة الحلف الولايات المتحدة الى القيام بعمل عسكري من اجل اعادة النظام الملكي الى حكم العراق وتعهدوا بتقديم كافة العون ان حصل مثل ذلك العمل.

الا ان الحكومة البريطانية والامريكية ابلغت القادة المجتمعين في انقرة ان الحكومة العراقية قد اعطت المواثيق التي تدعوا الى الاستقرار والأمن ، لذلك فليس من الداعي القيام بأي عمل عسكري ضدها ،وعندما استطاعت الثورة الحصول على اعتراف الدول العربية والأجنبية، من خلال البيان الذي اصدرته والذي دعت فيه الى التمسك بوحدة التراب العراقي وبعلاقات الأخوة مع الأقطار العربية والأسلامية ، والألتزام بمبادئء ميثاق الأمم المتحدة ، واحترام الأتفاقات والمعاهدات وقرارات مؤتمر باندونغ.

ومع ذلك فقد اعترفت الحكومة الايرانية بالنظام الجمهوري الجديد في العراق في الثلاثين من تموز ١٩٥٨م ، قبل اعتراف الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا به

واستبعادهما العمل العسكري ضد الجمهورية العراقية (٣٦) لانهما ادركا ان أي تدخل اجنبي في العراق يدفع العراقيين للالتفاف حول النظام الجديد في بلدهم (٤٦) .

وعلى الرغم من الاعتراف الايراني بالحكومة العراقية الجديدة ، الا ان ذلك لم يمنع نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية عبد السلام محمد عارف من مهاجمة ايران في احدى خطبه ، جرت مظاهرة معادية لنظام الشاه في بغداد في التاسع عشر من آب ١٩٥٨م ، وشنت اذاعة بغداد باللغة الكردية حملات لأثارة الكرد الايرانيين ضد حكومتهم (٥٦) .

كما خصصت الحكومة العراقية مبلغاً قدره اربعة الاف ديناراً الى عشائر (جوا نزود) الكردية الايرانية التي نزحت الى العراق وسكنت في منطقة حلبجة التابعة الى لواء السليمانية والتي بلغ عدد الافراد النازحين منها ما ينوف على (٣٩٦) شخصاً وعد هذه المصروفات ضمن الخدمات السرية لميزانية قوات الشرطة في لواء السليمانية (٦٦) ، وبسبب ذلك قدمت الحكومة الايرانية مذكرة احتجاج الى نظيرتها العراقية نبهتها فيها الى خطورة مثل هذه النشاطات التي تؤثر سلباً على علاقات الجوار والتاريخ المشترك بين البلدين ، فأجابت الحكومة العراقية في الثاني والعشرين من ايلول من عام ١٩٥٨م بضرورة احلال التفاهم والتعاون بين البلدين بدلاً من المنازعات ، واجتمع وزيرا خارجية العراق وايران في نيويورك وقررا وقف الحملات الصحفية والاذاعية بينهما فوراً (٧٦) .

وبالفعل تم ايقاف هذه الحملات ، وعين حسين جميل(٨٦) سفيراً في طهران ثم استبدل باللواء الركن عبد المطلب الامين في حزيران ١٩٦٠م ، ولم يكد يستقر السفير الجديد في ايران حتى قامت مظاهرة

معادية ضد العراق في التاسع والعشرين من حزيران ١٩٦٠م، مما دفع وزير الخارجية العراقي بزيارة ميناء عبادان الايراني واستقبل هناك من قبل وزير الخارجية الايراني وتم الاتفاق على حل الخلافات بينهما لاسيما حول قضايا زوار العتبات المقدسة والعلاقات الايرانية الاسرائيلية ومشاكل الحدود (٩٦) .

كانت لدى العراق جالية ايرانية يبلغ عددها في عام ١٩٥٨م حوالي (١٢) الف و (٣٦٠)شخصاً ، وكانت الحكومة العراقية تشك في أن ايران تحاول تسخير هذه الجالية لاثارة الشغب وترويج الاشاعات "ودفعها للمشاركة في اعمال الفوضى خلال الازمات وتصعيد حدتها" (٠٧) كما كان هناك زوار ايرانيون يقصدون العتبات المقدسة وبلغ عددهم عام ١٩٥٨م (٤٧٣٧٩) شخصاً ، وكانت لزيارتهم فوائد مادية للعراق عامة ولسكان المناطق المقدسة (النجف وكربلاء) خاصة .

الا ان توتر العلاقات بين البلدين دفع بالحكومة الايرانية الى منع سفر الزوار الايرانيين الى العراق وامتنعت عن منح سمات الخروج الى جميع الايرانيين القاصدين زيارة العتبات المقدسة في العراق(١٧) ، الامر الذي اثر على اقتصاديات العراق ودفع بوزارة الاقتصاد العراقية بعرض هذا الموضوع على مجلس الوزراء العراقي من اجل اخذ موافقته لتكليف وزارة الخارجية بتوجيه مذكرة الى السلطات الايرانية بالطرق الدبلوماسية تتضمن "اذا لم ترفع ايران هذه القيود خلال مدة معقولة فان الحكومة العراقية ستضطر لوضع قيود مشابهة تجاه ايران في الحقلين الاقتصادي والتجاري" (٢٧) .

حاولت الحكومة العراقية من جانبها ان تشجع الايرانيين على زيارة العراق مباشرة وذلك عن طريق تخويل الدبلوماسيين العاملين في القنصليات العراقية في ايران منح سمات الدخول الى العراق مباشرةً

(٣٧) ، ومع ذلك فان الحكومة الايرانية لم تشجع الزوار الايرانيين على زيارة العتبات المقدسة في العراق ، واشارت بعض الصحف الايرانية الى احتمال صدور فتاوى من رجال الدين بمنع الزيارة بسبب مضايقة هؤلاء الزوار داخل العراق واجبارهم على زيارة سامراء دون غيرها من الاماكن المقدسة الاخرى ،فضلاً عن احتضان العراق لعدد من المعارضين الايرانيين ومنحهم حق اللجوء السياسي ومنهم اللاجئ الايراني محمد كريم قاديان الذي منح حق اللجوء السياسي في الثاني عشر من ايلول ١٩٦٠م ومنح مخصصات اللجوء البالغة ثلاثين ديناراً شهرياً لمدة سنة واحدة(٤٧) كما منح العراق لاجئين اخرين منهم مهدي عبد الغفور وعلي مروان ومحمد امين جعفر سلطان وعبد الغفور جعفر سلطان مخصصات اللجوء السياسي (٥٧) ، وكان العراق بين الحين والاخر يمدد فترة لجوء هؤلاء اللاجئين سنة اخرى ، ويزيد مخصصاتهم الشهرية حتى وصل الى ستين ديناراً لبعضهم (٦٧) .

كما ادت الخلافات الحدودية بين البلدين الى توتر علاقتهما السياسية ،فقد ورث العراق من العهد الملكي بعض القضايا المعلقة مثل تثبيت دعائم الحدود العراقية-الايرانية واحترام سيادة العراق الاقليمية في شط العرب وصيانة حصة العراق في مياه الانهار المشتركة بين العراق وايران والمحافظة على حقوق ومصالح الرعايا العراقيين في ايران، الامر الذي ادى الى استمرار المشاكل المختلفة بين البلدين والحاق الضرر بمصالحهما (٧٧) .

ولهذا الغرض طلبت وزارة الخارجية العراقية من مجلس الوزراء ضرورة مفاتحة الجانب الايراني لحسم القضايا المعلقة بين البلدين بما يحقق المصالح الوطنية للعراق، ورأت وزارة الخارجية العراقية ضماناً لنجاح هذه

المفاوضات، ان تقترح على الجانب الايراني التزامه بإحالة أية مسألة يختلف بشأنها الى القضاء الالزامي لمحكمة العدل الدولية(٨٧)، وبالفعل تمت مفاتحة الجانب الايراني بهذا الشأن وارسلت الحكومة الايرانية عن طريق سفارتها الى بغداد كتاباً وافقت بموجبه على اقتراح العراق لحل الخلافات بين البلدين عن طريق المفاوضات المبنية على الاحترام الدولي والمعاهدات النافذة واحالة كل خلاف يتعذر حله عن طريق المفاوضات الى محكمة العدل الدولية(٩٧).

لم تحل المشاكل المعلقة بين البلدين وظلت تشكل عنصر توتر بينهما ، فقد ظلت ايران تتحكم بالأنهار الحدودية المشتركة في غير صالح العراق وامتنعت عن دفع رسوم الميناء في شط العرب وانتهكت طائراتها الاجواء العراقية باستمرار ، واستمرت في محاولاتها بمقاسمة العراق حقوق السيادة في شط العرب (٠٨) .

ولم تكتف بذلك وانما انشأت عدداً من المخافر الحدودية داخل الحدود العراقية مثل مخفر «ني خضر» في قضاء مندلي ومخفري «كاني سخت و الزيادي» في قضاء بدرة على الرغم من احتجاجات الحكومة العراقية واتباعها الاساليب الدبلوماسية للدفاع عن حقوقها الا ان الحكومة الايرانية كانت تدعي بتملكها تلك الاراضي وتجاهلها الوثائق الدولية ومحاضر جلسات قومسيون الحدود ودعاماتها واحداثيات مواقعها (١٨) .

لم يكن تجاهل ايران لحق العراق في الانهار الحدودية المشتركة اقل من تجاهلها للحدود القائمة بينهما فقد بنت على نهر(كنجان جم) الذي تعتمد عليه ناحية زرباطية في زراعتها سداً لحجب مياه هذا النهر عن مزارعي هذه الناحية ، مما اضر بمزروعاتهم كثيراً، وعلى الرغم من الاجتماعات التي عقدتها

سلطات البلدين لحل هذه المشكلة استمرت التجاوزات الايرانية مما دفع الحكومة العراقية بتقديم مذكرات عدة بهذا الصدد الى ايران كان اخرها في الاول من كانون الثاني عام ١٩٦٣، وفي الحادي والثلاثين من الشهر نفسه(٢٨) .

كما قامت السلطات الايرانية بشق جدول من نهر الوند الذي يمر بقصر شيرين الى خسروي ، الامر الذي دفع الحكومة العراقية الى ارسال مذكرة احتجاج الى السفارة الايرانية ببغداد في العشرين من تشرين الاول ١٩٥٩م طالبة وقف المشروع فوراً ريثما يتم التوصل على اتفاق لتقسيم مياه الانهار الحدودية عملاً بابقاء الوضع الراهن (Status Quo) الذي اتفق عليه، الا ان ايران تجاهلت ذلك واستمرت في توجهاتها العدوانية مدعية ان ذلك عملاً داخلياً خاصاً بها ، فاضطرت الحكومة العراقية الى تنفيذ مشروع مدّ قناة عرفت بقناة (بلاجو) بطول (٢٣) كم من الضفة اليسرى لنهر ديالى الى نهر الوند لسد نقص المياه بسبب الاجراءات الايرانية ، وتم افتتاحه في السابع من آب ١٩٦٠م (٣٨) .

واستمرت التجاوزات الايرانية على الانهار الحدودية الاخرى المشتركة نهر (كنكير) قرب مندلي ونهر (دويريج) قرب مخفر الفكه الايراني ونهر الكرخه الذي يصب في شط العرب، وعليه انشأت ايران سداً لتحويل مياهه وحجزه عن مزارع العراقيين ومزارعهم خلافاً للاتفاقيات الدولية الخاصة بالاستفادة من الانهار المشتركة بين الدول (٤٨) .

لم تكن المسألة الكردية اقل خطراً في تعميق الخلافات بين الجانبين فقد ادت حركة تمرد الكرد على الحدود العراقية الايرانية وعدم سيطرة الحكومتين عليها ومطاردتهما للمتمردين الكرد من العراق الى ايران وبالعكس ادى الى توتر

العلاقات وتعقدها اكثر فأكثر . كان من الطبيعي ان يؤدي اتساع مناطق الحدود الممتدة اكثر من الف كيلومتر ووعورتها وتساقط الثلج وتقديم الحكومة الايرانية المساعدات الى الكرد العراقيين وفسحها المجال امامهم لاتخاذ الاراضي الايرانية قاعدة عسكرية لتحركاتهم وتهديد السيادة العراقية، الامر الذي دفع الحكومة العراقية لتقديم عدد من مذكرات الاحتجاج الرسمية الى الحكومة الايرانية للكف عن دعم الكرد وتقديم العون لهم (٥٨) .

الا ان هذه المذكرات لم تدفع الحكومة الايرانية للتعاون معها وايقاف دعمها للكرد بل على العكس من ذلك فإنها تظاهرت بجهلها بهذه الحركات واحتجت على قصف القوات العراقية لبعض قراها الحدودية وعلل الزعيم الركن عبد الكريم قاسم مساعدات ايران للحركة الكردية بان "ثورة العراق الاجتماعية قد بلغت حدود ايران البلد الغارق في الظلام .. ووصلت اليها جميع وسائل المدنية ، داخل سكان ايران المجاورون واذا بهم يجدون الفرق في الحياة بين ايران والعراق ، ان هذه المقارنة وحدها ستشعل فتيل الثورة الايرانية وستقضي على قواعد الاستعمار البريطاني من جديد" (٦٨) ، ومع ذلك فان قادة الحركة الكردية اضطروا بعد ان فشلوا في تحقيق اهدافهم الى مغادرة ايران نحو الاتحاد السوفيتي (٧٨) .

وأتجه العراق الى تطوير علاقاته الثقافية وعلى الصعيد الثقافي كان لوجود المدارس العراقية في الاحواز وكذلك المدارس الايرانية في العراق دور مهم في تعزيز العلاقات الثقافية بينهما(٨٨) ، كما ادى تبادل الزيارات الى توطيد الروابط الثقافية بين الجانبين ، فقد وافق مجلس الوزراء العراقي على ايفاد عبد الهادي العمار مدير التربية والتعليم بلواء البصرة الى

ايـران لمـدة خمسـة عـشر يومـاً للاطـلاع عـلى مـدارس الجاليـة العراقيـة في طهـران المحمـرة وعبـادان والاحـواز (٩٨) .

لهـذا كانـت حكومـة الشـاه حـذرة مـن تعاملهـا مـن النظـام العراقـي الجديـد وأنهـا كانـت تنظـر بعـين الريبـة والتخـوف تجـاه ذلـك النظـام فهـو يـرى في النظـام الجديـد امتـداداً للأنظمـة الثوريـة التـي جـاءت عـلى اعقـاب انهيـار الأنظمـة الملكيـة ومنهـا نظـام عبـد النـاصر ، وعليـه فـأن الشـاه يخشـى مـن ان تمتـد تلـك التحـولات الثوريـة الى داخـل بـلاده ، فضـلاً عـن التقـارب العراقـي مـن الاتحـاد السـوفيتي والكتلـة الشـيوعية بصـورة عامـة ومـرور السـفن السـوفيتية عـبر الخليـج العـربي باتجـاه العـراق وهـي محملـة بالاسـلحة ،فقـد كان لهـذا المشـهد مـا يفـزع الشـاه كونـه اصبـح مطوقـاً بالخطـر السـوفيتي في حـدوده الشرقيـة والغربيـة، كـما ان الاوسـاط الشـعبية في ايـران قـد ايـدت الثـورة العراقيـة ، ومثلهـا فعلـت المؤسسـة الدينيـة ، الامـر الـذي ازعـج الشـاه كثـيراً (٩٠)

لم يـؤد اعـتراف الحكومـة الايرانيـة بالجمهوريـة العراقيـة الى تحسـن العلاقـات بينهـما ، بـل عـلى العكـس مـن ذلـك صـارت ايـران تثير المشـاكل بوجـه الحكومـة العراقيـة، ففـي ١ ايلـول ١٩٥٨ احتجـت الحكومـة الايرانيـة لـدى العـراق بشـان اجـراء الاخـير تغيـيرات عـلى مـلاك خـبراء مينـاء البـصرة واسـتخدامه خـبراء مـن روسـيا في الميناء المذكـور ولذلـك طالبـت ايـران بتأليـف لجنـة مشـتركة لادارة شـط العـرب وفقـاً للـمادة الخامسـة مـن معاهـدة ١٩٣٧ ، كـما انها دعـت الى اسـتخدام خـبراء مـن دول صغـيرة بـدلاً مـن الخـبراء السـوفييت الذيـن اسـتخدمهم العـراق في شـط العـرب وفي ٢٢ ايلول ١٩٥٨ رد العراق بمذكـرة جوابيـة عـلى الاحتجاجـات الايرانيـة اوضـح فيهـا وزيـر الخارجيـة العراقـي عبـد الجبـار الجومـرد بـان

العراق يطالب بحل مشاكل الحدود طبقاً لبروتوكولات الحدود لسنة ١٩١٣ متهماً ايران بامتناعها عن دفع رسوم سفنها في شط العرب وتجاوز طائراتها على الحدود العراقية منذ اعلان الجمهورية العراقية في ١٤ تموز ١٩٥٨(٩١).

وفي ٢٤ اذار ١٩٥٩ اعلن العراق عن انسحابه من حلف بغداد ،بعدما تأخر هذا الانسحاب لبعض الوقت بسبب عدم استقرار اوضاعه الداخلية ، وعدم اكتمال الاعتراف الدولي بثورته الجديدة ، كما ازداد تقاربه مع الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية ، في حين القت ايران بكل ثقلها على الولايات المتحدة الامريكية الامر الذي جعل الطرفين على نقيض في سياستهما الخارجية منذ زوال الحكم الملكي في العراق(٩٢).

وفي اواخر عام ١٩٥٩ شهد الوضع الداخلي للعراق ارتباكاً سياسياً تمثل في محاولة الاغتيال التي تعرض لها رئيس الوزراء الزعيم عبد الكريم قاسم في٧ تشرين الثاني ١٩٥٩، ونتيجة لهذا الارتباك اقدمت ايران على سلسلة من الاعمال العدائية تجاه العراق كان من بينها حشد قطعاتها العسكرية على طول الحدود مع العراق فضلاً عن قيامها باثارة الاضطرابات عبر شط العرب ، كما قامت ايران في هذا الوقت بايقاف تدفق المياه عبر الانهر الحدودية ، الامر الذي ادى الى ان يقوم الطرفان بسحب سفيريهما لدى الطرف الاخر(٩٣).

وفي ٢٨ تشرين الثاني ١٩٥٩ صرح شاه ايران بان العراق لا يحترم نصوص معاهدة ١٩٣٧، مؤكداً ان شط العرب هو شط مشترك بين البلدين ولا ينبغي للعراق ان يستعمله لوحده . (٩٤) وازاء هذا التصريح ادلى رئيس الوزراء العراقي عبد الكريم قاسم بتصريح في ٢ كانون الاول ١٩٥٩ اوضح فيه بان معاهدة ١٩٣٧ فرضت على العراق

فرضاً بسبب الظروف الصعبة التي مرت بها الحكومة العراقية آنذاك فأعطت خمسة كيلومترات من شط العرب(٩٥)(هدية) من العراق وليست (حقا) لا يران ولذلك لا يمكن للعراق ان يظل مرتبطاً بالتزامات هذه الهدية ، وفي اي وقت يمكن ان يسترجعها ويضمها للوطن الام . كما اكد رئيس الوزراء العراقي على عدم تخلي العراق عن اي حق من حقوقه مناشداً ايران الى اتباع الطرق السلمية في حل مشاكلها مع العراق . وفي الوقت نفسه اوضح الزعيم قاسم الى ان العراق لديه الوسائل الكفيلة بالتصدي لاي عدوان فيما اذا تعرضت بلاده الى مثل هذا العدوان.

ورداً على التصريحات التي ادلى بها رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم في ٢ كانون الأول ١٩٥٩ ، هاجم وزير الخارجية الايراني في ١٠ كانون الأول ١٩٥٩ بخطاب له امام مجلس الاعيان الايراني العراق معتبراً ان خط (التالوك) هو الخط الوحيد الذي تعترف به ايران بالنسبة لحدود شط العرب ، كما ان الصحف الايرانية اشارت الى لجوء ايران الى الغاء معاهدة ١٩٣٧ .(٩٦) وفي ١٧ كانون الاول ١٩٥٩ اوضحت وزارة الخارجية العراقية بان الحملات الاعلامية التي تقوم بها ايران ضد العراق ما هي الا تهم واهية وتفسيرات مغلوطة تهدف الى اثارة ازمة مفتعلة بين الدولتين كما اكدت الخارجية العراقية تمسك العراق بسياسته التي تقوم على الاعتبارات الاخلاقية التي من شأنها الحفاظ على الروابط بين ايران والعراق(٩٧).

وفي محاولة منه لتصعيد الموقف مع العراق ، اعلن شاه ايران في ٢٠ كانون الأول ١٩٥٩ بان العراق يخرق معاهدة ١٩٣٧ واشار الى رغبته في رفع النزاع القائم بين بلاده والعراق الى محكمة العدل الدولية . ورداً على تصريح الشاه اكد رئيس الوزراء

العراقي الزعيم عبد الكريم قاسم ان بلاده لن تتنازل عن اي حق من حقوقها لاي دولة الى جانب التزامها بالحلول السلمية الكفيلة بحل هذا النزاع، كما اوضح قاسم على ان العراق قادر على استرجاع حقوقه بالقوة في اشارة منه الى قيام بعض قطعات الجيش الايراني بالتوغل وبناء المخافر داخل الحدود العراقية ، فضلاً عن قيام الجانب الايراني ببناء السدود على الانهر الحدودية المشتركة التي تزود مياهها المدن العراقية في خانقين ومندلي وزرباطية ، الامر الذي ادى الى حرمانها المياه وتسبب في موت مزروعاتها (٨٩).

وفي ٢٦ كانون الاول ١٩٥٩ ربطت الحكومة العراقية بين ما تقوم به ايران ضد العراق وما تقوم به مصر والاردن من حملات اعلامية معادية للعراق ، موضحة بان الاعمال الاستفزازية الايرانية ضد العراق تأتي نيابة عن هذه الدول العربية وخدمة لمصالح اسرائيل) (٩٩).

وفي ٣٠ كانون الأول ١٩٥٩ صرح وزير الخارجية العراقي هاشم جواد لوكالة الانباء العراقية ان العراق يعمل على حل خلافاته مع ايران بالطرق السلمية المباشرة وغير المباشرة ويعتمد اذا اقتضت الحاجة على الامم المتحدة والهيئات العربية ، ويلتزم بالمعاهدات والاتفاقيات ويسير في تنظيم علاقاته الخارجية على اسس ومبادئ القانون الدولي ويرعى روابط الجيرة ، ويتمسك بحقوقه تمسكاً شديداً ويدافع عنها بكل قوة ويرد عن نفسه اي اعتداء ...) كما اكد الوزير العراقي على ان استمرار حالة التوتر بين العراق وايران قد تؤدي الى عدم استقرار السلم في منطقة الشرق الاوسط(١٠٠).

وفي ١٥ كانون الأول ١٩٦٠ قامت السلطات الايرانية بارغام العشائر العربية القاطنة في منطقة الاحواز للخروج بمظاهرات ضد الحكومة العراقية عن طريق اغراء رؤساء

عشائر هذه المنطقة بالاموال وتقديم المؤن وصرف الاجور اللازمة لانجاح تلك المظاهرات

كما قامت الحكومة الايرانية بسلسلة من الحملات الاعلامية التي تهاجم العراق من اذاعة الاحواز عن طريق استضافة بعض الوافدين اليها من داخل العراق والمعارضين للسلطة العراقية ، في حين القت السلطات الايرانية القبض على بعض شيوخ العشائر العربية من بني كعب والمعارضين لسياستها تجاه العراق، ومن جانب اخر لجأت ايران الى بناء الاستحكامات على حدودها مع العراق من خلال زرعها بالالغام(١٠٠).

ونتيجة لتفاقم الازمة بين العراق وايران الى حد احتمال قيام نزاع مسلح بين الطرفين، قامت القوى الدولية المتمثلة باعضاء حلف الناتو (NATO) بالتدخل من اجل حل هذه الازمة عن طريق تقديم النصح لايران باتباعها الوسائل الدبلوماسية لمعالجة هذه المشكلة على اعتبار ان اللجوء الى القوة سيكون سبباً في تهديد السلم العالمي ، كما ان الحلف المذكور يخشى من تدخل الاتحاد السوفيتي في هذه الازمة بغية تحقيق اطماعه في ايران الغنية بالنفط ، وعلاوة على ذلك فان العراق قد انتهج سلوكاً دبلوماسياً حيال خلافاته مع ايران وخاصة على لسان وزير خارجيته هاشم جواد بتصريحه في ٣٠ كانون الأول ١٩٥٩(٢٠١)

الا أن المصالح الأقتصادية غيرت الكثير من المواقف السياسية في أحيان عديدة ومما زاد في التقارب الإيراني العراقي أنشاء منظمة الدول المنتجة للنفط حتى تستطيع الوقوف أمام الشركات النفطية وبالفعل عقد أجتماع في بغداد ض وفود من السعودية وايران والكويت وأعلنوا عام ١٩٦٠ عن تأسيس منظمة الدول المصدرة للنفط (الأوبك) (٣٠١)

شهد أواخر عام ١٩٦٠ انفراجاً في العلاقات بين العراق وايران ، وخفت لهجة ايران تجاه العراق نتيجة الضغوط الدولية التي مورست عليها من المجتمع الدولي فضلاً عن ارتياح السلطات في طهران للتصريحات التي ادلى بها وزير الخارجية العراقي هاشم جواد والداعية الى حل سلمي للخلافات بين البلدين ، وفي ٥ كانون الثاني ١٩٦٠ زار رئيس الوزراء السويدي طهران من اجل الوساطة بين البلدين كما ان رئيس الوزراء الايراني عباس اقبال اكد عدم وجود رغبة لدى بلاده بالدخول في صدام مسلح مع العراق ، داعياً الى حل المسائل العالقة بين البلدين بالطرق السلمية ، وفي الوقت نفسه عاد سفيرا العراق وايران لمزاولة اعمالهما لدى كل طرف(١٠٤)

وفي اوائل عام ١٩٦٠ حاول الجانب الايراني اجراء مفاوضات مع الحكومة العراقية من اجل موافقة الاخيرة بشان اعطاء حرية العمل لسلطات مينائي عبادان وخرمشهر (المحمرة) . الا ان الحكومة العراقية رفضت طلب ايران بهذا الشأن ونتيجة للرفض العراقي اصدرت الحكومة الايرانية قراراً من جانب واحد الزمت فيه السفن التي تتوجه الى الموانئ الايرانية عبر شط العرب باستخدام ملاحين ايرانيين ، الامر الذي دفع بمديرية الموانئ العراقية الى استخدام اجراء مضاد مما ادى الى توقف الملاحة في الممر المائي توقفاً فعلياً ، وادى بالتالي الى التأثير على الصادرات النفطية من ميناء عبادان تأثراً عكسياً بشكل خاص(١٠٥)

ادى تاثر الصادرات النفطية الايرانية في اعقاب الاجراء العراقي المضاد الى تراجع ايران عن قرارها المنفرد واعلانها في ٢٥ نيسان ١٩٦١ بانها لن تسيء الى القوانين الدولية التي تحكم شط العرب ، وانها سوف تسحب قرارها الخاص باقتصار

حرية الوصول الى الموانئ الايرانية على الملاحين الايرانيين(١٠٦)..

تكللت حالة الهدوء والاستقرار التي سادت العلاقات بين العراق وايران طوال عام ١٩٦٠ بزيارة وزير الخارجية العراقي هاشم جواد الى ايران في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٠ حيث لقي ترحيباً من السلطات الايرانية هناك.

وشهد مطلع العام ١٩٦١ اتفاقاً مبدئياً بين الحكومة العراقية ونظيرتها الايرانية بشان القضايا العالقة بين الدولتين من اجل التوصل الى حلها الا ان وزارة الخارجية الايرانية اعلمت السفارة العراقية في طهران في شهر مايس من العام المذكور بان الاوضاع في ايران في الوقت الحاضر تستدعي تأجيل بحث هذه القضايا ، وان ايران على استعداد لاعلام السفارة العراقية باي تطور عندما تسمح الظروف ،وعلى هذا فلم يكن بالامكان استئناف المفاوضات بين الحكومتين حتى شهر شباط عام ١٩٦٤ (١٠٧).

وفي الوقت الذي اجلت فيه ايران بحث قضاياها المعلقة مع العراق بسبب ظروفها الداخلية ، فان عام ١٩٦١ قد مثل عودة العلاقات بين البلدين الى التوتر من جديد بسبب موقف الحكومة الايرانية الداعم للقضية الكردية في شمال العراق الامر الذي دفع الحكومة العراقية وعلى لسان رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم من مهاجمة موقف ايران بوصفه موقفاً يشكل مؤامرة ضد العراق ونيابة عن موقف الغرب المعادي لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ (١٠٨).

اخذ الدعم الايراني للمعارضة الكردية في شمال العراق اشكالاً متعددة ، تمثل بفتح ايران لحدودها امام المقاتلين من المعارضة المذكورة وتقديم المؤن لهم ، كما شجعت الحكومة الايرانية الاكراد القاطنين في اراضيها على ايواء ودعم هؤلاء المقاتلين في الوقت الذي اصبحت

فيه وسائل الاعلام الايرانية مكرسة لخدمة هذه المعارضة ، وعلى الرغم من الاحتجاجات التي تقدم بها الجانب العراقي في ٢٤ مايس ١٩٦٢ الا ان هذا الدعم قد استمر حتى انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ الذي اطاح بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ (٩٠١) فضلا عن ذلك كان موقف ايران من قضية الكويت سلبياً خصوصاً عندما أعلن تأيدة للكويت وأرسل الشاه محمد رضا برقية تهنئة الى الشيخ عبدالله السالم امير دولة الكويت وأعلنت الحكومة الأيرانية أعترافها الكامل الرسمي بأستقلال الكويت كما رفضت الأدعاءات العراقية في الكويت وأيدت الخطوات العربية بما فيها السعودية ضد هذه الأدعاءات وقامت بأرسال الوفود وتبادل السفراء من أجل تطوير تلك العلاقات (٠١١).

في السابع من شباط ١٩٦٣، سعت الحكومة الأمريكية لاقناع حلفائها في حلف الناتو بفكرة الإطاحة بنظام عبدالكريم قاسم. فقد أكد مندوب الولايات المتحدة صراحة ان أي نظام غير شيوعي هو أفضل من حكم عبدالكريم قاسم، وفي مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية(١١١). وفي الوقت الذي اقنع المندوب الأمريكي في حلف الناتو، دول الاعضاء بضرورة تغيير حكم عبدالكريم قاسم، أرسلت وزارة الخارجية الأمريكية في اليوم نفسه تقريرا إلى البيت الأبيض يتضمن وجهة نظر السفارة الأمريكية ببغداد بشأن الأوضاع الداخلية في العراق ويلاحظ ان الخارجية الأمريكية لم تؤيد مقترحات السفارة كما ورد في الوثيقة الأمريكية(٢١١).

وفي الساعة التاسعة تمت إذاعة البيان الأول لزعماء الانقلاب حيث كان موقعاً من المجلس الوطني لقيادة الثورة " واعلن البيان أن الحركة قامت لاستمرار المسيرة لثورة الرابع عشر من تموز وإنجاز الوحدة الوطنية للشعب ،وتعهد البيان

بـأن المجلـس الوطنـي لقيـادة الثـورة يعمـل عـلى تأسـيس حكـم وطنـي وفـق المبـادئ التـي جـاءت بهـا ثـورة ١٤ تمـوز ١٩٥٨ في إطـلاق الحريـات الديمقراطيـة وتعزيـز سـلطة القانـون وتقويـة الاخـوة العربيـة الكرديـة ، وبعـد ذلـك اخـذ المجلـس الوطنـي لقيـادة الثـورة يصـدر بيانـات أعلـن بموجبهـا منـع التجـول وغلـق الحـدود والمطـارات وكذلـك أعلـن عـن إلغـاء مجلـس السـيادة وانتخـاب عبـد السـلام عـارف رئيسـاً للجمهوريـة»[٣١١].

عبدالسـلام محمـد عـارف الـذي ازيـح بعـد قيـام الثـورة بثلاثـة اشـهر عـن طريـق قاسـم لم يكـن يفكـر بالانقـلاب ضـد رفيقـة قاسـم الا أنهـم أختلفـوا في التطبيقـات العمليـة لعلاقـة العـراق مـع مـصر وضرورة قيـام الوحـدة الفوريـة معهـا أمـا قاسـم لم يكـن يفضلهـا بحجـة أن جمـال عبدالنـاصر سـوف يكـون وصي عـلى العـراق بـدلا عنـه ، فضـلاً عـن ذلـك أن مـصر دولـة فقـيرة سـوف تؤثـر عـلى اقتصاديـات العـراق مـن خـلال علاقاتهـا (لهـذا أكلـت الثـورة رجالهـا) وفسـحت المجـال لأعدائهـا مـن القومـين والشـوعين والبعثـين لتحقيـق حلمهـم بالقضـاء عليهـا ، في الوقـت كان كل من قاسـم وعـارف لا يحـب المـال وكنـز الذهـب والفضـة لكنهـم أبهرا بالسـلطة والجـاه وكان عـارف أكثـر «يحـب الجـاه والفخفخـة السـلطان» وعندمـا أسـتطاب لـه الحكـم تغـيرت عـن مبادئـه التـي كان يؤمـن بهـا وعشـقها في وقـت مبكـر مـن حياتـه وهـي الاشـتراكية .

وعندئـذ بـدأت مرحلـة تاريخيـة جديدة في تاريـخ العلاقـات بـين الولايـات المتحـدة الأمريكيـة والعـراق، اتسـمت بخصائـص جديـدة في ظـل الحـرب البـاردة بـين القطبـين العالمـين آنـذاك، وانطـوت عـلى تحـول كبـير في تناسـب القـوى الدوليـة.

المبحـث الرابـع : عبدالسـلام عـارف والبعـث والموقـف الإيـراني

تميـزت العلاقـات الايرانيـة –العراقيـة

بالصراع المستمر عبر العصور حيث اتخذت في أغلب الفترات الزمنية بعداً عسكرياً ، وذلك قبل أن يتجه في الفترة الأخير الى التحسن وحسن الجوار، وشهد العراق طوال العهد الملكي مع ايران مشاكل عدة ، أهمها مشاكل الحدود الطويلة المشتركة بينهما (٤١١) ، ومشاكل الانهار التي تنبع من الاراضي الايرانية وتستفيد منها القرى والمناطق العراقية في مندلي وزرباطية وخانقين ، فضلاً عن مشاكل العشائر المتنقلة وتجاوزاتها على الحدود ، ومحاولات الحكومات الايرانية المتعاقبة استغلال الاوضاع الداخلية في العراق لتكريس اطماعها التوسعية في ارضه ومياهه وتوقيعها معاهدات مجحفة التي منحت ايران امتيازات واسعة ، ووقف ضدها الرأي العام العراقي (٥١١).

وبعدما أستطاع عبد السلام محمد عارف بتاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٦٣ في أقصاء حزب البعث من الحكومة بعد قيام الحزب بأعمال عنف جراء سلسلة من الانشقاقات الداخلية والتجاوزات التي قامت بها عناصر الحرس القومي و نجح في السيطرة على مبنى اتحاد الإذاعة والتليفزيون العراقي و القيادة والأركان العامة للجيش ووزارة الدفاع و مقرات الحرس القومي و قامت طائرات عسكرية بقصف مقر القيادة العامة للحرس القومي في الأعظمية و نتج عنه إقالة أحمد حسن البكر رئيس الوزراء و تعيينه نائبا رئيسا للجمهورية حتى اعفاءه من منصبه عام ١٩٦٤ و حل الحرس القومي الذي وصفه بالحرس اللاقومي و تكليف طاهر يحيى التكريتي بتشكيل وزارة جديدة وضم من الوزراء المستقلين و القوميين و الناصريين و ٣ من البعثيين هم الدفاع حردان التكريتي والصحة عزت مصطفى و التعليم أحمد عبد الستار الجواري(٦١١).

واسند منصب رئاسة الجمهورية إلى

عبدالسلام عارف الذي كان يتمتع بشعبية كبيرة، فقد اختير لكسب ود الجماهير للحركة ثم اسناد منصب النائب الى احمد حسن البكر، احد ابرز قياديي (حزب البعث)(٧١١).

كما ان وضع عارف على رئس السلطة جعلت منه مقر استقطاب للاخرين، بحكم الصلاحيات التي وضعت بين يديه الا وهي صلاحيات المجلس الوطني للقيادة كاملة، المكون من اعضاء تنظيم الضباط الوطنيين الاحرار في ثورة ١٤تموز ١٩٥٨ والمساهمين بحركة ٨ شباط ١٩٦٣

واعلنت حكومة الانقلاب الجديدة في بيانها الاول عن أستلام مقاليد الحكم في العراق وتعهدة بإحترام العهود والمواثيق الدولية خوفا من التدخل الخارجي أسوتاً كما فعل عبدالكريم قاسم ولو انها تعلم ان حجم الخطر على الانقلاب الجديد لم يكن كبيراُ في عام ١٩٥٨ بسبب كون العراق كان قائد حلف بغداد مع معظم دول الجوار الاقليمي من غير الدول العربية (١١٨).

لهذا تقدمت بعض الدول ولاسيما ايران بطلب الصداقة والتعاون على لسان القائم بالاعمال الايراني في بغداد وقدمة الى وزير الخارجية العراقي طالب حسين الشبيب (٩١١) وكانت ايران تتأمل الحصول على امتيازات لها من النظام الجديد في العراق (٠٢١)بيد هذا الامر لم يتحقق وبدأت المشاكل من جديد بين البلدين لاسيما بعد اكتشاف تنظيمات سرية سياسية تستهدف امن العراق وتحاول فرض اجندات وخلق ظروف معينة ، لكن وزارة الداخلية العراقية قامت بواجباتها واصدر مجلس الوزراء اسقاط الجنسية عن جميع المشتركين في ٢٤ شباط ١٩٦٣ لكن هذا الامر لم يمنع المسؤولين من كلا الطرفين عدم الجلوس والتفاوض على بعض القضايا لاسيما بعد ان استقبل البكر الوزير المفوض الايراني وبحث معه

مستقبل العلاقة بين الجانبين ودعا البكر الى تحسينها خدمة للمصالح المشتركة كما فعل من بعدة وزير الخارجية العراقي (١٢١).

لكن الوضع السيئ الذي عمله الانقلاب والخلافات بين قادته انعكس سلباً على علاقة العراق مع دول الجوار الجغرافي ، في الوقت التي عملت (الثورة البيضاء) في ايران عام ١٩٦٣ الى خلق جو لا يخلوا من التوتر وعدم الاستقرار هو الاخر اثر سلباً على العلاقات بين البلدين (٢٢١).بعد قيام انقلاب الثامن من شباط في العراق عام ١٩٦٣ وانقلاب الثامن عشر من آذار في سوريا من العام ذاته، وتسلم حزب البعث العربي الاشتراكي السلطة في كلا البلدين، تهيئت الظروف الملائمة لحكومات كل من العراق وسوريا ومصر لاجراء مباحثات لا قامة اتحاد يضم الدول الثلاث.

وخلال الفترة ما بين ١٤-١٧ نيسان ١٩٦٣، اجرى المسؤولون في الاقطار الثلاثة مباحثات في القاهرة، انتهت باعلان قيام اتحاد ثلاثي عرف بميثاق السابع عشر من نيسان ١٩٦٣، واكد البيان الصادر عن الاعلان أن الوحدة ثورة لأنها شعبية وتقدمية وحضارية.(٣٢١). أما موقف الحكومة الإيرانية من هذه الوحدة، فلم يختلف عن مواقفها السابقة تجاه أي تجربة عربية وحدوية، حيث اثارت هذه الوحدة قلق ومخاوف الحكومة الإيرانية واسرائيل.(٤٢١) إذ ارسلت الحكومة الإيرانية برقية لوكالة اسيويشتدبرس عبّرت من خلالها عن قلقها ومخاوفها من قيام هذه الوحدة(٥٢١). كما اجتمعت وفود دول حلف السنتو وبدعوى من الحكومة التركية لاتخاذ الاجراءات اللازمة ضد هذه الوحدة ودعت تركيا أيضاً إلى اجتماع اللجنة العسكرية في الحلف عقد في مدينة اسطنبول في الثامن والعشرين من نيسان

١٩٦٣، وقد حضر هذا الاجتماع رئيس هيئة قيادة القوات المشتركة الامريكية، ورئيس هيئة الدفاع البريطانية، وكذلك رؤساء قيادات القوات المشتركة في إيران وتركيا وباكستان ورغم عدم الاعلان عما تضمنه هذا الاجتماع فعلى ما يبدو انه بحث الوحدة الثلاثية كونه جاء بعد ايام قليلة من اعلان الوحدة وعلى ما يبدو أن هذا الاجتماع بحث الوحدة الثلاثية وسبل احتواء آثارها السلبية.(٦٢١)

واعلنت المصادر الدبلوماسية أن الحلف بحث مستجدات الوضع على الساحة العربية ولاسيما قيام الوحدة الثلاثية الجديدة وآثارها على المنطقة التي يغطيها الحلف، واضافت انه تم الاتفاق على أن يقف الحلف موقف المراقب والمنتظر لمستجدات الوضع.(٧٢١)

ونتيجة لموقف إيران واسرائيل المعادي لكل تجربة وحدوية عربية، فقد ارسل رئيس الحكومة الاسرائيلية ديفد بن غوريون في الثالث والعشرين من ايار ١٩٦٣ برسالة إلى الشاه محمد رضا بهلوي، ومما جاء في مضمون الرسالة أن الوحدة الثلاثية سترفع من شان جمال عبدالناصر وقوته، وبعد قراءة الشاه للرسالة، قال للمبعوث الاسرائيلي «انني على استعداد للتوقيع على كل كلمة في هذه الرسالة، لو كنت اود أن اكتب هذه الرسالة لما صغتها بغير هذه الصياغة»، على ما يبدو أن الرسالة تضمنت أيضاً كيفية التصدي ومواجهة الوحدة من خلال توحيد السياسة والاجراءات والاتفاق بين إيران واسرائيل على كيفية التعامل مع هذه الوحدة(٨٢١).

لقد خشيت الحكومة الإيرانية من أن تؤدي هذه الوحدة إلى تعزيز النفوذ الناصري في المنطقة، كما كانت إيران تتخوف من مطالبة دول الوحدة بالأراضي العربية التي احتلتها إيران وهي امارة عربستان العربية، ومن

هـذا المنطلـق وفي سـبيل التصـدي لهـذه الوحـدة واعاقـة تقدمهـا واسـتمرارها جـددت حكومـة شـاه إيـران دعمهـا للحركـة الكرديـة المسـلحة في شـمال العـراق، واسـتمر دعمهـا هـذا حتـى حـدوث القطيعـة بـين حكومـة البعـث وجمـال عبدالنـاصر بعـد اشـهر قليلـة مـن تشـكيل الوحـدة [٩٢١] حيـث انسـحبت الجمهوريـة العربيـة المتحـدة مـن دولـة الاتحـاد، وبقـت دولـة الاتحـاد مقتـصرة عـلى العـراق وسـوريا حتـى الثامـن عـشر مـن تشريـن الثـاني ١٩٦٣ عندمـا حـدث انقـلاب عبـد السـلام عـارف عـلى البعـث ، لتنفصـم بـه عـرى تلـك الوحـدة (٠٣١) .

لقـد سـارعت إيـران وبمجـرد حـدوث القطيعـة بـين حكومـة البعـث وجمـال عبدالنـاصر، بابـداء رغبتهـا في التعـاون مـع العـراق لا نهـاء الحركـة الكرديـة المسـلحة، ولعـل ذلـك يشـير صراحـة إلى موقفهـا مـن الوحـدة والتـي لم يتجـاوز عمرهـا بضعـة اشـهر (١٣١) وفي هـذا التاريـخ بـدأت بـوادر انحيـاز أمـيركا لإسرائيـل في حـين كانـت قبـل ذلـك مراقبـة للأحـداث التـي تـدور في المنطقـة ومتئهبـة للدخـول فيهـا كقـوة عظمـى بـرزت بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة وافـول نجـم بريطانيـا وفرنسـا باعتبارهـا دول عظمـى. وكانـت بدايـات دخـول الولايـات المتحـدة للمنطقـة بعـد أحـداث السـويس أو مـا يعـرف بالعـدوان الثلاثـي عـلى مـصر عـام ١٩٥٦ إثـر إنذارهـا للـدول المعتديـة عـلى مـصر بالانسـحاب وذلـك في عهـد الرئيـس الأميركـي ايزنهـاور [١٣٢])).

ثـم وبعـد تـولي الرئيـس الديمقراطـي كنـدي سـعت الإدارة الأميركيـة نحـو الدخـول للمنطقـة العربيـة بأسـلوب الصداقـة والتعـاون مـع دول المنطقـة حيـث كانـت لديـه عـدد مـن علاقـات الاحـترام المتبادلـة مـع بعـض زعـماء دول المنطقـة مثـل عبـد السـلام عـارف وجمـال عبـد الناصر ،والجديـر بالذكـر أنـه كانـت لكنيـدي آراء شـخصية مؤيـدة للعـرب في نزاعهم مـع إسرائيل،

التي بقيت بعيدة عن مركز قرار البيت الأبيض بسبب تأثير اسرائيل داخل الولايات المتحدة وتداعيات الحرب الباردة بين العالمين الغربي والشرقي بزعامة الاتحاد السوفيتي (٣٣١).

اما في المجال الاقتصادي ولاسيما حقول النفط ظهرت مشكلات على السيادة الوطنية العراقية والمصالح العراقية من جانب ايران ففي ١نيسان ١٩٦٣ صرحت شركة النفط الايرانية (N.I.O.C)عن نيتها بفتح مزايدة علنية في اثنين من مناطق الامتداد القاري في مياه الخليج العربي والتي تزعم ايران عائديتها اليها ، الا أن العراق رفض هذا الامر بعدم اعترافه بمنح الامتياز (٤٣١).

وهناك مشكلة أستغلال النفط في حقل نفط خانه والتي تعود جذورها الى عام ١٩٦٢ فقد جرت اتصالات بين الحكومة العراقية والحكومة الايرانية وتم تشكيل وفد عراقي من وزارة الخارجية والنفط (٥٣١) وكان المطلب العراقي الحصول على حل لكل المشكلات العالقة بين الطرفين سواء مشكلة حدود والمياه الاقليمية أو موضوع النفط وفي المفاوضات التي دارت بينهم بتاريخ ٢٨ تموز و٤ أب ١٩٦٣ على موضوع المياه الاقليمية توصل الطرفان الى تسوية طالبت ايران بجعل حصتها من الاستفادة من عمليات الاستخراج النفط ٦٠ ٪ و٤٠٪ للعراق على اساس مساحة ايران هي اكبر من العراق اما نفط خانة فأنهم توصل الى مشروع هو استخراج ١٠ ألاف برميل يومياً لكن عدم الاتفاق على صيغة المياه الاقليمية عطل الاتفاق النهائي لان العراق يريد الاتفاق على كل المشكلات وحلها بصفقة واحدة وهذا ما رفضته ايران جملة وتفصيلا (٦٣١).

وحينما أصدرت الحكومة العراقية قرارا بتاريخ ١٠ تموز ١٩٦٣ والذي

استطاع بموجبة الرعاية الإيرانيين في العراق أجراء معاملات حق التملك بأسمائهم مرة أخرى بعد أن توقفت قبل ٨ شباط وفقاً لمبدئ التعامل بالمثل هذا القرار كان قد اظهر رغبة العراق في تحسين علاقاتها مع ايران (٧٣١)وأبدت ايران استدعائها لتحسين العلاقات من خلال المشاركة في ذكرى ثورة تموز ١٩٥٨ (٨٣١)،أما بشأن القضية الكردية التي أرادت حكومة عبدالسلام حلها بطريق الحوار مع القادة الكرد وأسفرت الى وقف القتال بين الجانبين خلال الأربعة أشهر التي أعقبت ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ وعندما لم يتوصل الجانبين الى حل عادت الاشتباكات من جديد وكان موقف أيران منها أن وقفت الى جانب الحكومة العراقية من خلال ارسال المراقبين وغلق الحدود ومنع الإمدادات السوفيتية لهؤلاء المقاتلين والتي ترد عبر الحدود مع أيران (٩٣١) .

من جانبها الحكومة العراقية أبعدت عدد من الشوعين الإيرانيين الى أيران كونهما يشكلان خطر على البلدين ، أذ لم تتأثر العلاقات الايرانية العراقية بهذا الاجراء (٠٤١) وفي هذا الوقت حاول عبدالسلام عارف أقامة علاقات حسنة مع أيران في بداية حكمه محاوله منه أصلاح الامور الشخصية بينه وبين شاه أيران بعد الخطب التي القاها أبان ثورة عام ١٩٥٨ والتي يؤكد فيها على خطر الشاه يؤيد فيها ثورة مصدق بوصفه شخصية وطنية وهذا من جانبه عقد العلاقة بين الرجلين دفع ثمناها بعد استلامة السلطة في العراق بعد حوالي ٦ سنوات (١٤١) وبناءاً الى هذه الرغبة وجهه الرئيس عبدالسلام عارف الى زيارة وزير الخارجية العراقي بتاريخ ٣ أذار عام ١٩٦٤ الجارة أيران والتباحث بشأن تطوي العمل والتعاون الاقتصادي والثقافي بينهما (٢٤١).

حاول الطرفان مناقشة موضوع

الاتفاقيات السابقة ولاسيما معاهدة زهاب عام ١٩٣٧ الا أن ايران تحاول عدم تطبيقها بغية الحصول على مكاسب جديد أما العراق فكان متمسك بالاتفاقية حفاظاً على أمنه الداخلي والخارجي وفي موضوع المياه فقد عبر العراق عن أمتعاضة في أنشاء أيران عدد من السدود لمنع تدفق المياه الى الاراضي العراقية والاستفادة منها أما معاملة الرعاية العراقيين والإيرانيين أصبحت مشكلة تثير الشكوك لدى الجانبين من خلال الاتهامات المتبادلة بعدم المعاملة الحسنة والغير لائقة فيما يخص الاقامة والمعاملة ، ولذلك خضعت تلك المشكلة الى طبيعة العلاقة بين الطرفين ،كما أن العراق أراد التقرب الى أيران من خلال تحسين علاقة مصر بها وأيضا التخلص من الأعلام المصري المضاد لأيران كونه ينعكس على طبيعة العلاقة بينه وبين أيران ، لكن الحكومة العراقية لم تفلح بذلك كون أيران أشترطت أن تعتذر مصر من أيران أولاً، وهذا ما رفضته مصر عام ١٩٦٠ (٤٠) وبسبب عدم حل تلك المشكلات بين الطرفين قاد العراق حملة مضادة على أيران من خلال المطالبة بإقليم عربستان وأتفق مع الملا مصطفى البرزاني حول تصفية الأمور العالقة ووقف القتال أذ شهد عام ١٩٦٤ عام سلام لكنه لم يستمر طويلاً فقد شهد عام ١٩٦٥ تدخل أيران واللعب بالقضية الكردية من خلال التوسط عند السفارة الأمريكية لمساعدة المعارضة الكردية ودعمها بالأسلحة الثقيلة (٤١) وتماشياً مع سياستها التصعيدية أستهدفت أيران عام ١٩٦٥ السفن العراقية التي تسلك شط العرب لكن العراق لم يرد بالمثل وتريث في الأعمال العسكرية ومعالجة الأمر عن طريق الجهود الدبلوماسية سلمياً (٤٢) .

أذ حاول العراق أشراك وتدخل الولايات المتحدة الأمريكية

ومناشدتهم في التدخل والتأثير على حكومة الشاه ، الا أن امريكا رفضت التدخل بهذا الموضوع بعدم قدرتها على التأثير على الجانب الإيراني (٦٤١) .

واستغلال العلاقة التي تربط أيران بالسعودية ، قام عبدالرحمن البزاز رئيس الحكومة العراقية بتاريخ ٣١ ك١ عام ١٩٦٥ بزيارة السعودية والطلب التوسط بينها وبين أيران لغرض وضع حد للتوتر بينها وعندما عرضت السعودية بنود الوساطة رفضت ايران واشترطت عدم وقف المساعدات الى الاكراد الا بشرط موافقة العراق على شروط ايران في شط العرب (٧٤١)من هنا قرر العراق على لسان وزير الدفاع عبدالعزيز العقيلي بأن حدود أيرا ن هي المصدر الوحيد لتزويد الأكراد بالسلاح فقد تم تشكيل لجنه دفاعية وتعزيز أمن العراق ، من جانبة أستدعى وزير الخارجة عدنان الباجه جي (٨٤١)، وزير الدولة والقائم بالأعمال الايراني وسلمة مذكرة أحتجاج شديدة اللهجة وصرح رئيس أركان الجيش عبدالرحمن عارف بأن أمير عباس هويده أجتمع مع مصطفى البرزاني للتدخل السافر في الشؤن الداخلية للعراق ، من جانبها أيران أعلنت حالة الأستنفار في قواتها البحرية والبرية ، لكن العراق كان يميل الى التهدئة أكثر من التصعيد العسكري ، كونه الجيش العراقي منشغل بحرب الشمال (٩٤١) لكن العراق أتجهه الى خيار ثاني وهو الاعلام من خلال صوت العرب وتأسيس أذاعة خاصة بالمعاضة الأيرانية سواء في شمال ايران من خلال الأكراد والأذربيجانيين أو في الجنوب من خلال المعارضة العربستانية ودعم الجميع بالمال والسلاح فضلاً عن قطع طرق التجارة بن سوريا ولبنان وأيران العابرة على الأراضي العراقية لخنق الإيرانيين وأطلاق المظاهرات المطالبة بحق

المعارضة الأيرانية بتقرير المصير ، لاسيما وأن أيران جددت المطالبة بحقوقها حسب ادعائها في شط العرب استنادا الى نص المادة (٥) من معاهدة عام ١٩٣٧ ([١٥٠]).

من جانبه سعى عبدالرحمن البزاز رئيس وزراء العراق([١٥١]) الى استثمار علاقته الشخصية مع عباس هويدة وطلب من زيارة العراق للأداء الزيارة للعتبات المقدسة ، الا أن الاخير أشترط قبل التوجه للزيارة تحديد نقاط الخلاف والاتفاق عليها في جدول المباحثات في وقت نفية عباس هويدة دعم المعارضة العراقية في الشمال وأنه لم يجتمع مع ملا مصطفى البرزاني ودعا الى تشكيل لجنة للمباحثات بين الطرفين ([٢٥١]) وبالتالي أعلن رئيس وزراء العراق عبدالرحمن البزاز من خلال مؤتمر صحفي عمق العلاقات بين الطرفين وأن أمر الخلافات بين العراق وأيران أمر طبيعي لما للبلدين من من حدود مشتركة طويلة وقال (أن العراق سوف يعوض الإيرانيين في حالة ثبوت تقصير في الجانب العراقي وأن الاختلاف لايفسد من الود قضية وفي أطار الهدوء الذي صاحب العراقات بين العراق وأيران طلب العراق من مصر أيقاف الحملات الأعلامية ضد ايران وقد أستجاب جمال عبدالناصر الى أيقاف هذه الحملات الأعلامية ([٣٥١]) وثمة هناك دافع حمل الشاه الى تخفيف التوتر الحاصل بين الطرفين ولاسيما الضغوطات الداخلية التي المت في ايران خصوصا عدم أستقبال المعارضين الأيرانين رسمياُ في العراق ومنع أستقبال الوافدين اليهم لهذ أستقبل العراق السيد الخميني في النجف الأشرف بشرط عدم تدخل أيران بمصيره أو تعين مدة مكوثة في العراق وأن لاتأخذ أقامة الأمام صفة النفي ([٤٥١])لهذا انفرجت العلاقات العراقية الايرانية وتوسعت مدياتها من خلال الزيارات والوفود

وتشكيل لجان مشتركة للتباحث بشأن الأمور العالقة (٥٥١).

وتعطلت الزيارة والمباحثات بعد الإعلان عن مقتل الرئيس عبدالسلام عارف في حادث تحطم الطائرة في البصرة جنوب العراق بعد قيامة وبعض من وزرائه في زيارة الى محافظة البصرة ١٣ نيسان ١٩٦٦ وقام بجولة في ارجاء محافظة البصرة للاطلاع على المشروعات التي انجزت ولافتتاح بعضها ولوضع الحجر الاساس لمشروعات جديدة ،وبعد هذه الجولة توجه لزيارة مدينة القرنة وفي الساعة السابعة مساءً قرر العودة الى البصرة وغادرت طائرة الرئيس ومعها طائرتان ارض الملعب الرياضي . كانت الطائرة الثانية تقل الوفد الصحفي المرافق له ونائب رئيس التشريفات ووكيل امر الموقع العسكري ومتصرف الناصرية وبعض الضباط . بينما كانت الطائرة الثالثة تقل مندوبي ومصوري التلفزيون والسينما والمسرح ووكالة الانباء العراقية وبعض المرافقين (٦٥١).

خلال فترة حكم عبد السلام العارف منذ ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ - ١٣ نيسان ١٩٦٦ ، لم تكن هناك أحداث مهمة فيما عدا إصدار الدولة لعدد من القوانين المهمة في ١٤ تموز ١٩٦٤ التي عجلت من سير عملية التغيير الاجتماعي والاقتصادي ، وقد قربت القوانين التي صدرت في ١٩٦٤ نظام البلاد من النظام المصري ، وصدر من هذه القوانين ستة قوانين قضت بإنشاء مؤسسة اقتصادية لكي تقوم بامتلاك وادارة المنشآت التي كان يراد للقطاع العام أن يؤممها ، وتأميم شركات التأمين وأعادة التأمين والمؤسسات الصناعية والتجارية الكبرى ، وتأميم جميع البنوك الخاصة ، وتحديد اوجه التصرف بالأرباح الصافية للشركات ، بما فيها تخصيص حصة معينة (٢٥ ٪) للعمال والموظفين ، وتمثيل العمال والموظفين في جميع الشركات

الصناعية في مجالس إدارة الشركات ،أما فيما يخص العلاقة مع أيران فقد أستخدم العراق خلال هذه المدة سياسة التهداءه وعدم القطيعة مع الحكومة الايرانية رغم الأحدث الكبيرة (٧٥١).

وبعد مصرع الرئيس عبد السلام اذاعت الحكومة من دار الاذاعة بياناً الى الشعب العراقي في ١٤ نيسان ١٩٦٦ نعت فيه مصرع الرئيس عبد السلام عارف ومن معه من اعضاء الوفد . وقال البيان: لقد سقطت الطائرة بالرئيس عبد السلام ومن معه من الوزراء والمرافقين مساء امس التي كانت تقله من القرنة الى البصرة بفعل عاصفة قوية ادت الى سقوط الطائرة وتحطمها واستشهاد السيد الرئيس ووزيري الداخلية والصناعة وبعض المرافقين . وتعلن الحكومة الى الشعب كافة بانها تقدر مسؤولياتها في هذه الفترة العصيبة وقد انيطت مهام السيد رئيس الجمهورية بالسيد رئيس الوزراء حسب احكام المادة (٥٦) من الدستور المؤقت الى حين انتخاب رئيس للجمهورية بمقتضى المادة (٥٥) من الدستور التي تقضي بانتخاب رئيس جديد للجمهورية خلال اسبوع واحد من تاريخ خلو المنصب وذلك بأغلبية ثلثي المجموع الكلي لا عضاء مجلس الوزراء ومجلس الدفاع الوطني ، فقد ذكره السياسي عوض فخري في كتابه اوراق سفير عراقي عندما كان ضابط في كلية الاحتياط يقول كانت كلمة الرئيس عبدالسلام محمد عارف ارتجاليه وغير مرتبه لا نه كان متبرما وكانه يعلم بمصيره في كلامه اول تحدث عن امر استغرب منه الجميع حيث كشف تغلغل المخابرات البريطانية في العراق ومدى نشاطها في البصرة ثم كشف امرا حول علاقته بامير دولة الكويت صباح السالم الصباح وكيفية تسلمه مبلغ عشرة ملايين دينار وكيف استغلها القوميون

واعتبروها رشوه ، تم حدث وهو متالم عن زيارته الأخيرة لمصر ،ولم يستقبله جمال عبدالناصر في المطار وارسل نائبه لاستقبالي وكيف طلب الوفد العراقي المرافق لي بالعوده فورا الى بغداد وقطع الزيارة لكني رفضت ثم تكلم عن علاقته بالبعثيين :قال انه وافق العمل معهم لكن كثرة خلافاتهم ونزعاتهم الفردية وعدم رغبتهم في التعاون مع جمال عبدالناصر وكرهه الشخصي لميشيل عفلق قررت ازاحتهم من الحكم ،اما الخطبه الثانيه وهي الاخيره للرئيس عبدالسلام محمد عارف كانت في البصره في يوم ١٢ نيسان ١٩٦٦ ، حيث غادر الى منطقة النشوه وهناك سقطت الطائرة التي تقله ومعه رفيق عمره عبداللطيف الدراجي وزير الداخلية (٨٥١).

وأعربت صحيفة الكارديان عن اعتقادها بأن مصرع الرئيس عارف سيكون له ردود فعل بعيدة المدى بالنسبة للوضع الداخلي في العراق وعلاقة العراق مع الدول العربية والأجنبية ، أما صحيفة الجمهورية قالت (وقد قوبل نبأ وفاة عبدالسلام عارف رئيس الجمهورية العراقية بالوجوم البالغ والحزن الصاعق من قبل الشعب العربي الفلسطيني فقد أعلن حاكم غزة الحداد سبعة أيام كما نكست الأعلام العربية فوق المجلس التشريعي الفلسطيني والدوائر الرسمية.

أما موقف الحكومة الإيرانية بسبب الغموض الذي اكتنف حادث مصرع عارف أثير الكثير من الجدل والتكهنات عن مصرعه والجهات المستفيدة من غيابه عن المسرح السياسي والذي تزامن مع عدد من الأحداث التي تمثل انعطافه كبيرة في واقع المنطقة ومستقبل العراق وسوريا ومصر أيضاً وكذلك بعض الدول العربية الأخرى.

الخاتمة:

لم تكن العلاقات العراقية –الايرانية على ما يرام منذ تأسيس الدولة العراقية الى عهود متأخرة وذلك لأن نظرية الحكم السياسي في أيران على خلاف مع التوجهات السياسية للحكومة العراقية، ولعل السبب في ذلك احتفاظ العراق بقوى معارضة للحكم في إيران، كما احتفظت إيران بقوى معارضة للحكم في العراق بقصد الاستخدام في الوقت المناسب للضغط السياسي ؛أما ملف الحدود العراقية الإيرانية واحدا من أبرز الملفات تعقيدا، ونقطة ارتكاز الصراع الذي كان يشهده العراق وإيران على امتداد التاريخ، وأن الحدود بين البلدين لم ترسم عبر التاريخ بشكل طبيعي، بل كانت عبر حروب أو أساس توتر بين البلدين، و السبب جعل ملف الحدود نقطة توتر ونزاع بين البلدين على مدار التاريخ. قد يرى الناظر الى خارطة الحدود العراقية –الإيرانية ان ثمة مواطن عديدة للالتقاء وكأن الحدود لا يقع بينها مناطق فاصلة ، ربما باستثناء المنطقة الشمالية حيث الجبال الشاهقة ، اما ما بعدها جنوبا فسهول مشتركة تخترق حدود البلدين ، اذ يقع شرقا النجد الايراني الشاسع الذي قامت عليه الحضارة الفارسية ، والى الغرب تقع البراري الغرينية الشاسعة بنفس القدر لحوض دجلة والفرات وفيها جنوبا مسطحات مائية كبيرة ، ومن ثم مجرى مائي كان هو السبب الاكبر لان تؤدي مشكلة الحدود الى حرب طاحنة وتوترات اخافت الجميع من نتائجها .

غذى هذا الصراع ضعف الحكام في منطقة الخليج العربي ومكّنه من الاستمرار لأن ايران والعراق يعدون أنفسهم الصقور وكل واحد منهم له منطلقات وأهداف في الخليج العربي ، لهذه شهدت العلاقات بين البلدين صراعات مريرة ومواقف متشنجة أفّضت في أحيان عديدة الى

صراعات عسكرية وأحيانا شهدت الاتفاق والتوقيع على معاهدات لم تطبق على أرض الواقع لأن الجانبين يعملون بحذر شديد فضلاً عن الطبيعة الاستعلائية للنظام البهلوي الحاكم في أيران ونظرته بازدراء لمعظم الحكام الموجودون في المنطقة ،وهو يمتلك دعم لوجستي غير محدود من دوائر استعمارية مثل بريطانية ، أما العراق كان يعاني من الصراع الكردي مع الحكومات العراقية المتعاقبة كل هذا أعط الضوء الأخضر للحكومة الإيرانية أن تتمادى في عدم تطبيق التزاماتها تجاه العراق والمنطقة بأسرها.

وعندما نريد ان نقيم مسار العلاقات بين الطرفين نقول ان كلتا البلدين وقعت على معاهدتين خلال القرن العشرين واحدة في العهد الملكي والثانية في العهد الجمهوري وكلاهما فسختا من قبل الطرفين ، فهل يشهد البلدين توقيع معاهدة ثالثة بين الطرفين وتطبيقها على أرض الواقع ؟علما ان حالة الهدوء أعقبت توقيع تلك الاتفاقيتين رغم عدم تطبيقها ، ولكن حكمة بعض الحكام في كلتا الدولتين ساعدت في استتباب الأمن والهدوء لاسيما في عهد الرئيس عبدالسلام عارف أستخدم سياسة التهدئة وعدم الرد على الاستفزازات الإيرانية على حدود العراق الشرقية وأستخدم عارف الحكمة في التريث في الرد وذلك لمعرفته التامة بعواقب الأمور من جراء قيام أعمال حربية بين البلدين كونه عسكري معترف ، فضلاً عن ذلك انشغال الجيش في حرب الشمال مع الاكراد المدعومين من قبل الشاه ،أذ كان هناك عناصر ضاغطة على الحكومة العراقية فضلا عن وجود نشطاء بعثين يسعون الى السيطرة على مقاليد الحكم في العراق من خلال الصراع الحزبي المتمثل بصراع الضباط الأحرار المؤسسين والمشتركين بثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ ، لهذا ورث عبدالسلام

نظـام لا يخلـوا مـن المشـكلات بـكل صنوفهـا السياسـية والعسـكرية والثقافيـة .

الهوامش:

١- سـعد محمـد زيـدان الجـواري: سياسـة ايـران الخارجيـة في عهـد احمـد شـاه ١٩٠٩ – ١٩٢٥؛ رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة ، كليـة الآداب – جامعـة بغـداد ، ١٩٩٧ .

٢- دونالـد ولـبر ، أيـران ماضيهـا وحاضرهـا ، ترجمة عبدالمنعـم محمـد حسـنين ، (القاهـرة ١٩٥٨) ص١١٧ .

٣- عبدالـرزاق الحسـني ،تاريـخ الـوزارات العراقيـة ، ج١ (بـيروت ،١٩٧٤) ص٢٧- ٢٩.

٤- عبدالـرزاق الحسـني تاريـخ الـوزارات العراقيـة ، ج٢ (بـيروت ، ١٩٧٤) ص١٩٨- ١٩٩ ؛ د ك و ، ملفـات وزارة الداخليـة ، ملفـة ٢١٣/ ٣٢٠٥٠ ، كتـاب متـصرف لـواء ديـالى ١٣ تمـوز ١٩٢٦ ، وثيقـة رقـم ١١٢ .

٥- عبدالـرزاق الحسـني ، العـراق في ظـل المعاهـدات ، ط٤(بـيروت ، ١٩٨٠) ص٢٢٩

٦- د ك و ، ملفـات البـلاط الملكـي ، الملفـة ٧٣٤/ ٣١١ كتـاب شـاه أيـران الى الملـك فيصـل الاول ٤ أيـار ١٩٢٩ ، الوثيقـة رقـم ١٤ ، صفحـة ٣٥

٧- بيـداء محمـود احمـد الحـدود العراقيـة الإيرانيـة : دراسـة تاريخيـة سياسـية، مجلـة الجامعـة المسـتنصرية العـدد ٦٨ المجلـد ١٦ بتاريـخ كانـون الثـاني ٢٠١٩

٨- عبـد الـرزاق الحسـني ، العـراق في ظـل المعاهـدات (بـيروت ، ١٩٨٠)، ص٢٢٩

٩- د ك و ، ملفـات البـلاط الملكـي ، الملفـة / ٧٣٤ / ٣١١ ، كتـاب شـاه أيـران الى الملـك فيصـل الأول ٤ أيـار ١٩٢٩ ، الوثيقـة (١٤) صفحـة (٣٥) .

١٠- عبـاس فرحـان ظاهـر، رسـتم حيـدر ودورة السـياسي ،رسـالة ماجسـتير ، جامعـة بغـداد ، كليـة التربيـة (بـن رشـد) ، ١٩٩٦

١١- د ك و ، ملفـات البـلاط الملكـي ، الملفـة ٧٣٤ / ٣١١ كتـاب المفوضيـة الملكيـة العراقيـة في طهـران المرقـم ١٠٢٧ في ٢٩ أيـار ١٩٢٩ الى وزارة الخارجيـة حـول المفاوضـات الجاريـة بـين الطرفـين ، الوثيقـة (٣٢) صفحـة (٣٧) .

١٢- مجلـة جامعـة كركـوك ، العـدد الثـاني ، المجلـد السـادس ،لسـنة ٢٠١١.

١٣ عبدالالـه الاسـدي ، المصـدر السـابق ، ص٤٥ .

١٤ كلمـة تالـوك المانيـه تعنـي المجـرى العميـق .

١٥ مصطفى النجار ، التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربي في شط العرب ، (البصرة، ١٩٧٤) ص١٦٩ .

١٦ عبدالاله بدر الاسدي ، العلاقات العراقية –الايرانية ١٩٢٠-١٩٣٧ دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ،١٩٨٣،ص١٢٤

١٧- د ك و ، ملفات البلاط الملكي ، الملفة (٨٢٦/ ٣١١) كتاب المفوضية الدائمية الايرانية في بغداد الى وزارة الخارجية العراقية المرقمة ٢٣١٥ في ٧تموز ١٩٣٤ ، الوثيقة رقم ٦١ الصفحة ٨٧ .

١٨- لطفي جعفر فرج ، الملك غازي ودورة في سياسة العراق الداخلية والخارجية ١٩٣٣-١٩٣٩ (بغداد، ١٩٨٧) ص ١٩٠

١٩ مصطفى عبدالقادر النجار ، المصدر السابق ، ص٢٠٢ .

٢٠ د ك و ، ملفات وزارة المالية ، الملف (٢٨٢/ ٣٢١١٠) كتاب وزارة المالية المرقم س/ ٢٣٩٦ في ٤/ك١/ ١٩٣٤ الخاص بتقديم شكوى ضد ايران ، الوثيقة (١١) صفحة (٤٦) .

٢١ كيث مكلاتشلان وجورج جوفية ، حرب الخليج ، ترجمة المخابرات العراقية ، (بغداد ، ١٩٨٤) ص١٦ ؛ خالد يحى لغزي ، المصدر السابق ، ص٦٥.

٢٢- عبد الكريم العلوجي ، أيران والعراق صراع دولة أم حدود ، (بغداد ، الدار الثقافية للنشر ،)ص٥

٢٣- خالد يحى الغزي ، المصدر السابق ، ص٦٧ ؛ طارق مجيد العقيلي ، ناجي الأصيل دبلوماسياُ رائداُ ومفكر حضارياً ، (بغداد، ٢٠٠٢) ص١٥٩

٢٤- حسام الساموك ، الملك غازي ودورة في أنقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٥ .

٢٥- عبد الاله بدر علي الاسدي ، المصدر السابق، ص١٥٩ .

٢٦ مير بصري ،أعلام السياسة في العراق الحديث، الجزء الثاني ، دار الحكمة لندن ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ ، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

٢٧ دنون يونس الطائي ، العلاقات العراقية –الايرانية ١٩٣١-١٩٤١ ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد الرابع ، الموصل ، ٢٠٠٠ ، ص٤٠

٢٨- سعد الأنصاري : العلاقات العراقية الإيرانية ، دار الهدى ، بيروت ، ١٩٨٧،ص٧

٢٩- حميد الخطيب ، الحدود العراقية – الإيرانية والوضع القانوني لشط العرب ، جامعة الكوفة ، دار الرافدين ، بيروت ،

٢٠١٩ ، ص٣٤٤

٣٠- جان بول شانيولو ، مسألة الحدود في الشرق الأوسط ، دار عويدات للنشر والطباعة ،بيروت ٢٠٠٦ ، ص٥

٣١- مصطفى النجار ، المصدر السابق ، ص٢٧٣ .

٣٢- بيداء محمود احمد ، الحدود العراقية الإيرانية : دراسة تاريخية سياسية، مجلة دراسات وبحوث الوطن العربي ، العدد ٢٠-٢٤ لسنة ٢٠٠٩ .

٣٣- مصطفى النجار ، المصدر السابق ، ص٢٨٦ .

٣٤- د ك و ، ملفات الحدود ، الملفة المرقمة (١٣٤/ ٣٢٠٥٠ كتاب المفوضية الملكية العراقية في طهران ، المرقم ١٤٥٦ /٩/٢ المرقم ٤٨٥ في ١٠/١٢/ ١٩٣٩ الموجهة الى وزارة الخارجية حول تعطيل وعرقلة أيران لجنة الحدود ، الوثيقة (٥٤) الصفحة(١٧٩).

٣٥- خالد الغزي ، المصدر السابق ، ص٦٨؛ طارق العقيلي ، المصدر السابق ، ص١٧١ ؛ سعد الأنصاري : العلاقات العراقية الأيرانية ، دار الهدى ، بيروت ، ١٩٨٧،ص ٧

٣٦- موسى محمد طويرش ، العلاقات العراقية – الايرانية ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٧، ص٢٨ .

٣٧- د ك و ، ملفات الحدود ، الملفة المرقمة (١٣٤/ ٣٢٠٥٠ كتاب المفوضية الملكية العراقية في طهران ، المرقم ١٤٥٦ /٩/٢ المرقم ٤٨٥ في ١٠/١٢/ ١٩٣٩ الموجهة الى وزارة الخارجية حول تعطيل وعرقلة أيران لجنة الحدود ، الوثيقة (٥٤) الصفحة(١٧٩).

٣٨- أسماعيل أحمد ياغي ، حركة رشيد عالي الكيلاني ، دراسة في تطور الحركة الوطنية العراقية ، (بيروت ، ١٩٧٤)، ص٢٦٢-٢٦٣ .

٣٩- رجاء حسين خطاب ، تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص٢٧٢ .

٤٠-رحيم عبدالحسين عباس ، محمود سلمان ودورة السياسي والعسكري حتى عام ١٩٤٢ ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ١٩٩٩، ص١٣٠ .

٤١- حامد الحمداني، مقالة عن نوري السعيد ،في مركز الدراسات والابحاث العلمانية في العالم العربي ٢٠٠٥ .

٤٢- ذنون يونس الطائي ، المصدر السابق

، ص٤٤

٤٣- روح الله رمضاني ، سياسة أيران الخارجية ١٩٤١-١٩٧٣ ، ترجمة علي حسين الفياض ، (البصرة ، ١٩٨٤) ص٤٢٠ .

٤٤- مصطفى عبدالقادر النجار ، المصدر السابق ، ص٣٠٨ .

٤٥- د ك و ، ملفات مجلس السيادة ، الملفة ، ٣٧٧/ ٤١١ كتاب سفارة جمهورية العراق في طهران المرقم س/ ١/ ٢٠٤ في ١٩٥٨/٨/٧ ، الى وزارة الخارجية العراقية الوثيقة (١٢٢) الصفحة (٣٥٧) .

٤٦- صالح زهر الدين ، موسوعة اسرار من التاريخ ، لبنان ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، ١٩٩٤ ، ص١٢٧.

٤٧- عبد الهادي كريم سلمان ، ايران في سنوات الحرب العالمية الثانية ، الموصل ، ١٩٨٦ ، ص٨٣ ؛ اوندا ابراهيميان ، ايران بين ثورتين ، بغداد ، مركز البحوث والمعلومات ، جـ١ ، ١٩٨٣ ، ص٢٢١.

٤٨- انتوني بارسونز ، الكبرياء والسقوط – ايران ١٩٧٤-١٩٧٩، بغداد ،مركز البحوث والدراسات ، د.ت ، ص٣٥.

٤٩- عزرا سبايز هندلر ، المصدر السابق ، ص١٠.

٥٠- ميخال افيطبول واخرون ، المصدر السابق ، ص١٢٤.

٥١- م.و.خ، الدائرة السياسية (الشعبة الشرقية) ملفة ش/١٩٨/١٩٨/١٧/ النشاط الصهيوني ، كتاب وزارة الخارجية الى المفوضية الايرانية في بغداد ، برقم ع/١٩٨/١٩٨/١٣/ ٧٥٨ في ١٧ كانون الاول ١٩٤٥.

٥٢- م.و.خ ، الدائرة السياسية (الشعبة الشرقية) ، ملفة ش/٢٣٩/ ٤٧٥/ ١٤، تهريب يهود واموالهم، كتاب المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية برقم ٢/ ٢/ ٦ في ٨/ ١/ ١٩٤٦.

٥٣- المصدر السابق ، كتاب المفوضية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية برقم ٢/١٧/ ٣٦٣ في ١٨/ ١٢/ ١٩٤٦.

٥٤- علي عبد القادر العبيدي ، موقف ايران من هجرة يهود العراق الى فلسطين ١٩٤٩-١٩٥٢، بغداد ، ايكال للطباعة والنشر ، ١٩٩٩ ، ص٢٣.

٥٥ -جاسم ابراهيم صالح ، التغلغل الاسرائيلي في ايران واثره في الامن الوطني العراقي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ، ١٩٩٩ ، ص٨-٣٢ .

٥٦- نوري عبد الحميد العاني ، المصدر السابق ، ج٤، ص١٦٢-١٦٣.

57 (5) Chubin and S. Zalin ، The Foreign Relations of Iran ، Berkaly ، 1974 ، p. 158 .

٥٨- سيد جلال الدين المدني، تاريخ ايران السياسي المعاصر، ترجمة سالم مشكور، طهران، ١٩٩٣ ، ص٢٠٧.

٥٩- موشيه اليعازر ، العلاقات السرية بين ايران واسرائيل في عهد محمد رضا بهلوي ، ترجمة دار الجليل للترجمة والنشر ، عمان ، ٢٠٠٠ ، ص١٢٩ .

٦٠- صالح حسن عبدالله ، تهجير يهود العراق ، ١٩٤١-١٩٥٢ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة تكريت ، ٢٠٠٣ ، ص١٥٨

علي عبد القادر العبيدي ، المصدر نفسه ، ص٢١؛ يوسف مئير ، المصدر السابق ، ص٣٧٥-٣٧٦؛ شلوموهيلل ، تهجير يهود العراق ، ص١٥٧-١٥٨.

٦١- صالح حسن عبدالله ، تهجير يهود العراق ، المصدر السابق ، ص١٦٠

٦٢- معاذ عبدالرحيم ، أوراق من ذكرياتي ، دار الجواهري ، بغداد ، ٢٠١٦ ، ص٧؛حسن علوي ، الشيعة والدولة القومية ١٩١٤-١٩٩٠ ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، قم ، ب ت ، ص٢١١؛قحطان احمد سليمان ، المصدر السابق ، ص٤٤٠ .

٦٣- المصدر نفسه ، ص٣٠٤ ؛ نوري عبد الحميد العاني وآخرون ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٠٢.

٦٤- نوري عبد الحميد العاني وآخرون ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٨٩، ١٣٦ .

٦٥- قحطان احمد سليمان ، المصدر السابق ، ص٤٢٤-٤٢٥ .

٦٦- د.ك.و. قرارات مجلس الوزراء العراقي لعام ١٩٥٨ ، رقم القرار (٧) ، تاريخه ٢٨/ ١٠/ ١٩٥٨؛ نوري عبد الحميد العاني وآخرون ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٦٢ .

٦٧- عبد الجبار الجومرد ، المصدر السابق ، ص٣٣٧؛ قحطان احمد سليمان ، المصدر السابق ، ص٤٢٥.

٦٨- مير بصري أعلام العراق الحديث، المصدر السابق ، ص٣٤.

٦٩- د.ك.و. ، قرارات مجلس الوزراء العراقي لعام ١٩٦٠ ، رقم القرار (٢) ، تاريخه ٩/ ٤/ ١٩٦٠ ؛ نوري عبد الحميد العاني وآخرون ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٦٣؛ قحطان احمد سليمان ، المصدر السابق ، ص٤٣٠-٤٣٢ ، ٤٦٠.

٧٠- عبد النافع محمود ، ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في العراق ، رسالة

ماجستير غير منشورة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص٧١.

٧١- قحطان احمد سليمان ، المصدر السابق، ص٤٢٧-٤٢٩.

٧٢- د.ك.و. ، قرارات مجلس الوزراء العراقي لعام ١٩٥٩ ، رقم القرار (١٨) ، تاريخه ٢٦/ ١/ ١٩٥٩.

٧٣- «العهد الجديد» ، (صحيفة) ، بغداد ، ٢ / كانون الاول / ١٩٦٠.

٧٤- د.ك.و. ، قرارات مجلس الوزراء العراقي لعام ١٩٦٠ ، رقم القرار (١٠) ، تاريخه ١٢/ ٩/ ١٩٦٠.

٧٥- د.ك.و. ، قرارات مجلس الوزراء العراقي لعام ١٩٦١ ، رقم القرار (٦) ، تاريخه ١٥/ ٣/ ١٩٦١؛ رقم القرار (٢٨) ، تاريخه ٢٦/ ٦/ ١٩٦١ ؛ رقم القرار (٩) ، تاريخه ٢٨/ ٨/ ١٩٦١ .

٧٦- د.ك.و. ، قرارات مجلس الوزراء العراقي لعام ١٩٦٢ ، رقم القرار (٢٠) ، تاريخه ٢/ ٧/ ١٩٦٢

٧٧- نوري عبد الحميد العاني و آخرون ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٤١-٢٤٧

٧٨- د.ك.و. قرارات مجلس الوزراء العراقي لعام ١٩٦١ ، رقم القرار (٣) ، تاريخه ٢٧/ ٢/ ١٩٦١ .

٧٩- د.ك.و. المصدر نفسه ، رقم القرار (٤) ، تاريخه ٦/ ٣/ ١٩٦١ .

٨٠- وزارة الخارجية ، حقائق عن الحدود العراقية – الايرانية ، بغداد ، ١٩٦٠ ، ص٣-٤ .

٨١- قحطان احمد سليمان ، المصدر السابق ، ص٤٤٤ .

٨٢- قحطان احمد سليمان ، المصدر السابق ، ص٤٤٦ .

٨٣- «البلاد» ، ١٣/ آب/ ١٩٦٠.

٨٤- خالد العزي، مشكلة الانهار والحدود بين العراق وايران، بغداد، ١٩٨١،ص١٧ .

٨٥- ادمون غريب ، الحركة القومية الكردية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص٦١ .

٨٦- مقتبس من محمد امين دوغان ، الحقيقة كما رأيتها في العراق ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص١٧١ .

٨٧- قحطان احمد سليمان ، المصدر السابق ، ص٤٤٠ .

٨٨- فلاح شاكر اسود ، الحدود الشرقية للوطن العربي والاطماع الفارسية ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص٢٤ .

٨٩- د.ك.و. قرارات مجلس الوزراء العراقي لعام ١٩٥٩ ، رقم القرار (٤) ، تاريخه ٢٣/ ٢/ ١٩٥٩ .

٩٠- د ك و .نوري عبدالحميد العاني –علاء

جاسم الحربي، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري، ١٩٥٨-١٩٦٨ (بغداد، ٢٠٠٥)، ص١٣٩ .

٩١- خالد العزي، المصدر السابق، ص٨٢ .

٩٢- روح الله رمضاني، المصدر السابق، ص٦٦ .

٩٣- ليث عبدالحسين الزبيدي، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، (بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٨٥)، ص٣٧٥ .

٩٤ مصطفى عبدالقادر النجار، المصدر السابق، ص٣١.

٩٥- خالد العزي، المصدر السابق، ص٨٢ ؛ راضي وداي الخزاعي، المصدر السابق، ص١٤٤ .

٩٦- روح الله رمضاني، المصدر السابق، ص٤٢٢.

٩٧- راضي وداي الخزاعي، المصدر السابق، ٢٣٤.

٩٨- نوري العاني، المصدر السابق، ص٤٠٥ .

٩٩- نوري العاني، المصدر السابق، ص٤٠٦ .

١٠٠- نوري العاني، المصدر السابق، ص٤٠٩

١٠١- د ك و، ملفات مجلس السيادة، الملفة ٣٧٧/ ٤١١ كتاب قنصلية الجمهورية العراقية في خوسستان، المرقم ١/ ١/ ١٩ في ١٩٦٠، الوثيقة (١٨) الصفحة (٦٩)

١٠٢ خالد العزي، المصدر السابق، ص٩٠ .

١٠٣ -محمد هاشم الربيعي، التنافس الايراني – السعودي على الخليج العربي، ١٩٢٢-١٩٨٨، دار البصائر، بيروت ٢٠١٢، ص٨٠

١٠٤- نوري عبدالحميد العاني، المصدر السابق، ص٤٠٩

١٠٥- كيت تكلا تكلان، وجورج جوفية، المصدر السابق، ١٧

١٠٦- علي عبدالحسين الهاشمي الخطيب، المصدر السابق، ص٣٧٩ .

١٠٧- أروانـدا أبراهيميان، أيران بين ثورتين، ترجمة مركز البحوث والمعلومات، بغداد ١٩٨٣، ص٦٤٠ .

١٠٨- موسى طويرش، المصدر السابق، ص٧٦.

١٠٩- نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٤٤٠ .

١١٠ -المصدر نفسة ص٨٣

١١١- حامد البياتي، المصدر السابق، ص ص٢٦٧-٢٦٨.

112) F.R.U.S.، 1962-1963، Vol.XVIII،

Mem. from the D.S. to President Kenndy، Washington، February 7، 1963، P.340.

١١٣- أحمد فوزي، عبدالكريم قاسم وساعاته الأخيرة، بغداد، ١٩٨٨.

١١٤- فلاح شاكر اسود، الحدود الشرقية للوطن العربي والاطماع الفارسية ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص٢٤.

١١٥- جعفر عباس حميدي، معاهدة ١٩٣٧ العراقية-الايرانية وموقف الرأي العام العراقي منها، (دراسات للأجيال) ، (مجلة) ، العدد الثالث ، السنة الخامسة ، بغداد ، كانون الاول ، ١٩٨٢ ، ص٢٢٩.

١١٦ -الاهرام (جريدة) بتاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٦٣

١١٧ طالب الحسن، بعث العراق ، دار أور للنشر ، بغداد ، ص١٢٦-١٢٧ .

١١٨) راضي دواي طاهر الخزاعي ، المصدر السابق ، ص١٢

١١٩- جواد هاشم ،مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام ، ذكريات في السياسة العراقية ١٩٦٧ -٢٠٠٠ (بيروت ، ٢٠٠٣) ص٤٢ .

١٢٠- روح الله رمضاني سياسة ايران الخارجية ، ص٤٢٣ .

١٢١- جعفر عباس حميدي ، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ١٩٥٨-١٩٦٨ ، ط٢،ج٨ (بغداد ٢٠٠٥) ص٢٩٨

١٢٢- أروانـدا أبرهيمان ، المصدر السابق ، ص٦٤٠

١٢٣- محاضر جلسات الوحدة، (الدار القومية للطباعة والنشر-القاهرة-١٩٦٣)؛ احمد، تاريخ الوطن العربي الحديث المعاصر، ص ٢٩٠ - ٢٩٨.

١٢٤- صادق صحن التميمي، موقف الصحافة العراقية من الوحدة الثلاثية وميثاق ١٧ نيسان ١٩٦٣، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى معهد التاريخ العربي، ٢٠٠٢، ص ٦٦.

١٢٥- سيجف، المصدر السابق، ص ٧٣-٧٤.

١٢٦- السبعاوي، المصدر السابق، ص ٢٢٦-٢٢٧.

١٢٧- المصدر نفسه، ص ٢٢٨.

١٢٨- سيجف، المصدر السابق، ص ٧٢-٧٣.

١٢٩- لورنس، المصدر السابق، ص ٢٥؛ Jawad، Op. Cit. p ٢٩٥.

١٣٠- احمد، تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر، ص ٢٩٠؛ السبعاوي، المصدر السابق، ص ٢٢٨.

131- Jawed، Op. Cit. p. 295.

١٣٢ – صبري فالح الحمدي ،موقف مجلس النواب العراقي من مشروع ايزنهاور عام ١٩٥٧، مجلة الكلية الاساسية ، الجامعة المستنصرية ، العدد١٠٩ لسنة ٢٠٢٠.

١٣٣ – د.ايناس سعدي عبد الله، الحرب الباردة دراسة تاريخية للعلاقات الأمريكية السوفيتية، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠٠٦)

١٣٤– ضاري رشيد السامرائي ، مستقبل الخليج العربي في ضوء قانون البحار الدولي الجديد ، ط١ (بغداد ، ١٩٩٠) ص ٣٤

١٣٥– د.ك.و ، ملفات قرارات مجلس الوزراء ، ملفة سنة ١٩٦٣ ، كتاب وزارة النفط المرقم س/ ٣٧٨ في ١٣/ ٥/ ١٩٦٣

١٣٦– جعفر عباس حميدي ، تاريخ الوزارات العراقية ، ص٣٠٥

١٣٧– د ك و ، ملفات قرارات مجلس الوزراء لسنة ١٩٦٣ ، كتاب وزارة العدل العراقي ، س/ ٢٧/ ١٩٥ في ٢٩/ ١١/ ١٩٦٢

١٣٨– صحيفة البلد البغدادية العدد ٥ في ٢٢تموز ١٩٦٣

١٣٩– محمود الدرة ، القضية الكردية ، ط٢(بيروت ، ١٩٦٦) ، ص٤٠٦.

١٤٠ د ك و ، ملفات قرارات مجلس الوزراء ، لسنة ١٩٦٣ ، كتاب وزارة الداخلية المرقم ق/ س/ ٧٥٠١ في ١٣/ ٧/ ١٩٦٣

١٤١– أحمد فوزي ، المصدر السابق ، ص ١٤٦

راضي دواي طاهر الخزاعي ، العلاقات العراقية –الايرانية ١٩٦٣–١٩٧٥ ، رسالة ماجستير ، جامعة المستنصرية ، كلية التربية ، ٢٠٠٧ ،ص٤٠

١٤٢– صحيفة (الجمهورية) بغداد ٢٥ شباط ١٩٦٤ .

١٤٣– جعفر عباس حميدي المصدر السابق ص٧٩

١٤٤– كوردستان موكرباني ، ودلير أسماعيل ، موقف الأدارة الامريكية في ضوء الوثائق وزارة الخارجية الامريكية (١٩٦٤– ١٩٦٨) أربيل ، ٢٠٠٣ ، ص١٦٦ .

١٤٥ علاء جاسم الحربي، المصدر السابق ، ٦٤ .

١٤٦– كوردستان موكرباني ، ودلير أسماعيل، المصدر السابق ، ص١٦١ .

١٤٧ صحيفة البلد (بغداد) العدد ٤٩٥ ، ٤ ك٢ ١٩٦٦

١٤٨– مير بصري ، أعلام العراق الحديث ، المصدر السابق ، ص٣٤

١٤٩- سيد جلال الدين المدني ، تاريخ ايران السياسي المعاصر ، ترجمة سالم مشكور ،(طهران، ١٩٩٣)، ص١٧٧ .

١٥٠- صحيفة صوت العرب (بغداد) ١٢ك٢ ١٩٦٦ ؛ صحيفة أطلاعات الإيرانية ، ١٢ ك٢ ١٩٦٦ .

١٥١- عبدالرحمن البزاز ، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، (بغداد ، دار البراق ، ١٩٩٧).

١٥٢- دائرة الدراسات السياسية والادارة العامة ، الجامعة الامريكية في بيروت ، الوثائق العربية ١٩٦٦ (بيروت ، الوثيقة ١٢ ص٢١ ؛ جعفر عباس حميدي ، المصدر السابق ، ص٢٩١ .

١٥٣- محمد كريم المشهداني ، عبدالرحمن البزاز ودوره الفكري في العراق حتى ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ ، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية التربية بن رشد ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠ ، ص١٢٠

١٥٤- سيد جلال الدين المدني ، المصدر السابق ،ص١٥٤

١٥٥- جريدة الجمهورية بتاريخ ١٥/ ٤/ ١٩٦٦

١٥٦ - جريدة الجمهورية بتاريخ ١٥/ ٤/ ١٩٦٦

١٥٧ -حسن علوي ، المصدر السابق ، ص٢١٧

١٥٨ - المشرق (جريدة)بعددها ٣٢٠١ في ٤/ ايار/ ٢٠١٥؛ البينه الجديده (جريدة) بعددها ٢٦٩٣ في ١٠ / نيسان/ ١٩٦٦

المصادر والمراجع:

١-القرأن الكريم

٢-دار الكتب والوثائق العراقية

١.د ك و ، ملفات البلاط الملكي ، الملفة ٧٣٤/ ٣١١ كتاب شاه أيران الى الملك فيصل الاول ٤ أيار ١٩٢٩ ، الوثيقة رقم ١٤ ، صفحة ٣٥

٢.د ك و ، ملفات البلاط الملكي ، الملفة / ٧٣٤ / ٣١١ ، كتاب شاه أيران الى الملك فيصل الأول ٤ أيار ١٩٢٩ ، الوثيقة (١٤) صفحة (٣٥) .

٣.د ك و ، ملفات البلاط الملكي ، الملفة ٧٣٤ / ٣١١ كتاب المفوضية الملكية العراقية في طهران المرقم ١٠٢٧ في ٢٩ أيار ١٩٢٩ الى وزارة الخارجية حول المفاوضات الجارية بين الطرفين ، الوثيقة (٣٢) صفحة (٣٧) .

٤.د ك و ، ملفات البلاط الملكي ، الملفة (٨٢٦/ ٣١١) كتاب المفوضية الدائمة الايرانية في بغداد الى وزارة الخارجية

العراقية المرقمة ٢٣١٥ في ٧تموز ١٩٣٤ ، الوثيقة رقم ٦١ الصفحة ٨٧

٥.د ك و ، ملفات وزارة المالية ، الملف (٢٨٢/ ٣٢١١٠) كتاب وزارة المالية المرقم س/ ٢٣٩٦ في ٤/ك١/ ١٩٣٤ الخاص بتقديم شكوى ضد ايران ، الوثيقة (١١) صفحة (٤٦) .

٦. د ك و ، ملفات الحدود ، الملفة المرقمة (١٣٤/ ٣٢٠٥٠ كتاب المفوضية الملكية العراقية في طهران ، المرقم ١٤٥٦ /٩/٢ المرقم ٤٨٥ في ١٠/١٢/ ١٩٣٩ الموجهة الى وزارة الخارجية حول تعطيل وعرقلة أيران لجنة الحدود ، الوثيقة (٥٤) الصفحة(١٧٩) .

٣-الرسائل والاطاريح :

١.صادق صحن التميمي، موقف الصحافة العراقية من الوحدة الثلاثية وميثاق ١٧ نيسان ١٩٦٣، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى معهد التاريخ العربي، ٢٠٠٢

٢.صالح حسن عبدالله ، تهجير يهود العراق ، ١٩٤١-١٩٥٢ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة تكريت ، ٢٠٠٣ ، ص١٥٨

٣.عبدالاله بدر الاسدي ، العلاقات العراقية -الايرانية ١٩٢٠-١٩٣٧ دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ،١٩٨٣،ص١٢٤

٤.رحيم عبدالحسين عباس ، محمود سلمان ودورة السياسي والعسكرى حتى عام ١٩٤٢ ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ١٩٩٩، ص١٣٠ .

٥. موسى محمد طويرش ، العلاقات العراقية – الايرانية ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٧، ص ٣٠

٦. عبد النافع محمود ، ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص٧١.

٧. جاسم ابراهيم صالح ، التغلغل الاسرائيلي في ايران واثره في الامن الوطني العراقي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ، ١٩٩٩

٤-البحوث المنشورة

١.ذنون يونس الطائي ، العلاقات العراقية -الايرانية ١٩٣١-١٩٤١ ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد الرابع ، الموصل ، ٢٠٠٠ ، ص٤٠

٢.جعفر عباس حميدي، معاهدة ١٩٣٧ العراقية-الايرانية وموقف الرأي العام العراقي منها، (دراسات للاجيال) ، (مجلة) ، العدد الثالث ، السنة الخامسة ، بغداد ، كانون الاول ، ١٩٨٢ ،

٣.خير الدين حسيب ، فحو سياسة نفطية وطنية في العراق ، مجلة البترول والغاز العربي ، العدد ٩ ، حزيران ١٩٦٨ ، ص٢٦ .

٤.بيداء محمود احمد الحدود العراقية الإيرانية : دراسة تاريخية سياسية، مجلة الجامعة المستنصرية العدد ٦٨ المجلد ١٦ بتاريخ كانون الثاني ٢٠١٩

٥-المصادر الانكليزية

- Biger، Gideon. The Encyclopedia of International Boundaries، Facts on File، ١٩٩٥. ISBN ٥-٣٢٣٣-٨١٦٠-٠

- Chubin and S. Zalin ، The Foreign Relations of Iran ، Berkaly ، ١٩٧٤ ، p. . ١٥٨

- Ibid، Mem. From Komer to President Kennedy، Washington، February ١٩٦٣ ،٨، P.٣٤٣.

٦-الكتب العربية والمعربة

١. خالد العزي، مشكلة الانهار والحدود بين العراق وايران، بغداد، ١٩٨١،ص١٧ .

٢. دونالد ولبر ، أيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة عبدالمنعم محمد حسنين ، (القاهرة ١٩٥٨)

٣. عبدالرزاق الحسني ،تاريخ الوزارات العراقية ، ج١ (بيروت ،١٩٧٤) ص٢٧-٢٩ .

٤. عبدالرزاق الحسني تاريخ الوزارات العراقية ، ج٢ (بيروت ، ١٩٧٤) ص١٩٨-١٩٩

٥. عبدالرزاق الحسني ، العراق في ظل المعاهدات ، ط٤(بيروت ، ١٩٨٠) ص٢٢٩

٦. عبدالرزاق الحسني ، العراق في ظل المعاهدات (بيروت ، ١٩٨٠)، ص٢٢٩

٧. مصطفى النجار ، التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربي في شط العرب ، (البصرة، ١٩٧٤) ص١٦٩

٨. طارق مجيد العقيلي ، ناجي الأصيل دبلوماسياُ رائداُ ومفكر حضارياً ، (بغداد، ٢٠٠٢)

٩. لطفي جعفر فرج ، الملك غازي ودورة في سياسة العراق الداخلية والخارجية ١٩٣٣-١٩٣٩ (بغداد، ١٩٨٧) ص ١٩٠

١٠. كيث مكلاتشلان وجورج جوفية ، حرب الخليج ، ترجمة المخابرات العراقية ، (بغداد ، ١٩٨٤) ص١٦ .

١١. أسعد الأنصاري : العلاقات

العراقية الأيرانية ، دار الهدى ، بيروت ، ١٩٨٧، ص ٧

١٢. أسماعيل أحمد ياغي ، حركة رشيد عالي الكيلاني ، دراسة في تطور الحركة الوطنية العراقية ، (بيروت ، ١٩٧٤)، ص٢٦٢-٢٦٣ .

١٣. رجاء حسين خطاب ، تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي (بغداد ، ١٩٧٩)

١٤. نوري عبدالحميد العاني –علاء جاسم الحربي ، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ، ١٩٥٨-١٩٦٨ (بغداد ، ٢٠٠٥) ، ص١٣٩ .

١٥. ليث عبدالحسين الزبيدي ، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، (بغداد ، دار الحرية للطباعة والنشر ، ١٩٨٥) ، ص٣٧٥ .

١٦. صالح حسين الجبوري، ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ في العراق. نهاية عبدالكريم قاسم، بغداد، ١٩٩٠.

١٧. جواد هاشم ،مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام ، ذكريات في السياسة العراقية ١٩٦٧ -٢٠٠٠ (بيروت ، ٢٠٠٣) ص٤٢ .

١٨. جعفر عباس حميدي ، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ١٩٥٨-١٩٦٨ ، ط٢،ج٨ (بغداد ٢٠٠٥) ص ٢٩٨

١٩. ضاري رشيد السامرائي ، مستقبل الخليج العربي في ضوء قانون البحار الدولي الجديد ، ط١ (بغداد ، ١٩٩٠) ص ٣٤

٢٠. روح الله رمضاني ، سياسة أيران الخارجية ١٩٤١-١٩٧٣ ، ترجمة علي حسين الفياض ، (البصرة ، ١٩٨٤) ص٤٢٠ .

٢١. محمد رضاه شاه ، مذكرات شاه ايران ، البصرة ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، ١٩٨٠ .

٢١. عبد السلام عبد العزيز فهمي ، تاريخ ايران السياسي في القرن العشرين ، الجيزة ، ١٩٧٣

٢٢. راضي دواي طاهر الخزاعي ، العلاقات العراقية –الايرانية ١٩٦٣-١٩٧٥ ، رسالة ماجستير ، جامعة المستنصرية ، كلية التربية ، ٢٠٠٧ ،ص٤٠

٢٣. كوردستان موكرباني ، ودلير أسماعيل ، موقف الإدارة الامريكية في ضوء الوثائق وزارة الخارجية الامريكية (١٩٦٤-١٩٦٨) أربيل ، ٢٠٠٣ ، ص١٦٦ .

٢٤. محمود الدرة ، القضية الكردية ، ط٢(بيروت ، ١٩٦٦) ، ص٤٠٦.

٢٥. عبد الله اسماعيل ، مفاوضات العراق

النفطية ١٩٥٢-١٩٦٨ ، (لندن ، ١٩٨٩) ص٩٤

٢٦. محسن الموسوي ، النفط العراقي دراسة وثائقية من منح الامتياز حتى التأميم ، (دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٣) ، ص٨٠ .

سابعاً: الصحف والمجلات

١. العهد الجديد، (صحيفة) ، بغداد ، ٢ / كانون الاول / ١٩٦٠.

٢. البلاد، ١٣/ آب/ ١٩٦٠.

٣. صحيفة (الجمهورية) بغداد ٢٥ شباط ١٩٦٤ .

٤. صحيفة صوت العرب (بغداد) ١٢ك٢ ١٩٦٦

٥. صحيفة أطلاعات الإيرانية ، ١٢ ك٢ ١٩٦٦ .

٦. صحيفة البلد (بغداد) العدد ٥٤٤ في ٢٠ أذار ١٩٦٦ .

٧. جريدة المنار ، العدد ٢٩١٨ في ٣/ ١٢/ ١٩٦٤

٨. جريدة العرب البغدادية في ١/ ٤/ ١٩٦٧

٩. جريدة الانوار البيروتيه بتاريخ ٣١/ ٣/ ١٩٦٧

١٠. جريدة العرب في ٥/ ٤/ ١٩٦٧ .

Abdul Salam Aref، a future vision in the course of Iraqi-Iranian relations (1963-1966).

Introduction:

Both Iraq and Iran occupies a distinct geographical position through their global and regional location، and they are linked by long borders، most of them are wild، not separated by long mountainous or watery natural obstacles، and many rivers that originate from Iranian lands and flow into the land of Iraq because of the decline of Iranian lands in the direction of The south and the east of Iraq، which is why it had economic and political importance، as well as their participation in the Shatt al-Arab waterway was important. It was one of the causes of the border conflict between them، due to its distinctive location in the high Arabian Gulf، and it is one of the waterways that enter Iraqi territory along the Iranian border down to north of the Iraqi city of Basra. And this competition

continued until the eighteenth century، and although border tensions and rivalries continued in the nineteenth century، the situation became more stable under the British occupier، who sent joint survey teams to draw the borders that (the borders) have always witnessed modification paths more than once.

حولية المنتدى

محور
الدراسات القانونية

حولية المنتدى

إسهام الإرادة في إنشاء القواعد الدولية

أ.م.د. عبد الرسول كريم مهدي أبو صيبع
فرع القانون العام/ كلية القانون/ جامعة الكوفة
abda.abusaibe@uokufa.edu.iq

الملخص

تُسهم إرادة الشخص الدولي دولة كانت أو منظمة دولية في إنشاء القواعد القانونية الدولية اتفاقية كانت أو عرفية، كما أن الإرادة في جوهرها تتمثل بفعل انفرادي يصدر عن الشخص الدولي، وإذا كان الأصل أن الشخص الدولي لا يُلزَم خارج إرادته إلاّ إن هذا الأصل ترد عليه استثناءات تخص الاتفاقيات الدولية العامة والقواعد الدولية العرفية واللذين يعدّان من الالتزامات تجاه الكافة.

ولكن بأي آلية يكون هذا الإسهام؟ وما المعايير التي تحكمه؟ وهل من فارق بين الالتزامات الدولية والقواعد الدولية؟ يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة المحورية المتقدمة في دراسة تتخذ من المنهج الوصفي بشكل أساس مضافاً إلى المنهج التحليلي للنصوص الاتفاقية الدولية وآراء الفقه الدولي، منهجاً لها.

قد قسمت الدراسة إلى مباحث ثلاثة خُصّص الأول لإسهام الإرادة في القواعد الاتفاقية الدولية والثاني لإسهامها في القواعد الدولية العرفية والثالث للأفعال الانفرادية الدولية ومدى إسهام إرادة شخص القانون الدولي في تحمل الالتزامات

الدولية استناداً إليها وخلق القواعد الدولية، وجاءت خاتمة البحث متضمنة العديد من الاستنتاجات والمقترحات.

مقدمة

نتناول في هذه الدراسة المجال الذي تلعبه الارادة في نطاق القانون الدولي العام وبالتحديد في الاتفاقيات الدولية والقواعد الدولية العرفية والتصرفات الانفرادية الدولية.

أهمية الدراسة:

تتلخص اهمية الدراسة في بيان المجال الذي تلعبه ارادة الاشخاص الدولية في خلق القواعد القانونية الدولية ومدى التوافق والانسجام في التصرفات الارادية الاولى مع القواعد القانونية النافذة بما يحقق مفهوم الشرعية في نطاق القانون الدولي.

إشكالية الدراسة:

تتلخص إشكالية الدراسة في محاولة حل التساؤل الآتي: هل يمكن ان تتكون من ارادات الاشخاص الدولية في موضوع معين ما يُلزم الدول غير المساهمة في هذا الموضوع، سواء بخلق مركز موضوعي او اتفاقية عامة شارعة او قاعدة دولية عرفية؟ وهل من ضوابط تحكم هذا الامر؟

الأسئلة البحثية:

ويتفرع عن الإشكالية المتقدمة الأسئلة الآتية التي يحاول البحث الإجابة عنها:

- متى تتحقق إرادة الشخص الدولي وبأي مظهر يمكن أن تتمثل؟
- ما المقصود بالأثر المتعدي للاتفاقية الدولية؟
- إرادة الشخص الدولي والالتزامات تجاه الكافة، علاقة امتثال أم اعتراض؟
- هل يعد السلوك الدولي المكوّن للركن المادي للقاعدة الدولية العرفية مقصوداً من جانب الدول لأجل التكوين أم يعد أمراً عفوياً تلقائياً؟
- ما المركز القانوني للتصرفات الانفرادية الدولية؟ وما اسهامها في تكوين القواعد الدولية العرفية؟

نطاق الدراسة:

سوف تركز الدراسة في مجال اسهام الارادة في خلق القواعد القانونية الدولية على الاتفاقيات

الدولية والقواعد الدولية العرفية والتصرفات الانفرادية الدولية، لما للإرادة من إسهام واضح في تكوين كل واحدة من الموضوعات المتقدمة.

منهج الدراسة:

تتبع الدراسة المنهج الوصفي مضافاً الى المنهج التحليلي للوصول إلى النتائج المرجوة من الدراسة بتحليل النصوص الاتفاقية والقواعد العرفية وأحكام القضاء وآراء الفقه الدوليين ذات العلاقة بالموضوع.

خطة الدراسة:

ولما تقدم فسوف نقسم الدراسة على مباحث ثلاثة: نخصص الأول منه لبيان اسهام الارادة في الاتفاقيات الدولية في مطلبين الأول للاتفاقيات الدولية ونسبية أثرها والثاني للأثر المتعدّي للاتفاقيات الدولية، أمّا المبحث الثاني ونخصصه لإسهام الإرادة في القواعد الدولية العرفية في مطلبين الأول منهما لإسهام الإرادة في تكوين القاعدة الدولية العرفية والثاني لمدى تحقق إرادة الدول الساكتة وحديثة النشوء، أمّا المبحث الثالث فيكون لإسهام الارادة في التصرفات الانفرادية الدولية في مطلبين الأول منهما نخصصه لمدى الزام التصرف الانفرادي الدولي والثاني لأثر التصرف الانفرادي الدولي المخالف للقواعد الدولية. وتأتي خاتمة الدراسة متضمنة العديد من الاستنتاجات والمقترحات.

المبحث الاول

إسهام الارادة في الاتفاقيات الدولية

لمّا كانت الاتفاقيات الدولية هي اتفاق ارادات اشخاص القانون الدولي (الدول والمنظمات الدولية) على احداث آثار قانونية معينة انشاءً او تعديلاً او انهاءً، فان الارادة هي الاساس فيها، والاتفاقية بهذا المعنى هي عقد ولكن ليس في نطاق القانون الداخلي بل عقد بين اشخاص القانون الدولي ومن ثم فان الرضا – كأصل عام – هو المبدأ في الاتفاقيات الدولية. وسنقسم المبحث الى مطلبين الأول يخص الاتفاقيات الدولية ونسبية أثرها والثاني للأثر المتعدّي للاتفاقيات الدولية.

المطلب الاول

الاتفاقيات الدولية ونسبية أثرها

تُعـرَّف الاتفاقيـة الدوليـة بموجـب المـادة الثانيـة مـن اتفاقيـة فيينـا لقانـون المعاهـدات لعـام ١٩٦٩[١]: عليهما السلام اتفـاق دولي يُعقـد بـين دولتـين أو اكثـر كتابـة ويخضـع للقانـون الـدولي سـواء تـم في وثيقـة واحـدة او اكثر وايـاً كانت التسـمية التـي تطلـق عليـه صلى الله عليه وآله، اذن فالاتفاقيـة الدوليـة تقـوم عـلى تلاقـي ارادات اشـخاص القانـون الـدولي (الـدول والمنظـمات الدوليـة) لإنشـاء مراكـز قانونيـة معينـة او تعديلهـا او انهائهـا[٢]، لـذا فـان اي عقـد لابـد مـن اركان يقـوم عليهـا وهـي الرضـا والمحـل والسـبب، ولابـد ان تكـون صفـة المشروعيـة ملازمـة لهـا بدايـة وانتهـاءً.

والاتفاقيـة الدوليـة مـن حيـث الزامهـا يمكـن تقسـيمها الى طائفتـين:

الاول: يكـون فيهـا مبـدأ نسـبية إثـر المعاهـدة هـو الأصـل العـام، اي ان الاتفاقيـة لا تلـزم سـوى اطرافهـا، وهـذا هـو الأصـل العـام سـواء في الاتفاقيـات الثنائيـة او متعـددة الاطـراف، اذ يكـون التـزام كل طـرف سـبباً لالتـزام الطـرف الآخـر او الاطـراف الأخـرى.

الثـاني: يكـون فيهـا مبـدأ نسـبية أثـر المعاهـدة منطبـق ايضـاً عـلى أطرافهـا الاّ ان مـا تتسـم بـه هـذه الاتفاقيـات مـن سـمة خاصـة تجعلهـا تُلـزم الـدول غـير الاطـراف ايضـاً إذ تقـترب مـن المركـز الموضوعـي في الالـزام ومثالهـا اتفاقيـة الامـم المتحـدة لعـام ١٩٤٥ ولاسـيما مـا يخـص إلـزام الـدول غـير الاعضـاء فيـما يخـص حفـظ السـلم والامـن الدوليـين[٣]، ويمكـن ادراج الاتفاقيـات الدوليـة التـي تنظـم مرفقـاً عامـاً او موضوعـاً يهـم المجتمـع الـدولي مـن ضمـن الطائفـة الثانيـة[٤].

ويُثـور السـؤال هنـا: مـا مـدى الـدور الـذي تلعبـه ارادة الـدول في الـزام الاتفاقيـة الدوليـة مـن النـوع الثـاني؟ وبعبـارة أخـرى؛ هـل مـن قاعـدة عامـة يمكـن الاسـتناد اليهـا في التوصـل الى إلـزام الاتفاقيـة الدوليـة مـن الطائفـة الثانيـة للـدول حتـى وإن كانـت مـن غـير أطرافهـا؟ وهـل مـن فـرق مـن حيـث القيمـة القانونيـة والفعليـة بـين ارادات الـدول المتقدمـة صناعيـاً وتكنولوجيـاً وارادات الـدول

الاخرى التي لا يصدق عليها هذا الوصف؟

هذه الأسئلة سوف تكون الإجابة عليها موضوعاً للمطلب الآتي.

المطلب الثاني

الاثر المتعدّي للإرادة الاتفاقية

من حيث الاصل العام تكون الدول متساوية إرادةً ومن حيث المركز القانوني عند دخولها في اتفاقيات دولية، والمبدأ الحاكم تبعاً لذلك ان الدول لا تُلزم دون رضاها وانما تُلزم بالاتفاقيات الدولية التي تكون طرفاً فيها استناداً الى مبدأ نسبية أثر المعاهدات.

وإذا كان هذا هو الاصل العام فإن التطبيق الفعلي نجده لا يستقيم على الدوام مع ما سبق ذكره؛ فالقاعدة المتقدمة اذا كانت تصدق على الاتفاقيات الثنائية والاتفاقيات متعددة الاطراف غير العامة اذ يكون التزام كل طرف يقابله التزام الطرف الآخر او الاطراف الاخرى، فان الاتفاقيات متعددة الاطراف العامة التي تنظم وضعاً قانونياً دائماً ويهم المجتمع الدولي بأسره لها الزام من نوع خاص فهي تُلزم الدول الاطراف استناداً الى مبدأ نسبية اثر المعاهدات وتُلزم غير الاطراف استناداً الى المركز الموضوعي الذي تتمتع به ومثالها اتفاقية منظمة الامم المتحدة لعام ١٩٤٥ لا سيما ما يخص حفظ السلم والامن الدوليين " الفقرة سادساً من المادة ٢ " من الميثاق والتي تنص على ان: "تعمل الهيئة على ان تسير الدول غير الاعضاء فيها على هذه المبادئ بقدر ما تقتضيه ضرورة حفظ السلم والامن الدولي". وهذا الوصف الذي لازم اتفاقية (ميثاق) منظمة الامم المتحدة لعام ١٩٤٥، يصدق أيضاً على باقي الاتفاقيات الدولية متعددة الاطراف والتي تنظّم اوضاعاً قانونية دائمة وتهم المجتمع الدولي بأسره كاتفاقية الامم المتحدة لقانون البحار لعام ١٩٨٢ وغيرها، مع لحاظ أن منظمة الأمم المتحدة تمتلك من الآليات والوسائل والأجهزة ما يمكّنها من ضمان امتثال الدول في هذا المجال.

وهنا يمكن تخريج الاجابة والحكم بالإلزام ليس لانها نصوص اتفاقية

مستقلة فيما يخص الدول غير الاطراف، بل بوصفها قواعد دولية عرفية[٥] ومن سمات الاخيرة الزامها للكافة الاّ ما يخص القواعد الدولية العرفية الاقليمية والتي تخص دولاً تنتمي إلى إقليم معين[٦].

أمّا ما يخص الفرق من حيث القيمة الفعلية بين ارادات الدول المتقدمة صناعياً وتكنولوجياً والدول الاخرى التي لا يصدق عليها هذا الوصف، فان هذا الامر من اكثر الموضوعات التي تطرح نفسها والتي يفرض فيها الواقع نفسه إذ جعلت الكثيرين يشككون في الصفة القانونية لقواعد القانون الدولي استناداً الى ما نشهده في بعض التجارب من حكم الارادة القوية على غيرها من الإرادات والاستهانة بالقواعد الدولية وعدم الاستناد اليها الاّ اذا كانت تحقق مصلحة للطرف القوي الذي انكرها من قبل.

ويذكر الدكتور صلاح الدين عامر في كتابه (مقدمة لدراسة القانون الدولي العام)[٧] رأياً للدكتور محمد سامي عبدالحميد في كتابه (أصول القانون الدولي العام، المجلد الأول – القاعدة الدولية، الطبعة الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٧٢، ص٣٠٣) بشأن معنى الاتفاقية الشارعة ما نصّه (لمّا كانت القاعدة القانونية – في نظرنا – قاعدة عامة بطبيعتها، فمن ثم لا تعتبر المعاهدة – في رأينا – شارعة، ما لم يشترك في إبرامها كافة أشخاص القانون الدولي العام، فهو أمر نادر الحدوث، وإذا كانت المعاهدات، المبرمة بين الدول الكبرى الممارسة للإدارة الفعلية للعالم والمستهدفة سن قواعد تنظيم العلاقات الدولية، تتمتع – ولا شك – بالقوة الملزمة في مواجهة كافة أعضاء الجماعة الدولية، ومن ثم تعتبر مصدراً للقواعد القانونية العامة المجردة، فليست هذه المعاهدات – في حقيقتها – سوى تشريع اكتسى ثوب المعاهدة لأنها لا تستمد قوتها من اتفاق المخاطبين بها على مضمونها، وإنما من صدورها عن مجموعة الدول الكبرى الممارسة للسلطة العليا في المجتمع الدولي نيابة عن الجماعة الدولية نفسها

). ويتحفظ الدكتور صلاح الدين عامر على الرأي السابق بالقول (ونتحفظ من جانبنا على هذا الرأي من ناحيتين، أولاهما هي القول بأن المعاهدة لا تكون شارعة ما لم يشترك في إبرامها كافة أشخاص القانون الدولي، فلا نستطيع قبول ذلك القول لأن المعاهدة تكون في تقديرنا تشريعاً بالنسبة للدول الأطراف فيها، أياً كان عددهم وهي تعتبر تشريعاً خاصاً، بالمقابلة، مع القواعد الدولية العامة، التي يكاد ينحصر نطاقها في الوقت الحاضر في القواعد الدولية العرفية، التي يمكن أن تكون مستمدة – بدورها – من معاهدات دولية شارعة يشترك في إبرامها عدد كبير من الدول، لا يصل بحال إلى جميع الدول الأعضاء في المجتمع الدولي. ويلاحظ أن تلك المقابلة بين القواعد الدولية العامة والمجردة، والخاصة بعدد، ولو محدود، من الدول والقواعد الدولية العامة المجردة العامة في مواجهة جميع الدول، أو عدد منها تجد لها نظيراً في إطار الأنظمة القانونية الداخلية من مقابلة بين القواعد العامة، والقواعد الخاصة، بطوائف معينة، أو بمناطق خاصة، سواء تمثلت تلك القواعد في تشريعات عامة، وتشريعات خاصة، أو قواعد عرفية عامة، وأخرى خاصة بمناطق معينة. أمّا التحفظ الثاني فهو المتعلق بدور الدول الكبرى التشريعي في العالم اليوم، فعلى الرغم من تسليمنا بالأهلية الواقعة لذلك الدور، إلى الحد الذي يسمح لتلك القوى أن تسيطر من الناحية الفعلية على زمام سير العلاقات الدولية، وتنجح في فرض الكثير من القواعد القانونية التي تتلاءم مع مصالحها، فإن ما يصدر عنها من إرادة في هذا الصدد لا يعد تشريعاً دولياً، وإن كان يمثل قوة ضغط اجتماعي دولي تؤدي إلى نشأة تشريع دولي يتوافق تماماً مع مصالحها، فإذا ضربنا مثلاً بالاتفاقيات الدولية، التي تتفق الدول الكبرى على مبادئها وتفصيلاتها، مثل تلك المتعلقة بالفضاء الخارجي، أو الحظر الجزئي للتجارب النووية، وحظر المساس بالبيئة لأغراض عدائية، فإننا نلاحظ أن القوتين العظميين –

حين وضعها – قد حرصتا على أن تأخذ تلك القواعد، المتفق عليها فيما بينها، والتي تتفق مع مصالحها، الشكل القانوني المألوف، وهو شكل المعاهدة الدولية الجماعية الشارعة، التي توقعها الغالبية الكبرى من الدول، وتقوم بالتصديق عليها، وهنا لا نستطيع أن ننظر إلى دور الدول الكبرى بوصفه دوراً شارعاً، ولكنه – في تقديرنا – دور ضاغط، يشبه إلى حد كبير ما يحدث في المجتمعات الداخلية كافة. حيث يأتي القانون – في كثير من الحالات – تعبيراً عن إرادة القوى الاجتماعية المسيطرة، أو جماعات الضغط.)[٨].

ونتفق مع ما ذهب إليه الدكتور صلاح الدين عامر ولكن فيما يخص القواعد الدولية العرفية فإنها وإذ تكون السوابق الدولية المتواترة التي تكوّن الركن المادي للقاعدة العرفية هي قواعد اتفاقية دولية فإن القاعدة العرفية وعلى حد تعبير الدكتور زهير الحسني تكون (في مواجهة المجموعة الدولية من كل من الأكثرية النسبية الاتفاقية والأقلية الأقل السكوتية وهذا يعني أن القاعدة العرفية تنشأ بضم الأقلية إلى الأكثرية)[٩]. وحيث أن الاتفاقيات الشارعة لا تنشأ إلاّ بتصديق الدول الأطراف عليها وعمل الدول غير الأطراف بمضمونها مضافاً الى تنظيمها لأمر يخص الجماعة الدولية كافة، لذا فهناك وجه تشابه كبير بين الاتفاقيات الدولية الشارعة والقواعد الدولية العرفية من حيث نطاق الإلزام فكلاهما يعدّان من القواعد الملزمة تجاه الكافة مع فارق يخص وجوب توفر التواتر في السوابق الدولية المنشئة للقاعدة الدولية العرفية وأثر الاحتجاج على سريان القاعدة الدولية العرفية المحتج ضدها ما لم تكن آمرة.

وقد نهجت الدول الكبرى وأبرزها الولايات المتحدة الامريكية على عدم الانضمام الى الاتفاقيات الدولية متعددة الاطراف والتي تنظم اوضاعاً دولية دائمة او تهم المجتمع الدولي ومثالها اتفاقيات جنيف الاربع لعام ١٩٤٩ واغلب اتفاقيات القانون الدولي الانساني والذي يهدف الى تنظيم وسائل القتال

وحماية فئات معينة من الاشخاص والاعيان اثناء النزاعات المسلحة، وكذلك اصدار مذكرات احتجاج تجاه اي محاولة جادة لتكوين وتدوين القواعد العرفية الدولية لاجل عدم سريانها في مواجهتها ومثالها اصدارها مذكرة احتجاج تجاه الدراسة التي قامت بها اللجنة الدولية للصليب الاحمر عن القانون الدولي الانساني العرفي[01]، مضافاً الى اصدارها التشريعات التي تفرض الحصانة لمواطنيها والعسكريين التابعين لها من الاختصاص القضائي الاجنبي بل ومحاكمة من يتهم بارتكاب جرائم ضد الرعايا الامريكيين (قانون العدالة ضد رعاة الارهاب-جاستا-)[11] مثالاً.

المبحث الثاني

الارادة في القواعد الدولية العرفية

لّما كانت القواعد الدولية العرفية تستند الى امرين؛ تواتر السلوك الدولي والعقيدة القانونية بالالزام، فان للارادة اسهام واضح في تكوين هذه القواعد ... وكما يأتي:

المطلب الاول

إسهام الارادة في تكوين القاعدة الدولية العرفية

تستند القاعدة الدولية العرفية على تواتر السلوك الدولي[21]، اي ان سلوك الدول المتكرر سوف يسهم في نشوء قاعدة دولية عرفية بمضمون محل السلوك الدولي، لذا يمكن ان نقسّم الدول فيما يخص القواعد الدولية العرفية الى اربع؛ ١. الدول المساهمة في تكوين القاعدة العرفية ٢. الدول الرافضة للقاعدة العرفية ٣. الدول الساكتة ٤. الدول حديثة النشوء.

وارادة الدول المساهمة يبدو واضحاً في تكوين القاعدة العرفية[31] وكذلك الدول الرافضة لها باحتجاج[41] أو غيره من طرق الرفض الدولية بشكلٍ يمكن الاشارة اليه وقياسه. فالتواتر بوصفه الركن المادي للقاعدة الدولية العرفية انما ينصب على الممارسة الدولية التي تنسب الى الشخص الدولي[51] فالإرادة متحققة حينما تنصرف الى التصرف الدولي الذي يصدر عنه، ولا يهم بعد ذلك ان يقصد الشخص الدولي بتصرفه

إنشاء القاعدة الدولية العرفية ام لا.

ونتيجة للتواتر تنشأ العقيدة القانونية بالإلزام سواء جنباً الى جنب مع الركن المادي بموجب النظرية التقليدية في تكوين القاعدة الدولية العرفية، ام بوصفها نتيجة للتواتر بحسب النظرية الحديثة إذ مع تكوّن العقيدة بالالزام تنشأ القاعدة الدولية العرفية[٦١].

ويلحظ هنا أن التواتر لأجل تحققه لا يشترط فيه التكرار المطلوب في العرف الداخلي فعدد مرات التكرار تكون هنا أقل عدداً تبعاً لانحصار عدد المخاطبين في القانون الدولي من الدول والمنظمات الدولية الحكومية[٧١] على العكس من عدد المخاطبين في القانون الداخلي، أمّا العرف الآني أو الفوري فيكفي لتحقق التواتر فيه المرّة الواحدة.

ويذهب الدكتور جمال عبدالناصر مانع بشأن العرف الفوري إلى أنه: (ما يميز العرف الثوري أو الفوري هو أن العنصر المعنوي يسبق العنصر المادي، غير أن ذلك لا يعني أن الطريقة التقليدية لإنشاء العرف قد استبعدت تماماً إذ أن العرف الثوري ليس ممكناً في جميع الأحوال)[٨١].

ولا يمكن الاتفاق مع الرأي المتقدم إذ أن ما طرح – بشكل عام – من نظريات في مجال تكوين القاعدة الدولية العرفية اثنتان؛ الأولى التقليدية: التي تذهب إلى تكوّن القاعدة العرفية من ركنين مادي مُمثّلاً بتواتر السوابق الدولية وآخر معنوي ممثلاً بالعقيدة القانونية بالإلزام وهما يسيران بخطين متوازيين، أمّا النظرية الثانية الحديثة: فتذهب إلى نشوء العقيدة بالإلزام يتم مع بلوغ السلوك الدولي حدّ التواتر إذ تأتي العقيدة بالإلزام نتيجة التواتر وبعده لا قبله.

وقد تعددت الآراء الفقهية بشأن الأساس القانوني لإلزام القاعدة الدولية العرفية فمنها من تذهب إلى الإرادة الضمنية للجماعة الدولية أساساً للإلزام فتواتر السلوك الدولي هو ما يشكل التواتر ممثلاً للركن المادي للقاعدة الدولية العرفية مضافاً إلى العقيدة القانونية بإلزامها، وهذا الرأي يمثل الفقه التقليدي، في حين يذهب الرأي الفقهي الحديث إلى الضمير القانوني

للمجتمع الدولي أساساً لإلزام القاعدة الدولية العرفية فليس بالضرورة أن تلتزم الدولة بقاعدة دولية عرفية ساهمت بسلوكها في إنشائها بل يمكن أن تلتزم بها حتى ولو تكونت بسلوك دولي لم تساهم الدولة المعنية فيه[٩١].

إذاً فالنظرية الحديثة التي تقدم ذكرها هي الأكثر رجحاناً إذ تقترب القواعد الدولية العرفية من المركز الموضوعي للقواعد الدولية فتلتزم الدول بها حتى وإن لم تساهم فيها شرط أن لا تمارس الدولة المعنية تجاهها إحدى طرق الرفض الدولية ومثالها الأبرز هو الاحتجاج فعندها لا تسري القاعدة الدولية العرفية تجاه الدولة التي احتجت عليها، والقول بالإرادة الضمنية في إلزام القاعدة الدولية العرفية أمرٌ يجانب واقع الأمور فالسلوك الدولي يصدر عن الدولة بشكل تلقائي دونما قصد صريح في إسهام سلوكها الدولي في إنشاء قاعدة دولية عرفية جديدة.

وفي ذلك يقول – بحق – الفقيه الفرنسي (بيار ماري دوبوي) في إشارته إلى رأي الفقيه (سيل): (" كل عمل يشكل العرف هو مستقل ومنعزل، وبالتالي ليس ثمة أي أثر للعقد، سواء صريحاً وضمنياً، في التكوين العرفي للقانون" وهكذا فهو يشدد على السمة العفوية للظاهرة البعيدة عن أية فكرة صادرة عن الإرادة المنفردة، التي لا غنى عنها لتكوين الرابط التعاقدي)[٠٢].

وإذا كان إسهام إرادة الدول المساهمة في السوابق الدولية في تكوين القاعدة الدولية العرفية أمرٌ لا شك فيه، إلاّ إن ارادة الدول الساكتة وحديثة النشوء تحتاج الى اثبات ونقاش كما سيأتي.

المطلب الثاني

مدى تحقق ارادة الدول الساكتة وحديثة النشوء

هل يمكن للدول الساكتة تجاه القاعدة الدولية العرفية والدول حديثة النشوء التي تكونت بعد نشوء القاعدة العرفية أن تُلزم بهذه القاعدة؟

ففيما يخص الدول الساكتة والتي لم يصدر عنها فعل رافض او احتجاج تجاه القاعدة العرفية فانه وبموجب

النظرية الحديثة (الموضوعية) في السكوت فان الدول الساكتة وان كان الاصل ان لا يترتب على سكوتها أثر، الاّ انه سوف تُلزم بكل ما استنتجه الاخر من سكوتها، فان استنتج القبول بمضمون القاعدة العرفية فانها سوف تُلزم بالقاعدة ولا تستطيع الرد بانها لم تقبل بها صراحة اذ كان بإمكانها اتباع احدى طرق الرفض الدولية ومنها الاحتجاج تجاه القاعدة العرفية لاجل عدم سريانها في مواجهتها[١٢]، اذ لا يمكن للدولة التي سكتت ان تحتج بعدم رضاها بمضمون القاعدة العرفية تجاهها اذ كان يمكنها ان تمارس الاحتجاج بشكل صريح. فالاعتراض المستمر من دولة تجاه السوابق الدولية التي اريد لها ان تشكل ممارسة دولية بما يحقق التواتر لاجل نشوء القاعدة الدولية العرفية، سوف يمنع من سريان القاعدة الدولية العرفية في مواجهة الدولة المحتجة[٢٢]، اللهم الا ما يخص القواعد الدولية العرفية الآمرة فلا أثر للاحتجاج في مواجهتها لانها ملزمة للكافة من قَبِل ومن رَفَض على السواء.

ولا يُفهَم من وجود احتجاج من قبل دولة أو أكثر على تصرف دولي، عدم شرعية ذلك التصرف[٣٢].

ويرى الدكتور مصطفى أحمد فؤاد إن السكوت في حد ذاته لا يعتد به كتصرف صادر عن الدولة فهو يوصف بالسلب لا بالإيجاب ومن ثم لا يعتد به إلاّ إذا صاحبته مواقف وظروف تعبّر عن إرادة الدولة وهو ما يُسمى بـ (السكوت الملابس) [٤٢].

ويمكن مناقشة ما استند إليه الدكتور مصطفى أحمد فؤاد في رأيه أعلاه ببيان الوصف القانوني لتلك المواقف والظروف الملابسة للسكوت فإن عُدّت تصرفات انفرادية صريحة أو ضمنية من غير جنس السكوت وتنسب للدولة ففي هذه الحالة يُعتد بها لذاتها ولا حاجة للنقاش في قيمة السكوت من الأصل ولا نسبته للدولة المعنية، وإن كانت ليست من جنس التصرفات الانفرادية التي تنسب للدولة صاحبة الشأن فهنا لا قيمة أساساً لتلك المواقف والظروف ولا تصلح

أن تُقرن بالسكوت من باب تقوية جانبه لنسبة الرضا للدولة الساكتة، إذ يكفي ما تقدم ذكره من إلزام الآخر للدولة الساكتة بالسكوت على وفق النظرية الموضوعية متى لم تسلك إحدى طرق الرفض الدولية ومنها الاحتجاج وكانت صاحبة مصلحة في ذلك.

أمّا الدول حديثة النشوء والتي تكونت بعد نشوء القاعدة الدولية العرفية، فإنها واستناداً للمذهب الموضوعي سوف تُلزم بالقاعدة الدولية العرفية السابقة لأنها اصبحت امراً واقعاً وقاعدة من قواعد القانون الدولي النافذ[٥٢]. ولا يمكن للدول الجديدة هنا الرفض بالاحتجاج لأنه من شروط الاحتجاج لأجل ان يصبح صحيحاً ونافذاً ان يكون في مدة مناسبة اثناء تكوّن القاعدة العرفية او بعد تكوّنها بمدة مناسبة[٦٢]، وفي مثالنا لا تستطيع الدولة حديثة النشوء فعل ذلك، فالمدة المناسبة قد انقضت وهي ملزمَة بالقاعدة العرفية شاءت ام أبت. كما ان ثبات قواعد القانون الدولي وتوفر عنصر الاستمرارية في قواعده يرجح على اعطاء الدول حديثة النشوء الخيار في قبول بعض قواعده العرفية أو رفضها.

المبحث الثالث

الارادة في التصرفات الانفرادية الدولية

لعل من اكثر المواضيع التي تظهر فيها الارادة بشكل واضح هي التصرفات الانفرادية الدولية والتي تصدر عن الشخص الدولي نفسه دولةً او منظمة دولية، كالإعلان والتصديق والتحفظ والانسحاب والاعتراف والاحتجاج وغير ذلك من التصرفات الانفرادية الدولية، ونتناول في المطلب الأول مدى إلزام التصرف الانفرادي الدولي للدولة التي صدر عنها والدول الأخرى وفي المطلب الثاني أثر التصرف الانفرادي المخالف للقواعد الدولية وكالآتي.

المطلب الاول

مدى الزام التصرف الانفرادي الدولي

التصرف الانفرادي الدولي انما يصدر بإرادة الشخص الدولي نفسه، والاصل العام فيه انه يُلزم

من صدر عنه، لأنه بإرادته قام بهذا الفعل ومن ثم فهو مُلزم بمضمونه[٧٢].

فما يصدر عن الدولة من توقيع او تحفظ او تصديق او اعتراف مُلزِم للدولة نفسها التي صدر عنها هذا التصرف الانفرادي.

وكأصل عام لابد للتصرف الانفرادي الدولي باي شكل اتخذه اعترافاً او تصديقاً او اعلاناً او تحفظاً او غيره ان لا يخالف قواعد القانون الدولي العام اتفاقية كانت او عرفية.

وترى لجنة القانون الدولي أن بإمكان الدولة في الوقت الراهن أن تنشئ التزاماً دولياً بفعل انفرادي دولي مثلما يحق لها أن تنشئه مع غيرها من الدول في صورة الاتفاقيات الدولية[٨٢].

ويرى الدكتور مصطفى أحمد فؤاد وجوب التفرقة بين التصرف الانفرادي الدولي المرتّب التزاماً على عاتق من صدر عنه فهو بهذا الوصف من مصادر الالتزامات الدولية، أمّا إذا كان في مقدرة التصرف إنشاء قواعد عامة مجردة فهو من مصادر القانون الدولي العام[٩٢].

وفي التقرير الثاني عن الإعمال الانفرادية تقول لجنة القانون الدولي: (ينطبق مشروع المواد على الأفعال الانفرادية الصادرة عن الدول، سواء فردية أو جماعية والتي تنطوي على آثار قانونية دولية. وهي بذلك لا تشمل الأفعال ذات الطابع السياسي، والأفعال التي وإن كانت تُعد قانونية وانفرادية، لا يترتب عليها آثار دولية)[٠٣].

إذاً يتضح مما سبق بأن الفعل الانفرادي الدولي إمّا يكون مصدراً لالتزام دولي أو لقاعدة دولية، فليست جميع الأفعال الانفرادية التي تصدر عن الدول محل اعتبار وإنما القانونية فقط وليست جميع الأفعال القانونية وإنما التي ترتب آثار دولية فقط، وإن كان الأمر يصعب تحديده في كثير من الأحيان.

ويلحظ هنا أن القواعد الدولية اتفاقية كانت أو عرفية ترتب التزامات دولية - بما هي قاعدة دولية اتفاقية أو عرفية -، ولكن القاعدة الدولية الاتفاقية ما هي في الواقع إلاّ مجموعة أفعال انفرادية

ضُمّ بعضها إلى بعض ونعني بذلك التوقيع والتصديق والانضمام. والأمر نفسه ينطبق على القاعدة الدولية العرفية إذ تتكون من مجموعة سوابق دولية هي في الغالب أفعال انفرادية دولية ونعني بذلك أعمال الهيئات التشريعية والتنفيذية والقضائية داخل الدولة، وقرارات المنظمات الدولية والأحكام القضائية الدولية، ولا يخرج عن ذلك إلاّ الاتفاقيات الدولية متى ساهمت في تكوين القاعدة الدولية العرفية وهي كما سبق تتحلّل من حيث أصلها إلى أفعال انفرادية دولية أيضاً.

أمّا ما يخص التصرفات الانفرادية الدولية التي تصدر عن المنظمات الدولية فهي تتمثل بمقررات المنظمة الدولية[١٣] أيّاً كانت الصورة التي تتخذها قراراً أو توصيةً أو إعلاناً أو لائحة أو غيرها من الصور، فإن العبرة هنا هو انتاج المقرر الدولي لآثار قانونية[٢٣].

وتُعد العديد من المقررات التي تصدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة مصدراً لأحكام محكمة العدل الدولية تطبيقاً للتفسير الواسع للمادة ٣٨ من النظام الأساس للمحكمة ولما تمثله تلك المقررات من التعبير عن الرضا الدولي بمضمون تلك المقررات. ولكن ما هو الحل اذا ما خالف التصرف الانفرادي الدولي قواعد القانون الدولي العام؟ هذا ما سنتناوله في المطلب الثاني من المبحث.

المطلب الثاني

أثر التصرف الانفرادي الدولي المخالف للقواعد الدولية

ولأجل مناقشة الموضوع بشكل عملي وواقعي نضرب مثالاً ما صدر عن الرئيس الامريكي ترومان عام ١٩٤٥ من اعلان يخص مدّ السيادة الوطنية للولايات المتحدة الامريكية لتشمل الجرف القاري لمسافة ٢٠٠ ميل بحري من خط الاساس، وقد دفع هذا التصرف الانفرادي دول امريكا اللاتينية لتعلن مدّ السيادة الوطنية للجرف القاري والمياه التي تعلوه ايضا لمسافة ٢٠٠ ميل بحري. كل ذلك حصل قبل التوقيع على اتفاقية الجرف القاري لعام ١٩٥٨

التي اصبحت نافذة عام ١٩٦٤، فما هو المركز القانوني لهذه التصرفات الانفرادية الدولية بين عامي ١٩٤٥-١٩٦٤؟ هل رتّبت أثراً وهل أنشأت مركزاً قانونياً جديداً لم تتناوله قواعد القانون الدولي من قبل، او انها خالفت هذه القواعد بشكل صريح؟

يجيب جيرهارد فان غلان Gerhard Von Glahn عن ذلك بقوله: "ويعتقد مؤلف هذا الكتاب ان قاعدة جديدة للقانون الدولي تعالج الحقوق الوطنية في الجرف القاري قد برزت في فترة قصيرة جداً من الزمن نتيجة لادعاءات التملك السريعة إذ ان ٢٠ دولة، مضافاً الى المملكة المتحدة التي عملت بالنيابة عن ١٢ بلداً يعتمد عليها، فرضت مثل هذه الحقوق في مدى ١٧ سنة. ومع ان هذه القاعدة الجديدة قد لا تكون عامة في التطبيق، فإنها تشكل جزءً من قانون دولي. لكن هذا الرأي وجد تحدياً عنيفاً في الفترة التي سبقت اتفاقية ١٩٥٨ الخاصة بالجرف القاري. ان المعاهدة الجديدة تجعل المناقشة تبدو أكاديمية طبعاً. ويتفق جميع الفرقاء على انه منذ سنة ١٩٥٨ اصبح وضع الجرف القاري في القانون الدولي منظّماً"[٣٣].

يلحظ هنا ان الراي المتقدم قد انتهى الى نشوء قاعدة جديدة في القانون الدولي وان نطاقها نسبي، ولكن لم يُبيّن طبيعة هذه القاعدة اتفاقية ام عرفية، ولكنه يلمّح ولا يُصرّح الى احتمالين:

أولهما: امكان تحوّل مضمون الإعلانات الانفرادية لمجموعة دول الى قاعدة دولية عرفية اقليمية مع افتراض وجود النطاق الاقليمي للدول الممارسة لهذا السلوك الدولي.

ثانيهما: امكان تحول مضمون الاعلانات الانفرادية الى حق ثابت بالتقادم بمرور المدة الزمنية المناسبة مع عدم المعارضة.

وكلا الامرين يمكن فيهما القول بالنطاق النسبي للقاعدة المفترضة. إلاّ انه لا ينكر ان هذه الاعلانات الانفرادية كانت اساساً لعقد اتفاقية الجرف القاري لعام ١٩٥٨ والتي منذ نفاذها عام ١٩٦٤ اصبحت القاعدة التي تخص الجرف القاري قاعدة اتفاقية دولية عامّة، إذ

ان الاتفاقية هي اتفاقية متعددة الاطراف وتنظم وضعاً قانونياً دائماً ويهم المجتمع الدولي.

ويذهب ميشيل ب سكارف Micheal P. Scharf الى ان تصريح الرئيس الامريكي ترومان عام ١٩٤٥ عن السيادة الوطنية للجرف القاري واتباع دول عديدة للنهج نفسه مع عدم وجود احتجاج ومعارضة كان بداية لعرف دولي وان كان الدافع سياسي واقتصادي اساسا مع اكتشاف الثروات الطبيعية الغنية في الجرف القاري(٤٣).

فعنصر المصلحة موجود دوماً في الممارسة الدولية فاكتشاف الثروات الطبيعية الغنية في قاع البحار كان دافعاً بالفعل الى صدور الاعلانات الانفرادية من بعض الدول الساحلية في حالتنا هذه إلاّ ان صدور اعلانات مماثلة من الدول الاخرى لاشتراكها في المصلحة وعدم وجود الاعتراض والاحتجاج من دول تدعي تضررها من هذا التصرف لا يسمح بالقول بمخالفة التصرفات الانفرادية الدولية فيما يخص الجرف القاري للقواعد الدولية النافذة إلاّ انها في الوقت نفسه يصعب القول بانسجامها كلياً معها، لذا يمكن ان تكون هذه التصرفات سوابق دولية لنشوء عرف دولي إذ من سمات العرف الدولي ان يكون عاماً في مداه ونهج ٢٠ دولة ليس عاماً. إلاّ ان اغلب القواعد الدولية العرفية تنشأ في البداية من سلوك الدول ذات المصلحة.

وبهذا الشأن يقول بيار – ماري دوبوي:"فإذا كان العرف عاماً في مداه إلاّ أنه يمكن ان يكون نخبوياً في تكوينه"(٥٣).

اذن يمكن القول بان التصرفات الانفرادية الدولية بشان الجرف القاري كانت محاولة جادة لكسب الحق بالتقادم كل دولة على حدة ولكن هذا الحق يعارض من حيث الاصل لحق الدول المشاطئة الاخرى، فان كانت الدول الاخيرة هي نفسها تتبع النهج نفسه ولم تحتج فهنا نكون امام ممارسة دولية يمكن ان تكون سوابق لنشوء قاعدة دولية عرفية جديدة. وكل ما تقدم انما يخص المدة التي سبقت نفاذ اتفاقية الجرف القاري لعام ١٩٥٨.

ويرى الفقيه بيار ماري دوبوي أن الفعل الانفرادي الدولي وإن خالف القواعد القانونية الدولية فإن اعتراف دولة أخرى به بشكل صريح يجعل الأخيرة مُلزمة به وحدها دون باقي أعضاء المجتمع الدولي(٦٣).

والواقع من الأمر كانت التصريحات الانفرادية الدولية بشأن الجرف القاري غير منسجمة في بداية الأمر مع القواعد السائدة لقانون البحار في حينها، ولكن لوجود المصلحة للدول ذات الشأن وعدم وجود الاحتجاج وصدور أول إعلان عن دولة عظمى مثل الولايات المتحدة الأمريكية وإصرار جانب كبير من الفقه الدولي في هذه الدولة والدول ذات المصلحة على تأصيل سيادة الدولة المشاطئة على الجرف القاري الملاصق لها، كل ذلك كان بداية لتقبل مبدأ اختصاص الدولة المشاطئة على جرفها القاري وصولاً إلى تبني اتفاقية جماعية في الموضوع نفسه، والتي بنفاذها أصبح الموضوع يعد من القواعد الاتفاقية العامّة في القانون الدولي البحار، إذاً كثير من القواعد تبدأ بداعي المصلحة الوطنية الضيقة ونتيجة لتقبل الدول لها والسلوك اللاحق الموافق من جانبها تنشأ تلك القواعد وتصبح أمراً واقعاً يصعب تغييره، من هنا يسهم الاحتجاج من جانب الدول ذات الشأن مع بدايات السلوك الدولي لتبني موضوع جديد لا يوافق السائد من القواعد الدولية، يسهم في عرقلة الوصول بالموضوع الجديد إلى مستوى القاعدة الدولية اتفاقية كانت أم عرفية، ومع عدم وجود الاحتجاج يصبح الطريق معبّداً لنشوء قاعدة دولية جديدة، وإن كانت السوابق الأولى المكوّنة لها مخالفة للسائد من القواعد القانونية الدولية النافذة.

خاتمة الدراسة

قد ركّزت الدراسة على اسهام الارادة في القانون الدولي ولا سيما في نطاق الاتفاقيات الدولية والقواعد الدولية العرفية والتصرفات الانفرادية الدولية ويمكن ان ندرج العديد من الاستنتاجات والمقترحات التي توصلنا اليها وكالآتي:

أولاً: الاستنتاجات:

١. يمتاز القانون الدولي العام عن باقي فروع القانون بتداخل المصدر فيه والقاعدة وأن موضوعهما واحد، وهذا هو حال القواعد الاتفاقية الدولية والقواعد العرفية الدولية.

٢. نسبية اثر المعاهدات هو المبدأ الذي يحكم الاتفاقيات الدولية استناداً الى ارادات الدول في المشاركة في الاتفاقية الدولية فلا تُلزم الدولة الا بإرادتها، الاّ انه يمكن ان يستثنى من ذلك بعض الاتفاقيات الدولية التي لها خصوصية معينة من حيث سمتها العامة وتنظيمها لوضع قانوني دائم كميثاق منظمة الامم المتحدة لعام ١٩٤٥ ولا سيما الفقرة سادساً من المادة الثانية منه التي تُلزم الدول غير الاعضاء في مجال حفظ السلم والامن الدوليين.

٣. تُلزَم الدول الساكتة بالقاعدة الدولية العرفية استناداً الى النظرية الموضوعية بكل ما يستنتجه الآخر من سكوتها لانها لو ارادت رفض القاعدة العرفية لفعلت باحدى طرق الرفض الدولية ومنها الاحتجاج.

٤. الدول حديثة النشوء تجاه القاعدة الدولية العرفية ليس امامها الا القبول لان الاحتجاج في مدة مناسبة قد تصرّم ولا يمكنها ارجاع الزمن للوراء.

٥. على الرغم من ان العرف عاماً في مداه الا انه يمكن ان يكون نخبوياً في تكوينه، تقوم به الدول ذات المصلحة والدول التي يكون لسوابقها وزن اكبر من باقي الدول.

٦. اعلان الجرف القاري لعام ١٩٤٥ كان نقطة انطلاق لخلق ممارسة دولية بالمضمون نفسه من باقي الدول إلاّ انه لم يخلق قاعدة دولية جديدة بما هو تصرف انفرادي دولي محض ولكنه كان سبباً لعقد اتفاقية الجرف القاري لعام ١٩٥٨.

٧. الاحتجاج من الدولة ذات الشأن يمنع من سريان القاعدة الدولية العرفية في مواجهتها ويمنع من نشوء التقادم المكسب تجاهها.

٨. يسهم الاحتجاج من جانب الدول ذات الشأن مع بدايات السلوك الدولي لتبني موضوع جديد لا يوافق السائد من القواعد الدولية، يسهم في عرقلة الوصول بالموضوع الجديد إلى

مستوى القاعدة الدولية العرفية.

٩.يُنسب التصرف الانفرادي الدولي الى الدولة التي صدر عنها بشكل تلقائي وليس بالضرورة ان تتجه ارادة الدولة بتصرفها لإنشاء قاعدة دولية عرفية، ومن ثم فالنظرية الحديثة التي تقول بالمركز الموضوعي هي الأكثر رجحاناً في أساس إلزام القاعدة الدولية العرفية.

١٠.الكثير من القواعد تبدأ بسلوك دولي بداعي المصلحة الوطنية الضيقة من جانب دولة أو أكثر ونتيجة لتقبل الدول له والسلوك اللاحق الموافق من جانبها تنشأ تلك القواعد وتصبح أمراً واقعاً يصعب تغييره، من هنا يسهم الاحتجاج من جانب الدول ذات الشأن مع بدايات السلوك الدولي لتبني موضوع جديد لا يوافق السائد من القواعد الدولية، يسهم في عرقلة الوصول بالموضوع الجديد إلى مستوى القاعدة الدولية اتفاقية كانت أم عرفية.

ب: المقترحات

١.اصطلاح الاتفاقيات الشارعة لم نجده في اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات لعام ١٩٦٩ بل يقول به القضاء الدولي والفقه الدولي فقط، والسبب هو اعتراض بعض الدول الكبرى حينها على مشروع الاتفاقية لعدم رغبتها في ان تُلزم خارج ارادتها، لذا نأمل ان يتم تعديل الاتفاقية بما يشمل الاتفاقيات الشارعة التي تنظم اوضاعاً قانونية دائمة وتهم المجتمع الدولي وادراج التعريف نفسه الذي اورده الفقيه الروسي تونكين Tunkin في مشروع الاتفاقية.

٢.نأمل من وزارة الخارجية العراقية والجهات ذات الشأن أن تسلك طرق الرفض الدولية ومنها الاحتجاج لأجل عدم سريان ما لا يوافق المصلحة الوطنية من السلوك الدولي، منعاً من نشوء الحق للآخر بطريق التقادم المكسب، أو سريان قاعدة دولية عرفية إقليمية تجاه الدولة.

٣.على الرغم من النظريات الموضوعية التي طرحت في مواضع عديدة في القانون الدولي العام، تبقى لإرادة الدولة إسهامٌ واضح في إنشاء الالتزامات الدولية وخلق

القواعد القانونية الدولية، لذا نأمل من وزارة الخارجية العراقية أن تحقّق – عن طريق ما يصدر عنها من أفعال انفرادية دولية – مقتضيات المصلحة الوطنية في ظل لا مركزية العلاقات الدولية وحرية الدولة فيما يصدر عنها من سلوك دولي بما يوافق قواعد القانون الدولي ولا يتعارض معها.

الهوامش:

١- تم توقيع الاتفاقية في فيينا في ٢٣ أيار ١٩٦٩ ودخلت حيز النفاذ في ٢٧ كانون الثاني ١٩٨٠.

٢- د. حامد سلطان. القانون الدولي العام في وقت السلم، الطبعة السادسة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦؛ د. عصام العطية. القانون الدولي العام، المكتبة القانونية، بغداد، من دون ذكر سنة النشر، ص٥٩؛ د. أ.ن. طلالايف. قانون المعاهدات الدولية -النظرية العامة-، ترجمة د. صالح مهدي العبيدي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦، ص٦٣.

٣- الفقرة سادساً من المادة ٢ من ميثاق منظمة الأمم المتحدة لعام ١٩٤٥ ويُنظر د. حسن الجلبي. مركز الامم المتحدة بالنسبة للدول غير الاعضاء فيها، المجلة المصرية للقانون الدولي، المجلد ٢٢، ١٩٦٦، ص ٩٢.

٤- جيرهارد فان غلان. القانون بين الأمم - مدخل إلى القانون الدولي العام، الجزء الأول، ترجمة عباس العمر، دار الجيل؛ دار الآفاق الجديدة، بيروت، من دون ذكر سنة النشر، ص ١٦؛ د. أحمد ابو الوفا. الوسيط في القانون الدولي العام، الطبعة السادسة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٦، ص١٥٩ ؛ د. خليل حسين. موسوعة القانون الدولي العام،

الجـزء الأول، الطبعـة الأولى، منشـورات الحلبـي الحقوقيـة، بـيروت، ٢٠١٢، ص ٥١٧.

٥- بيـار- مـاري دوبـوي. القانـون الـدولي العـام، ترجمـة د. محمـد عـرب صاصيـلا؛ د. سـليم حـداد، الطبعـة الاولى، المؤسسـة الجامعيـة للدراسـات والنـشر والتوزيـع، بـيروت، ٢٠٠٨، ص٣٣٤؛ د. محمـد السـعيد الدقـاق. القانـون الـدولي العـام - مصـادر القانـون الـدولي-، دار المطبوعـات الجامعيـة، الاسـكندرية، ٢٠١٢، ص١٦٠.

Gordon A. Christenson. Trashing Customary International Law, the American Journal of International Law, Vol. 81, 1987, p103; E. Jiménez de Aréchaga. General Course in Public International Law, Lahaye: The Huge Academy of International Law, with No Publishing Year, p 14.

٦- يُنظـر د. عبدالرسـول كريـم ابوصيبـع. القاعـدة الدوليـة العرفيـة، تقديـم د. زهـير الحسـني، دار السـنهوري، بـيروت،٢٠١٧، ص١١٨.

٧- صـلاح الديـن عامـر. مقدمـة لدراسـة القانـون الـدولي العـام، دار النهضـة العربيـة، القاهـرة، ٢٠٠٧، ص ١٩٦ هامـش رقـم ١.

٨- صـلاح الديـن عامـر. مقدمـة لدراسـة القانـون الـدولي العـام، مرجـع سـابق، ص ١٩٦ هامـش رقـم ١.

٩- تقديمـه لكتـاب القاعـدة الدوليـة العرفية للدكتـور عبدالرسـول كريـم أبوصيبـع، سـابق الإشـارة إليـه، ص ١٦-١٧.

١٠- اجابـة حكومـة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة عـلى دراسـة اللجنـة الدوليـة للصليـب الاحمـر بشـان القانـون الـدولي الانسـاني العـرفي، بقلـم جـون ب. بلينجـر، ووليـم ج. هاينـس، منشـورة في المجلـة الدوليـة للصليـب الاحمـر، المجلـد ٨٩، العدد ٨٦٦، حزيـران ٢٠٠٧، ص١٠١-١٣٠.

١١- القانـون المرقـم ٢٢٢-١١٤ في ٢٨ أيلـول ٢٠١٦.

١٢- د. عبدالمجيـد عبـاس. القانـون الـدولي العـام، مطبعـة النجـاح، بغـداد، ١٩٤٧، ص٧٤؛ د. عبدالغنـي محمـود. القاعـدة العرفيـة في القانـون الـدولي العـام، الطبعـة الأولى، دار النهضـة العربيـة، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٤١؛ د. حكمـت شـبّر. القانـون الـدولي العـام، الطبعـة الثانيـة، المكتبـة القانونيـة، بغـداد، ٢٠٠٩، ص ٧١.

١٣- د. صـلاح الديـن عامـر. مقدمـة لدراسـة القانـون الـدولي العـام، مرجـع سـابق، ص٣٤٩.

١٤- د. حيـدر أدهـم الطائـي. الاحتجـاج في القانـون الـدولي، الطبعـة الاولى، منشـورات الحلبـي الحقوقيـة، بـيروت، ٢٠١٢، ص١٥٣.

١٥- د. وليـد بيطـار. القانـون الـدولي العـام، الطبعـة الأولى، المؤسسـة الجامعيـة للدراسـات والنـشر والتوزيـع، بـيروت، ٢٠٠٨، ص

١٢١.

١٦- د. زهير الحسني. مشكلة العقيدة بالإلزام للقاعدة العرفية في القانون الدولي العام، المجلة المصرية للقانون الدولي، العدد ٤٥، ١٩٨٩، ص١٣٠؛ د. عبدالغني محمود. القاعدة العرفية في القانون الدولي العام، مرجع سابق، ص ٦٢-٦٣.

١٧- د. حامد سلطان. القانون الدولي العام في وقت السلم، مرجع سابق، ص ٣٥؛ د. محسن أفكيرين. القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٥، ص ١٦٠.

١٨- د. جمال عبدالناصر مانع. القانون الدولي العام، الطبعة الأولى، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٠، ص ٢٤٩.

١٩- د. محسن أفكيرين. المرجع السابق، ص ١٦٤.

٢٠- بيار ماري دوبوي. القانون الدولي العام، مرجع سابق، ص ٣٥٨.

21- Anthony A. D'Amato. The Concept of Custom in International Law, First Edition, Ithaca and London, Cornell University Press, 1971, p98.

د. مفيد محمود شهاب. الآثار القانونية للسكوت في القانون الدولي العام، المجلة المصرية للقانون الدولي، العدد ٢٩، ١٩٧٣، ص٦٠؛ د. محمد سامي عبدالحميد. التصرفات الدولية الصادرة عن الارادة المنفردة كمصدر للالتزام الدولي، مجلة الحقوق للبحوث القانونية والاقتصادية، تصدرها كلية الحقوق- جامعة الاسكندرية، العدد الاول، ١٩٧٤، ص ٢٤٠؛

22- Brian D. Lepard. Customary International Law – A New Theory with Practical Applications -, Cambridge: Cambridge University Press, 2010, p 229.

23- Anthony A. D'Amato. Ibid., p 99.

٢٤- د. مصطفى أحمد فؤاد. النظرية العامة للتصرفات الدولية الصادرة عن الإرادة المنفردة، منشأة المعارف بالإسكندرية، ٢٠٠٩، ص ٨٣.

٢٥- د. عبدالغني محمود. القاعدة العرفية في القانون الدولي العام، مرجع سابق، ص ١٠٥؛ وانظر د. محمد سامي عبدالحميد؛ د. مصطفى سلامة حسين. القانون الدولي العام، الدار الجامعية، بيروت، من دون ذكر سنة النشر، ص ١٠٧.

N. A. Maryan Grean M.A. International Law, Macdonald and Evans Ltd, London, 1973, P 19.

26- Jonathan I. Charney. International Agreements and the Development of Customary International Law, Washington Law Review, Vol. 61:971, 1986, p 538.

٢٧- د. مصطفى احمد فؤاد. النظرية العامة للتصرفات الدولية الصادرة عن

الارادة المنفردة، مرجع سابق، ص١٢٧ وما بعدها.

٢٨- فيكتور رودريغيس سيدونيو. المقرر الخاص، التقرير الأول عن الأفعال الانفرادية الصادرة عن الدول، الدورة الخمسون، ١٩٩٨، الوثيقة المرقمة A/CN.٤/٤٨٦، ص ١٦.

٢٩- د. مصطفى أحمد فؤاد. المرجع السابق، ص ٢٧.

٣٠- فيكتور رودريغيس سيدونيو. المقرر الخاص، التقرير الثاني عن الأفعال الانفرادية الصادرة عن الدول، الدورة الحادية والخمسون، ١٩٩٩، الوثيقة المرقمة CN/A/٤٥٠٠/٤، ص ٦.

٣١- د. عزيز القاضي. تفسير مقررات المنظمات الدولية، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧١، ص ٤٦-٤٧.

٣٢- يُنظر بيار ماري دوبوي. القانون الدولي العام، مرجع سابق، ص ٤١٧ وما بعدها.

٣٣- جيرهارد فان غلان. القانون بين الأمم – مدخل الى القانون الدولي العام –، الجزء الثاني، تعريب وفيق زُهدي، دار الجيل؛ دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص ٥٧.

34- Michael P. Scharf. Customary International Law in Times of Fundamental Change - Recognizing Grotian Moments-, 1st Edition, Cambridge: Cambridge University Press, 2013, p117-118.

وانظر د. محمد الحاج حمود. القانون الدولي للبحار، دار الثقافة للنشر والوزيع، عمّان-الاردن، ٢٠٠٨، ص٣٣٧.

٣٥- بيار – ماري دوبوي. القانون الدولي العام، مرجع سابق، ص٤٠٨.

٣٦- المرجع السابق، ص ٣٨٠.

قائمة المراجع

أولاً: باللغة العربية

أ: الكتب

أ.ن. طلالايف. قانون المعاهدات الدولية -النظرية العامة-، ترجمة د. صالح مهدي العبيدي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦.

أحمد ابو الوفا. الوسيط في القانون الدولي العام، الطبعة السادسة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٦.

بيار- ماري دوبوي. القانون الدولي العام، ترجمة د. محمد عرب صاصيلا؛ د. سليم حداد، الطبعة الاولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨.

جمال عبدالناصر مانع. القانون الدولي العام، الطبعة الأولى، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٠.

جيرهارد فان غلان. القانون بين الأمم – مدخل الى القانون الدولي العام –، الجزء

الثاني، تعريب وفيق زُهدي، دار الجيل؛ دار الآفاق الجديدة، بيروت، من دون ذكر سنة النشر.

جيرهارد فان غلان. القانون بين الأمم – مدخل الى القانون الدولي العام –، الجزء الثاني، تعريب وفيق زُهدي، دار الجيل؛ دار الآفاق الجديدة، بيروت، من دون ذكر سنة النشر.

حامد سلطان. القانون الدولي العام في وقت السلم، الطبعة السادسة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦.

حكمت شبّر. القانون الدولي العام، الطبعة الثانية، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠٠٩.

حيدر أدهم الطائي. الاحتجاج في القانون الدولي، الطبعة الاولى، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٢.

د. مصطفى سلامة حسين. القانون الدولي العام، الدار الجامعية، بيروت، من دون ذكر سنة النشر.

صلاح الدين عامر. مقدمة لدراسة القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧.

عبدالرسول كريم ابوصبيع. القاعدة الدولية العرفية، تقديم د. زهير الحسني، دار السنهوري، بيروت، ٢٠١٧.

عبدالغني محمود. القاعدة العرفية في القانون الدولي العام، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠.

عبدالمجيد عباس. القانون الدولي العام، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٤٧.

عزيز القاضي. تفسير مقررات المنظمات الدولية، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧١.

عصام العطية. القانون الدولي العام، المكتبة القانونية، بغداد، بلا سنة نشر.

محسن أفكيرين. القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٥.

محمد الحاج حمود. القانون الدولي للبحار، دار الثقافة للنشر والوزيع، عمّان-الاردن، ٢٠٠٨.

محمد السعيد الدقاق. القانون الدولي العام – مصادر القانون الدولي–، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ٢٠١٢.

مصطفى أحمد فؤاد. النظرية العامة للتصرفات الدولية الصادرة عن الإرادة المنفردة، منشأة المعارف بالإسكندرية، ٢٠٠٩.

وليد بيطار. القانون الدولي العام، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨.

ب: البحوث والتقارير

اجابة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على دراسة اللجنة الدولية للصليب الاحمر بشان القانون الدولي الانساني العرفي، بقلم جون ب. بلينجر الثالث، ووليم ج.

هاينس الثاني، منشورة في المجلة الدولية للصليب الاحمر، المجلد ٨٩، العدد ٨٦٦، حزيران ٢٠٠٧.

حسن الجلبي. مركز الامم المتحدة بالنسبة للدول غير الاعضاء فيها، المجلة المصرية للقانون الدولي، المجلد ٢٢، ١٩٦٦.

زهير الحسني. مشكلة العقيدة بالإلزام للقاعدة العرفية في القانون الدولي العام، المجلة المصرية للقانون الدولي، العدد ٤٥، ١٩٨٩.

فيكتور رودريغيس سيدونيو. المقرر الخاص، التقرير الأول عن الأفعال الانفرادية الصادرة عن الدول، الدورة الخمسون، ١٩٩٨، الوثيقة المرقمة A/CN.4/486.

فيكتور رودريغيس سيدونيو. المقرر الخاص، التقرير الثاني عن الأفعال الانفرادية الصادرة عن الدول، الدورة الحادية والخمسون، ١٩٩٩، الوثيقة المرقمة A/CN.4/500.

محمد سامي عبدالحميد. التصرفات الدولية الصادرة عن الارادة المنفردة كمصدر للالتزام الدولي، مجلة الحقوق للبحوث القانونية والاقتصادية، تصدرها كلية الحقوق- جامعة الاسكندرية، العدد الاول، ١٩٧٤.

مفيد محمود شهاب. الآثار القانونية للسكوت في القانون الدولي العام، المجلة المصرية للقانون الدولي، العدد ٢٩، ١٩٧٣.

ثانياً: باللغة الإنجليزية

A: Books

Anthony A. D'Amato. The Concept of Custom in International Law, First Edition, Ithaca and London, Cornell University Press, 1971.

Brian D. Lepard. Customary International Law – A New Theory with Practical Applications -, Cambridge: Cambridge University Press, 2010.

E. Jiménez de Aréchaga. General Course in Public International Law, Lahaye: The Huge Academy of International Law, with No Publishing Year.

Michael P. Scharf. Customary International Law in Times of Fundamental Change - Recognizing Grotian Moments-, 1st Edition, Cambridge: Cambridge University Press, 2013.

N. A. Maryan Grean M.A. International Law, Macdonald and Evans Ltd, London, 1973.

B: Researches

Gordon A. Christenson. Trashing Customary International Law, the American Journal of International Law, Vol. 81, 1987.

Jonathan I. Charney. International Agreements and the Development of Customary International Law, Washington Law Review, Vol. 61:971, 1986.

The Role of Will for Creating the International Rules

Prof. Assist. Dr. Abdulrasool Kareem Abusaibe
Public Law Department / College of Law / University of Kufa

Summary

The research is trying to treat with the will of international person for creating international rules. This study distinguishes between creating international obligations and international rules . This subject is divided into three chapters: the first, treats with contribution of state will for creating international conventional rules. the second, treats with contribution of state will for creating international customary rules, and the third searches the unilateral acts and its role for creating the international rules. The conclusion contains important results and suggestions.

حولية المنتدى

الاثر الناقل للاستئناف كإستثناء على مبدأ ثبات النزاع في الدعوى المدنية

أ.د. أحمد سمير محمد ياسين
كلية القانون والعلوم السياسية
جامعة كركوك

الباحث: بلال قيس كمال
كلية القانون واعلوم السياسية
جامعة كركوك

المقدمة:

يعد الاستئناف من المبادئ الأساسيّة في التنظيم القضائي، والتطبيق العلمي لمبدأ التقاضي على درجتين، حيث يكون للمحكوم عليه أمام محاكم الدرجة الأولى أن يعيد طرح قضيته مرة أخرى أمام محكمة أعلى درجة من المحكمة التي أصدرت الحكم بغية إعادة بحث الموضوع مجددا والفصل فيه، ويحقق الاستئناف ضمانا لحسن سير العدالة، ويؤمن استدراكا للخصوم لما فاتهم تقديمه من دفاع وأدلة أمام محكمة الدرجة الأولى، ويستهدف الاستئناف التحقق من سلامة الأحكام التي تصدرها محاكم البداءة بدرجة أولى وإعادة طرح النزاع مرة أخرى وهذا يعد استثناءً لمبدأ ثبات النزاع الذي اعطى المشرع بموجبه الخصوم حق نظر النزاع مرة اخرى أمام محكمة درجة ثانية، وإنّ ما أتاحت المشرع لهذا الاستثناء ينم عن حرصه لمعالجة الأخطاء والنواقص التي تشوب أحكام محاكم البداءة، ومنح الخصوم تصحيح ما فاتهم من دفوعات وادعاءات' وان مقتضى الأثر الناقل للاستئناف هو نقل النزاع الذي كان منظوراً أمام قاضي محكمة درجة اولى إلى قاضي درجة ثانية، وإنّ هذا الأثر يستند إلى مبدأ

ثبات النزاع.

اهمية البحث:

تكمن أهمية موضوع البحث كونه يعالج مسألة الأثر الناقل للاستئناف كأستثناء على ثبات النزاع القضائي، والكيفية التي يتم بها طرح النزاع مرة أخرى أمام محكمة الاستئناف بصفتها محكمة درجة ثانية، من خلال بيان الإطار المحدد لسلطة محكمة الاستئناف، والذي على أساسه تقوم بالبحث والتمحيص في ملف الدعوى المحال إليها من محكمة البداءة، بالإضافة إلى الخصائص التي يتمتع بها الاثر الناقل للاستناف في نقل الدعوى مستثناة من ثباتها في الخصومة الاستئنافية ومدى مساهمتها في اتساعها من حيث أطرافها وأسبابها، وذلك من خلال استعراض أحكام قانون المرافعات المدنية العراقي رقم المرافعات العراقي ذو الرقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩ النافذ المعدل أم في قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري رقم ١٣ لسنة ١٩٦٨ وقانون الإجراءات المدنية الفرنسي رقم ١١٢٣ لسنة ١٩٧٥ المعدل.

إشكالية الدراسة:

تكمن إشكالية البحث في عدم وجود تنظيم تشريعي خاص لمبدأ ثبات النزاع القضائي والاستثناءات الواردة عليه، ولكن هناك بعض النصوص المتناثرة في مواد قانون المرافعات سنحاول تسليط الضوء عليها، كما وإنّ ندرة الدراسات القانونية المتخصصة في هذا الميدان خاصة في الاطار الاجرائي، وانه على الرغم من أهمية هذا الموضوع وحيويته الا انه لم ينل ما يستحق من العناية والاهتمام خصوصا من ناحية الدراسات القانونية المقارنة بين القوانين الإجرائيّة كافة فتلك الدراسات لم تكن بالقدر اللازم لدراسة هذا الموضوع وجمعه ضمن نظام قانوني متكامل.

أسباب اختيار الموضوع:

ان أبرز الأسباب التي دفعتني إلى اختيار الاثر الناقل للاستئناف كأستثناء على مبدأ ثبات النزاع في الدعوى القضائية المدنية موضوعاً للبحث تكمن في التعرض لمدى الأثر الذي يرتبه ذلك المبدأ وما ينتج عنه، والاطلاع على موقف

القانون العراقي والقوانين المقارنة في مجال إرساء مبدأ ثبات النزاع في المنظومة الإجرائيّة من آثار واستثناءات والوقوف على مواطن المعالجة التشريعية الوافية لكلا الموقفين للوصول إلى مبتغانا في تحقيق الاستقرار القانوني والمراكز القانونية الإجرائيّة، ومحاولة الخروج بنظرية إجرائية متكاملة يمكن اتخاذها من قبل المشرع العراقي بتعديل واضافة فقرات إلى قانون المرافعات العراقي وتحديد نطاق الخصومة وعناصرها وحماية حقوق وحريات الدفاع مع الأخذ بنظر الاعتبار موقف القوانين المقارنة من ذلك.

خطة البحث:

للإحاطة بموضوع الاثر الناقل للاستئناف كأستثناء على ثبات النزاع، سنقوم بتقسيم هذا البحث على ثلاثة مباحث، نتناول في المبحث الأوّل منها سنقوم التطرق لمفهوم الأثر الناقل للاستئناف وينقسم بدوره الى مطلبين الاول الاول تعريف الاثر الناقل للاستئناف والثاني تمييز الاثر الناقل عن فكرة التصدي، اما المبحث الثاني حدد لبيان خصائصه وينقسم الى مطلبين الاول هو نقل النزاع في حدود ما رفع عنه الاستئناف فقط والمطلب الثاني عدم جواز الفصل في طلب لم يعرض على محكمة البداءة، والمبحث الثالث سيتناول شروطه الاثر الناقل للاستئناف وعلى مطلبين الاول استنفاذ محكمة البداءة لولايتها للنزاع والمطلب الثاني هو التزام محكمة الاستئناف بنظر النزاع.

المبحث الأوّل

مفهوم الأثر الناقل للاستئناف

إن الاستئناف يعد وسيلة لإصلاح ما اخطأ فيه قضاء محكمة الدرجة الأولى، وإنّ قبول طلبات لم يعرض موضوعها على تلك المحكمة يجعل من محكمة الاستئناف محكمة درجة اولى، وإنّ الاستئناف قد شرع بقصد تلافي الخطأ والنقص في الحكم، وهذا يكون استثناء على مبدأ ثبات النزاع، ولما كإنّ مبدأ التقاضي على درجتين يطرح ذات النزاع مرة ثانية أمام محكمة الاستئناف، فإنه يرتبط بهذا المبدأ فكرة هامة جداً وهي تطور النزاع أمام محكمة الاستئناف

استثناءً على مبدأ ثبات النزاع، وهو تغيير في ملامح النزاع الأصلي، ويستمر هذا التغيير طالما كان هذا النزاع قائماً أمام محكمة الطعن، وهذا التطور يرتبط في نشأته واستمراره بالعديد من العناصر التي تحدث تغييراً سواء في الإجراءات أو في الحق الموضوعي[1]،ويعد الأثر الناقل للاستئناف من الاستثناءات التي ترد على مبدأ ثبات النزاع، إذ إنه يؤدي إلى اتساع نطاق القضية أمام محكمة الدرجة الثانية، وقد اخذت التشريعات بهذا المفهوم الذي يكسر القيود التي حدّدها مبدأ الثبات حيث اتاح لطرفي الدعوى الحرية في تغيير عناصر الدعوى من ناحية (الخصوم والسبب والموضوع)، وعليه سنتناول هذا المبحث بمطلبين الأوّل نتكلم فيه عن مفهوم الأثر الناقل للاستئناف والثاني تمييزه عن بعض الافكار التي تختلط به.

المطلب الأوّل

تعريف الأثر الناقل للاستئناف

ان أهم ما يترتب على الاستئناف من آثار هو خاصيته بإعادة طرح النزاع الذي فصلت فيه محكمة الدرجة الأولى على محكمة الدرجة الثانية وهو بذلك يكون استثناءً على مبدأ ثبات النزاع[2]، وينتج عن ذلك أن تختص محكمة الاستئناف وحدها بالفصل المنازعة التي يطرحها الاستئناف عليها، وذلك من كافة وجوهها الموضوعية والقانونية، وكذلك ما يتصل بالحكم المستأنف من ناحية تفسيره وتصحيحه والطلبات الوقتية المتعلقة به إذا كان موضوع الدعوى المطروح على محكمة الدرجة الأولى متضمناً عدة طلبات قضي فيها من محكمة الدرجة الأولى واستنفذت ولايتها في شأنها، فإن استئناف أحد هذه الطلبات أو بعضها دون باقي الطلبات ينقل إلى محكمة الدرجة الثانية الطلب المستأنف وحده بكافة دفوعه وأسانيده، وإنّ محكمة الاستئناف عند نظرها الدعوى الاستئنافية لا تتقيد بما انتهت إليه محكمة البداءة من حكم في الدعوى المرفوعة إليها وإنما تأخذ دورها كمحكمة موضوع من حيث فحص وتقدير الوقائع وما قدم إليها من

مستندات ودفوع من الخصوم، وهذه الإجراءات تمثل قوة الأثر الناقل للاستئناف[٣].

وقد أشار قانون المرافعات المدنية العراقي بان (الاستئناف ينقل الدعوى بحالتها التي كانت عليها قبل صدور حكم البداءة بالنسبة لما رفع عنه الاستئناف نقط ...)[٤]، ونجد ان المشرع أشار بصورة غير مباشرة للأثر الناقل كاستثناء على مبدأ ثبات النزاع، وانه اتاح للخصم الذي يتظلم من حكم محكمة الدرجة الأولى أن يطرح النزاع مجددا أمام محكمة الدرجة الثانية لتفصل فيه من جديد، وعندما يقدم الاستئناف فلا يمكن لأي من الخصوم أن يتذرع بأي حق مكتسب ناجم عن الحكم المطعون فيه، لأن الاستئناف يطرح الدعوى أمام محكمة الدرجة الثانية للفصل فيها وكأنها تنظر لأول مرة، كما وينتج عن تطبيق مبدأ الأثر الناقل هو رفع يد محكمة الدرجة الأولى عن النزاع المطروح لتقوم محكمة الاستئناف بوضع يدها على هذا النزاع[٥]، وإنّ الأثر الناقل للاستئناف يؤدي إلى وضع محكمة الاستئناف يدها على النزاع ومِن ثَمّ يلزمها الفصل فيه مجددا وفي المواضيع التي رفع الاستئناف عنها باعتبار ان محكمة الاستئناف درجة ثانية في التقاضي تتولى بحث الاعتراضات الواردة على الحكم الصادر من محكمة البداءة وبإكمال النقص في ذلك الحكم أو إصلاح الخطأ الذي وقعت فيه محكمة البداءة[٦].

وإن محكمة الاستئناف بالصفة المتقدمة وبوصفها محكمة موضوع تملك كافة الصلاحيات المقررة لمحكمة الدرجة الأولى، فهي تبحث وقائع الدعوى وتقوم باتخاذ ما تراه من إجراءات الإثبات في الدعوى المنظورة من قبلها، كما وتعين تقدير الوقائع من واقع ما قدم اليها من مستندات وإثباتات ودفوع أطراف الدعوى، ومن ثم تطبق القواعد القانونية التي تراها صحيحة على وقائع الدعوى[٧]، فمرحلة الاستئناف تنقل الدعوى إلى حالتها التي كانت عليها قبل صدور الحكم البدائي استناداً لمبدأ ثبات النزاع، حيث تتولى محكمة الاستئناف بعد

إجراء المقتضيات القانونية واكمال التحقيقات المقتضية إصدار الحكم الذي تراه موافقا للقانون، على أن نقل الدعوى إلى محكمة الدرجة الثانية لا يتم تبعاً لرفع الاستئناف الا إذا كان هذا الطعن يتناول النقاط والمواضيع التي عرضت على محكمة الدرجة الأولى وفصلت فيها هذه المحكمة ورفع الاستئناف عنه، فالطلبات التي عرضت أمام محكمة الدرجة الأولى ولم تفصل فيها ولم تستنفذ ولايتها لا تنتقل إلى محكمة الدرجة الثانية[٨]، بعد أن يتم تقديم الدعوى الاستئنافية وقبولها يترتب على ذلك نقل النزاع برمته إلى محكمة الاستئناف واعادة طرح موضوعه عليها مع أسانيده القانونية وادلته الواقعية واوجه دفاع ودفوع الخصوم ممّا يجعلها مختصة اختصاصا كاملاً بكل ما يتعلق بالحكم فيتعين عليها قول كلمتها بقضاء مسبب يواجه عناصر النزاع الواقعية والقانونية على السواء[٩].

أمّا بالنسبة لموقف القوانين المقارنة من الأثر الناقل فقد تباينت تلك القوانين في النص عليها في تشريعاتها، فقد نصت المادة (٢٣٢) من قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري النافذ بأن (الاستئناف ينقل الدعوى بحالتها التي كانت عليها قبل صدور الحكم المستأنف بالنسبة لما رفع عنه الاستئناف فقط) واستناداً لمفهوم هذه المادة يتبين بأن الأثر الناقل في القانون المصري لا يختلف كثيرا عن مفهومه في القانون العراقي من حيث طرح النزاع على محكمة الاستئناف لتفصل فيه من جديد استثناء على ثبات النزاع في البداءة، وعدم السماح بإبداء طلبات جديدة في الاستئناف نظراً، لأن ذلك يؤدي إلى تفويت درجة من درجات التقاضي على الخصم[١٠].

أمّا القانون الفرنسي فقد نظم الأثر الناقل للاستئناف في المادتين (٥٦١ و٥٦٢)، إذ إن المادة (٥٦١) تعريفاً قريبا جداً من الأثر الناقل، اذ نصت على أن (الاستئناف يضع حجية الشيء المقضي فيه المطروح أمام المحكمة الاستئنافية وذلك لكي يتم البت بذلك من جديد من حيث الواقع والقانون) وبموجب احكام هذه المادة نجد ان الأثر الناقل بهذا

المفهوم يجب أن يكون محدداً بعناية فهو يقود إلى نتائج مهمة للمحاكم القضائية وللقواعد المرافعة والجلسة الاستئنافية، أمّا المادة الثانية (٥٦٢) من القانون ذاته فقد نصت على ان (لا يحيل الاستئناف إلى المحكمة الا أجزاء الحكم التي ينتقدها صراحة أو ضمناً، وإنّ الأثر الناقل غير المقيد يسري بحق الجميع في حالة كون الاستئناف غير محدداً بأجزاء معينة، وعندما يروم إلى الغاء حكم، أو إذا كان موضوع الخصومة غير قابل للتقسيم) ويفهم من صريح هذه المادة ان الأثر الناقل في قانون الإجراءات المدنية الفرنسي النافذ لا ينطبق بالضرورة على المسائل العملية كافة وعلى الحقوق في المرافعة البدائية فالقاعدة القانونية تقول: (لا يسري الأثر الناقل الا إذا رفع الطعن أمام محكمة الاستئناف) وبذلك يكون الهدف من الاستئناف هو عرض المسالة المطروحة أمام محكمة الاستئناف كي وصل يفصل في مسائلها القانونية والواقعية من جديد، وبهذا يكون الأثر الناقل محدودة بدعوى الاستئناف ومذكرات الدفاع المودعة وليس له أن ينظر إلا الطلبات الأساسيّة المرفوعة إليه[١١].

ويتضح لنا من التعاريف السابقة أنّ مبدأ الأثر الناقل للاستئناف يركز على الوظيفة التقليدية للاستئناف كطريق لإصلاح حكم محكمة الدرجة الأولى، كما يعد استثناء على مبدأ ثبات النزاع، والذي يراد به أن نطاق الدعوى يتحدد بالطلب الأصلي الذي ابتدأت به وفي حدود ما تضمنته صحيفة الدعوى، بحيث لا يجوز إجراء أي تعديل لاحق في عناصر هذا الطلب المتمثلة بالموضوع والسبب والخصوم وبالصفة التي يتقاضون بها، أي أن النزاع ينبغي أن يبقى ثابتاً بالنسبة للخصوم، بحيث يمتنع تعديل أي ركن فيه تجنبا لإعاقة سير الدعوى من خلال إبداء طلبات جديدة تقدم بعد بدء إجراءات الدعوى وإعمالا لحق الدفاع الذي يقضي بعدم مفاجئة الخصوم بطلبات تقدم على ذلك بعد أن يكونوا قد استعدوا للدفاع في نطاق الطلب الأصلي وحده.

المطلب الثاني

تمييز الأثر الناقل للاستئناف من فكرة التصدي

من الآثار التي تتولد عن الطعن بالاستئناف هو الأثر الناقل للاستئناف، وهو من الادوات الفنية للنظام القانوني، إلى جانب هذه الاداة توجد اداة اخرى وهي الحق في التصدي[٢١]، وتعرف فكرة التصدي بأنها رخصة تخول قاضي الدرجة الثانية عندما يرفع إليه طعناً بالاستئناف في حكم فرعي صادر من أول درجة، في أن يتناول النزاع برمته ويحسمه بحكم واحد صادراً في الطعن والموضوع،. وإنّ هذه الرخصة تعطي لمحكمة الاستئناف إذا ما طعن أمامها في حكم فرعي منهي لخصومة اول درجة أن تمد سلطاتها لكل النزاع متجاهلة بذلك الأثر الناقل للاستئناف المحدود والمترتب على رفع الطعن في الحكم الفرعي[٣١].

يتضح لنا من هذا التعريف أن التصدي يشكل خروجا على القواعد العامة للاستئناف، والتي تفرض على محكمة الدرجة الثانية عدم التعرض لمسائل لم تفصل فيها محكمة أول درجة استناداً لمبدأ ثبات النزاع، وإنّ فكرة التصدي تشكل مخالفة لمبدأ الأثر الناقل للاستئناف، والإطاحة ببعض المبادئ التقليدية، وبهذا يعد حق التصدي استثناء يعطي الحق لمحكمة الدرجة الثانية بمقتضي نصوص قانونية معتمدة[٤١]، وترتيباً على ذلك لا يعد تصدياً إذا لم يمر النزاع على محكمة أول درجة، كان يرفع مباشرة أمام محكمة درجة ثانية، أو أن تفصل الأخيرة بعد أن تكون محكمة أول درجة قد استنفدت ولايتها بالحكم في الموضوع، ذلك بعد أن تقضي محكمة الاستئناف بإلغاء هذا الحكم أو ببطلانه لعيب في الإجراءات السابقة له[٥١].

ويشترط لكي تباشر محكمة الاستئناف رخصة التصدي ضرورة توافر شروط منها[٦١]:

أوّلاً: أن يكون استعمال محكمة الاستئناف حقها بالتصدي مقتصر على المسائل التي لم تفصل فيها محكمة الدرجة الأولى، وهذا الشرط

يفترض أن تكون المسائل التي سيفصل فيها قد طرحت أمام محكمة الدرجة الأولى، وعليه لا يجوز التصدي لمسائل تطرح لأول مرة على محكمة الاستئناف.

ثانياً: أن يؤدي التصدي إلى تحقيق حسن سير العدالة بالفصل في الدعوى بحكم نهائي، وإنّ تقتضي مصلحة العدالة انهاء النزاع، وإنّ سلطة تحقيق المصلحة من العدالة وحسن سيرها امر يخضع لتقدير قاضي الاستئناف سواء تحقيقاً لحسن سيرها أو لعدم الاضرار بها، ويمكن أن يستخلصه من ابداء المستأنف عليه للدفوع الموضوعية.

ثالثاً: أن تلغي أو تبطل محكمة الاستئناف الحكم المطعون فيه بالاستئناف أو الاعتراض، وإنّ محكمة الاستئناف لا يمكنها ممارسة سلطتها في التصدي الا إذا توافر شرط الإبطال والالغاء، لأنه لا يتصور تصدي محكمة الاستئناف للموضوع الذي لم تستنفذ به محكمة الدرجة الأولى ولايتها، الا إذا الغت أو ابطلت أو الغت الحكم الفرعي المطعون عليه.

وبالنسبة لموقف التشريعات من فكرة التصدي فأننا نجد اساسها في القانون الفرنسي، وإنّ محكمة الاستئناف تمارس حق التصدي وفق أسس ونصوص قانونية معتمدة، حيث قرر رخصة التصدي في المادة ٥٦٨ من قانون الإجراءات المدنية الفرنسي الجديد والتي تقضي بأنه (إذا ألغت أو أبطلت محكمة الاستئناف حكم صادر باتخاذ إجراء من إجراءات التحقيق أو في دفع إجرائي، وكان منهياً للخصومة، فأن المحكمة تستطيع أن تتصدي لجميع المسائل الأخرى من النزاع، والتي لم تفصل فيها محكمة أول درجة إذا رأت أن حسن سير العدالة يقتضي إنهاء النزاع، ولها في سبيل ذلك أن تأمر باتخاذ ما يلزم من إجراءات التحقيق)[٧١]

أمّا بالنسبة لموقف المشرع العراقي والمصري، فأننا لم نجد هناك تطبيقات لهذه الفكرة قانون المرافعات المدنية، وتم معالجة حالة قيام محكمة الاستئناف بإبطال حكم أول درجة الذي فصل في موضوع النزاع، من خلال الزام محكمة

الاستئناف بالفصل في النزاع إعمالاً للأثر الناقل للاستئناف[٨١].

المبحث الثاني

خصائص الأثر الناقل للاستئناف

إذا كان الأثر الناقل يؤدي إلى نقل القضية إلى محكمة الاستئناف، فإن هذا الانتقال يتمتع بخصائص، فمن ناحية يقتصر الأثر الناقل على ما رفع عنه في محكمة الدرجة الأولى، من ناحية اخرى فأن محكمة الاستئنافية لا تملك حق في أن تتناول طلبات لم تقدم إلى محكمة أول درجة، أو قدمت إليها ولم تفصل فيها وذلك استناداً لثبات النزاع في الطلبات، ومِن ثَمّ فأن المحكمة الاستئنافية لا تنظر قضية جديدة تتعلق بصحة حكم أول درجة أو بعدالته، وإنما هي تنظر نفس القضية التي صدر فيها حكم أول درجة، كما أن نطاق القضية في الاستئناف يتحدد ليس بكل ما عرض من طلبات على محكمة أول درجة، وإنما بما يعرض منها أمام المحكمة الاستئنافية فقد يخصص المستأنف استئنافه بجزء ممّا عرض على محكمة الدرجة الأولى وفصلت فيه، ولذلك إذا رفع الاستئناف عن الحكم برمته أدى ذلك إلى إعادة طرح النزاع على محكمة الاستئناف مع أسانيده القانونية وأدلته الواقعية وكل ما كان قد أبدي أمام محكمة أول درجة من دفوع.

وعلى هذا الأساس سنقوم بتناول خصائص الأثر الناقل للاستئناف في مطلبين الأوّل نقل النزاع في حدود ما رفع عنه الاستئناف فقط، والثاني: عدم جواز الفصل في طلب لم يعرض على محكمة البداءة.

المطلب الأوّل

نقل النزاع في حدود ما رفع عنه الاستئناف فقط

من خصائص الأثر الناقل ان المحكمة الاستئنافية لا تنظر دعوى جديدة تتعلق بصحة حكم أول درجة ولكنها تنظر ذات القضية التي صدر فيها حكم أول درجة، ويترتب على رفع الاستئناف نقل موضوع النزاع في حدود طلبات المستأنف إلى محكمة الدرجة الثانية وإعادة طرحه عليها بكل ما أشتمل عليه من أدلة ودفوع وأوجه دفاع

لتقول كلمتها في الدعوى بقضاء مسبب يواجه عناصر النزاع الواقعية والقانونية، على الرغم من الأثر الناقل يشكل استثناء على ثبات النزاع الا انه ينقل الدعوى في حدود ما رفع عنه الاستئناف دون غيره(٩١).

ويترتب على نظر قضية الدرجة الأولى في الاستئناف اعتبار الدفوع وأوجه الدفاع المقدمة أمام محكمة أول درجة مطروحة على محكمة الاستئناف سواء تمسك بها صاحبها أو لم يتمسك بها ما لم يصدر عنه ما يُعدّ تنازلاً صريحاً أو نسياً عنها وذلك التزاماً بثبات النزاع وما طرح فيه في مرحلة البداءة(٠٢)، وإنّ تقدير هذا النزول مسألة واقع تستقل بتقديره المحكمة الاستئنافية، ويترتب على هذا أن المستأنف عليه الذي كان مدعى عليه في أول درجة يجد دفوعه ودفاعه مطروحة على المحكمة الاستئنافية والتي تلتزم بالفصل فيها بقضاء مسبب، وينطبق هذا على الدفوع وأوجه الدفاع التي قدمت أمام محكمة أول درجة سواء منها التي أغفلت هذه المحكمة الفصل فيها أو تلك التي فصلت فيها، وسواء قبلتها المحكمة أو لم تقبلها أو رفضتها صراحة بحكم مستقل متى كان الحكم في الدعوى قد قضي بكل طلبات المستأنف عليه فأعفاه هذا من استئناف ما صدر ضده من أحكام قبل الحكم المنهي للخصومة ولم يثبت تخليه عن هذه الدفوع وأوجه الدفاع دون حاجة ارفع استئناف فرعي أو مقابل بها(١٢).

ويترتب على اعتبار الأثر الاستئناف استثناء على ثبات النزاع خروج الدعوى من سلطة محكمة أول درجة، فلا تستطيع بمجرد استئناف الحكم الصادر منها أن تعيد النظر في هذا الحكم حتى ولو كان ذلك من أجل إيضاح ما يكتنفه من غموض أو لإصلاح ما أصابه من أخطاء، إذ إن هذه السلطة تنتقل من خلال الطعن بالاستئناف إلى محكمة الدرجة الثانية، ومِن ثَمّ فإنه لا يمكن العودة مرة أخرى إلى محكمة أول درجة حتى ولو كان ذلك بناءً على اتفاق أطراف الدعوى وأيضا فإن محكمة الاستئناف تنظر نفس

الدعوى التي كانت مطروحة أمام محكمة أول درجة من جديد، إذ تعتبر خصومة الاستئناف مرحلة جديدة يستطيع الأطراف من خلالها التمسك بأوجه دفاع وأدلة إثبات جديدة وبهذا تكون خصومة الاستئناف استمرارا وامتداداً طبيعاً لخصومة أول درجة[٢٢].

ان نقل الدعوى إلى الاستئناف واستئنافها من ثبات النزاع يوجب على محكمة الاستئناف أن تعمل رقابتها على محكمة أول درجة من حيث العناصر الواقعية والقانونية جميعاً، حتى فيما يدخل في السلطة التقديرية لقاضي الموضوع، لأن مهمتها لا تقتصر على محاكمة الحكم المستأنف كمحكمة التمييز، وإنما يعد النزاع مطروحاً عليها لتفصل فيه من جديد بمجرد رفع الاستئناف بموجب الأثر الناقل لها، ومن ثم تكون قد تخلت عن مهمتها إذا اكتفت بالقول بأن استخلاص محكمة أول درجة للواقع في الدعوى أو تقديرها لأقوال الشهود أو أعمال الخبير أو إعمال سلطنها في توقيع الجزاء الاختياري لها إنما وقع في حدود سلطتها الموضوعية، بل يجب عليها أن تسلط رقابتها على إعمال محكمة أول درجة لسلطتها التقديرية فان رأت سلامته تبنت هي هذا التقدير بحيث يكون تقديرها هي وليس تقدير محكمة أول درجة، ولذلك يتعين أن تبت محكمة الاستئناف في تقدير الأدلة الموضوعية التي أخذت بها محكمة أول درجة واقتناعها أو مخالفتها لما انتهت إليه هذه المحكمة في هذا الخصوص، فأن تركت لمحكمة أول درجة أن تنفرد بتقديرها دون أن تبسط رقابتها عليها في ذلك فإنها قد خالفت الأثر الناقل للاستئناف وأخطأت في تطبيق القانون وابتعدت عن الاستثناء المشرع لثبات النزاع[٣٢].

يتضح لنا أن الأثر الناقل للاستئناف المستثنى من مبدأ ثبات النزاع في الدعوى القضائية يترتب عليه إعادة طرح المنازعة مرة ثانية أمام محكمة الاستئناف بحالتها التي عليها قبل صدور حكم البداءة [٤٢]، وهنا يحدث التكرار الاجرائي الإيجابي الكلي للإجراءات المتخذة في المرحلة البدائية، إذ إن كل الإجراءات التي

اتخذت أمام محكمة أول درجة يعاد اتخاذها ومناقشاتها مرة ثانية أمام محكمة الاستئناف، وإنّ نص المشرع على تكرار الإجراءات هو استثناء على مبدأ ثبات النزاع، والحكمة من ذلك هي من أجل تحقيق فائدة عملية وهي إعطاء المتقاضي الفرصة لكي يتم نظر منازعته أمام درجتين من درجات التقاضي وذلك حتى يكون الحكم الذي يصدر في الدعوى أقرب ما يكون إلى الحقيقة الواقعية، ومن خلال الأثر الناقل للاستئناف تمنح المحكمة الاستئنافية السلطة الكاملة في القيام ببحث المنازعة من جديد غير متقيدة بالحكم الذي صدر من محكمة أول درجة، وسلطة محكمة الاستئناف هنا المحكمة سلطة كاملة تتناول من خلالها إعادة تقدير الوقائع وتطبيق القانون عليها[٥٢].

المطلب الثاني

عدم جواز الفصل في طلب لم يعرض على محكمة البداءة

ان النطاق الموضوعي لخصومة الاستئناف يتحدد بالطلبات التي كانت مطروحة على محكمة أول درجة، وإذا كان الأثر الناقل للاستئناف يعني نقل الدعوى برمتها إلى محكمة ثان درجة بحالتها التي كانت عليها قبل صدور الحكم المستأنف بما يوجب عليها أن تتصدى للفصل في النزاع بكافة عناصره الواقعية والقانونية فأن نطاق هذا الأثر الناقل يختلف بالنسبة للطلبات، ويقصد بالطلبات في هذا المجال الطلبات القضائية التي يطلبها الخصوم من المحكمة بطريقة الدعوى الأصليّة أو بطريق الطلبات العارضة، إذ إن ثبات النزاع يمنع من تقديم أي طلبات غير التي تمّ تقديمها في مرحلة البداءة حتى وإنّ كان هناك استثناء بنقل الدعوى إلى الاستئناف، لأنها الطلبات الجديدة في الاستئناف ستغير من معالم الدعوى القضائية[٦٢].

قد يكون حكم محكمة الدرجة الأولى فاصلاً في حكم تصدره سواء كان حكم الزام أو حكما مقرراً أو حكم منشئاً حماية للحق أو المركز القانوني التي حسب ما طلبه المدعي في دعواه، والقاعدة بالنسبة

للطلبات أن الأثر الناقل للاستئناف يتحد بما رفع عنه الاستئناف ممّا فصلت فيه محكمة أول درجة من الطلبات التي كانت مطروحة عليها وهذه القاعدة تتناول أهم خصائص الأثر الناقل وهي ان الاستئناف لا ينقل إلى محكمة ثان درجة إلا ما كان مطروحا على محكمة أول درجة، وبناءً عليه فإنه لا يجوز لمحكمة الاستئناف أن تفصل فيما لم يكن معروضاً على محكمة أول درجة ولو عرضه عليها المستأنف في الدعوى الاستئنافية، وإلا تكون قد أخلت بمبدأ ثبات النزاع ومبدأ التقاضي على درجتين[٧٢].

ويتحدد نطاق الأثر الناقل للاستئناف بالمسائل التي استنفدت محكمة أول درجة ولايتها بالفصل فيها، وهذا يؤدي إلى أن المسائل التي لم تفصل فيها هذه المحكمة لا يشملها الأثر الناقل للاستئناف لأنها تعتبر مخالفة لمبدأ ثبات النزاع، ومِن ثَمّ لا تعتبر مطروحة على محكمة الدرجة الثانية[٨٢]، ومثالاً على ذلك فإذا صدر حكم أول درجة بتعيين حارس على العين المتنازع على ملكيتها حتى يفصل في أصل الحق، وقام المدعى عليه باستئناف هذا حكم على أساس أنه من الأحكام الوقتية التي يجوز الطعن عليها استقلالاً، فإن المحكمة الاستئنافية لا تملك الفصل في موضوع ملكية العين، لأن هذا الطلب لم تفصل فيه محكمة أول درجة بعد وما زال قائما أمامها[٩٢].

إن الدعوى الاستئنافية لا تنتقل إلّا بالنسبة لما رفع عنه الاستئناف فقط أي في حدود طلبات المستأنف بالاستناد إلى ثبات الطلبات في مرحلة البداءة، فإذا كان الطاعن قد قبل بعض ما قضى به الحكم الابتدائي في الطلبات الخارجة عن اختصاص المحكمة الابتدائية وقصر استئنافه على ما زاد على المبلغ الذي قبله، فإن الاستئناف على هذا النحو لا يطرح على محكمة الاستئناف مسألة الاختصاص، لأن هذه المسألة لا تعتبر مستأنفة تبعاً لاستئناف الجزء الذي لم يقبله إذ يُعدّ الطاعن بقبوله بعض ما قضى به في تلك الطلبات قد قبل الحكم الضمني باختصاص المحكمة الابتدائية بنظرها ومِن ثَمّ

اصبح هذا القضاء انتهائياً حائزاً لقوة الأمر المقضى فيه[٠٣].

إن المجال الذي يتم من خلاله اعمال قاعدة الأثر الناقل للاستئناف كاستثناء على ثبات النزاع يتحدد بالطلبات الموضوعية، ومعيار تحديد هذه الطلبات الجديدة هو اختلافها عن الطلبات التي أبديت أمام محكمة أول درجة من حيث موضوعها أو الخصوم الذين يتنازعونها أو صفة هؤلاء الخصوم، ولا يستثنى من ذلك سوى إبداء طلب يختلف مع الطلب المدعى به أمام محكمة أول درجة في السبب بشرط اتحاده معه في الموضوع والخصوم[١٣]، ومثالاً على ذلك فأنه لا يجوز للطاعن الذي طالب بملكية العين بصفته الشخصية أمام محكمة أول درجة على أساس من وضع اليد للملك أن تعمد في مرحلة الاستئناف إلى المطالبة بصفتها ممثلة للوقف الخيري للأقباط الارثوذكس وعلى سند من أنه لا يجوز تملكه بالتقادم، إذ إن ذلك لا يقتصر على تغيير سبب الدعوى بل يتناول الصفة التي كانت يتصف بها الطاعن أمام محكمة أول درجة ممّا يُعدّ بدءا بدعوى جديدة يتحتم على محكمة الاستئناف القضاء بعدم قبولها[٢٣].

يتضح لنا انه لا يجوز للمحكمة الاستئنافية أن تنظر في طلب تمّ عرضه على محكمة الدرجة الابتدائية ولم تستنفد محكمة أول درجة ولايتها بشأنه، لأن ذلك يمثل احتراما لمبدأ التقاضي على درجتين ومبدأ ثبات النزاع، وعلى المحكمة الاستئنافية إذا ما تبينت أن المعروض عليها هو طلب جديد أن تحكم من تلقاء نفسها بعدم قبوله لتعلق هذه القاعدة بالنظام العام، ولأن السماح بإبداء طلبات جديدة أمام محكمة الدرجة الثانية لم يتم عرضها على محكمة الدرجة الأولى يعد إخلالا بمبدأ ثبات النزاع والتقاضي على درجتين وتفويتا لدرجة من درجات التقاضي على الخصم الآخر، كما أنه يتنافى مع فكرة الاستئناف باعتباره طعنا في حكم محكمة أول درجة وتجريحا لقضاة هذه المحكمة، ومن غير المتصور أن ينسب الخطأ إلى محكمة أو إلى قاضي في أمر لم يعرض عليه ولم

يفصل فيه، فضلاً عن مخالفة ذلك لقواعد الاختصاص، لأن محكمة الاستئناف باعتبارها محكمة ثاني درجة لا تختص بالطلب الجديد، وإنما ينعقد الاختصاص بمثل هذا الطلب لمحكمة أول درجة.

المبحث الثالث

شروط الأثر الناقل للاستئناف

يعمل الأثر الناقل للاستئناف على التزام محكمة الاستئناف بإعادة بحث موضوع الدعوى القضائية والفصل فيها من جديد من حيث الواقع ومن حيث القانون، كما أنه يشترط وفي الوقت نفسه على التأكيد من استنفاد محكمة أول درجة لولايتها بصورة نهائية لموضوع النزاع، ويترتب على رفع الاستئناف انتقال قضية أول درجة برمتها إلى محكمة الدرجة الثانية بكل ما اشتملت عليه من مسائل واقعية وقانونيه، ويتولد عن هذا الانتقال التزام محكمة الدرجة الثانية بإعادة نظر القضية من جديد، أي يصبح نظر القضية من حق محكمة الاستئناف دون سواها، ويشترط هذا الالتزام أن تتمتع محكمة الدرجة الثانية بكافة الصلاحيات التي تتمتع بها محكمة أول درجة حول النزاع.

وعليه سوف نتناول بحث موضوع هذا المبحث في مطلبين نحدد في المطلب الأوّل استنفاذ محكمة البداءة لولايتها للنزاع، ونبين في الثاني التزام محكمة الاستئناف بنظر النزاع.

المطلب الأوّل

استنفاذ محكمة البداءة لولايتها للنزاع

اشترط المشرع لأعمال قاعدة الأثر الناقل للاستئناف استنفاذ محكمة البداءة لولايتها للنزاع المعروض امامها باعتبارها محكمة درجة اولى، والاصل انه بمجرد إصدار الحكم من قبل محكمة البداءة فان ولايتها تخرج عن الدعوى وهذا تطبيقاً مبدأ ثبات النزاع، ولكن المشرع لاعتبارات معينة على استثناء ثبات النزاع خرج على هذا الأصل واعطى للخصوم حق استئناف الحكم الصادر من محكمة البداءة مرة ثانية أمام محكمة الاستئناف، وليس لقاضي البداءة

النظر في الدعوى بعد صدور الحكم البدائي[٣٣].

يرتب ثبات النزاع على محكمة البداءة في انها إذا فصلت مسألة من المسائل المتنازع عليها والمعروضة أمامها فأن سلطتها تنقضي بشأنها، أي أن المحكمة تستنفد سلطتها في النزاع ولا ولاية لها بهذه المسألة، فلا تملك المحكمة بعد النطق بالحكم سحب الحكم أو تغييره أو تعديله أو الإضافة إليه، كما لا يمكن للمحكمة الأمر بالنفاذ المعجل للحكم بعد صدوره، أو أن تقف النفاذ الذي أمرت به، وإنما يتم ذلك من خلال طرق الطعن القانونية ومنها الاستئناف، ومثالا على ذلك إذا كان الحكم الصادر من محكمة البداءة اشتمل على قضاء قطعي بإلزام المدعى عليه بمبلغ من المال، فإن محكمة البداءة تكون قد استنفدت ولايتها في النزاع القائم وقالت كلمتها في موضوع الدعوى، ومن ثم فإن المحكمة الاستئنافية عند نظر القضية كاستئناء على ثبات النزاع فأنها لا تملك عند القضاء ببطلان الحكم المستأنف لعيب فيه أو في الإجراءات التي بني عليها أن تعيد الدعوى إلى محكمة البداءة التي فصلت في موضوعها للنظر فيها، لأنها إذا فصلت في موضوع الدعوى تكون قد استنفدت ولايتها عليها، ومِن ثَمّ يتعين على المحكمة الاستئنافية في هذه الحالة نظر الدعوى والفصل فيها[٤٣].

إن اشتراط استنفاد محكمة البداءة لولايتها على الدعوى وبعد أن تنقل إلى الاستئناف مستثناة من ثباتها، تساهم في تعزيز وتأكيد مدى حجية الأمر المقضي، فما تفصل فيه المحكمة داخل الخصومة يقتصر أثره على هذه الخصومة وحدها بالنسبة لما قررته فيها، أي أن القاضي يستنفد سلطته بالنسبة لكل مسألة يفصل فيها داخل الخصومة المحددة بثبات النزاع، في حين أن ما قرره في هذا الشأن يمكن إثارته من جديد في خصومة تالية في المرحلة الاستئنافية، ما دام لا يمس ما يتمتع به الحكم الصادر في الخصومة السابقة من حجية، أمّا فكرة الحجية فيعمل بها خارج الخصومة أي بعد انتهائها، فأثر الحجية

يبدو بالنسبة للخصومات تستنفر حد النطق لا يمكن نفاذ الذي لا يجوز، فهي تعمل على احترام ما قرره حكم سابق، وعدم المساس به، وإنّ اساس استنقاذ المحكمة لولايتها يكون في ضرورة استقرار المراكز القانونية، إذ لا يتحقق هذا الاستقرار لمجرد صدور الحكم، وإنما يجب عدم المساس بمضمونه خارج الحدود التي يقررها القانون والقاضي والخصوم، وإذا كان الهدف من الوظيفة القضائية هو تطبيق القانون والفصل في الخصومات ووضع حد لها بواسطة حكم قضائي، فأن شرط استنفاد المحكمة لولايتها يُعدّ استجابة لهذا الهدف وتحقيق شروط استثناء ثبات النزاع في الاستئناف، حيث يؤدي السماح بمناقشة الحكم القضائي إلى ما لا نهاية إلى أن يصبح هذا الهدف محل شك وينعدم الاستقرار فأساس الشرط هو ذات أساس حجية الشيء المقضي فيه، أمّا الأحكام التي لا تحوز حجية الأمر المقضي، كالأحكام الصادرة في المسائل الولائية، فتظل قابلة للمراجعة أو التعديل إذا تغيرت الظروف التي صدرت فيها تلك الأحكام[٥٣].

ولا يسلم القاضي اثناء مباشرته لمهمته بإصدار الحكم من الخطأ، ولذلك فأن اشتراط استنفاذ ولاية المحكمة في نطاق الأثر الناقل للاستئناف ليس شرطاً مطلقاً وانما هناك حالات تكون خارج نطاق هذا الشرط، حيث اتاح المشرع للخصوم بعض الإجراءات والقواعد الخاصة لتدارك ما يقع في الأحكام من اخطاء دون معالجتها من خلال طرق الطعن في الأحكام، وإنّ هذه الاخطاء تتجسد في اخطاء قد تكون مادية أو اخطاء في الصياغة تؤدي إلى غموض أو ابهام الحكم أو قد يكون الخطأ هو اغفال الفصل في بعض الطلبات[٦٣]، وتهدف معالجة تلك الأخطاء بإجراءات خاصة إلى تجنب إجراءات طرق الطعن وما تكلفه من وقت ونفقات لا حاجة لها، كما أن إتباع هذه الإجراءات يحقق الرغبة في تسوية أكبر قدر من مشاكل خصومة أول درجة حتى تتاح لمحكمة الاستئناف إعادة بحث الموضوع بصورة أفضل، كذلك

يؤدي سلوك هذه الإجراءات إلى تخليص القضاء من البطء في الفصل في القضايا، وذلك بتخفيف العبء عن محاكم الدرجة الثانية من الاستئنافات التي قد تُرفع عن هذه الأخطاء، ويضاف إلى ما سبق أن المحكمة التي أصدرت الحكم هي أقدر من غيرها على معالجة هذه الأخطاء[٧٣].

إن الاستثناءات الواردة على شرط الاستنفاد من ثبات النزاع يجب أن لا تؤدي إلى المساس بمضمون وموضوع الحكم، وإنما تقتصر سلطة المحكمة على مجرد التغيير الشكلي في الحكم من حيث تصحيحه وتفسيره واغفال الفصل في بعض الطلبات[٨٣]، وفيما يخص تصحيح الحكم فأن محكمة الدرجة الأولى هي التي تختص بتصحيح الحكم حتى وإنّ تمّ الطعن فيه استئنافاً، لأن الطعن في الحكم لا يتعارض مع سلطة محكمة الاستئناف تعديل أو الغاء قضاء محكمة اول درجة، والعلة من ذلك ان من الأولى أن تقوم المحكمة التي اصدرت الحكم بتصحيح الخطأ المادي الذي وقع فيه الحكم[٩٣]، أمّا بالنسبة لتفسير الحكم فأنه يجب على محكمة الدرجة الأولى تفسير الحكم الذي اصدرته بشرط ان لا يكون قد طعن فيه بالاستئناف، لأن سلطة تفسير الحكم تنتقل بموجب الأثر الناقل لمحكمة الاستئناف لأنها تكون صاحبة الاختصاص الكامل بالنزاع في حدود ما رفع عنه وبعد استنفاذ ولاية محكمة الدرجة الأولى[٠٤].

وبالنسبة لموقف المشرع العراقي والمصري حول شرط استنفاد محكمة البداءة ولايتها على الحكم باعتباره من شروط الأثر الناقل المستثنى من ثبات النزاع، فأننا لم نجد نص صريح بخصوص الشرط، وهذا لا يدل على عدم الأخذ به وانما مسلم به من جانب الفقه واحكام القضاء، إذ إنه بصدور الحكم ينتهي النزاع بين الخصوم وتخرج القضية من نطاق محكمة الدرجة الأولى ويمتنع عليها أن تعود إلى نظرها بما لها من سلطة قضائية، كما أنه لا يجوز لها تعديل حكمها فيها أو اصلاحه، أمّا موقف المشرع الفرنسي فقد نص على ان استنفاد القاضي لسلطته تنقضي

بمجرد النطق بالحكم، ويطبق هذا الشرط إلا على الأحكام الصادرة في مسائل متنازع عليها، أمّا الأحكام التي لا تحوز حجية الأمر المقضي، كالأحكام الصادرة في المسائل الولائية، فتظل قابلة للمراجعة أو التعديل إذا تغيرت الظروف التي صدرت فيها تلك الأحكام[١٤].

المطلب الثاني

التزام محكمة الاستئناف بنظر النزاع

يترتب على الأثر الناقل للاستئناف باعتباره استثناء على ثبات النزاع القضائي انتقال الدعوى من محكمة أول درجة برمتها إلى محكمة الدرجة الثانية بكل ما اشتملت عليه من مسائل واقعية وقانونية، ويتولد عن هذا الانتقال شرط التزام محكمة الاستئناف بإعادة نظر القضية من جديد، أي يصبح نظر القضية من حق محكمة الاستئناف دون سواها، ويتطلب هذا الالتزام بإعادة نظر القضية أن تتمتع محكمة الاستئناف بكافة السلطات التي كانت تتمتع بها محكمة أول درجة حول النزاع[٢٤]، ومن المستقر عليه في قانون المرافعات العراقي والمصري والفرنسي، أنه يترتب على مجرد رفع الاستئناف انتقال موضوع النزاع إلى محكمة الدرجة الثانية، وينتج عن هذا الانتقال التزام هذه المحكمة بإعادة الفصل في موضوع الدعوى من جديد، من حيث الواقع ومن حيث القانون، ولا يمكنها إحالة الدعوى إلى محكمة الدرجة الأولى، إذ إنها استنفدت ولايتها بشأنها كما لا يمكنها إحالتها إلى أي قضاء أخر[٣٤].

إن وظيفة الاستئناف لا تقتصر على مجرد مراقبة الحكم المستأنف من حيث سلامة التطبيق القانوني فحسب، وإنما يجب عليها أن تواجه عناصر النزاع القانونية والواقعية المطروحة عليها بموجب الأثر الناقل للاستئناف، إذ إن محكمة الدرجة الثانية هي محكمة واقع ومحكمة قانون، كل هذا في حدود طلبات المستأنف، ولا يجب أن يقتصر التزام محكمة الدرجة الثانية بالفصل في النزاع على بعض أوجه النزاع المطروح عليها، ما دام أن محكمة أول درجة قد فصلت فيه، وأنه عرض عليها بذات الحدود التي عرض بها أمام محكمة أول

درجة، ويعمل بالتزام محكمة الدرجة الثانية بالفصل في النزاع نتيجة للأثر الناقل ولو كان ذلك بعد النقض والإحالة(٤٤).

ولكي يتحقق شرط التزام محكمة الدرجة الثانية بإعادة الفصل في موضوع النزاع، فأنه يجب أن يكون الاستئناف مقبولا شكلا، فليس لمحكمة الاستئناف أن تتعرض لصحة قضاء الحكم أو عدم صحته قبل الفصل في شكل الاستئناف، فإذا قضي بعدم قبول الاستئناف انمحى الأثر الناقل له ولا يصبح لمحكمة الدرجة الثانية أي صله بالنزاع ومن ثم لا يمكنها التعرض لطلبات المستأنف أو الفصل فيها(٥٤).

إن بحث المحكمة الاستئنافية لموضوع الحكم المستأنف، لا يعد في بعض الأحيان مناقضا للقضاء بعدم جواز الاستئناف بعد ذلك، فالمناط في جواز استئناف الأحكام الصادرة من محاكم الدرجة الأولى بصفة انتهائية هو وقوع بطلان فيها أو في الإجراءات المؤثرة فيها ممّا لا سبيل إلى الوقوف عليه إلّا بتناول موضوعها، ومن ثم فإن تعرض محكمة الاستئناف لموضوع الحكم المستأنف وانتهاءها إلى سلامته ونفي البطلان عنه، لا تكون قد ناقضت قضاءها بعدم جواز الاستئناف، بل حملته على ما لا يقوم بدونه(٦٤).

كما أن تحقق شرط التزام محكمة الدرجة الثانية بإعادة الفصل في موضوع النزاع، يتطلب أن يكون الحكم المطعون فيه حكماً صادراً في موضوع الدعوى، وهذا يعني أن المسائل التي قضت فيها محكمة أول درجة هي فقط التي تطرح على محكمة الدرجة الثانية، وتلتزم بالفصل فيها بموجب الأثر الناقل للاستئناف، أمّا الطلبات التي لم تفصل فيها محكمة أول درجة فإنها لا تكون قد استنفدت ولايتها بشأنه ومِن ثَمّ فهي لا تطرح على محكمة الدرجة الثانية من خلال الأثر الناقل ولا تلتزم بالفصل فيها(٧٤).

وبهذا يتضح لنا ان اشتراط التزام محكمة الدرجة الثانية إعادة الفصل في موضوع الدعوى استثناءً على ثبات النزاع، فإنه يجب أن تتمتع بالسلطات التي تمكنها من ذلك، ويخول الأثر الناقل المحكمة

الاستئنافية لسلطة الكاملة بالنسبة لموضوع الدعوى من جميع جوانبه المستثنى من ثباتها، سواء ما تعلق منها بالوقائع أو بتطبيق القانون، شأنها في ذلك شأن محكمة أول درجة ولو كانت هذه المحكمة الأخيرة قد اقتصرت على بحث بعض هذه الجوانب، وتختلف في هذا الصدد سلطة محكمة الاستئناف والتي تخولها إعادة بحث القضية التي كانت أمام محكمة أول درجة من جديد عن سلطة محكمة التمييز وهي تنظر الدعوى حيث تقتصر سلطتها على بحث مدى توافق الحكم المطعون فيه مع التطبيق الصحيح للقانون فمحكمة التمييز لا تتمتع بسلطة الفصل في موضوع الدعوى، وذلك لأنها ليست درجة ثالثة لنظر ذات النزاع.

الخاتمة

النتائج:

الاستئناف وسيلة لاصلاح ما اخطأ فيه قضاء محكمة الدرجة الأولى وان قبول طلب لم يعرض موضوعه على تلك المحكمة يجعل من محكمة الاستئناف محكمة درجة اولى، يعد الأثر الناقل للاستئناف استثناء على ثبات النزاع، وقد أشار المشرع العراقي اليه بصورة ضمنية، الذي بموجبه ينقل موضوع النزاع في حدود طلبات المستأنف إلى محكمة الاستئناف وإعادة طرحها عليها بكل ما اشتمل عليه من أدلة ودفوع وأوجه دفاع لتقول كلمتها فيه بقضاء مسبب يواجه عناصر النزاع الواقعية والقانونية على السواء، حيث بموجبه يدعي المستأنف أن محكمة الدرجة الأولى لم تحسن الفصل في موضوع دعواه ويطلب من محكمة الاستئناف أن تعيد الفصل فيها لتصلح ما شاب الحكم المستأنف من أخطاء ولهذا فإن موضوع الخصومة أمام محكمة الدرجة الأولى هو ذاته أمام محكمة الاستئناف، وهذا يُعدّ استثناء على مبدأ ثبات النزاع الذي اعطى المشرع بموجبه الخصوم حق نظر النزاع مرة اخرى أمام محكمة درجة ثانية، وإنّ أتاحت المشرع لهذا الاستثناء ينم عن حرصه لمعالجة الأخطاء والنواقص التي تشوب

أحكام محاكم البداءة، ومنح الخصوم تصحيح ما فاتهم من دفوعات وادعاءات، وان الاستئناف يعد وسيلة لإصلاح ما أخطأ فيه قضاء محكمة البداءة.

التوصيات:

١- نقترح على المشرع العراقي تعديل المادة (١٩٢) وذلك على النحو الاتي:

(أ- الاستئناف ينقل الدعوى بحالتها التي كانت عليها قبل صدور حكم البداءة بالنسبة لما رفع عنه الاستئناف فقط/ ب- لا تقبل الطلبات الجديدة في الاستئناف وتحكم المحكمة من تلقاء نفسها بعدم قبولها/ ج- يجوز أن يضاف إلى الطلبات الأصليّة ما يتحقق بعد حكم البداءة من الأجور والفوائد والمصاريف القانونية وما يزيد من تعويضات بعد تقديم الطلبات الختامية أمام محكمة البداءة/ د- يجوز تقديم ادلة جديدة في الاستئناف لتأييد الادعاء والدفع الواردين بداءة).

٢- نقترح اضافة فقرة جديدة لقانون المرافعات المدنية العراقي وتكون على النحو الاتي:

(يجوز تقديم الطلبات الجديدة على استثناءً أمام محكمة الاستئناف، ولا يعد هذا توسعاً في الأثر الناقل للاستئناف، فهي تقوم على نفس السبب الذي قام عليه الطلب الأصلي، وبين ذات الخصوم الذين سبق تمثيلهم أمام محكمة أول درجة، وفي نفس الموضوع المطروح على محكمة أول درجة أيضاً).

الهوامش:

١- ينظر: د. عصمت عبد المجيد، شرح احكام قانون المرافعات المدنية، دار السنهوري، بغداد ٢٠١٩، ص ٨٢٢.

٢- ينظر: أستاذنا د. أحمد سمير محمد ياسين الصوفي، الطعن الاستئنافي في الأحكام القضائية المدنية، دار الكتب القانونية، مصر، ٢٠٢١، ص١٩٩.

٣- ينظر: محمد نصر الدين كامل، الاستئناف في المواد المدنية والتجارية حتى آخر تعديل، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص٥٣٠_ د. عبد الحميد الشواربي، طرق الطعن في الاحكام المدنية، دار الكتب والدراسات العربية، مصر، ٢٠٢٠، ص١٥٢.

٤- ينظر: المادة (١٩٢) من قانون المرافعات العراقي النافذ.

٥- ينظر: د. حلمي محمد الحجاز، القانون القضائي الخاص، ط٣، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٩٦، ص٣٦٧.

٦- ينظر: مدحت المحمود، شرح قانون المرافعات المدنية، المكتبة القانونية شارع المتنبي، بغداد، بدون سنة النشر، ص٢٦٤.

٧- ينظر: مدحت المحمود، مصدر سابق، ٢٦٥.

٨- ينظر: أستاذنا د. أحمد سمير محمد ياسين الصوفي، مصدر سابق، ص٢٠٠.

٩- ينظر: د. مصطفى مجدي هرجه، الموسوعة القضائية في قانون المرافعات، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٥، ص٤١١.

١٠- ينظر: د. أحمد مليجي، الموسوعة الشاملة في التعليق على قانون المرافعات، الجزء الرابع، نادي القضاة، القاهرة، ٢٠١٤، ص٨٤٧.

١١- ينظر: أستاذنا د. أحمد سمير محمد ياسين الصوفي، مصدر سابق، ص٢٠٣_ د. أحمد هندي، قانون المرافعات المدنية والتجارية، النظام القضائي والاختصاص والدعوى، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، ١٩٩٥، ص٦١٥.

١٢- ينظر: د. نبيل اسماعيل عمر، الوسيط في الطعن في الاستئناف في المواد المدنية والتجارية، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٤، ص٧٤٣.

١٣- ينظر: د. أحمد أبو الوفا، الأحكام الصادرة قبل الفصل في الموضوع، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٧، ص ١١، بند٩٤__ د. محمد نور شحاته، نطاق النزاع في الاستئناف في المواد المدنية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٢٨.

١٤- ينظر: محمد العشماوي، قواعد المرافعات في القانونين الاهلي والمختلط، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٢٧، ص٦٤٤_ د. علي ابو عطية هيكل، فكرة التصدي

امام محكمة الاستئناف، دار الجامعة الجديدة،٢٠١٩، ص٥١.

١٥- ينظر: د. وجدي راغب، النظرية العامة للعمل القضائي، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٧٤، ص٢١١.

١٦- ينظر: د. وجدي راغب، النظرية العامة للعمل القضائي، مصدر سابق، ص٣٥١_ د. علي عبد الحميد تركي، نطاق القضية في الاستئناف دراسة تحليلية مقارنة، كلية الحقوق جامعة حلوان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩، ص٤٤ وما بعدها_ د. علي ابو عطية هيكل، مصدر سابق، ص١٤٠الى١٥٩.

١٧- ينظر: د. وجدي راغب، النظرية العامة للعمل القضائي، مصدر سابق، ص٢١٣.

١٨- ينظر: د. نبيل اسماعيل عمر، الوسيط في الطعن في الاستئناف، مصدر سابق، ص٧٤٤.

١٩- ينظر: فتحي والي، المبسوط في قانون القضاء المدني علماً وعملاً، دار النهضة العربية، القاهرة ٢٠١٧، ص٥٥٢_ عبد المنعم حسني، طرق الطعن في المواد المدنية والتجارية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٥، ص٢٨٩.

٢٠- ينظر: د. نبيل اسماعيل عمر، الوسيط في الطعن في الاستئناف، مصدر سابق، ص٧٤٤.

٢١- ينظر: د. أحمد هندي، قانون المرافعات، مصدر سابق، ص ٦٢٣ _ د. أحمد مليجي، الموسوعة الشاملة في التعليق على قانون المرافعات، مصدر سابق، ص ١٠١٤.

٢٢- ينظر: د. عبد الحكم فودة، اسباب صحيفة الاستئناف، دار الفكر العربي، الاسكندرية، ٢٠١٤، ص٣١٠.

٢٣- ينظر: د. عبد الحميد المنشاوي، كنوز المرافعات الدفاع والدفوع، دار الجامعة الجديدة، القاهرة، ٢٠١٥، ص١٠٠١_ راشد أحمد ابو شنب، النظام القانوني لاستئناف الاحكام المدنية، دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠١٧، ص١٠٩.

٢٤- ينظر: المادة (١٩٢) من قانون المرافعات العراقي، والمادة (٢٣٢) من قانون المرافعات المصري، والمادة (٥٦١) من قانون الإجراءات المدنية الفرنسي.

٢٥- ونجد هنا ان سلطة محكمة الاستئناف تختلف عن سلطة محكمة التمييز، حيث ان سلطة محكمة الاستئناف تمتد إلى فحص الدعوى البدائية والمسائل التي تم طرحها فيها سواء كانت مسائل قانونية او واقعية، بينما سلطة محكمة التمييز تقتصر على رقابة المسائل القانونية، ومن ناحية اخرى فأن محكمة التمييز تقرر ما تراه من المواد القانونية في المسائل المعروضة عليها دون تطبيقها على النزاع ودون الفصل في

الموضوع، في حين ان المحكمة الاستئنافية تتناول المسائل القانونية المتعلقة بالنزاع المعروض عليها وبموجبه تقرر ما تراه مناسباً على وقائع الدعوى وتفصل في موضوعها، ولا تعيد القضية إلى المحكمة المطعون في حكمها كما هو الحال بالنسبة لمحكمة التمييز، كما أن محكمة الاستئناف إذا فسخت حكم محكمة البداءة فصلت في الدعوى من جديد، أما إذا نقضت محكمة التمييز الحكم المميز فلا تفصل في الدعوى بل تعيدها إلى المحكمة التي أصدرت الحكم المميز لتفصل في.

٢٦- ينظر: د. وجدي راغب، مبادئ القضاء المدني، منشأة لمعارف، الاسكندرية، ١٩٨٦، ص٣٥٦_ د. أحمد السيد الصاوي، الوسيط في شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية، مطبعة مراد ابو المجد، القاهرة ٢٠١٢، ص٢١٧.

٢٧- ينظر: د. علي عبد الحميد تركي، مصدر سابق، ص١٣٣.

٢٨- ينظر: د. أحمد السيد الصاوي، الوسيط في المرافعات المدنية والتجارية، مصدر سابق، ص٣٧٠.

٢٩- ينظر: د. أحمد مليجي، الطعن بالاستئناف وفقاً لنصوص قانون المرافعات معلقاً عليها بآراء الفقه واحكام القضاء، ج٢، نقابة المحامين (لجنة المكتبة والفكر القانوني)، بدون سنة النشر، ص١٣١.

٣٠- ينظر: د. معوض عبد التواب، المرجع في التعليق على قانون المرافعات، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٩١٩.

٣١- ينظر: د. علي عبد الحميد تركي، مصدر سابق، ص١٩٧.

٣٢- ينظر: د. أحمد هندي، التعليق على قانون المرافعات على ضوء احكام النقض واراء الفقهاء، ج٤، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٨، ص٣٧٣.

٣٣- ينظر: أستاذنا د. فرات رستم امين، استنفاذ ولاية القاضي المدني في الدعوى المدنية، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية، السنة (٧) العدد (٢٧)، ٢٠١٥، ص٦.

٣٤- ينظر: د. فتحي والي، الوسيط في قانون القضاء المدني قانون المرافعات المدنية والتجارية واهم التشريعات المكملة له، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٩، ص١٣٧.

٣٥- ينظر: د.عبد الباسط جميعي، شرح قانون الإجراءات المدنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٤، ص٤٧٩.

٣٦- ينظر: د. فتحي والي، الوسيط في قانون القضاء المدني، مصدر سابق، ص ٦٦٢_ د. أحمد ماهر زغلول مراجعة الاحكام بغير طرق الطعن، دار النهضة العربية، ١٩٩٧، ص٢٨_ د. حسام مهنى صادق عبد

الجواد، الاثار الاجرائية للحكم القضائي المدني، ط١، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ٢٠١١ـ، ص٢٣٢.

٣٧- ينظر: إبراهيم نجيب سعد، القانون القضائي الخاص، الجزء الأوّل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٤، ص٣٠٠.

٣٨- ينظر: د. أحمد ماهر زغلول، مراجعة الاحكام بغير طرق الطعن، مصدر سابق، ص٣٨.

٣٩- ينظر: د. أحمد ابو الوفا، التعليق على نصوص قانون المرافعات، منشأة المعارف الاسكندرية، القاهرة، ١٩٦٩، ص٧٢١.

٤٠- ينظر: د. أحمد السيد الصاوي، مصدر سابق، ص٦٤٨.

٤١- ينظر: المادة ٤٨١/ ١ من قانون الإجراءات المدنية الفرنسي، والتي تقضي (بأن القاضي يستنفد سلطته في خصوص المنازعة التي فصل فيها بمجرد صدور الحكم)، وتجري العبارة باللغة الفرنسية على النحو التالي

- Le jugement, dés son prononcé, dessaisit le juge de la contestation qu'il tranche.

٤٢- ينظر: د. وجدي راغب، مبادئ القضاء المدني، مصدر سابق، ص٦٤٠.

٤٣- ينظر: عز الدين الدناصوري وحامد عكاز، التعليق على قانون المرافعات، دار محمود للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١، ص٤١٩.

٤٤- ينظر: قرار نقض مدني مصري، جلسة ١١/ ١١/ ١٩٦٥، س١٦، ص١٠٢٦، حيث قضت محكمة النقض بانه (نه عملا بالأثر الناقل للاستئناف، فإن محكمة الاستئناف تنظر الاستئناف على أساس ما يقدم إليها من أدلة وأوجه دفوع أو دفاع جديدة وما كان قد قدم من ذلك أمام محكمة أول درجة، ولو كان ذلك بعد النقض والإحالة طالما أن المحكمة لم تخالف في ذلك ما فصل فيه الحكم الناقض) مجموعة احكام النقض المصرية.

٤٥- ينظر: محمد العشماوي ود. عبد الوهاب العشماوي، مصدر سابق، ص ٨٨٩.

٤٦- ينظر: د. علي عبد الحميد تركي، مصدر سابق، ص١٠٧.

٤٧- ينظر: قرار نقض مدني مصري، جلسة ٢٤/ ٦/ ١٩٧٤، س٢٥، ص١١١١، حيث قضت محكمة النقض بأنه (أن قضاء محكمة أول درجة برفض الدعوى بحالتها، هو قضاء تستنفد به له أن يعرض ولاية الفصل في موضوعها، ويتعين على محكمة الاستئناف الفصل في موضوع الدعوى إذا ما رات إلغاء هذا الحكم، وذلك لا يمثل إخلالا بمبدأ التقاضي على درجتين)، مجموعة احكام النقض المصرية.

قائمة المصادر:

١. إبراهيم نجيب سعد، القانون القضائي الخاص، الجزء الأوّل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٤.

٢. أحمد أبو الوفا، الأحكام الصادرة قبل الفصل في الموضوع، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٧.

٣. أحمد ابو الوفا، التعليق على نصوص قانون المرافعات، منشأة المعارف الاسكندرية، القاهرة، ١٩٦٩.

٤. أحمد السيد الصاوي، الوسيط في شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية، مطبعة مراد ابو المجد، القاهرة ٢٠١٢.

٥. أحمد سمير محمد ياسين الصوفي، الطعن الاستئنافي في الأحكام القضائية المدنية، دار الكتب القانونية، مصر، ٢٠٢١.

٦. أحمد ماهر زغلول، مراجعة الاحكام بغير طرق الطعن، دار النهضة العربية، ١٩٩٧.

٧. أحمد مليجي، الطعن بالاستئناف وفقاً لنصوص قانون المرافعات معلقاً عليها بآراء الفقه واحكام القضاء، ج٢، نقابة المحامين (لجنة المكتبة والفكر القانوني)، بدون سنة النشر.

٨. أحمد مليجي، الموسوعة الشاملة في التعليق على قانون المرافعات، الجزء الرابع، نادي القضاة، القاهرة، ٢٠١٤.

٩. أحمد هندي، التعليق على قانون المرافعات على ضوء احكام النقض واراء الفقهاء، ج٤، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٨.

١٠. أحمد هندي، قانون المرافعات المدنية والتجارية، النظام القضائي والاختصاص والدعوى، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، ١٩٩٥.

١١. حسام مهنى صادق عبد الجواد، الاثار الاجرائية للحكم القضائي المدني، ط١، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ٢٠١١.

١٢. حلمي محمد الحجاز، القانون القضائي الخاص، ط٣، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٩٦.

١٣. راشد أحمد ابو شنب، النظام القانوني لاستئناف الاحكام المدنية، دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠١٧.

١٤. عبد الباسط جميعي، شرح قانون الإجراءات المدنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٤.

١٥. عبد الحكم فودة، اسباب صحيفة الاستئناف، دار الفكر العربي، الاسكندرية، ٢٠١٤.

١٦. عبد الحميد الشواربي، طرق الطعن في الاحكام المدنية، دار الكتب والدراسات العربية، مصر، ٢٠٢٠.

١٧. عبد الحميد المنشاوي، كنوز المرافعات الدفاع والدفوع، دار الجامعة الجديدة،

القاهـرة، ٢٠١.
١٨. عبـد المنعـم حسـني، طـرق الطعـن في المـواد المدنيـة والتجاريـة، دار النهضـة العربيـة، القاهـرة، ١٩٧٥.
١٩. عـز الديـن الدناصـوري وحامـد عـكاز، التعليـق عـلى قانـون المرافعـات، دار محمـود للنـشر والتوزيـع، القاهـرة، ٢٠١١.
٢٠. عصمـت عبـد المجيـد، شرح احـكام قانـون المرافعـات المدنيـة، دار السـنهوري، بغـداد ٢٠١٩.
٢١. عـلي ابـو عطيـة هيـكل، فكـرة التصـدي امـام محكمـة الاسـتئناف، دار الجامعـة الجديـدة،٢٠١٩.
٢٢. عـلي عبـد الحميـد تركـي، نطـاق القضيـة في الاسـتئناف دراسـة تحليليـة مقارنـة، كليـة الحقـوق جامعـة حلـوان، الطبعـة الثانيـة، ٢٠٠٩.
٢٣. فتحـي والي، المبسـوط في قانـون القضـاء المـدني علـماً وعمـلاً، دار النهضـة العربيـة، القاهـرة ٢٠١٧.
٢٤. فتحـي والي، الوسـيط في قانـون القضـاء المـدني قانـون المرافعـات المدنيـة والتجاريـة واهـم التشريعـات المكملـة لـه، دار النهضـة العربيـة، القاهـرة، ٢٠٠٩.
٢٥. فـرات رسـتم امـين، اسـتنفاذ ولايـة القـاضي المـدني في الدعـوى المدنيـة، بحـث منشـور في مجلـة جامعـة تكريـت للعلـوم القانونيـة، السـنة (٧) العـدد (٢٧)، ٢٠١٥.
٢٦. محمـد العشـماوي، قواعـد المرافعـات في القانونـين الاهـلي والمختلـط، مطبعـة الاعتـماد، القاهـرة، ١٩٢٧.
٢٧. محمـد نـصر الديـن كامـل، الاسـتئناف في المـواد المدنيـة والتجاريـة حتـى آخـر تعديـل، منشـأة المعـارف، الإسـكندرية، ١٩٩٣.
٢٨. محمـد نـور شـحاته، نـط نطـاق النـزاع في الاسـتئناف في المـواد المدنيـة، دار النهضـة العربيـة، القاهـرة، ١٩٨٨.
٢٩. مدحـت المحمـود، شرح قانـون المرافعـات المدنيـة، المكتبـة القانونيـة شـارع المتنبـي، بغـداد، بـدون سـنة النـشر.
٣٠. مصطفـى مجـدي هرجـه، الموسـوعة القضائيـة في قانـون المرافعـات، دار المطبوعات الجامعيـة، الاسـكندرية، ١٩٩٥.
٣١. معـوض عبـد التـواب، المرجـع في التعليـق عـلى قانـون المرافعـات، ط١، دار النهضـة العربيـة، القاهـرة، ٢٠٠٠.
٣٢. نبيـل اسـماعيل عمـر، الوسـيط في الطعـن في الاسـتئناف في المـواد المدنيـة والتجاريـة، دار الجامعـة الجديـدة للنـشر، الاسـكندرية، ٢٠٠٤.
٣٣. وجـدي راغـب، النظريـة العامـة للعمـل القضائـي، منشـأة المعـارف، الاسـكندرية، ١٩٧٤.
٣٤. وجـدي راغـب، مبـادئ القضـاء المـدني، منشـأة لمعـارف، الاسـكندرية، ١٩٨٦.

جولة المبتدي

محور
الدراسات الفلسفية

جولة المبتدي

فكرة الكمال وتأريخها في الفلسفة اليونانية والفلسفة الوسيطة دراسة فلسفية

أ. م. د. زينه علي جاسم الحسن
جامعة الكوفة / كلية الفقه
قسم العقيدة و الفكر الاسلامي

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لله رب العرش العظيم اللَّهُمَّ صَلَّ على جواهر الكمال وبحار الأنوار وينابيع الرحمة مُحَمْدٍ وآله الأطهار الغر الميامين.

أما بعد: ليس من الغريب أن نتناول فكرة الكمال ضمن الفكر الإسلامي وهو الفكر الذي جعل من هذه الفكرة جوهرًا ومحورًا لمنظومته المعرفية والقيمية فما هو كامل هو جميل أو جليل بالضرورة وذلك بحسب طبيعته وطبيعة الموقف الشعوري أو الجمالي منه.

فالكمال ليس مجرد عنصر من عناصر الجمال أو الجلال، بل هو الجوهر فيهما فمنه تستمد الظواهر والأشياء جماليتها وبه تتمدد تاثيراتها الإنفعالية من حسية، ومعنوية، وروحانية، وهو يعني النظام الأسمى للقيم والمثل كافة وأنه عكس وضد النقص. أن الشيء الكامل هو الشيء الذي يخلو من أي عنصر من عناصر النقص، وأَنَّه المُكّمل لكل ما في الكون من جمال وجلال، وحيث أَنَّ جمال الشيء لا يتحقق في غياب الكمال، نجد على العكس تماماً حيث يتحقق الكمال حتى وإنْ اختفى عنصر الجمال والجلال، وفي ضوء ما تقدم يتحدد

مفهوم الكمال في الفكر الإسلامي بحصول الموجود على سماته الوجودية الخاصة به المميزة له من سواه من دون زيادة أو نقصان.

ومن هنا جاء اهتمام الفلاسفة بمفهومي الكمال والجمال؛ كونهما يمثلان معنى الوجود والخير وما يشير إليه الكمال عند كل فيلسوف من الفلاسفة، فالفارابي مثلاً أحد أهم الفلاسفة الذين تناولوا هذا المفهوم تناولاً فلسفيًا جادًا، فقد سعى هذا الفيلسوف إلى تقديم إجابة عن فكرة الكمال أو بمعنى آخر معنى الكمال ومدى تحققه، وبما أن هذه الفكرة (الكمال) خلقت الحافز عند الفلاسفة؛ لما تحويه أو تمثله فكرة القيمة المطلقة اللامتناهية للذات الإلهية هو من نفس الشعور عندي، وكان الحافز المشجع الذي قادني للبحث في هذا المجال، فوجدت أروع من بحث في هذا المجال وصاغه بحس وافي، ومعنى دقيق أقرب إلى النفس والفطرة ذلك الفذ من فلاسفة المشرق ألا وهو «الفارابي».

~~الملخص~~

جاء بحثي هذا يحمل عنوان « **فكرة الكمال وتأريخها في الفلسفة اليونانية و الفلسفة الوسيطة** « إذ لم تكن رغبتي الذاتية والأساسية هي الدافع الوحيد بل حبي الأكيد لهذا الموضوع، فضلاً عن اتفاقي مع الفارابي في اعتقاده بأَنَّ الكمال هو «الشيء الذي يخلو من النقص، وأن الفيلسوف الكامل هو الحاصل على جميع الكمالات، فضلاً عن اطلاعي على أهم ما تضمنه هذا الموضوع باعتبار أن دراستي لهذا البحث هي دراسة فلسفية.

وعندما نقصد دراسة فلسفية أَنَّنا لا نقصد من مبحثنا الموضوع إنْ كان فيه قرب من أحد الاختصاصات دراسة على وفق متطلبات ذلك الاختصاص، والبحث في الموضوعات الجزئية المتعلقة به، وإنّما التوجه نحو دراسة المفاهيم والطرق المتعلقة بها دراسة تحليلية نقدية شاملة تبحث في ماهية الموضوع العامة والطرق المنطقية، والمعرفية المؤدي إليها بحثنا في حقيقته، وبإيجاز فأَنَّ هذه الدراسة

تهدف إلى تقديم وجهة نظر فلسفية عامة عن الموضوع، وليست هدفها تقديم وجهة نظر جزئية تتعلق بالاختصاصات الأخرى.

وبشكل عام يمكن القول إنّ الوصول إلى الكمال من وجود الله تعالى له أهمية كبيرة من نواحي عدة وجوانب كثيرة بالنسبة للإنسان، وذلك إنّ أهميته تكمن في كونه عندما يصل إلى الاعتقاد بوجود الله وجودًا فعليًا وكاملًا، فإنّ هذا الاعتقاد يُشعره باطمئنان نفسي وبسعادة كاملة روحية، فهو شعر بأمان من حيث شعوره من يسنده مما يسهل عليه أن يشق طريق الحياة الصعب، فضلاً عن أن هذا الاعتقاد بوجود الله وجودًا فعليًا سيسهل على الإنسان رهبة ما بعد الموت عبر اعتقاده بوجود حياة أخرى كاملة أبدية يعيش فيها براحة تامة وسعيدة وكاملة؛ إذ لو جمعت كل هذه الأمور لكان لها تأثير كبير في طريقة تفكير الإنسان فهي تساعده على تجاوز مصاعب الحياة الدنيوية.

الكلمات المفتاحية : الكمال ، الجلال ، الفلسفة .

والحَمْدُ للهِ رب العالمين

المبحث الأول

لمحة تاريخية عن الكمال بصورة عامة

تمهيد:

في الحقيقة يسعى الإنسان خلال مسيرة حياته واختلاف مراحلها العمرية وتنوع ظروفها وتطور مستوى تفكيره، إلى إشباع حاجته من التذوق الكمالي، فيتفنن بكل ما هو كامل وينشد إلى ما هو أكمل ليتقن كيفية اقتناء كل ما هو كامل، باحثًا عنه في كل شيء يشبع هذه الرغبة، فيحاول أن يظهر أمام الآخرين بمظهر جيد في الشكل، والحديث، وفي المكان الذي يسكن، وفي كل شيء تقريبًا نجده خاضعًا لمعايير ميزان داخلي خاص بالإنسان، وهذه المعايير تحدد وتقنن في اختيار كل ما هو كامل، وتنبئ هذه المعايير عن احساس وشعور بالشيء الكامل وبالشكل المبدع، وهما يكونان بالضرورة في منتهى التباعد عن القبيح.

فالإنسان مهتم بطبعه بالكمال حاسٌ بقيمته وتأثيره في نفسه ساعيًا في ابتداع الكامل من خلال كماله المتعدد، باحثًا عن مواطن الكمال وعالمًا بقدر تأثيره عليه وعلى الآخرين، فيا ترى ماذا يعني الكمال؟

عند هذا السؤال يجد الإنسان نفسه في مفترق الطرق إما أن يحاول الإجابة عنه، وهذا يدفعه إلى البحث والتنقيب في العديد من المصادر لعله يجد ضالته، وهو بذلك سوف يكّون رأيًا مبدئيًا شخصيًا قد يكون مع أو ضد الآراء السائدة، أو أن يُخرج هذه الفكرة أساسًا من ذهنه، وعلى هذا الأساس ومن خلال هذه المسيرة في البحث سوف نجيب عن هذا السؤال؟

المبحث الأول

تعريف الكمال بصورة عامة

الكمال ما يكمل به النوع في ذاته أو في صفاته، والأول أعني ما يكمل [١] به النوع في ذاته، وهو الكمال الأول لتقدمه على النوع، والثاني أعني ما يكمل به النوع في صفاته، وهو ما يتبع النوع من العوارض هو الكمال الثاني لتأخره عن النوع، ومعنى ذلك أن الكمال الأول تتوقف عليه الذات على حين أن الكمال الثاني يتوقف على الذات [٢].

أن الكامل من تمت أجزاؤه أو صفاته خلاف الناقص والكمال اسم مصدر يقال لك كمال الشيء أي لك الشيء كله [٣] ، ذلك أن الكامل يقال على الموجود الذي لا يفوقه موجود آخر فكان يقال مثلًا «طبيب كامل» ومعنى ذلك أن هذا الطبيب لا ينقصه صفة من صفات فن التطبيب، وعند ديكارت «الله» هو الموجود المطلق والكمال الذي لا يمكن أن ينقصه كمال ما، ويقول كذلك أن طبيعة لها بذاتها جميع الكمالات التي أستطيع أن أتصورها هي في كلمة واحدة «الله» عز وجل وعند ليبنتز المونادا كمال أول لأنها حاصلة على التلقائية، فلا تفعل بتحريك محرك مغاير وحالاتها كلها باطنة يتولد بعضها من بعض[٤].

فالكمال اصطلاحًا بناء على ما تقدم هو وصف ما ليس فيه عيب أو نقص، وهو غالبًا ما

يستخدم لوصف الخالق في الديانات التوحيدية ويستخدم المصطلح بشكل كبير في الكتب الميتافيزيقية والدينية والأخلاقية للدلالة على الحالة المثلى[٥].

المبحث الثاني

الكمال عند الفلاسفة اليونان

يذكر سقراط في مطلع الفصل الثامن من كتابه جمهورية أفلاطون عن الدولة الكاملة، والفرد الكامل بقوله، تقسم الحكومات إلى خمسة أنواع كبرى هي الأرستقراطية، والتيمو كراسة، والاوليفاركية، والديمقراطية، والاستبدادية، ومن ثم كان هنالك خمسة أنواع كاملة من صفات الأفراد تطابق أنواع الحكومات الخمسة؛ لأن الدولة يقول سقراط هي نتاج أفراد أهاليها فيرجع في درس سجينها إلى درس سجيتهم كل ذي بداءة ميال إلى الذبول، وعليه ففي مجرى الزمان ينشا الانقسام بين طبقات الأمة الكاملة الثلاث كما بين أفراد كل منها، والنتيجة الراجحة هي حصول تسوية بين أحزاب الطبقتين غرضها الوصول إلى الكمال الأقصى[٦]؛ إذ إن الفيثاغورثيين كانوا يرون الجمال في الكمال الرياضي، وكذا الحال بالنسبة إلى أوغسطين وتوما الاكويتي حيث يعتقدان أن الجمال يتحدد بثلاثة أمور هي «الكمال والانسجام والوضوح» كما يجدر وجوب الإشارة إلى أن كلاً من أوغسطين وتوما الاكويني كانا واقعا عن تاثير نظرية الفيض الافلوطنية غير أنه ثمة فرق واضح بين القول بأن الكمال أحد شروط الجمال وبين القول بأن الكمال هو الجوهر في القيم الجمالية عامة[٧]، وأن مفهوم الكمال يتحدد بحصول الموجود على سماته الوجودية الخاصة به والمميزة له من سواه من دون زيادة أو نقصان، فأفلاطون ابتدع اليونوبيا واعتبرها هي المدينة الفاضلة، وافترض أفلاطون أن سكان يونوبيا هم «طين السماء»، كما أنهم الصفوة الذين يرهقون ذواتهم لتذوب في الذات الجمعية فاليوتوبي مثل الطبيب ينحني على آهات المحزون ليغسل وهقه بلمسة الرحمة ويزيل ألمه بديمة الحنان.

أن أفلاطون عرف الكمال على إنّه تجلي للحقيقة المطلقة وهو هبة مقدسة جاءت للإنسان من العالم الإلهي، وفهم مهمة اليوتوبي على إنّها أخطر وأعظم من مجرد التعبير عن الحقيقة القصوى، واليوتوبيا التي افترضها أفلاطون هي فلسفة البحث عن الكمال واعتقاد خفي في الإنسان بإنّ ثمة عالم متكامل تتناغم فيه القيم العليا والمثل تناغمًا كماليًا [٨].

فالمثل تعد الكمالَ المقابلِ لنقص الأفراد والسوفسطائيون يشتقون من النمط الكامل بمقدار اقترابهم وابتعادهم عنه، والمثل هو العلة الحقيقية في وجود الأشياء، وأن علة وجود الأشياء هو مشاركتها في المثال الذي تعود إليه وهي أي المثل ليست أشياء بل هي أفكار، بمعنى إنّها افكار لها وجودها الموضوعي وحقيقتها، و إنّها ماهيات الأشياء الجزئية وهذا يعني أنها ما يمثل الحقيقة الأساسية للشيء أو ما هو له، والذي ينصب عليه التعريف والمثال هو واحد [٩]، والواقع إنّ اهتمام أفلاطون الأساسي خلال مراحل حياته كلها كان تأسيس الحياة الاجتماعية على أسس قوية يرضاها العقل، كذلك فإنّ المشكلة الأخلاقية كانت بالفعل مركز التفلسف السقراطي أخيرًا فكان الشغل الشاغل لكل أبناء العصر هو مسألة الفضيلة، فالفضيلة بمعناها العام هي حسن أداء الوظائف، والفضيلة بمعناها الخاص هي الكمال الأخلاقي [١٠]،

أما الكمال عند أرسطو هو مصطلح أرسطي يُراد به:

١-ما تم في مقابل ما لم يتم والكمال الذي يتحقق بهذا التمام.

٢-الصورة أو اللوجوس الذي يخرج ما هو بالقوة إلى ما هو بالفعل ويطلق على النفس فيقال هي كمال الجسم [١١].

ولكن الخير والكمال في كل شيء يختلف تبعًا للفضيلة الخاصة بهذا الشيء، وبالنتيجة الخير الخاص بالإنسان هو فاعلية النفس التي مسيرتها الفضيلة فإذا وجدت عدة فضائل فالفاعلية المسيرة بأرفعهن وأكملهن [٢١].

وقد وضع مجموعة براهين على هذا

الكمال فيها:

١-البرهان الأنطولوجي: الانتقال من فكرة الكائن الكامل إلى ضرورة وجود هذا الكائن الكامل؛ لأن الوجود جزء من «الكمال».

٢-البرهان عن طريق درجات الكمال: نجد أن الكائنات تختلف في درجة الكمال التي تظهرها وأن بعضها أكثر كمالاً من غيرها، ونقيس كمالَها على أساس مشابهتها لكمالٍ أعلى وهذا الكمال الأعلى هو الله [٣١].

وتوجد براهين أخرى منها: البرهان الغائي، البرهان عن طريق الإمكان والضرورة، البرهان من العلة الفاعلة.

فإذا كانت الصورة من المادة بمثابة مبدأ الكمال من الشيء الذي يتكامل به أمكننا أن ننظر إلى التمييز بين الصورة والمادة، وذلك من خلال تمييز ميتافيزيقي أوسع وهو التمييز بين الفعل والقوة، وهو تمييز أقرب إلى المفاهيم العقلية المجردة من التمييز بين المادة والصورة، ولكي ندرك طبيعة القوة هذه دعنا نفحص عن طبيعة التغير أو الصيرورة، حيث تفيد الصيرورة تحولاً من طور إلى طور أو من حال إلى حال، فلو تساوت هذه الأطوار أو الأحوال من جميع الوجوه لاستحالت الصيرورة أصلاً اذا لم طور ما اولى من طور آخر بالوجود كما ترى من أمر الأجرام السماوية التي لا يعتروها نقص فلم تلحق بها الصيرورة أصلاً فالصيرورة إذن مرتبطة بالنقص الذي يلحق بسائر الموجودات في عالم الكون والفساد وبطلبها للكمال أبدًا وهي قد تدرك مرتبة الكمال ذاك بفعل الموجودات الكاملة التي تسبغ كمالها عليها ولا سيما الفعل المحض الذي هو غاية الكمال الذي تصبو إليه جميع الموجودات وتستمد كمالها منه آخر الأمر فكل الموجودات الكائنة الفاسدة في صيرورة دائمة لأنها في طلب دائم لكمال هذه الفعل المحض [٤١]، والكمال سابق للقوة ففي الموجود بالقوة قابلية للعدم لأن الموجود بالقوة إما أن يكون أو لا يكون أما الموجود بالفعل أبدًا أي للكائنات الأزلية فليس فيه قابلية للعدم قط.

وأما افلوطين فإنّه يستوحي مبادئ فلسفته أساسًا من أفلاطون لذلك سميت فلسفته بـ«الأفلاطونية المحدثة» وبشكل خاص يطور افلوطين بعض الأفكار الأساسية التي وردت في بعض المحاورات الأفلاطونية كي يُكون تصورًا خاصًا للوجود والعالم لمنزلة الإنسان، ذلك أن المبدأ الأساسي الذي يجب الانطلاق منه افلوطين هو الواحد، ويعتبر افلوطين أن هذا الواحد هو المبدأ الأول والذي يمكن أن نسميه أيضًا «الله» أو «الكمال» هو الذي يجب أن ننطلق منه لنفهم وجود العالم وليس العالم المحسوس فقط بل وكل الوجود المعقول، والنفس التي تسير العالم المادي ونفس الإنسان ومنزلته في الكون حيث ينقسم العالم عند افلوطين إلى عالمين: العالم المعقول وهو الحقيقي وعالم المحسوس وهو الزائف أو غير الحقيقي وبما أن العالم الأول هو الحقيقي فحسب فإنّ افلوطين يوجه اهتمامه الفلسفي إلى العالم الأول في الجردة الأولى فيرى أنه ينقسم إلى ثلاثة معقولات وهذه المعقولات هي «الواحد، العقل، النفس» ويشرح افلوطين العلاقة القائمة فيما بينهما من جهة وفيما بينها وبين العالم المحسوس من جهة ثانية بطرحه مثال الدوائر [٥١]، وذلك أننا نلحظ أن الواحد هو المركز الذي تشع منه دائرة مضيئة تحيط حول هذه الدائرة دائرة ثانية مغيرة تنبع من النور الأول وحول هاتين الدائرتين ثمة دائرة ثالثة مظلمة غير أنها تستمد النور من مصدر خارج عنها وهو الدائرة الثانية؛ إذ أن هذا المثال يؤكد أن الواحد (أو الكمال) هو القطب الذي تتمحور حوله الدوائر أو الموجودات الأخرى أو هو مركز الفيض الذي تستمد منه الموجودات المعقولة والمحسوسة وجودها، وحيث أن أقرب الدوائر أو الموجودات إلى الكمال هو العقل الذي يمثله افلوطين بدائرة مضيئة وهي مضيئة فعلاً؛ لأنها تستمد الضوء بشكل مباشر ومن دون وسيط من المركز الفيضي أو الواحد أما النفس فهي الدائرة الثانية وهي دائرة مغيرة غير مضيئة وذلك إنّها تتلقى النور بوساطة العقل أو

الدائـرة الأولى، فهـي إذن دون العقـل ولكنهـا فـوق المـادة والدائـرة الثالثـة المظلمـة؛ لأنهـا مـادة عـلى عكـس الموجـودات العقليـة المفارقـة للـمادة بالـضرورة، ولأنهـا أيضًـا بعيـدة مـن المركـز الفيـضي وهـذه لا ترتبـط بالنـور إلا مـن خـلال العلاقـة بالنفـس أو الدائـرة الثانيـة، فيكـون نورهـا مـن مصـدر عقـلي مسـتقل أو خـارج عنهـا، فالواحـد إذن يفيـض فيتكـون العقـل الـذي يفيـض وتتكـون النفـس التـي تفيـض هـي الأخـرى، فتتكـون كذلـك المـادة، وعنـد المـادة يسـتفد الفيـض امكانيتـه، فـلا يترتـب عـلى المـادة أي فيـض، أمـا الصفـات الايجابيـة التـي يتصـف بـه الكـمال عنـد افلوطـين «اللامتناهـي في مقابـل المتناهـي، والأول في مقابـل مـا بعـده والواحـد في مقابـل الكثـرة والمعقـول في مقابـل العقـل» [٦١]،

وبـما إنّ الإلـه أو الكـمال هـو اللامتناهي والأول والواحـد والمعقـول، فإنّـه يتصـف بالكـمال المطلـق ممـا يجعلـه غنيًـا عـما سـواه، ومـا الفيـض عنـد افلوطـين إلا النتيجـة الطبيعيـة للدرجـة القصـوى التـي بلغهـا الكـمال الإلهـي [٧١]، وعـلى الرغـم مـن أن افلوطـين سيسـهب في الحديـث عـن عـالم المعقـول فإنّـه شـديد الاحـتراز في حديثـه عـن الواحـد والـذي يـرى افلوطـين أن تحديـده بالنفـي هـو الأكثـر، فهـو لا يشـتاق ولا يحتـاج ولا يبحـث ولا يرغـب ولا يفكـر ولا يتحـرك ولا يعـاني ولا يتغـير ولا يتجـزأ ولا يترتـب؛ إذ لـو اتصـف بواحـدة من تلـك الصفـات لـكان ناقصًـا، أو كان وجـوده مشروطًـا بغـيره، أو كان غـيره ذا أثـر فيـه، وهـذا مـا يناقـض الكـمال الإلهـي، وأن العقـل هـو الموجـود الثـاني الـذي يتصـف ببعـض الصفـات التـي للواحـد بسـبب قربـه منـه، فهـو واحـد ولا متنـاه ومفـارق للـمادة أيضًـا إنّـه واحـد؛ لأن الإلـه الواحـد لا يتولـد عنـه إلا واحـدًا ويمتنـع أن تتولـد عنـه الكثـرة وهـو لا متنـاه مـن منظـور إنّ الفيـض الالهـي لا ينقطـع برهـة واحـدة، فـما دام الفيـض قائـمًا (وهـو قائـم سرمديًـا بالـضرورة) فـإنّ لا تناهـي العقـل قائـم أيضًـا، وبـما أن العقـل يتصـل مبـاشرة من دون وسـيط بالواحـد المفـارق للـمادة بالـضرورة، فـإنّ مفارقـة العقـل للـمادة أمـر تقتضيه

طبيعة الدفق الأول للفيض الإلهي [٨١]، ويفترق العقل عن الواحد في أنه ذو موضوع يتفكر فيه إنّه عقل يعي معقولاً أي يمارس فعل التعقل، مما يؤدي إلى أنه بحاجة إلى سواه (الإله) أي أنه ناقص بالنسبة إلى الواحد، ومما يؤدي أيضًا إلى أن الأحدية في العقل أحديةٌ غير مطلقة أي أن احدية العقل تنطوي على ثنائية العقل والمعقول أي أن الكثرة قائمة في الوحدة، وهذه الكثرة تظهر أيضًا في المبادئ البذرية التي تقترب من المثل الأفلاطونية وهي موجودة في العقل بالقوة أو بالإمكان، وتلك المبادئ التي سوف تنعكس كثرة في الموجود الثالث أو النفس كما يقول افلوطين «فالعقل يملك الموجودات والنفس الكلية تتلقاها منه أولاً وفي هذا الكون تكون حياتها» [٩١]، وبهذا يمكن القول أن للعقل «من ناحية الفكر ثلاثة معقولات: الفعل، والحركة والتغير، وله من ناحية الوجود: الثبات وعدم الحدوث في الزمان «[٠٢]، وتأتي النفس في المرتبة الثالثة من الوجود فتتصل بالعقل اتصالاً مباشرًا، وتتشوق إلى الاتصال بالواحد بوساطة الثاني، ويعبر عن ذلك افلوطين بالقول «فلنضع الخير في المركز والعقل في دائرة ثابتة والنفس في دائرة متحركة يحركها الشوق؛ لكون العقل يمتلك الخير مباشرة ويفهمه، أما النفس فتشتاق إلى الخير الذي هو وراء الوجود» [١٢]، أي أن الكمال عند افلوطين يبدأ بالواحد وينتهي في النفس الكلية التي يترتب على فيضها إبداع المادة أو العالم المحسوس، وهو فيض سرمدي لم يبدأ في زمن ولا ينتهي في زمن أيضًا، أو كما يقول افلوطين إنّ العقل «يملأ كل شيء جمالاً وكمالاً ونظامًا ويتوسط النفس فهو موجود خالد ويظل موجودًا أبدًا في فعل لا ينتهي»[٢٢]، ويترتب على ذلك أن المادة موجودةٌ سرمديةٌ أيضًا وبما أن الفيض نتيجته للكمال الإلهي الذي لم يكن وكان والذي لا يعتريه نقص أو تطور أو توقف، فمن البديهي أن تكون المادة سرمديةً غيرَ فانيةٍ، فإنّ ما يفنى هو شكل المادة لا المادة وهذا ما يؤدي إلى أن الخلق من العدم أمر غير وارد في نظرية الفيض بعامة، مما يؤدي أيضًا إلى أن

القصدية في الخلق أو الابداع أمر هو الأخير غير وارد؛ إذ إنّ الابداع الذي هو نتيجته الفيض مرتبطٌ بالكمال الإلهي، إضافة إلى أن الواحد لا يقصد إلى شيء فلو قصد شيئًا لكان محتاجًا إليه أي لكان ناقصًا بالنسبة إلى مقصوده وهذا يتناقض مع صفة الكمال في الواحد.

إنّ فكرة الوحدة في الله هي الأساس في نظرية الله عند افلوطين، ولهذا نجده يحاول ما استطاع أن يسلب عن الله كل الأفكار أو كل الصفات التي من شانها أن تُوهم، أي حتى بمجرد خلق صورة وهمية في العقل الإنساني، بإنّ هناك تعددًا أو تركيبًا فيه فنجده ينكر إنّ يكون الله عقلاً، وإنّ يكون وجودًا، وينكر كذلك إنّ تكون له أية صفة من الصفات كائنة ما كانت هذه الصفة، فالله هو الشيء الذي لا صفة له ولا يمكن أن ينعت ولا يمكن أن يدرك وهو الغني المكتفي بذاته البسيط (٣٢).

وافلوطين يفهم أولاً من الواحد إنّه البسيط في مقابل المركب، وإنّه الذي لا يقبل التجزئ في مقابل الكثرة، وإنّه الأول في مقابل التالي والمشتق، حيث سنجد فكرة الخير عند افلوطين ستنحل في الواقع إلى فكرة العلية بمعنى إنّ الله قوةٌ وهذه القوة تفيض بما فيها فتنتج الوجود، ولكن هذا الفيض ليس معناه خروج هذه القوة نفسها وفيضانها بما فيها في الخارج أو على الخارج، وإنّما معناه أن تظل هذه القوة كما هي في نفسها وتكون العلية عندها أن تبذل آثارها لا أن تبذل جوهرها، وهنا الفارق الكبير بين العلية حينما تقال على الله أو على الأول وحينما تقال على بقية الأشباء، إذن هنا نجد فكرة عميقة يستخدمها افلوطين ألا وهي «فكرة الكمال»، فالعلية هي التي تُضاف وحدها إلى الله وهذه مسألة مهمة في الأفلاطونية المحدثة وفي كل المذاهب التي تقوم لا على التسلسل العلي الذي يظهر واضحًا عند أرسطو، وهو إنّ التحريك انتقال الحركة من المحرك إلى المتحرك وإنّما تقوم على فكرة الكمال، بمعنى وجود حالة تأثر دون تغير في المؤثر، وهذه الحالة تشبه تمامًا تلك التي تحدث عنها أرسطو فيما يتصل بتحرك السماء

الأولى بواسطة المحرك الأول، فحالة العشق التي بها تتجه السماء الأولى إلى المحرك الأول تتحرك دون أن يتغير هو، ومن دون أن يكون ثمة انتقال لحركة من المحرك الأول إلى السماء، وهذه الحالة تشبه تمامًا حالة الكمال المؤثر عند افلوطين فالأشياء إذن أو الوجود بوجه عام ينشأ عن الأول بفيض من هذا الأول، ولا ينقص من ذاته، وإنّما يُحدث وجودًا في الخارج فحسب، والظاهر أنه كلما قلت الوسائط بين الأول وبين الحادث أعني كلما اقترب الحادث من الأول كانت درجته ومرتبته في الوجود والكمال أعظم وأكبر [٤٢].

المبحث الثالث : الكمال عند فلاسفة العصر المسيح : منذ القرون الأولى للمسيحية كانت كلمة «الكمال» مطروحة في الآداب الرهبانية والنسكية كفكرة متداولة، فالراهب يتوخى الكمال وهو يريد أن يصبح مترسخًا على الطريق الذي يؤدي به إلى الكمال، فهل هذا ناتج عن الرهبنة؟ أي هل الميول الرهبانية والنسكية في المسيحية الأولى هي التي ولدت فكرة الكمال التي أوجدت فكرة الصراع والجهاد الروحي؟

والجواب: ليس كذلك بل ربنا هو الذي بث غاية الكمال في صميم بنية الفكر المسيحية الأول لا الرهبان؛ إذ نقرأ في إنجيل القديس متى (٥: ٨) أن ربنا يوصي فكونوا أنتم كاملين كما أَنّ أباكم الذي في السموات هو كامل، حيث إنّ الكمال المطلق لله وحده وإلى هذا الكمال يجب أن يسعى المؤمن بكل قوته؛ لأن هذا أمر الله له، بل إنّ هذه الجملة في الانجيل تقدم الله نفسه كمثال للكمال ينبغي الاقتداء به [٥٢]، ففكرة الكمال تتضمن فكرة اللاتناهي وكمال الله يستبعد جميع الحدود أعني أنه يؤدي إلى لا تناه إيجابي؛ إذ ان كمال الله هو كمال مناسب للوجود بما هو وجود ذلك الكمال الذي يضع فيه الوجود نفسه بنفسه ونحن لا نقول إنّه موجود؛ لأنه كامل وإنّما نقول العكس أنه كامل لأنه موجود، كذلك يمكن القول أن هذا الكامل يتضمن فكرة الخير تابعة لمتضمنات فكرة الوجود ذلك؛ لأن الخير ليس شيئًا سوى جانب من جوانب الوجود، وكمال الوجود لا يستدعي

فحسب جميع التحققات الفعلية ولكنه يستبعد كذلك جميع الحدود أعني أنه يؤدي ذلك إلى تناه إيجابي يرفض كل تعيين[٦٢]؛

إذ إنّ في كل عصر من العصور التي يمر بها الإنسان توجد أسئلة وبالطبع توجد أجوبة لهذه الأسئلة: ومن هذه الأسئلة يوجد سؤال: كيف وجد هذا الكون لو لم يكن هناك موجد؟ وكيف علق على كل ما في هذا الكون الشائع وقد يستمر كل جرم لو لم يكن هناك مهندس الروح كل شيء وجد للإنسان فمن الناس من آمنوا وارتاحوا ومنهم من التهب الإلحاد في ذهنه.

أن قضية الله ووجوده ليست من القضايا الصغيرة التي نتركها مفتوحة أمام الاحتمالات وأمام النفي والإثبات، إنّها قضيةٌ كبيرةٌ جًدا والأدلة على إثبات وجود الله يجب إنّ تكون كبيرة وضخمة جدًا، وقد درج الفلاسفة على تعريف «الله» بواجب الوجود فمن يتكون واجب الوجود هذا؟ كان مدار البحث عند الفلاسفة أسئلة مثلاً : من هو الله؟ وماطبيعته؟ كيف يتكون؟ وممن تكون؟ ومن كونه؟....

١-تعريف الله: الله هو روح محض بسيط مبتعد كل البعد عن التركيب «هذا الإله يكون روحًا بسيطًا وكمالاً وأزليًا وعاليًا وقدوسًا ورحومًا، وينبوع جميع الخيرات»، فالله هو العاقلُ والعارفُ والشاملُ غيرُ محدودٍ البسيط والأزلي، فهو لا يتركب من جوهر وعرض ولا يتألف من مادة وصورة وليس جنسًا أو نوعًا[٧٢].

إنّ لله جل وعلا عدةُ أسماءٍ نرى بعضها في الكتب المقدسة وبعضها الآخر أسماء يطلقها الفلاسفة، يسمى الله في الكتب المقدسة بأسماء مختلفة يلحظ فيه إبداعه للبرايا وبعضها مراحمة وكرامة.

٢- صفات الله: أهم صفةٍ لله هي «كمال الله» وأن لله صفات نعجز عن ذكرها كاملة؛ وذلك لضعف طبيعتنا البشرية التي بها لا نستطيع نحن البشر إدراكه، ومن هذه الصفات إنّه كاملٌ، عادلٌ ومحبٌ، وكريمٌ، وقادرٌ، وحكيمٌ وحرٌ فهو ذخيرةُ الحكمةِ والقدرةِ وعنصر الحياة، ومهما حاول الإنسان الوصول إلى

الكمال المطلق بما عند الله الخالق فإنّه يظل عاجزًا إلى حد ما، ويعتقد الأشخاص العاديون إنّ الإنسان بتقديمه القرابين للرب يمكنه أن يصل لدرجة الكمال لكن ذلك غير صحيح؛ لأن ما يقدمه الناس من ذبائح مركبة من مادة غير ثابتة في الحياة ولا يمكنها أن تمنعهم من الفساد، فالقرابين كانت عبر العهود رمزًا لتقريب الناس من الله أما «الله سبحانه وتعالى» فهو الكمال، والله توجد فيه مجموع الإحسان والكمال وتنتفي عنه الحاجة والنقصان، وأن الإنسان غير كامل وبما إنّه غير كامل فإنّه يدرك أن هنالك ما ينقصه وهو الكمال، ولذلك نراه يصبو إليه ويطمح دائمًا للوصول إليه لكن ذلك يكون دائمًا دون جدوى بدون مساعدة «الله»؛ لأن الإنسان مركب ومهما حاول الوصول فإنّه لا يستطيع وحده ولأن «الله» فقط هو الكامل والمتحكم بالوجود أي أن «الله جل وعلا» يتمتع بالكثير من الصفات، ومن هذه الصفات الكمال وأن الكمال يملك كل شيء وكل الصفات من يملك الكمال فهو مطلق أي للكمال وأن المطلق هو «الله» (٨٢).

أن القديس أوغسطين يقول «أن الله هو الموجود إلى أعظم حد فلا بد أن تكون صفاته عين ذاته؛ إذ إنّ الحاصل على كمال ما دون أن يكون هو ذلك الكمال فهو مشارك فيه ولا يستغرقه كله ويمكنه أن يفقده فيكون كماله متمايزًا منه، وتكون كمالاته متمايزة بعضها من بعض، وعليه فالله «عظيم لا بعظمة مغايرة له بل بعظمة هي عين ذاته» (٩٢)، حيث يقدم انسلم براهين عدة تُثبت وجود الله في كتابين الأول هو كتاب مناجاة، والثاني هو كتاب Proslogium، فيقدم في الكتاب الأول براهين على وجود الله وهذه البراهين تقوم على أمرين:

الأول: إنّ الكائنات مختلفة من حيث درجة الكمال.

الثاني: إنّ اختلافها في الكمال إنّما يرجع إلى مشاركتها في كمال أكبر وهو الله.

إذ يدلنا هذا البرهان الأدبي على وجود الله الذي يتحلى في ضرورة وجود عدالة شاملة في العالم ووجود

أيضًا نظام أخلاقي يردع الشر ويكافئ الخير والله واضع هذا النظام الأخلاقي، أي إنّ المبادئ الأخلاقية التي تجعل العقل والإرادة يوصلان الإنسان إلى الكمال والسعادة، وهذه المبادئ هي في هذا الكون الذي خلقه الله ولم يخلقه الإنسان، إذن الفلسفة ليست بحثًا عن ما قاله الناس أو ما قيل بل هي بحث عن الحقيقة والحق معتمدة على الثبات.

المبحث الخامس : الكمال عند الفلاسفة المسلمين

ابن سينا يعرف النفس بإنّها كمال أول لجسم طبيعي التي ينمو ويتفدي هذا يطلقه على النفس النباتية[٠٣]، أما النفس الحيوانية فهي كمال أول لجسم طبيعي من جهة ما يدرك الجزيئات ويتحرك بالإرادة[١٣]، والنفس الإنسانية كمال أول الجسم طبيعي إلى من جهة ما يدرك الأمور الكلية[٢٣].

ويحد ابن سينا بين ثلاثة مفاهيم وهي النقص، والشر، والعدم، وذلك في قوله: والشر هو العدم ولا كل عدم بل عدم مقتضى طباع الشيء من الكمالات الثابتة لنوعه وطبيعته[٣٣].

أي أن عدم حصول الموجود على ما يقتضي له من الكمالات المميزة لنوعه هو في ذاته شر، أو كما يُعبر ابن سينا بقوله: يقال شر لنقصان كل شيء عن كماله وفقدانه ما من شانه أن يكون له[٤٣].

وتعريف ابن سينا للنفس بأنها كمال إنّما يرجع إلى أن النفس تُعد كمالاً من جهة القوة التي يستكمل بها إدراك الحيوان وتلك التي تصدر عنها فاعلية، كذلك فإنّ النفس المفارقة (كمال) والنفس التي لا تفارق كمال بهذا المعنى[٥٣]، وأما تعريف النفس بأنها كمال أول فإنّ هذا الأمر يعني التي يصير النوع بها نوعًا، أما الكمال الثاني فهو صفة متعلقة بالنوع مثل القطع بالنسبة للسيف والإحساس بالنسبة للإنسان، والنفس كمال أول للجسم بمعنى إنّها كمال لجنس الجسم لا لطبيعته المادية، أما وصف هذا الجسم بأنه جسم طبيعي فذلك يُراد به تميزه عن الجسم الصناعي مثل السرير، والكرسي، والحائط، وكذلك فأنه ليس أي جسم طبيعي

بل هو جسم طبيعي تصدر عنه كمالاته الثانية بالات يستعين بها في أفعال الحياة، وأول مراتبها التغذي والنمو وهو يشير بذلك إلى النبات، أما الحيوان فإنّ له نفسًا تزيد على نفس النبات؛ لأنّها تدرك الجزيئات وتتحرك بالإرادة [٦٣]،

وبهذا فإنّ كل موجود مسيرٌ للكمال بالضرورة بحسب نوعه وطبيعته وهو بذلك مسير لأَنّ يكون جميلاً أو جليلاً، أما أن يكون قبيحًا فأمر غيرُ واردٍ إذا وقع تحت تأثير العوارض السلبية النافية للكمال، إذ أن الموجودات الفائضة بشكل طبيعي ومن دون تأثيرات سلبية مسيرة لأَنّ تكون كاملة، ولا شك في أن هذا ينسجم مع نظرية الفيض التي تفترض إنّ سيرورة الفيض سيرورةٌ كماليةٌ؛ إذ ينتقل الفيض من كمال إلى آخر بغض النظر عن مرتبة الكمال اللاحق بالنسبة إلى الكمال السابق، بل إنّ اخوان الصفا الذين اقاموا الفيض على التخلي الصفاتي الذي عندهم حيث يقولون أن الفيض ينتقل من العلة الى الكمال فالتمام فالبقاء فالوجود[٧٣].

وقد يبدو أنهم يطلقون الكمال على الموجودات التامة أو الباقية أو الموجودة فحسب،

غير أن الأمر ليس كذلك فالموجودات كلها كاملة ذاتيًا، وناقصة بالنسبة إلى الأعلى منها أي أنها كاملة على صعيد طبيعتها الذاتية، وناقصة على صعيد علاقاتها بما هو أعلى منها في مراتب الفيض، وبذلك فإنّ الموجودات الزائلة كاملة على صعيد الوجود ناقصة على صعيد البقاء،

وكذا الحال بالنسبة إلى الموجودات الباقية التي هي كاملة على صعيدها الذاتي (البقاء، والوجود)، ناقصة على صعيد التمام، وينظر ابن سينا إلى مسألة الكمال من منظور الواجب والممكن اتساقًا مع منطلقه الفلسفي، فيرى إنّ كمال واجب الوجود واجبٌ بذاتهِ، على خلاف كمال ممكن الوجود الذي هو كمال ممكن بغيره فهو ممكن بالواجب من جهة، وممكن بالظروف المحيطة من جهة ثانية وذلك بحسب تأثير العوارض، وأما الكندي عن النظام والتكامل في الكون من خلال تأمله إذ «ان الله سبحانه وتعالى لن

يخلق مصروم الطبع بل فكيفيا فنحن ترى الحوت والفيل العجيب المحتاج كل واحد منها إلى الغذاء والمسكن وجميع حاجياته فقد هيئها الله له ولم ينفض شيئًا منه ووفر له حب العيش ورقى البال» [٨٣]، أكد الكندي أن هذا يعتريه الوحدة والكثرة والتركيب، والكثرة هي أثر من آثار الوحدة وإنْ لم تكن كثرة لم تكن وحدة، وأن المحسوسات تهوي الوحدة وأن الوحدة هي هوية المحسوسات، وعليه فعلة الوحدة هي في الواحد الحق الأول ومن ثم تهوي كل محسوس وما يلحقه بالمحسوس، فالوحدة هي ما يسوء هذا الكون في أجزائه فالله هو(الواحد الحق وهو الأول المبدع الممسك بإبداع)[٩٣]، «والوحدة عند الفلاسفة هي الكمال وصفة الكمال هو الواحد الأكمل أي الله وهم قالوا أن الجمال وحدة؛ لأَنّ الواحد صفة الله كما أن الجمال والكمال من صفاته»[٠٤]، فيعطي الكندي تبعًا لذلك صفة الجميل إلى الله تعالى حيث يقول(من الأشياء في الصفات التي نجدها للباري عز وجل هي الحكمة والقدرة والعدل والخير والجميل والحق)[١٤]، وعلى هذا فالكون عند الكندي عبارة عن لوحة فنية واحدة وهو أشبه بالكائن الحي المنسجم التركيب، وبالمعنى نفسه ذهب أرسطو في تطبيقه لمبدأ الوحدة في الفن، على أن العمل الفني يجب أن يكون متكاملاً تسوده الوحدة في كل أجزائه وأي نقص في هذه الأجزاء سوف يخل في قيمة العمل الفني.

لقد طبق الكندي مُتأثِّرا بما ذهب إليه الفيثاغوريون في ربطهم الأعداد بالموسيقى؛ إذ يقولون «يجب أن يكون الانتقال من نغمة إلى نغمة كاملة بنسبة عددية بسيطة، وأن تكون هذه النقلة مؤتلفة والنقلة المؤتلفة تعرضها نسبتها البسيطة» [٢٤]، وقد استحق الكندي لقب الرائد؛ لأَنّه حافظ ولاءه للعقيدة وإخلاصه للفلسفة واستيعابه لقضايا الكلام ومشكلاته بعد تهافت دعاوى من قال بمحاكاته لفلسفات الإغريق [٣٤]، فالكمال هو غاية متحققة والمبدأ الفعال لتحويل الوجود من القوة إلى الوجود بالفعل، ويقوم التفسير

المثالي للظواهر البيولوجية على فكرة الكمال الأول[٤٤]، أي إنّ الكندي حاول تنزيه الله تنزيهًا مطلقًا محيدًا إياه عن أي فهم دنيوي واصفًا الله ﷻ بالأزلي، وإنّ الأولي هو الذي لم يجب ليس هو مطلقًا فالأزلي لا قبل كوني لهويته فالأزلي هو لا قوامه من غيره فالأزلي لا علة له ولا موضوع له هذه فالأزلي لا جنس له لأنّه إذا كان له جنس فهو نوع...[٥٤].

أن ابن الدباغ يعرف(الكمال) حصور جميع الصفات المحمودة للشيء [٦٤]، ويقول ابن الخطيب من أن الكمال «جميع الصفات المحمودة لذلك الشيء» [٧٤]؛ إذ أنه لا يخرج عن إطار تعريف ابن سبعين، أي أن تلك الصفات هي المميزة للشيء من سواه فبحضورها يكمل، ويتميز، وبغيابها بنقص ويصيبه العدم.

وقد يبدو أن تحديد الكمال بأنه «جميع الصفات المحمودة للشيء» يُضيف سمة ليست موجودة في تعريف ابن سبعين وهي (الصفات المحمودة) غير أن الأمر ليس كذلك فحضور الصفات المحمودة لا يعني إلا إنّ الشيء قد خلا من النقص كما خلا من الزيادة المخلة بالكمال، فحصول الشيء على الكمال هو في ذاته حصول على الصفات المحمودة كافة المتعلقة بماهيته وطبيعته وبنيته، وينظر ابن سبعين إلى المسألة - أي مسألة الكمال- من منظور الأصالة والالتزام؛ لكونه يرى أن الله عز وجل هو كل كمال بالأصالة وأن الإنسان هو كل نقص بالأصالة أيضًا [٨٤]، أما كمال الإنسان فيكمن في الالتزام مما يعني إنّ كمال الإنسان مرهون بالإرادة على حين أن كمال الله كمال ماهوي(من الماهية) ولا مجال فيه للإرادة فلا اكتساب فيه ولا تغير أو زوال وبذلك فإنّ الله عز وجل كما يرى ابن سبعين هو الكل بالأصالة وهو الكل بالمطابقة وهو عين الكمال وسر الجمال وغاية الجلال بالتضمين ويرى إنّ الإنسان هو النقص بالأصالة والجزء بالمطابقة وهو غاية القبح ونهاية الذل والحقارة بالتضمن [٩٤]، حيث أن ابن سبعين يؤكد بذلك الوحدة المطلقة «فالله عز وجل» هو الكل من اذ الماهية واذ مطابقته للوجود كله مما يؤدي إلى أن يكون من

اذ المعنى عين الكمال وسر الجمال وغاية الجلال وذلك بالطبع عكس الإنسان تمامًا غير أن الإنسان يمكنه أن يتجاوز ما هو أصيل فيه أي أن يتجاوز النقص فيما إذا التزم الكمال أو سعت إليه إرادته، وحين يتم الالتزام بتاكيد الاشتراك على صعيد الكمال بين الله جل وعل والإنسان، أو كما يقول ابن سبعين «وبالالتزام ثبت الاشتراك»[٠٥] وبديهي إنّه حين يثبت الاشتراك ينتهي القبح والذل والحقارة ليحل محلها الجمال والجلال في الإنسان، أي أن الكمال هو ما يتم به وجود الشيء وتتحقق به طبيعته؛ إذ أنه مرادف للوجود [١٥]، ويمكن استعمال كلمة الكمال بكل مفاهيمها وبالمعنى التجريدي وبالمعنى العيني[٢٥].

وينظر ابن باجة والسهروردي إلى مسألة الكمال من منظور الغنى والفقر، فكل ما كان غنيًا عما سواه كان كماله أتم وأدوم والعكس صحيح وذلك بحسب درجة غناه أو فقره، ويقول ابن باجة أن «الإنسان الكامل الفطرة هو الذي فطر على أن يكون لنفسه»[٣٥].

وكذلك يقول السهروردي الحلبي «والغني هو الذي لا يحتاج في ذاته وكماله إلى غيره، والغني المطلب هو الذي وجوده من ذاته، وهو نور الأنوار، ولا غرض له في صفة بل ذاته تفيض للرحمة وهو الملك المطلق؛ لأَنّ الملك المطلق هو الذي له ذات كل شيء وليس في ذاته لشيء»، وواضح من المقبوسين إنّ الحاجة بمعناها الأوسع هي «التي تُحدد الغنى والفقر ودرجة كل منهما فكلما كان الغني مطلقًا كان الكمال مطلقًا وكذا الحال بالنسبة إلى الفقر»[٤٥]، وغني عن البيان إنّ الكمال المطلق لا يكون إلا لله فحسب؛ لأَنّه لا غني بالإطلاق سواه، وأن يكن ثمة إقرار بإنّ الإنسان لا يُمكنه أن يكون غنيًا بالإطلاق أو كاملاً كمالاً مطلقًا وهذا لا يجوز إلا للإنسان الكامل، غير أن بإطلاقيته على الصعيد الإنساني تبقى نسبية، ومحدودة في مقارنتها بالإطلاقية للكمال الإلهي بمعنى إن إطلاقية الكمال في الإنسان - الكامل حصرًا - مختلفة عن إطلاقية الكمال في الله،

وأما ابن عربي فينظر إلى مسألة

الكمال من منظور الزيادة فكمال لا يقبل الزيادة وهو كمال «الله عز وجل» وكمال يقبلها وهو كمال الإنسان بخلاف الذي لا يقبل الزيادة فلا «يكون إلا لله وحده من كونه غنيًا عن العالمين»(٥٥)، وأما الذي يقبلها فهو خاص بنا نحن البشر فـ«نحن في مزيد علم دنيا وآخرة فالنقص بنا منوط وكمالنا بوجود النقص فيه فلنا كمال واحد، وللحقِ كمالانِ «كمال مطلق وكمال يقول به حتى نعلم فنسختنا من كمال حتى نعلم لا من الكمال المطلق»(٦٥)؛ إذ إنّ الكمال المطلق خاص «بالله عز وجل» وحده على حين «كمال حتى نعلم» أو كمال العلم يشترك فيه كل من «الله عز وجل» والإنسان مع فارق جوهري وهو إنّ الله علم الاطلاق، اما الإنسان فهو عالم نسبيًا حيث أنه في مزيد علم الدنيا والآخره وعليه إذن الكمال ثابت لله بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية بل لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب تعالى يستحقه بنفسه المقدسة، وثبوت ذلك يستلزم نفي نقيضه منثوب الحياة نفس الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز وإنّ هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلة العقلية والبراهين اليقينة مع دلالة السمع على ذلك، ويؤكد ابن الخطيب في تفصيله لسر الجمال والكمال إنطلاقة من وجهة النظر الفلسفية التي تنص على إنّ الوجود الممكن كله(ظلمة) لولا نور «الله عز وجل» الذي أشرق على هذا الوجود، وذلك من خلال تقديمه الدليل القراني ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(٧٥) ونور الله هو النور القدسي الذي يعطي للوجود والحياة والجمال والكمال معانيها وليس هذا فحسب، فالعوالم الأخرى الروحانية والملائكية هي الأخرى تستمد وجودها من نور الله ﷻ ويسري النور الإلهي إلى عالم النفوس الإنسانية التي تعكس هذا النور على الإجسام عند ذلك تتدخل الحواس في عملية الإدراك وتحديد الجميل، والكامل من الأشياء المجسمة، ويفصل ابن الخطيب ذلك بقوله: وهذا النور

القدسي وإنْ كان واحدًا فلا يختلف ولا ينقص ولا يضمحل وتختلف آثاره في الذوات بحسب قبولها إياه وتتصف منه بإوصاف تناسب استعدادها، فمنها ما قبل صفات الوجود والحياة والنطق والمعرفة والجمال وهي النفوس العارفة، ومنها ما قبل الوجود، والحياة والجمال، والنطق، وهذه هي النفوس التي تدبرها النفوس العارفة [٨٥]، ومنها ما لم يقبل إلا الوجود والحياة وهي الحيوان والنبات، ومنها ما لم يقبل إلا الوجود قط وهي الجمادات، ولكل شيء اتصل به النور القدسي، وأشرق عليه جمال وكمال فهو يخصه. أن ثبوت «معنى الكمال» قد دل عليه القرآن الكريم بعبارات متنوعة دالة على معاني متضمنة لهذا المعنى فما في القرآن من إثبات الحمد لله، وتفصيل محامده، وإنّ له المثل الأعلى، وإثبات معاني أسمائه ونحو ذلك كله دال على هذا المعنى، وقد ثَبتَ لفظ «الكامل» فيما رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[٩٥]، أن الصمد هو المستحقُ للكمالِ، وهو السيد الذي كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه، والغني الذي كمل في غناه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحكيم قد كمل في حكمه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه وهو الشريف الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو «الله تقدست أسماؤه»، كما أن جمهور أهل الفلسفة والكلام يوافقون على إنّ الكمالَ «لله جل وعلا» ثابتٌ بالعقلِ والفلاسفة تُسميه التمام وبيان ذلك من وجوه، منها أن يقال قد ثبت أن الله ﷻ قديم بنفسه واجب الوجود بنفسه قيوم بنفسه خالق بنفسه إلى غير ذلك من الخصائص، فإذا قيل: الوجود إما واجب أو ممكن لا بُدَّ له من واجب، فيلزم ثبوت الواجب على التقديرين فهو مثل أن يقال: الموجود، إما قديم، أو حادث والحادث لا بُدَّ له من قديم فيلزم ثبوت القديم على التقديرين، والموجود إما غني أو فقير والفقير لا بُدَّ له من الغني فلزم وجود الغني على التقديرين [٠٦]، أو كما يقول

السهروردي الحلبي «والحق لا ضد له، ولا ندَّ له، ولا ينتسب إلى أين، وله الجلال الأعلى، والكمال الأتم، والشرف الأعظم، والنور الأشد، ليس بعرض فيحتاج إلى حامل يقوم وجوده، ولا بجوهر فيشارك الجواهر في حقيقته الجوهرية»[١٦]، ويذكر أيضًا «فأن وجوده ليس بأبتر ولا بناقص ولا منقطع الطرفين وهو نور الأنوار ولا غرض له في صنعه» [٢٦]، أي أن «الله جل جلاله» هو أحق بالكمال من غيره وإنّ غيره لا يساويه في الكمال في مثل قوله تعالى: « أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ »[٣٦]، بل أن الخلق صفة الكمال وأن الذي يخلق أفضل من الذي لا يخلق، حتى إنّ الغزالي يذهب إلى القول «أن العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال» [٤٦] أي أن الكمال غير ممكن في هذا العالم بل هو في عالم المثل العليا، وإنّه لا يكون إلا لله عز وجل وأن الظواهر الكمالية لا تعدو كونها ذات منشأ وحي بل يجب أن تقترب من عالم المثل العليا، ويقول ابن طفيل في هذا المجال «أن الوجود «لله عز وجل» فهو الوجود وهو الكمال وهو التمام وهو الحسن وهو البهاء وهو القدرة وهو العلم»[٥٦]، ويقول الغزالي أيضًا: كل شيء فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له، فإذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الكمال والجمال وله من الحسن والجمال بقدر ما حضر من تلك الممكنات وهذا ينطبق على كل شيء، وعليه فإنّ الجمال بهذا المعنى هو الكمال اللائق بالأشياء الممكنة لها والشيء الجميل، هو الشيء الحاضر فيه الكمال اللائق به الممكن لها [٦٦]، ويقول عبد الكريم الجيلاني «أن العلم صفة نفسية أزلية فعلمه سبحانه وتعالى بنفسه وعلمه بخلقه علم واحد غير منقسم ولا متعدد» [٧٦].

وهنا وجب علينا أن نشير إلى التصنيف الذي وضعه عبد الكريم الجيلاني لإسماء الله الحسنى، إذ صنفها بأربعة جداول: الأول خاص بالإسماء والصفات الذاتية، والثاني خاص بالإسماء والصفات الجلالية، والثالث خاص بالإسماء والصفات

المشتركة وهي الكمالية، وأما الجدول الأخير فخاص بالإسماء والصفات الجمالية[٨٦]، حيث نجد أن الجدول الثالث يتداخل في الجداول الأخرى من حيث الطبيعة وهو الوحيد على هذا النحو، فالجداول الثلاثة مستقلة بعضها عن بعض ماعدا هذا الجدول الذي يتقاطع معها، ومن الأسماء والصفات الكمالية نجد الرحمن، والملك والخالق، والحكيم، والأول، والآخر، والظاهر، والباطن، والغني، والمتعالي، والقيوم ...الخ، ويفهم من كون الجدول الثالث مشتملاً على الأسماء والصفات المشتركة وأن الكمال هو «الناظم بين الأسماء الذاتية، والجمالية، والجلالية»؛ إذ يسوغ الجيلاتي تصنيفه لبعض الأسماء الذاتية في الجدول الكمالي بإنّ فيها رائحة الجلال، والجمال، حيث يقول «الغني والعدم والقيوم وأمثال ذلك فإنّها ملحقة بالأسماء الذاتية لكّنا جلعناها من القسم المشترك لما فيها من رائحة الجمال والجلال» [٩٦] مما يشير إلى أنه لا جمال ولا جلال في غياب الكمال، وإنّ كمال الشيء معناه حصوله على جميع ما يخص ذاته وطبيعته من الصفات فضلاً عن وجوده، إذن لا يمكن تصور كائن كامل غير موجود؛ لأَنّ الافتقار إلى الوجود نقص، فالقول إذن بكائن كامل غير موجود بـ(الكامل – النقص) وهو قول متهافت متناقض.

المبحث السادس : الكمال عند فلاسفة العصر الحديث

إذ أن ديكارت من أبرز الفلاسفة الذين وظفوا فكرة الكمال والنقص في فلسفته، وأن أدلة ديكارت على وجود الله تسند كلها إلى فكرة الكمال المطلق بعباراته «هو الكائن الكامل كل الكمال»[٠٧]، حيث يقول ديكارت أني عندما أتامل ذاتي أشعر بأنحاء من النقص من ذلك مثلاً أني أشكُ والشك نقص وما كنت لأعرف أني ناقص أو لم تكن لدي عن فكرة عن كائن الكامل كل الكمال، وواضح أن هذه الفكرة لا يُمكن أن تكون من عندي إذن كيف يمكنني أنا الناقص أن أمنح نفسي فكرة الكامل كل الكمال وإذن فهذه الفكرة لا يمكن أن يكون مصدرها إلا ذلك الكائن الكامل كل الكمال

فهو الذي وضعها فيَّ وبالتالي فهو موجود ضرورة[١٧].

هذا من جهة ومن جهة أخرى تبني ديكارت الدليل الأنطولوجي نفسه الذي كان قد قال به القديس انسلم، وصياغته في قالب أوضح يقوم هذا الدليل على إثبات وجود الله من تأمل فكرة الله ذاتها أننا نتصور «الله عز وجل» بوصفه الكائن الكامل كل الكمال والكائن الكمال كل الكمال يتصف بالوجود ضرورة؛ لأَنّ الوجود هو أحد الكمالات، حيث نجد إنّ ديكارت يُميز وجود الله تعالى عن وجود أي شيء آخر فهو يرى أن الوجود متضمن في معنى أي شيء؛ وذلك لأننا لا نستطيع أن نتصور شيئًا ما إلا وهو موجود ولكن الوجود الذي يتضمنه الموجود الناقص هو الوجود الممكن أو الوجود الحادث، أما الوجود المتمثل في الموجود الكامل هو الوجود الضروري أو الكامل [٢٧]،

وديكارت يرى أيضًا إنّه لما كان الله تعالى الكائن الوحيد الذي يتضمن الوجود الضروري المطلق فهذا يعني بأنه الكائن الوحيد الذي تكون ماهيته متضمنة لوجوده، فماهية الله عز وجل هي «عين وجوده»، وهذه المطابقة بين الماهية والوجود ليست قائمة في أي معنى اخر غير معنى الله عز وجل [٣٧]، فماهية الله تعالى كما يرى ديكارت بغير وجوده الفعلي يعني أنها كمال مجرد من كمال فالكمال اذ نقص منه نوع من الكمال كالوجود الفعلي فهذا سوف يخالف القصور الفطري الذي تحمله الذات الإنسانية عن الكمال الأسمى المتحقق في الكائن الذي لا يشوبه أي نقص [٤٧]، وأيضًا يقول ديكارت «أن الذاتَ الإنسانية ناقصةٌ والذي يؤكد على نقصها هو كونها تشك، وتخطئ وتظن وكل هذه الأمور تدل على عدم الكمال» [٥٧]، فالنقص هنا يمثل القصور في بلوغ الحق وتأكيد على هذا الرأي يقول ديكارت: «أنني لما فكرت في شكوكي وأن مؤدي هذا أن ذاتي لم تكن تامة الكمال لأنني تبينت أن المعرفة كمالٌ أكبر من الشك فديكارت يرى هنا أنه ما كان يعرف أن الذات الإنسانية ناقصة،

ما لم يكن في الذهن الكائن الكامل» (٦٧).

ويقول ديكارت بهذا الجانب: «أنه بقدر ما نتصور من الكمال في شيء ينبغي أن نعتقد أن علته لا بُدَّ أن تكون أوفر منه كمالاً»(٧٧)، كذلك يقول ديكارت: عندما عدت أُقلب النظرَ في الفكرة التي لدي عن الكائن الكامل تبين لي أن الوجودَ متضمنٌ فيها كما تتضمن فكرتي عن المثلث كون زواياه تساوي قائمتين، فلا أقل من القول بأن «الله عز وجل» الذي هو هذا الكائن الكامل دون أن نتصوره موجودًا فإنّ هذا لا يلزم عنه أن يكون موجودًا بالفعل، فالوجود الذي نثبته للكائن الكامل من تحليل فكرة الكمال هو الوجوُد الذهني فقط وليس الوجودَ الفعلي الواقعي(٨٧)

الخلاصة:

إذن بناء على ذلك فالكمال: يعني شيئًا كاملاً أو شيئًا مكونًا بشكلٍ جيدٍ وجميلٍ أي بشكلٍ مترابطٍ ومتجانسِ الجوانبِ والعناصرِ وهذا يفترض غياب النقص أو الخلل، التشتت أو التناقص في الشيء الذي نشير إليه كشيء كامل فهذا الشيء الذي نشير إليه كاملٌ؛ لأَنّ الأجزاء التي يتكون منها تتوافق وتتلائم وتعمل بتوافق وانسجام، فالانسجام والنظام ينتميان مع الكمال والصراعات والتناقضات والشرور تدل على النقص والمجتمع الكامل يجب ان يتجاوز الثانية ويحقق نقيضها أي الانسجام والنظام (٩٧).

فالكمال هو التنزيه عن الصفات واثارها وكمال الله عبارة عن ماهيته وماهيته غير قابلة للادراك والغاية فليس لكماله غاية ولا نهاية وكماله سبحانه لاشبيه كمال المخلوقات لان كمال المخلوقات بمعان موجودة في ذواتهم وتلك المعاني مغايرة لذواتهم وكماله سبحانه بذاته لابمعان زائدة عليه (٠٨).

اذ ان الكمال يرتبط بالسعادة والخير هو من الكلمات الفلسفية العائمة لانها تستعمل بمعان كثيرة فتشير في مدلولها الواسع الى كل ماهو حسن أو مفيد أو نافع أو محقق لغاية معينة ويرجع سائر معنى الخير الى معنيين اصليين معنى الكمال ومعنى

السعادة والخير بمعنى الكمال هو كل مايحقق لنا ضربا من الاشباع الموضوعي اعني كل ما يرضينا لوصفنا كائنات ناطقة وحين تقول عن انسان ما انه صالح أو خير فاننا نعني في المادة انه يسدى لنا معروفا أو يصنع لنا خيراً.

الهوامش

١- الجرجاني،علي بن محمد بن علي: التعريفات حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٢، ص١٥٢.

٢-صليبا، د.جميل: المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، ذوي القربى، ط١، ١٣٨٥هـ، ص ٢٤٣.

٣-معلوف،لويس: المنجد في اللغة، الطبعة ٣٦، مؤسسة انشارات دار العلم-قم، ص٦٩٨.

٤-خياط، يوسف: معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، بيروت ،١٩٧٤،ص ٥٩٢.

٥-الموسوعة الحرة، ابجدي اللغة (الكاف) من شبكة الإنترنت ضمن مفهوم الكمال في الفلسفة الإسلامية، بتأريخ ١٠/ ١١/ ٢٠٠٧،

www.google.com.

٦-خباز، حنا: جمهورية أفلاطون العراق، ١٩٨٦، ص٨٩.

٧- اوفيساتيكوف، وسمير نوفا: مؤجز تأريخ النظريات الجمالية، ترجمة باسم السقا، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٩، ص ٧٩.

٨-اليافعي، أمين آل شنطور: جريدة منتديات مشاهير العرب عضو مؤسس ملتقى الأدب العربي، رابطة نون للثقافة

والحـوار، دمشـق، ٢٠٠٥.
٩-النجـم، د. محمـد حسـين: السوفسـطانية في الفكـر اليونـاني عـرض ونقـل ، الطبعـة الأولى، العـراق، ٢٠٠٨، ص٢٦٤- ٢٦٥.
١٠ قـرني، عـزت: الحكمـة الافلاطونيـة، القاهـرة، ١٩٧٤، ص٦٢- ٦٣.
١١-مدكـور، إبراهيـم: المعجـم الفلسـفي، جمهوريـة مـصر العربيـة، ١٩٧٩، ص١٥٥.
١٢-طاليـس، أرسـطو: علـم الأخـلاق إلى نيقوماخـوس، ترجمـة مـن اليونانيـة إلى الفرنسـية وصـدره بمقدمـة متمـة في علـم الأخـلاق وتطوراتـه وعلـق عليـه تعليقـات تفسـيرية، بارتـلي سـانتهلير أُسـتاذ الفلسـفة اليونانيـة، نقلـه إلى العربيـة أحمـد لطفـي السـيد، مديـر الكتـب المصريـة، مطبعـة دار الكتـب، القاهـرة، ١٩٢٤، ص١٩٥.
١٣ حمـدى، أ. فاتنـة: محـاضرات في مرحلـة البكالوريـوس.
١٤ فخـري، ماجـد: أرسـطو طاليـس، المعلـم الأول، المطبعـة الكاثوليكيـة، بـيروت، ١٩٥٨، ص٨٩- ٩١.
١٥- .افلوطـين، التسـاعية الرابعـة (في النفـس)، دراسـة وترجمـة فـؤاد زكريـا، مراجعـة محمـد سـليم سـالم، الهيئـة المصريـة العامـة، القاهـرة، ١٩٧٠، ص١٩٩.
١٦-بـدوي، د. عبـد الرحمـن: خريـف الفكـر اليوناني، ص١٢٤.
١٧- جـزاع، د. طـه: مُحـاضرات في الفلسـفة اليونانيـة أُلقيـت عـلى طلبـة البكالوريـوس المرحلـة الأولى في جامعـة بغـداد – كليـة الآداب- قسـم الفلسـفة، ٢٠٠١- ٢٠٠٢.
١٨- جـزاع، د. طـه: مُحـاضرات في الفلسـفة اليونانيـة.
١٩- افلوطـين: التسـاعية الرابعـة (في ألنفـس)، ص٢٣٣.
٢٠-بـدوي، د. عبـد الرحمـن: خريـف الفكـر اليونـاني، ص١٣٦.
٢١ افلوطـين: التسـاعية الرابعـة (في النفـس) ، ص٢٣٦- ٢٣٧.
٢٢-افلوطـين :التسـاعة الرابعـة (في النفـس)، ص٣٢١.
٢٣-بـدوي، د. عبـد الرحمـن: الموسـوعة الفلسـفية الجـزء الأول مـادة الأفلاطونيـة المحدثـة، ط١، ذوي القربـى، قـم ، ١٤٢٧، ص١٩٩.
٢٤- بـدوي، د. عبـد الرحمـن: الموسـوعة الفلسـيفة ص ١٣٦.
٢٥-) الموسـوعة المسـيحية العربيـة الالكترونيـة، البشـارة مـن موقـع الإنترنـت home>chirstianarabicencyclo-pedia بتاريـخ ١٦/ ١٠/ ٢٠٠٧، ١٠: ٩ صباحًـا، com-google-www .
٢٦-جلسـون، اتـين: روح الفلسـفة المسـيحية في العـصر الوسـيط، ترجمـة وتعليـق د. إمـام عبـد الفتـاح إمـام، مكتبـة مدبـولي، ط٣، ١٩٦٦، ص٩٥.

٢٧- الخواجة، جانيت بولس: البطريك اسطفان الدويهي ، أُطروحة تقدمت بها إلى الجامعة الروح القدس- كلية الفلسفة والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، الكسليك – لبنان، ٢٠٠٣، تحت إشراف د. طانيوس نجيم ضمن شبكة الإنترنت، مفهوم الكمال www.google.com بتاريخ ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٧، ١٠:٥ مساءا.
٢٨-الخواجة، جانيت بولس: البطريك اسطفان الدويهي.
٢٩- كرم، د. يوسف، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٩، ص٣٠- ٣١.
٣٠-أبو ريان: محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة، الجامعة، ١٩٨٩، ص٢٩٣.
٣١-صليبا: جميل، المعجم الفلفسي، ص٢٤٣- ٢٤٤.
٣٢-ابن سينا: النجاة، القاهرة، مصر، ١٥٩٣، ص٢٥٨.
٣٣ ابن سينا: الشفاء، الإلهيات، الجزء الثاني، تحقيق محمد يوسف وآخرون، مراجعة إبراهيم مدكور وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٤١٦.
٣٤-المصدر نفسه، ص٤١٩.
٣٥-المصدر نفسه، ص١٢.
٣٦-ابو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ص٢٩٣.
٣٧-اخوان الصفا وخلان الوفا: الرسائل الجزء الثالث عناية، خير الدين الزركلي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٢٨، ص١٨٣.
٣٨-الكندي، يعقوب بن اسحق: رسالة دفع الأحزان، تحقيق محمد كاظم الطريحي، ضمن كتاب الكندي فيلسوف العرب، بغداد، ١٩٦٢، ص١١٩.
٣٩-الكندي، يعقوب بن اسحق: رسائل الكندي، الفلسفية، مقدمة المحقق، ص٦٧.
٤٠-غريب ، روز: النقد الجمالي وأثره في النقد العربي، ص٢٢.
٤١-الكندي، يعقوب بن اسحق: رسائل الكندي الفلسفية ، ١٩٦٨، ص١٢٥.
٤٢- الكندي، يعقوب بن اسحق: رسائل الكندي في اللحون والنغم، تحقيق زكريا يوسف، بغداد، ١٩٦٥، ص١٦٩.
٤٣- الجابري، د. علي حسين: العقل والعقلانية في مدرسة بغداد الفلسفية، مجلة المورد، المجلد السابع عشر، العدد الثالث خريف، بغداد- العراق، ١٩٨٨، ص٣٢- ٦٦.
٤٤-الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتين بإشراف م. روزنتال ب. يودين، ترجمة: سمير كرم، مراجعة صادق جلال العظم، مادة

الكاف، ص٣٩٣، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٤.
٤٥-الكندي، يعقوب بن اسحق، رسالة الكندي إلى المعتصم بالله بالفلسفة الأولى، تحقيق: موفق فوزي الجبر، دار معد، ١٩٩٧، ص٣٤.
٤٦-ينظر ابن الدباغ: مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب، تحقيق ريتر دار صادر، بيروت، ١٩٥٩، ص٣٨٥.
٤٧-ابن الخطيب: لسان الدين، روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق عبد القادر عطا، دار الفكر العربي، دون تاريخ، ص٣٨٧ .
٤٨- ابن سبعين: رسائل ابن سبعين، ص ١٩٢.
٤٩-ابن سبعين: رسائل ابن سبعين، ص ١٩٣.
٥٠-المصدر نفسه ، ص١٩٢.
٥١-صليبا: جميل، المعجم الفلسفي، ج١، ص٢٤٤.
٥٢-موسوعة لالاند الفلسفية: المجلد الثاني، تعريب: خليل أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه حصرًا أحمد عويدان، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الثانية، ٢٠٠١، ص٩٥٩.
٥٣-ابن باجة: رسائل ابن باجة الإلهية، تحقيق ماجد فخري، دار النهار، بيروت، ١٩٦٨، ص١٢٨.
٥٤-السهروردي، الحلبي: هياكل النور، تحقيق محمد علي أبو ريان، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٧، ص ٧٢- ٧٣.
٥٥- ابن عربي: الفتوحات المكية، الجزء الثاني، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، بدون تاريخ، ص٥٤٣.
٥٦- ابن عربي: الفتوحات المكية، ، ص ٥٤٤.
٥٧-سورة النور، اية ٣٥.
٥٨-الدليمي، طارق هاشم: بحث مقدم إلى جامعة تكريت كلية التربية، تحت عنوان: المفهوم الكمال في الفكر العربي، ٢٠٠٦.
٥٩-سورة الإخلاص الاية ١، ٢.
٦٠-حمادي، د. عبد القادر: محاضرات أُلقيت على طلبة المرحلة الثانية في كلية الآداب- جامعة بغداد، قسم الفلسفة من البكالوريوس في مادة علم الكلام، ٢٠٠٢- ٢٠٠٣.
٦١-السهروردي، الحلبي: هياكل النور، ص٦٠.
٦٢-المصدر نفسه ، ص٧٢.
٦٣-سورة النحل، الآية ١٧.
٦٤-الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، الجزء الرابع، دار المعرفة، بيروت، ص٣٠٨، د.ت.

٦٥-ابن طفيل، حي بن يقظان: في كتاب «حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي، جمع أحمد أمين، مؤسسه الخانجي، مصر، ١٩٥٨، ص٩٩.
٦٦-الغزالي ،أبو حامد :إحياء علوم الدين ص ٣٠٩.
٦٧-الجيلاني، عبد الكريم: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، الجزء الأول، المطبعة الشرقية، مصر، ١٣٠٠هـ، ص ٦٥.
٦٨- الجيلاني، عبد الكريم: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ص ٧٨.
٦٩- الجيلاني، عبد الكريم: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ، ص ٧٩.
٧٠- زيادة، معن: الموسوعة الفلسفية العربية، الجزء الأول، معهد الانماء العربي، بيروت، د.ت، ص٦٩٧- ٦٩٨.
٧١-المصدر نفسه ، ص٦٩٧- ٦٩٨.
٧٢- نظمي لوقا: الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨، ص٢٩.
٧٣- أمين، د. عثمان: ديكارت، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٧٩، ص ١٧٤.
٧٤- ديكارت، رينيه: التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة: د. عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٦، ص ٢١٤.
٧٥-فضل الله، د. مهدي: فلسفة ديكارت ومنهجه، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦، ص١٤١.
٧٦-عباس، د.راوية عبد المنعم: ديكارت أو الفلسفة العقلية، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، ١٩٨٦، ص٢٣٢.
٧٧-ديكارت، رينيي: مبادئ الفلسفة، ترجمة: عثمان أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠، ص١٠٥.
٧٨-زيادة، معن: الموسوعة الفلسفية العربية، ج١، ص٢٩٧- ٢٩٨.
٧٩-موسوعة مصطلحات الفكر النقدي العربي والإسلامي المعاصر، الدكتور: جيرار جهامي/ د. سميع رغيم، د. رفيف العجم، مكتبة لبنان، ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص١٧٤٥- ١٧٤٦.
٨٠-الحفني، د. عبد المنعم: معجم مصطلحات الصوفية، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، ص٢٢٦.

المصادر:

.١. افلوطين، التساعية الرابعة (في النفس)، دراسة وترجمة فؤاد زكريا، مراجعة محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٠.

إبراهيم، زكريا: د. مبادئ الفلسفة والأخلاق، الجمهورية العربية المتحدة، مكتبة مصر، ب . ت ..٢

٣. ابن الخطيب: لسان الدين، روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق عبد القادر عطا، دار الفكر العربي، دون تاريخ. ابن الدباغ: مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب، تحقيق ريتر دار صادر، بيروت، ١٩٥٩..٤

٥. ابن باجة: رسائل ابن باجة الإلهية، تحقيق ماجد فخري، دار النهار، بيروت، ١٩٦٨.

٦. ابن سينا: الشفاء، الإلهيات، الجزء الثاني، تحقيق محمد يوسف وآخرون، مراجعة إبراهيم مدكور وزارة الثقافة والإرشاد ٧. القومي، القاهرة، ١٩٦٠

٨. ابن سينا: النجاة، القاهرة، مصر، ١٥٩٣، ص٢٥٨.

٩. ابن طفيل، حي بن يقظان: في كتاب «حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي، جمع أحمد أمين، مؤسسه الخانجي، مصر، ١٩٥٨.

ابن عربي: الفتوحات المكية، الجزء الثاني، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، بدون تاريخ ..١٠

١١. ابو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ص٢٩٣.

أبو ريان: محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة، الجامعة، ١٢ ,١٩٨٩

اخوان الصفا وخلان الوفا: الرسائل الجزء الثالث عناية، خير الدين الزركلي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣ ,١٩٢٨

أمين، د. عثمان: ديكارت، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٧٩..١٤

اوفيساتيكوف، وسمير نوفا: مؤجز تأريخ النظريات الجمالية، ترجمة باسم السقا، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٩..١٥

بدوي ، عبد الرحمن: خريف الفكر اليوناني ..١٦

بدوي، د. عبد الرحمن: فلسفة العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢..١٧

بدوي، عبد الرحمن: الموسوعة الفلسفية الجزء الأول مادة الأفلاطونية المحدثة، ط١، ذوي القربى، قم ، ١٤٢٧..١٨

١٩. جابري، د. علي حسين: العقل والعقلانية في مدرسة بغداد الفلسفية، مجلة المورد، المجلد السابع عشر، العدد الثالث خريف، بغداد- العراق، ١٩٨٨.

٢٠. جرجاني،علي بن محمد بن علي:

التعريفات حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٢.

٢١ . جزاع، د. طه: مُحاضرات في الفلسفة اليونانية أُلقيت على طلبة البكالوريوس المرحلة الأولى في جامعة بغداد – كلية الآداب- قسم الفلسفة، ٢٠٠١- ٢٠٠٢.

٢٢. جلسون، اتين: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة وتعليق د. إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، ط٣، ١٩٦٦.

٢٣. جونو، إدوار: الفلسفة الوسيطية، ترجمة د. علي زيعور، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٧٩.

جيلاني، عبد الكريم: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، الجزء الأول، المطبعة الشرقية، مصر، ١٣٠٠هـ ..٢٤

٢٥. حفني، د. عبد المنعم: معجم مصطلحات الصوفية، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٢٦. حمادي، د. عبد القادر: محاضرات أُلقيت على طلبة المرحلة الثانية في كلية الآداب- جامعة بغداد، قسم الفلسفة من البكالوريوس في مادة علم الكلام، ٢٠٠٢- ٢٠٠٣.

حمدى ، فاتنة: محاضرات في مرحلة البكالوريوس.. ٢٧

٢٨. خباز، حنا: جمهورية أفلاطون العراق، ١٩٨٦ .

٢٩. خواجة، جانيت بولس: البطريك اسطفان الدويهي ، أُطروحة تقدمت بها إلى الجامعة الروح القدس- كلية الفلسفة والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، الكسليك – لبنان، ٢٠٠٣، تحت إشراف د. طانيوس نجيم ضمن شبكة الإنترنت، مفهوم الكمال www-google-com بتاريخ ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٧، ٥:١٠ مساءا.

خياط، يوسف: معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، بيروت ١٩٧٤, ٣٠،

٣١. دليمي، طارق هاشم: بحث مقدم إلى جامعة تكريت كلية التربية، تحت عنوان: المفهوم الكمال في الفكر العربي، ٢٠٠٦.

٣٢. دويهي البطريرك اسطفانوس: تاريخ الأزمنة، نظر فيها وحققها الاباني بطرس فهد، منشورات دار لحد خاطر، بيروت، لبنان، ١٩٨٣.

دويهي، البطريرك إسطفانوس: منارة الأقداس، ج١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩٦..٣٣

ديكارت، رينى: مبادئ الفلسفة، ترجمة: عثمان أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠. . ٣٤

ديكارت، رينيه: التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة: د. عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٦, ٣٥

٣٦.زيادة، معن: الموسوعة الفلسفية العربية، ج١، ص٢٩٧- ٢٩٨.
زيادة، معن: الموسوعة الفلسفية العربية، الجزء الأول، معهد الانماء العربي، بيروت، د.ت، . ٣٧
سهروردي، الحلبي: هياكل النور، تحقيق محمد علي أبو ريان، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٧. ٣٨
٣٩ صليبا، د.جميل: المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، ذوي القربى، ط١، ١٣٨٥هـ.
٤٠ طاليس، أرسطو: علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة من اليونانية إلى الفرنسية وصدره بمقدمة متمة في علم الأخلاق وتطوراته وعلق عليه تعليقات تفسيرية، بارتلي سانتهلير أُستاذ الفلسفة اليونانية، نقله إلى العربية أحمد لطفي السيد، مدير الكتب المصرية، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٤.
٤١ عباس، د.راوية عبد المنعم: ديكارت أو الفلسفة العقلية، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، ١٩٨٦.
٤٢ غريب ، روز: النقد الجمالي وأثره في النقد العربي
٤٣ غزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، الجزء الرابع، دار المعرفة، بيروت، ص٣٠٨، د.ت.
٤٤ فخري، ماجد: أرسطو طاليس، المعلم الأول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ، ١٩٥٨
فضل الله، د. مهدي: فلسفة ديكارت ومنهجه، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦
٤٥
٤٦ قرني، عزت: الحكمة الافلاطونية، القاهرة، ١٩٧٤.
٤٧ كرم، د. يوسف، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٩
٤٨ كندي، يعقوب بن اسحق: رسائل الكندي في اللحون والنغم، تحقيق زكريا يوسف، بغداد، ١٩٦٥.
٤٩ كندي، يعقوب بن اسحق: رسالة دفع الأحزان، تحقيق محمد كاظم الطريحي، ضمن كتاب الكندي فيلسوف العرب، بغداد، ١٩٦٢.
كندي، يعقوب بن اسحق: رسائل الكندي الفلسفية ، ١٩٦٨,٥٠
٥١ كندي، يعقوب بن اسحق: رسائل الكندي، الفلسفية، مقدمة المحقق.
٥٢ كندي، يعقوب بن اسحق، رسالة الكندي إلى المعتصم بالله بالفلسفة الأولى، تحقيق: موفق فوزي الجبر، دار معد، ١٩٩٧.
٥٣ مخائيل، ضوميط: توما الاكويني، سلسلة قادة الفكر، بيروت، دار الشرق، ١٩٨٣
٥٤ مدكور، إبراهيم: المعجم الفلسفي، جمهورية مصر العربية، ١٩٧٩.

٥٥ معلوف، لويس: المنجد في اللغة، الطبعة ٣٦، مؤسسة انشارات دار العلم- قم.
٥٦ موسوعة الحرة، ابجدي اللغة (الكاف) من شبكة الإنترنت ضمن مفهوم الكمال في الفلسفة الإسلامية، بتأريخ ١٠/ ١١/ ٢٠٠٧. www.google.com .
٥٧ موسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتين بإشراف م. روزنتال ب. يودين، ترجمة: سمير كرم، مراجعة صادق جلال العظم، مادة الكاف، ص٣٩٣، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٤, ٥٨
٥٩ موسوعة لالاند الفلسفية: المجلد الثاني، تعريب: خليل أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه حصرًا أحمد عويدان، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الثانية، ٢٠٠١.
٦٠ موسوعة مصطلحات الفكر النقدي العربي والإسلامي المعاصر، الدكتور: جيرار جهامي/ د. سميع رغيم، د. رفيف العجم، مكتبة لبنان، ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ .
نجم، د. محمد حسين: السوفسطانية في الفكر اليوناني عرض ونقل ، الطبعة الأولى، العراق، ٢٠٠٨م٦١
٦٢ نظمي لوقا: الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨.
٦٣ يافعي، أمين آل شنطور: جريدة منتديات مشاهير العرب عضو مؤسس ملتقى الأدب العربي، رابطة نون للثقافة والحوار، دمشق، ٢٠٠٥.

The idea of perfection and its history In Greek and Medieval Philosophy، a philosophical study

Preparation
a. M. Dr.. Zeina Ali Jassim Al-Hassan

Summary

This research came under the title "The Idea of Perfection and Its History in Greek Philosophy and Medieval Philosophy،" as it was not my personal and basic desire that was the only motive، but my definite love for this subject، as well as my agreement with Al-Farabi in his belief that perfection is "the thing that is free of imperfection، and that the philosopher The perfect is the one who obtains all perfections، as well as my knowledge of the most important contents of this topic، given that my study of this research is a philosophical study.

And when we mean a philosophical study، we do not mean from our topic the subject if it is close to one of the specializations، a study according to the requirements of that specialty، and the research in the partial topics related to it، but rather the trend towards studying the concepts and methods related to it is a comprehensive critical analytical study that examines what the general topic is and logical methods ، and the epistemology to which we searched in reality، and in brief، this study aims to present a general philosophical viewpoint on the subject، and it does not aim to present a partial view related to other disciplines.

In general ، it can be said that reaching perfection from the existence of God Almighty is of great importance from several aspects and many aspects for man، and that its importance lies in the fact that when he reaches the belief in the actual and complete existence of God، this belief makes him feel psychologically reassured and complete spiritual happiness. He felt safe in terms of his feeling of being supported، which would make it easier for him to navigate the difficult path of life، in addition to the fact that this belief in the actual existence of God would make it easier for a person to fear after death through his belief in the existence of a complete and eternal life in which he lives in complete comfort، happiness and completeness; If all these things were collected، they would have a great impact on the way a person thinks، as it helps him to overcome the difficulties of worldly life.

Keywords: perfection، majesty، philosophy.

حولية المنتدى

محور
الدراسات الجغرافية

حولية المنتدى

خطوط نقل النفط في محافظة البصرة بين الواقع والتحديات / دراسة جغرافية

م.م. هدى أحبيني عاشور البيضاني
جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي

ملخص البحث:

تعد خطوط نقل النفط والمنتجات النفطية شرياناً حيوياً مهماً في محافظة البصرة، لإسهامها في انعاش العملية الاقتصادية، عبر استقطابها الايدي العاملة فضلاً عن توفير المشتقات النفطية بالأنابيب، يهدف البحث إلى دراسة معرفة واقع خطوط نقل النفط في المحافظة والتحديات التي تواجهها، باستخدام التحليل الجغرافي للمنطقة ومن خلال التعرف على أهم العوامل الطبيعية والبشرية التي أسهمت بالتأثير في خطوط نقل النفط، فضلاً عن الكشف عن أهم المشاكل والتحديات التي تواجه هذه الخطوط من خلال دراسة المشاكل البيئية والبشرية والأمنية.

تضمنت هذه الدراسة ثلاثة مباحث والمقدمة، خصص المبحث الأول إلى تناول مفهوم خطوط الانابيب واهميتها وتصنيفها وخصائصها، وركز المبحث الثاني على العوامل المؤثرة في خطوط نقل النفط في محافظة البصرة، وتناول المبحث الأخير المشاكل التي تواجه خطوط نقل النفط في محافظة البصرة، الإضافة إلى الاستنتاجات والتوصيات .

لقد تمثلت أهداف البحث بالاتي:-

1-إبراز أهم مشاريع نقل الأنابيب والمشتقات النفطية في محافظة البصرة ومحاولة تتبع المسار الجغرافي لكل مشروع من هذه المشاريع ابتداءً من ميناء الشحن وصولاً إلى ميناء التصدير.

2-معرفة التكلفة التي يتطلبها إنجاز كل مشروع من هذه المشاريع فضلاً عن الكمية التي ينقلها ومقدار التعرفة الكمركية التي يتم احتسابها في كل مشروع لارتباط ذلك بتحديد الجدوى الاقتصادية للمشاريع.

3-إبراز الدور الذي تؤديه العوامل الجغرافية في تأثيرها على مسارات خطوط الأنابيب النفطية في محافظة البصرة.

الكلمات المفتاحية: (النفط، خطوط نقل، الأنابيب، الموقع، محافظة البصرة) .

المقدمة :

يعد نقل المشتقات النفطية بالأنابيب من الصناعات التحويلية المهمة في محافظة البصرة، لما لها من أهمية استراتيجية وسياسية واقتصادية، إذ إن النفط من أهم الاكتشافات التي توصل إليها الإنسان في العصر الحديث، وهو أحد مصادر الطاقة الرئيسة الذي تعتمد عليه معظم اقتصاديات الدول المنتجة للنفط، كما ترتبط أهميته بما يمكن الحصول عليه من طاقة واستخدامات متنوعة لها لذلك كان النفط مركز صراعات دولية وبسبب هذه الصراعات التي شنتها الدول العظمى ظهرت منظمات دولية ترعى مصالح الدول المتحالفة في مجال الطاقة عامة والنفط خاصة.

أولاً : مشكلة البحث :-

تتركز مشكلة البحث بالإجابة عن التساؤل الاتي:-

1- هل أن خطوط نقل النفط في محافظة البصرة من مكامن استكشافه مروراً بمراكز التصفية لغاية التصدير في الموانئ الجنوبية ذات أثر في إنتاج النفط المستخرج من البصرة؟.

2- وهل أن نقل المشتقات النفطية بالأنابيب في محافظة البصرة لها أثر في انخفاض تكلفة إنتاج النفط؟.

ثانياً : فرضية البحث:-

تفترض الدراسة الاتي :-

1- تتوفر في منطقة الدراسة الإمكانات الطبيعية والبشرية لاستخدامات خطوطاً لنقل النفط.

2- هنالك مجموعة من المشكلات تؤثر في عملية نقل النفط عبر خطوط النقل .

ثالثاً : هدف البحث:-

1- تحليل جغرافي لواقع خطوط نقل النفط في المحافظة وخصائصها.

2- معرفة أهم العوامل الطبيعية والبشرية التي أسهمت وتؤثر في خطوط نقل النفط.

3- الكشف عن أهم المشكلات التي تواجه خطوط نقل النفط.

رابعاً : منهجية البحث:-

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المناهج منها:

-1 المنهج الأصولي أو النظامي : الذي يهتم بدراسة المقومات الطبيعية والبشرية المؤثرة في خطوط نقل النفط في محافظة البصرة .

-2 المنهج الوصفي : المتمثل بدراسة خطوط نقل النفط في محافظة البصرة من خلال الدراسة الميدانية لها.

-3 المنهج الاستقرائي : وهو يعتمد كذلك على الدراسة الميدانية لخطوط نقل النفط في محافظة البصرة في الحصول على البيانات والمعلومات من خلال المشاهدة والملاحظة المباشرة للظاهرة والمقابلات الشخصية مع المهندسين والفنيين .

خامساً : حدود البحث:- تتمثل الحدود المكانية للدراسة بحدود محافظة البصرة كما يتضح من الخريطة (1) ، التي تقع في أقصى الجزء الجنوبي الشرقي من العراق وتمتد ما بين دائرتي عرض (29,05° — 31,20° —) شمالاً وقوسي طول (46,40° - 48,30° —) شرقاً ، ويحدها من الشمال محافظتا ذي قار وميسان ومن الشرق إيران ومن الجنوب الخليج العربي والكويت ومن الغرب محافظة المثنى ، وتتكون المحافظة من تسعة أقضية كما تشير الخريطة (2) (قضاء البصرة وقضاء أبي الخصيب وقضاء الهارثة وقضاء الدير وقضاء الزبير وقضاء القرنة وقضاء الفاو وقضاء شط العرب وقضاء المدينة) ، أما الحدود الزمانية للدراسة فهي تتحدد من خلال واقع خطوط نقل النفط في محافظة البصرة لعام (

2021).

سادساً : أهمية الدراسة :- تكمن أهمية الدراسة في أن موضوع خطوط نقل النفط في محافظة البصرة قد أصبح من أهم المجالات المطروحة في وقتنا الحالي ، وذلك لأسباب بيئية واقتصادية ، وفي أهمية الحصول على هذه المنتجات النفطية كضمان للحاضر والمستقبل في الوقت ذاته .

سابعاً : هيكلية البحث :- تضمنت هذه الدراسة ثلاثة مباحث المقدمة ، تناول المبحث الأول مفهوم خطوط الأنابيب واهميتها وتصنيفها وخصائصها، بينما ركز المبحث الثاني على العوامل المؤثرة في خطوط نقل النفط في محافظة البصرة، وتوقف المبحث الأخير عند المشاكل التي تواجه خطوط نقل النفط في محافظة البصرة، والاستنتاجات والتوصيات.

خريطة (1) موقع محافظة البصرة من العراق

المصدر : جمهورية العراق ، الهيئة العامة للمساحة ، خارطة العراق الإدارية ، مقياس رسم الخريطة ١:١٠٠٠٠٠٠ ، بغداد ، ٢٠١٩.

خريطة (2) الوحدات الادارية لمحافظة البصرة لعام 2021

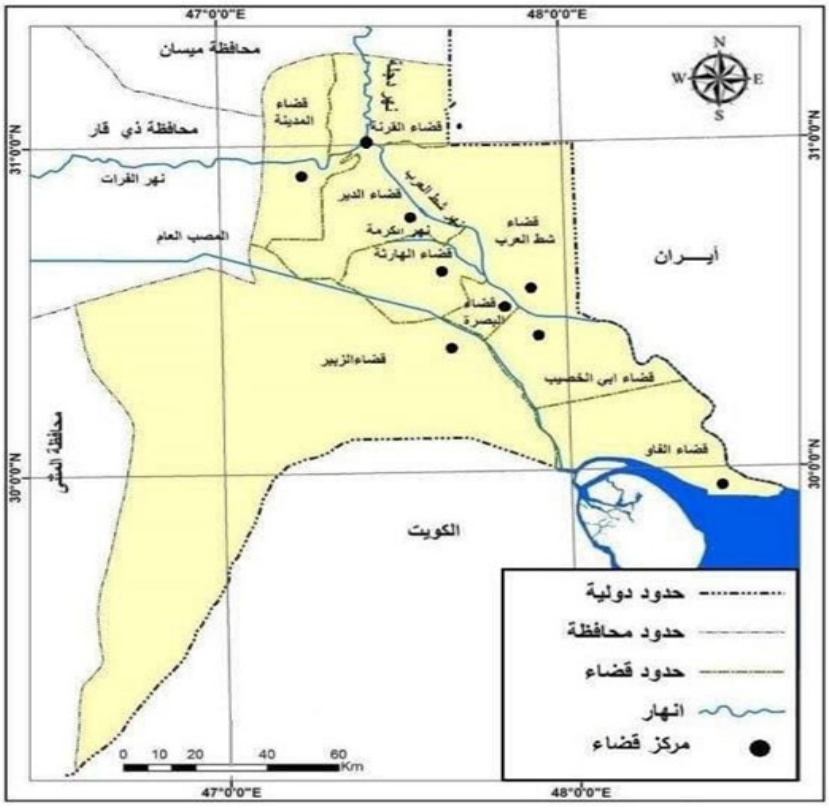

المصدر: جمهورية العراق ، الهيئة العامة للمساحة، خريطة محافظة البصرة الادارية، بمقياس ١: ١٠٠٠٠٠٠، بغداد، ٢٠٢١.

المبحث الأول

مفهوم خطوط الأنابيب واهميتها وتصنيفها وخصائصها

يهدف هذا المبحث إلى دراسة مفهوم خطوط الأنابيب واهميتها وتصنيفها وخصائصها على النحو الاتي :-

مفهوم خطوط الأنابيب: - هي عبارة عن أنابيب وتنقل من خلالها المنتجات البترولية المستخرجة من حقول الإنتاج إلى مراكز التكرير أو إلى مرافئ التصدير، وتصمم هذه الخطوط مراعاة لظروف بيئية معينة حتى تكون في توافق تام مع البيئة، وكذلك تعرف الأنابيب أنها خطوط

مجوفة متباينة في اتساعها وفي أطوالها إذ يصل طول البعض منها إلى آلاف الكيلومترات، وتستخدم لنقل المواد الغازية أو السائلة من مناطق الإنتاج إلى مناطق الاستهلاك [1] .

وقد جاءت فكرة أنابيب النقل لأول مرة عن طريق ديمتري مينديليف في عام 1963، وقد أقترح استعمال الأنابيب لعملية نقل البترول.

يوجد هناك العديد من أنواع الأنابيب وهي ما سنوضحه بما يأتي [2] :-

-1 الأنابيب المعدنية:- تصنع من معادن مختلفة كالرصاص والألمنيوم وغيرها، إذ إن الأنابيب النحاسية والمصنعة بطريقة السحب هي الأكثر رواجاً في المجالات الصناعية المحدودة من حيث الأطوال والضغوط والتدفقات.

-2 الأنابيب الفولاذية:- تصنع من صفائح فولاذية مقاومة للصدأ وتلف بشكل حلزوني، وتلحم من الجوانب لتشكل أنابيب ذات أقطار متعددة، وتستخدم هذه الأنابيب في نقل المياه والنفط والغاز تحت شروط معقدة تتمثل بالضغط وتبدلات حرارية ومناخية.

-3 أنابيب الحديد المطاوع:- تصنع بالسباكة بوساطة آلات الطرد المركزي، ويشيع استخدامها في نقل المياه والتطبيقات التي تستلزم طمر الأنابيب في الأرض ما يزيد صعوبة ظروف العمل، وتتميز هذه الأنابيب عن الأنابيب الفولاذية بسماكة كبرى للجدران ومقاومة كبيرة لظروف التربة والطقس .

أهمية النقل بالأنابيب : - إن زيادة الاهتمام بالأنابيب لنقل البترول والغاز ترتبط أصلاً بالخصائص والصفات التي يمتاز بها هذا النمط من أنماط النقل وأهم مميزاته [3] :-

-1 انخفاض تكاليف النقل بالأنابيب وذلك يرجع للأسباب الاتية :-

أ- إمكانية مدها بصورة مستقيمة عبر المناطق الشاسعة والمناطق الصحراوية ما يقلل من مسافة النقل الاخرى .

ب- انخفاض نفقات الصيانة بسبب التقدم في صناعة الأنابيب ومتانة المواد المستخدمة وتطور أنظمة الوقاية والسيطرة.

ج- لا تحتاج إلى وقت طويل وتكاليف للتفريغ والتحميل (عملية المناولة) مع انخفاض نسبة الضياع في المنتوجات المنقولة في أثناء عمليات التفريغ والتحميل .

د- اقتصادي في استخدام الأرض وذلك لقلة الحاجة إلى مساحات واسعة لمد خط الأنابيب عبرها.

-2 يمتاز النقل بالأنابيب بانخفاض معدل السرعة بوحدة المسافة مقارنة بوسائل النقل الأخرى ومع ذلك فإن لها عدة أسباب منها ، تدفق المواد المنقولة عبر الأنبوب وفي مختلف الظروف الجوية، مع عدم وجود عناصر تأخير تنجم عن تكرار عمليات المناولة وكلها عوامل تزيد من أهميته في نقل كميات أكبر وعبر وحدة المسافة.

-3 يستخدم في عملية النقل المستمر للبترول والغاز وبمعدل ثابت يمكن زيادته مع زيادة عدد محطات الضخ ، مع ملاحظة أن الكمية المنقولة ترتبط أصلا بمدى أتساع الأنبوب .

-4 تدني نفقات الاستثمار إذ إن سير العمل في خط الأنابيب يتطلب يداً عاملة قليلة قياساً بالنسبة للحمولة المنقولة .

-5 لا يمكن تفريغ المنتوج المنقول بالأنابيب إلا عند نهاية مسار الخط .

-6 النقل بالأنابيب أرخص وسائل النقل عدا النقل النهري فهو أقل كلفة اقتصادية من نقله بالسكك بنسبة تقدر ٪1 .

-7 إن صيانة البواخر تتطلب نفقات أكثر من صيانة الأنابيب.

-8 إن الأنابيب تقصر المسافة التي يجب على النفط أن يقطعها كالأسواق المستهلكة وبهذا يوفر الزمن.

-9 إن الاقتصاد في الوقت عن طريق الأنابيب له أهمية كبيرة في نقل النفط إلى الأسواق البعيدة وله مردودات تنعكس على أسعاره في نهاية المطاف.

-10 الاقتصاد في الرسوم المقروضة على المرور [4].

كما يتوفر حالياً العديد من المعايير أو المواصفات القياسية، لاحظ جدول (1) التي تشكل دليلا ومرشداً يمكن الاستعانة به خلال عملية التصميم، إذ يمكن لبعض

المشـغلين أن يعتمـدوا المعايـير أو المقاييـس الوطنيـة المتوفـرة لديهـم إلا أن العديـد منهـم يعتمـد عـلى الوحـدة القياسـية الأجنبيـة الشـائعة الاسـتخدام في صناعـة خطـوط الأنابيـب ، فيـما يخـص أنابيـب نقـل النفـط والغـاز، ومـن هـذه معايـير API (معهـد البـترول الأمريكـي) وANSI (معهـد المقاييـس الوطنـي الأمريكـي) و BS (المواصفـات القياسـية البريطانيـة) ، إذ إنـه وفي ضمـن المملكـة المتحـدة تصمـم خطـوط أنابيـب النفـط والغـاز بالاسـتعانة بالمواصفـات القياسـية PD 8010 ، فضـلاً عـن المواصفـة القياسـية IGE /TD 1 وهـي مواصفـة تم تطويرهـا مـن اتحـاد مديـري ومهنـدسي الغـاز في المملكـة المتحـدة وهـي خاصـة بتصميـم خطـوط الأنابيـب العاملـة وبنائهـا وتشـغيلها عنـد ضغـوط تتجـاوز 16 bar، كـما تذكـر المواصفـة IGE /TD / 1 أيضـاً البحـوث الحثيثـة التـي تجـرى عـلى أسـباب وعواقـب فشـل خطـوط الأنابيـب، لـذا يبـدو أن المواصفـة IGE /TD / 1 جديـرة بـأن تكـون مرجعـاً لعمليـات تطويـر معايير دوليـة لخطـوط الأنابيـب وأن تعتـبر توجيهاتهـا الممارسـة الأفضـل في مجـال صناعـة خطـوط الأنابيـب [5] .

جدول (1) المعايير أو المواصفات القياسية لخطوط الأنابيب في دول العالم

على البر		
١	ASME B31.4	خطوط أنابيب النفط
٢	ASME B31.8	خطوط أنابيب الغاز
٣	IGE/TD/1	خطوط أنابيب الغاز
٤	Po 8010	خطوط أنابيب الغاز والنفط
٥	AS2885	خطوط أنابيب النفط والغاز
الأنابيب البحرية		
١	DNV Recommended Practice(توصيات)	خطوط أنابيب النفط والغاز
٢	Po 8010	خطوط أنابيب النفط والغاز
٣	APIPRP1111	خطوط أنابيب النفط
٤	ASME B31.4	خطوط أنابيب النفط
٥	ASME31.8	خطوط أنابيب الغاز

المصـدر: إبراهيـم بسـام خزيـم، تحديـد الملامـح التقنيـة لتصميـم واسـتثمار أنابيـب النفـط، كليـة هندسـة البـترول، الجامعـة السـورية الخاصـة، 2016، ص7.

كما يتوفر حالياً العديد من المعايير أو مواصفات للأنابيب في محافظة البصرة لاحظ جدول (2) والشكل (1) التي تشكل دليلا ومرشداً يمكن الاستعانة به خلال عملية التصميم، إذ يمكن لبعض المشغلين أن يعتمدوا المعايير أو المقاييس المتوفرة لديهم إلا أن الاستخدام الأمثل في صناعة خطوط الأنابيب، يختص بـ أنابيب نقل النفط والغاز ومن هذه المعايير 10-8 يستخدم لضخ منتوج النفثا شعيبة عبر ميناء الخور، وطول الأنبوب 45كم ومواصفات الأنبوب API5LX60WT7.8MM, تبلغ الطاقة التصميمية والمتاحة(5000-4500) م³/ يوم، مواصفات الأنبوب API5L GR0B‹‹8 WY0.370 10" API5LXX. SEAMLESS WT.279 40 ذات طول45كم اسم أنبوب 10-8 زيت الغاز شعيبة- ميناء الخور فوق الأرض ذات الطاقة التصميمية والمتاحة (3000-3500) م³/ يوم، مواصفات الأنبوب API 5L X60WT 7.17.9MM ذات طول 45كم يستخدم لضخ 10» زيت الغاز شعيبة - ميناء الخور تحت الأرض ذات الطاقة التصميمية والمتاحة 6000 م³/ يوم، مواصفات الأنبوب API5LX60WT6.3MMM ذات طول 164كم اسم أنبوب 10» زيت الغاز شعيبة- ناصرية تحت الأرض ذات الطاقة التصميمية والمتاحة6000 م³/ يوم، مواصفات الأنبوب API5L X60 WT 8.7 ذات طول 168كم اسم الأنبوب 14 « منتجات شعيبة- ناصرية تحت الأرض ذات الطاقة التصميمية والمتاحة(6000 -11040) م³/ يوم. مواصفات الأنبوب 10"WT 0.25016" WT0.240 API GR A X52 -24"WT 0.296 ذات طول 45كم اسم أنبوب 10»16-»24-» زيت الوقود مصفى البصرة- ميناء الخور فوق الأرض ذات الطاقة التصميمية والمتاحة (12000) م³/ يوم، مواصفات الأنبوب API5LX52WT9.5 MM ذات طول 46 كم اسم أنبوب 22» زيت الوقود فوق الأرض ذات الطاقة التصميمية والمتاحة (20000-24000) م³/ يوم مواصفات الأنبوب GRX52 ذات طول 6 كم أسم أنبوب12

« نفـط خـام مغـذي محطـة كهربـاء الهارثـة فـوق الأرض ذات الطاقـة التصميميـة والمتاحـة (6000) م³/ يـوم، مواصفـات الأنبـوب GRX52 ذات طـول 6 كـم اسـم أنبـوب 8» تحـت الأرض نفـط خـام المغـذي إلى محطـة كهربـاء نجيبيـة ذات الطاقـة التصميميـة والمتاحـة (6000) م³/ يـوم ، مواصفـات الأنبـوبAPI5LX60WT 7.1MM ذات طـول 9 كـم اسـم أنبـوب 10» زيـت الوقـود مصفـى البـصرة - كهربـاء شـط البـصرة ذات الطاقـة التصميميـة والمتاحـة (6000-8500) م³/ يـوم، مواصفـات الأنبـوب وتعتمـد صلاحيتـه عـلى الحمايـة الكاثوديـة العائـدة إلى نفـط الجنوب API XX42 ذات طـول43 كـم و المقطـع 10 بطـول 8 فـوق الأرض WT0.240APIGR 5L XX52 اسـم أنبـوب24» 10-» زيـت الوقـود المغـذي الى مينـاء ابـو فلـوس ذات الطاقـة التصميميـة والمتاحـة (3500-4000) م³/ يـوم، مواصفـات الأنبـوبAPI5LGRX60 HFI /ERW DESIN PRUSER38 /KG / CM ذات طـول أنبـوب 19 كـم اسـم أنبـوب 10» مصفـى البـصرة- كهربـاء النجيبيـة ذات الطاقـة التصميميـة والمتاحـة (5000) م³/ يـوم ، مواصفـات الأنبـوب PIS2GRX60 ذات طـول 46 كـم اسـم أنبـوب 16 عقـدة بنزيـن مسـتورد شـعيبة - مينـاء الخـور ذات الطاقـة التصميميـة والمتاحـة (7000-8000) .

جدول (2) مواصفات الأنابيب في محافظة البصرة لعام 2021

ت	أسم أنبوب	طول الأنبوب	مواصفات الأنبوب	طاقة التصميمية والمتاحة م^3/ يوم
1	8- يستخدم لضخ منتوج النفثا شعيبة10 ميناء الخور	كم45	API5LX60WT7.8MM	**50004500-**
2	8-10 زيت الغاز شعيبة- ميناء الخور فوق الأرض	كم45	8" API5L GR0B WY0.370 10" API5LXX. 40 SEAMLESS WT.279	30003500-
3	" زيت الغاز شعيبة - ميناء الخور تحت10 الأرض	كم45	API 5L X60WT 7.17.9MM	**6000**
4	" زيت الغاز شعيبة- ناصرية تحت الأرض10	**كم164**	API5LX60WT 6.3MMM	6000
5	" منتجات شعيبة- ناصرية تحت الأرض14	كم168	API5L X60 WT 8.7	**600011040 -**
6	"-16"-24" زيت الوقود مصفى البصرة10 ميناء الخور فوق الارض	كم45	10"WT 0.25016" WT0.240 API GR A X52 -24"WT 0.296	**12000**
7	" زيت الوقود فوق الارض22	كم46	API5LX52 WT9.5 MM	2000024000-
8	" نفط خام مغذي محطة كهرباء الهارثة12 فوق الارض	كم6	GRX52	**6000**
9	" تحت الارض نفط خام المغذي الى محطة8 كهرباء نجيبية	كم6	GRX52	**6000**
10	" زيت الوقود مصفى البصرة – كهرباء10 شط البصرة	كم9	API5L X60 WT 7.1MM	**8500-6000**
11	" -10" زيت الوقود المغذي الى ميناء ابو24 فلوس	كم43	وتعتمد صلاحيته على الحماية الكاثودية العائدة الى نفط الجنوب API XX42 المقطع 10» بطول 8 فوق الارض WT0.240APIGR 5L XX52	**35004000-**
12	" مصفى البصرة- كهرباء النجيبية10	كم19	API5LGRX60 HFI/ERW DESIN PRUSER38/KG/CM	5000
13	عقدة بنزين مستورد شعيبة - ميناء الخور16	كم46	PIS2GRX60	70008000-

المصدر: -1 شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب ، قسم الحاسبة، لعام 2021، بيانات غير منشورة.

-2 شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب ، سجل خطوط الأنابيب النفطية، لعام 2021، بيانات غير منشورة.

-3 شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب، قسم التشغيل، لعام 2021، بيانات غير منشورة.

الشكل (1) مواصفات الأنابيب في محافظة البصرة لعام 2021

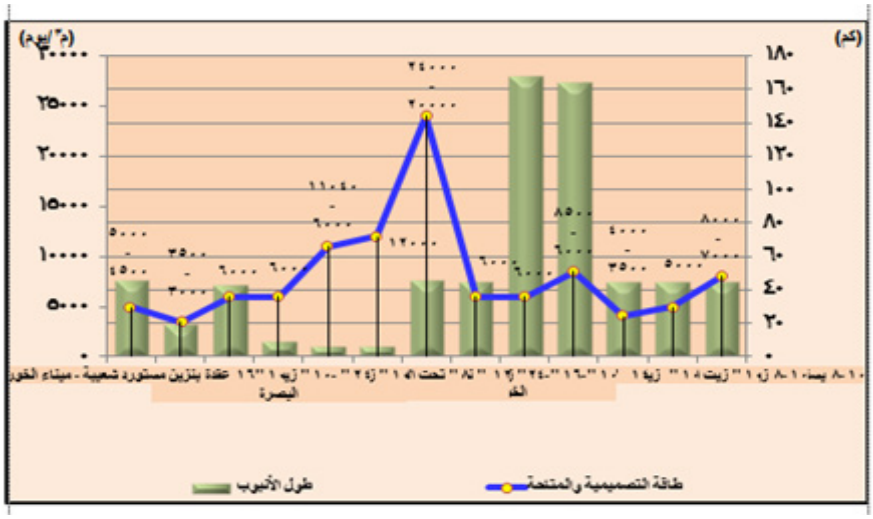

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على جدول (2)

تصنيف خطوط الأنابيب:- يتم تصنيف خطوط الأنابيب الفنية على الأسس التالية :-

-1نوع المادة المنقولة: تصنف الأنابيب الفنية إلى أنابيب للنفط والغاز وللبخار وللزيوت والمازوت والأوكسجين.

-2 معدن الأنبوب : ومنه تتم صناعة الأنبوب، وإن الأنابيب تتواجد مصنوعة من حديد الصلب بأنواعه الكاربوني، السبائكي، العالي السبائكية أو من معادن غير حديدية ومن سبائكها مثل (النحاس بنوعية الأحمر والأصفر أو التيتانيوم من الرصاص أو الألمنيوم) من حديد الزهر أو من المواد غير المعدنية مثل اللدائن ومن الزجاج والمطاط وغيرها من المواد.

-3 عوامل التشغيل: يترأسها الضغط الأقصى للتشغيل الذي من ممكن أن يكون ضغط تفريغ، أو ضغطاً منخفضاً وقيمته أقل من 1 ضغطاً جوياً (1 bar) ، وضغطاً منخفضاً قيمته تصل إلى (100 bar)، ثم ضغطاً عالياً أعلى من (100 bar) ، وأخيراً الضغط التشغيلي الثابت.

-4 درجة أو شدة الظروف

المحيطة: للمواد المنقولة حيث تصنف الأنابيب إلى أنابيب تعمل في ضمن ظروف محيطة خفيفة غير شديدة أي أنابيب ذات الدرجة الخفيفة ثم الأنابيب ذات الدرجة المتوسطة في طبيعة عملها وبضمن ظروف محيطة متوسطةٌ وتصنع هذه الأنابيب ذات الدرجة الخفيفة والمتوسطة من الحديد الكاربوني، وأخيراً الأنابيب ذات الدرجة العالية الشدة أو التي تعمل في ظروف محيطة شديدة، وتصنع من حديد الصلب المسبوك مع مواد عنصرية أخرى مثل الكادميوم والمولبيديوم والمغنسيوم والمنغنيز، أما تحمل أو ثبوت المعدن للأنابيب في وسائط التآكل فيتم تقييمه بوساطة سرعة انتشار التآكل، أي معدل التدمير التآكلي للمعدن في وحدة الزمن (year /mm) .

-5موقع النصب لخطوط الأنابيب: إذ إن الغرض من هذه الخطوط هو توصيل أو اتحاد الآلات والأجهزة والمعدات ببعضها البعض في محطة فنية أو مجمع لورشة أو داخل مبنى أو موقع مكشوف، إلا أن خطوط الأنابيب في داخل الورش تتواجد متقاطعة وتتضمن ٪70 من مجموعها وذات التوزيع ٪30.

-6 الصنف أو المجموعة: إذ تمتلك المجموعة الأولى تمتلك تركيباً أو شكلاً معقداً مع عدد من الأجزاء والوصلات ومنها الملحومة لغرض وصل الأنابيب ولكل 100 م من طول هذه الأنابيب تتطلب ما بين 80 إلى 120 عقدة لحام، أما المجموعة الثانية ذات التوزيع فتتكون مع أجزاء مستقيمة من أطوال الأنابيب التي تتراوح من عدة مئات من الأمتار، ولكن بعدد قليل من الأجزاء والوصلات وعقد اللحام، فيما يخص مجموعة الأنابيب المعدنية من حديد الصلب فإنها تصنف أو تقسم استناداً إلى عوامل التشغيل (الضغط ودرجة الحرارة) المواد المنقولة بوساطة خطوط الأنابيب، إذ تصنف خطوط الأنابيب المصنوعة من حديد الصلب، بحيث يكون منها ذات الضغط الأقصى Pmax إلى أقل من 100 bar وتقع في ضمن مجموعات (A.B.C)، خطوط الأنابيب الناقلة لبخار الماء

وبضغط تشغيلي أكثر من 0,7 bar, أو للماء الساخن بدرجة حرارة أعلى من 115C° بينما خطوط الأنابيب البلاستيكية من (البولي ايثلين والبولي بروبيلين والبولي فينيكلوريد) ، فتستخدم لنقل المواد التي لا تتفاعل معها مواد الأنبوب كيميائياً [5] .

خصائص النقل بالأنابيب :-

وبالنسبة إلى خصائص نقل الأنابيب في محافظة البصرة ، فتستخدم بالدرجة الأولى في نقل النفط والغاز الطبيعي والماء وتمتاز المحافظة بوجود شبكة جيدة من خطوط الأنابيب التي ترتبط بها معظم الصناعات الأساسية في المحافظة ، ونظراً لوجود الحقول النفطية الكبيرة في محافظة البصرة، فقد تم مد الأنابيب من حقول الإنتاج إلى أماكن التصدير أو إلى مصانع تكرير النفط ، كما يصدر نفط الرميلة الشمالية بوساطة الأنبوب الذي يربط الحقل بميناء الفاو بطول 138 كم ، وبقطر 28 أنجاً وتبلغ الطاقة السنوية للأنبوب مليون طن من النفط، وقد أنجز هذا الخط في عام 1973، كذلك يضخ النفط من حقل الرميلة على الزبير عبر خطوط أنابيب بقطر 12 ، 16 أنجاً عدد أربعة وبطول حوالي 29 كم لتلتقي جميعها قرب حقول الزبير، إذ يتم ضخ نفط الرميلة والزبير إلى مرافئ التصدير عبر خطوط أنابيب من قطر 24, 32,3 أنجاً وبطول حوالي 104 كم وهناك خط ثالث لنقل الغاز الطبيعي لإدارة المضخات الأربعة التي تقوم بضخ النفط من الفاو إلى مرفأ خور العمية بوساطة خطي أنابيب من قطر 32 أنجاً يمتدان تحت الماء وبطاقة 9000 طن في الساعة [6] .

المبحث الثاني

العوامل المؤثرة في خطوط نقل النفط في محافظة البصرة

يهدف هذا المبحث إلى دراسة وتحليلها العوامل المؤثرة في خطوط نقل النفط في محافظة البصرة، وبيان تأثير تلك العوامل في الأنابيب وتشمل : - الموقع الجغرافي ، والمناخ ، والتكوين الجيولوجي ومظاهر السطح، وامتداد الموارد المائية

السطحية، وامتداد المدن السكنية والمشيدات، وصناعة الأنابيب والتكنولوجيا.

أولاً- الموقع الجغرافي :- تقع محافظة البصرة في الجزء الجنوبي الشرقي من العراق ، وتقع بين دائرتي عرض (29,05° - 31,20°) شمالاً وقوسي طول (46,40° - 48,30°) شرقاً ويحدها بعض المحافظات مثل ميسان وذي قار والمثنى، وهي محاذية لدولتين الكويت من الجنوب وإيران من الشرق وتطل على الخليج العربي المنفذ البحري الوحيد للعراق، وبذلك فإن محافظة البصرة تتميز بالمنافذ الاستراتيجية البرية (الطرق الرئيسة) والبحرية (الموانئ) على الدول المجاورة ، وهذا الحال يعطيها الأولوية في إقامة أهم الصناعات في العراق وأكبرها لما تمتلكه من موقع استراتيجي يؤهلها لأن تحتل مكانة الصدارة الصناعية في العراق، إذ تتميز محافظة البصرة بموقع يوفر لها إمكانية كبيرة لبناء الصناعة وتطويرها[7] ، وإطلالها على الحد الشمالي لمياه الخليج العربي جعل منها نافذة العراق البحرية الوحيدة من جهة وإعطاؤها الأفضلية في وسهولة وصول البضائع والمنتجات نحو الأسواق الوطنية والأجنبية من جهة أخرى، لذا فإن الموقع الجغرافي لمحافظة البصرة أثرّ على قيام خطوط نقل النفط وتطورها، لكونها تقع بالقرب من مناطق إنتاج النفط الغنية في جنوب العراق وإطلالته على موانئ تصديره .

وقد أعطى هذا الموقع لمحافظة البصرة ميزة خاصة بها من دون غيرها من المحافظات الأخرى، إذ جعلها تستحوذ على جميع موانئ العراق، وجعلها ممراً أرضياً وبحرياً مهماً يربط ما بين العالم الخارجي ومحافظات الدولة كافة، من خلال وسائل النقل وطرقها الأخرى، هذا من جهة، من جهة أخرى لتحكمها بالمنافذ البحرية كافة .

ثانياً- المناخ :- للخصائص المناخية دورُ بارزُ كعامل مؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على عمليات تحميل النفط في موانئ البصرة، فضلاً عن أن درجات الحرارة تسهم في زيادة نسبة تبخر المنتجات النفطية الخفيفة، إذ إن درجات الحرارة تؤثر على انسيابية

النفط في خط الأنابيب، لذا نجد أن الحرارة في تأثيرها في مسار الخط الأصلي تتباين من مكان إلى آخر بحسب طبيعة درجة الحرارة السائدة فيه، بحيث نجد أن الأراضي المحيطة بها التي يمتد منها خط الأنابيب، ستفضي إلى فقدان في الكميات وخسارة في الأموال، ومن مجمل ما تقدم في هذه الفقرة نستطيع القول أن تأثير عامل المناخ كعامل جغرافي ذي أهمية على مسار خط الأنابيب، هو ذو تأثير محدود في سلبياته بشكل خاص بخط الأنابيب النفطية في محافظة البصرة، يبلغ المعدل السنوي لزاوية السطوع الشمسي في محافظة البصرة كما يتضح من جدول (3) بحدود (60,6) درجة وتصل أقصاها في شهري حزيران (81,7) درجة وتموز بمقدار (80,6) درجة بينما تبلغ أدناها في شهري كانون الأول وكانون الثاني لتبلغ (35,6) درجة و(36,6) درجة على التوالي ويرتبط مع زاوية السقوط مقدار الإشعاع الشمسي إذ يبلغ المعدل العام لكمية الإشعاع الشمسي (465,4) سعرة / سم^2/ يوم ويصل أقصاها في شهر حزيران لتبلغ (696,3) سعرة / سم^2/ يوم وأدنى معدل في شهر كانون الأول (273,1) سعرة / سم^2/ يوم .

جدول (3) المعدلات الشهرية لزوايا سقوط الإشعاع الشمسي وطول النهار النظري والفعلي (ساعة / يوم) وكمية الاشعاع الشمسي (سعره / سم^2 / يوم) في محافظة البصرة للمدة (2000 -2020)

ت	الشهور	زوايا الإشعاع الشمسي (الدرجة)	ساعات السطوع النظرية (ساعة / يوم)	ساعات السطوع الفعلية (ساعة / يوم)	كمية الاشعاع الشمسي (سعره /سم^2/ يوم)
1	كانون الثاني	36,6	10,28	6,2	281,0
2	شباط	47,7	11,1	7,5	349,2
3	آذار	57,6	11,48	8,2	446,5
4	نيسان	68,7	12,4	8,5	338,0
5	مايس	78,6	13,42	9,2	662,8
6	حزيران	81,7	14,57	11,2	696,3
7	تموز	80,6	14	12	679,9
8	آب	73,7	13,11	11,4	586,1
9	أيلول	62,7	12,21	10,5	523,1
10	تشرين الأول	52,7	11,4	9,1	423,2
11	تشرين الثاني	50,7	10,48	7,5	325,1
12	كانون الأول	35,6	11,17	6,2	273,1
المعدل السنوي		60,6	12,1	8,9	465,4

المصدر : الهيئة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي ، قسم المناخ ، بيانات غير منشورة ، 2020.

كما يتبين من جدول (4) تباين معدلات درجات الحرارة العظمى في محافظة البصرة من شهر إلى آخر إذ يبلغ المعدل السنوي لدرجات الحرارة العظمى (34,3) مْ وترتفع أقصاها في شهري تموز وآب لتصل (47,5) مْ و(47,4) مْ على التوالي، ويبلغ المعدل السنوي لدرجة الحرارة الصغرى (19,9) مْ وتصل أدناها في شهري كانون الأول (9,4) مْ وشهر كانون الثاني (8,1) مْ .

إن درجة الحرارة تؤثر سلباً وإيجابا، على انسيابية النفط في خط الأنابيب، لذا نجد أن الحرارة في تأثيرها في مسار الخط الأصلي تتباين من مكان إلى آخر بحسب طبيعة درجة الحرارة السائدة فيه، بحيث نجد أن الأراضي المحيطة بها التي يمتد

منها خط الأنابيب، تفضي إلى فقدان في الكميات وخسارة في الأموال، ومن مجمل ما تقدم في هذه الفقرة نستطيع القول أن تأثير عامل المناخ كعامل جغرافي له أهمية على مسار خط الأنابيب، وهو ذو تأثير محدود في سلبياته بشكل خاص بخط الأنابيب النفطية في محافظة البصرة.

جدول (4) المعدلات الشهرية لدرجات الحرارة العظمى والصغرى (م^{5}) في محافظة البصرة للمدة (2000-2020)

ت	الشهور	معدلات درجات الحرارة العظمى (مْ)	معدلات درجات الحرارة (الصغرى (مْ
١	كانون الثاني	١٨,٨	٨,١
٢	شباط	٢٢,٣	١٠,٢
٣	آذار	٢٨,٢	١٤,٦
٤	نيسان	٣٣,٦	٢٠,٠
٥	مايس	٤٠,٦	٢٦,٥
٦	حزيران	٤٥,٣	٢٩,٠
٧	تموز	٤٧,٥	٣٠,٨
٨	آب	٤٧,٤	٢٩,٨
٩	أيلول	٤٣,٤	٢٥,٦
١٠	تشرين الأول	٣٧,٣	٢١,٤
١١	تشرين الثاني	٢٦,٧	١٣,٩
١٢	كانون الأول	٢٠,٧	٩,٤
	المعدل السنوي	٣٤,٣	١٩,٩

المصدر: الهيئة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي ، قسم المناخ ، بيانات غير منشورة ،2020.

يتبن من جدول (5) تباين معدلات الأمطار والرطوبة النسبية في منطقة الدراسة إذْ يبلغ المعدل السنوي العام للأمطار (132,4) ملم وترتفع أقصاها في شهري كانون الأول (25,9) ملم وكانون الثاني (26,9)

ملم وتنخفض إلى أدناها في شهري تشرين الأول (5,6) ملم ومايس (3,4) ملم ، ويتوقف تساقط الأمطار في أشهر حزيران وتموز وآب وأيلول، أما بالنسبة إلى الرطوبة النسبية في محافظة البصرة فيبلغ معدلها السنوي العام (40,01%) وترتفع الرطوبة النسبية وتصل أقصاها في شهري كانون الثاني (64,3%) وكانون الأول (65,9%) وتصل أدناها في شهري حزيران (18,8%) وتموز (20٪)، يظهر مما تقدم تأثير عامل المناخ على خطوط الأنابيب، إذ تؤثر الرطوبة تأثيراً سلبياً على كفاءة الأنابيب بحيث تسهم في تسريع عملية تعرضها للتأكل ولاسيما إذا كانت غير محمية، ولكون الأنابيب مصنوعة من المعدن فهي عرضة لعوامل المناخ، ما يسبب تأكل الأنابيب وتعرضها للصدأ ومن ثم يؤدي إلى تسرب النفط ما يلحق الضرر المادي الكبير بتلك الصناعة.

جدول (5) المعدلات الشهرية الأمطار والرطوبة النسبية للمحافظة البصرة (2000-2020)

ت	الشهور	الأمطار ملم	الرطوبة النسبية (٪)
١	كانون الثاني	٢٦,٩	٦٤,٣
٢	شباط	١٨,٥	٥٥,٤
٣	آذار	٢٠,٩	٤٣,٤
٤	نيسان	١٣,١	٣٧,٣
٥	مايس	٣,٤	٢٦,٣
٦	حزيران	٠	١٨,٨
٧	تموز	٠	٢٠
٨	آب	٠	٢٣,١
٩	أيلول	٠	٢٦,٣
١٠	تشرين الأول	٥,٦	٣٧,٣
١١	تشرين الثاني	١٨,١	٥٤,٩
١٢	كانون الأول	٢٥,٩	٦٥,٩
المعدل السنوي		١٣٢,٤	٣٩,٤

المصدر: الهيئة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي ، قسم المناخ ، بيانات غير منشورة، 2020.

ثالثاً : التكوين الجيولوجي ومظاهر السطح :-

إن التاريخ الجيولوجي لمنطقة ما يحدد طبيعية الصخور فيها وبنيتها، ومن ثم أنواع المعادن المتاحة للاستثمار الصناعي، ما له علاقة كبيرة بأنواع الصناعات التي يمكن أن تقام أو تتوطن فيها، وللبنية الجيولوجية تأثير في استقرار الموضع الذي يعني قدرة التربة على تحمل الأثقال والإنشاءات ، ولها دورُ في تحديد مستوى المياه الجوفية ومن ثم نوع وكلف الإنشاءات الصناعية ومدى ثبات الأسس وتآكلها، مما يتوجب مراعاة بداية تشييد مشاريع الصناعة [8] ، إن السطح في محافظة البصرة ينقسم على قسمين هما:

أولا: السهل الرسوبي الذي يقع في القسم الشرقي ويشغل مساحة مقدارها (8707) كم^2 وبنسبة (45,7%) من مساحة محافظة البصرة البالغة (19070) كم^2 [9]، كما أن لطبيعة السطح أثر في الصناعة فتنوع التضاريس يؤدي إلى تنوع المناخ ومن ثم تنوع الإنتاج الذي يؤثر بدوره بتنوع الصناعات القائمة في الأقاليم وترتبط جيولوجية المحافظة بالتطور الجيولوجي للعراق، الذي يتأثر بعاملين مهمين هما وجود كتلة جندوانالاند في الغرب التي تتصف بصلابة صخورها والتي قاومت الحركات الارضية، كما تتأثر بتكرار غمر بحر تيثس (Tethys) للبابسة في عدد من الحقب الزمنية وانحساره في حقب أخرى، وعليه نتج سطح منطقة الدراسة عن ثلاثة عوامل تمثلت أولاً: بعمليات الإرساب بواسطة أنهار دجلة والفرات وشط العرب والكارون والوديان الجافة والمنحدرة من الهضبة الغربية، ثانياً: الحركات الأرضية الحديثة والمستمرة، ثالثاً: عمليات التعرية، كما يتميز هذا الإقليم بانبساط السطح وانحداره البطيء من الشمال 4,5 م إلى جنوب إقل من 0,5 م فوق سطح البحر [10]. وهذا التباين في عملية الإرساب أدى إلى وجود مظاهر تضاريسية مختلفة في هذا القسم تمثلت بمناطق كتوف الأنهار التي تكونت نتيجة الإرسابات التي نقلتها أنهار دجلة والفرات وشط العرب والكارون

ومناطق احواض الأنهار التي تقع على جانبي أراضي كتوف الأنهار وتمتد من شمال محافظة البصرة، متمثلة بالأراضي الواقعة شرق نهر دجلة إلى المناطق الواقعة شرق وغرب أراضي كتوف مجرى نهر شط العرب وحتى الجنوب عند الجانب الغربي للنهر ليبلغ ارتفاعها عند مدينة القرنة (0,5) ، والأهوار والمستنقعات، أما القسم الثاني: المتمثل بالهضبة الغربية التي تشغل القسم الغربي من محافظة البصرة بمساحة (10363) كم^2، وبنسبة (54,3%) من مساحة الكلية للمحافظة البصرة، فأراضيها ترتفع في الغرب (244) م وتنحدر نحو الشمال والشرق إلى 5 م فوق مستوى سطح البحر[11] ، ينظر خريطة (3), إن عامل التكوين الجيولوجي ومظاهر السطح له تأثير في تحديد مسارات الأنبوب في محافظة البصرة ، كما أنهما يؤثران أيضاً بتحديد نوع المعدن، ومسافات وضع الأنبوب عند الأرض ، هذا فضلاً عن نوع الصخور وأثرها في وضع الدعامات والمساند ، كما يؤثر عمق مستوى المياه الجوفية عن السطح الأرض وأثرها في تحديد أبعاد الأنبوب ، أذ إن تأثير الرطوبة على المعدن الحديدي للأنابيب النفطية يكون بشكل بطئ في التربة الجافة عند مرور الأنبوب من خلالها، وتكون أسرع إذا مرت خطوط الأنابيب في منطقة تحتوي على الرطوبة .

رابعاً : امتداد الموارد المائية السطحية :- في اختيار مسار الأنبوب المفترض أن لا يمر بالمورد المائي السطحي ، وإذا حدث أن عبر هذا الأنبوب بضمن المسار المائي السطحي، فيكون مسار هذا الأنبوب Coated مغطى أو محمياً، والأنبوب عادة يستهلك بطريقة أسرع من غيره، مثلاً أنبوب ممتد في الأراضي الصحراوية فمعظم الأحيان عند مسار الأنبوب أو الأنبوبين يعبر وسط مائي بقية الأنابيب وأغلبها تعبر الأرض الجافة أ وتكون تكلفتها أكثر إذا مدت الأنابيب في مسطح المائي فإن عملها يكون أصعب والسماكة تكون اشداً وإن انتفال النفط في داخل الأنابيب يفترض أن يكون خاضعاً لتأثير قوة خارجية وهذه القوة يمكن أن تنتج

مـن الجاذبيـة الأرضيـة وبهـذا يكـون بعـض مـن خطـوط الأنابيـب يعمـل مـن دون الحاجـة المضافـة إلى أي جهـاز آلي وذلـك عندمـا تكـون نقطـة وصولـه واقعـة في مـكان أكثـر انخفاضـا مـن نقطـة الانطـلاق، إلا أنـه في معظـم الحـالات يجـب اللجـوء إلى أجهـزة متخصصـة لإحـداث الحركـة المطلوبـة في النفـط داخـل الأنابيـب مـع الأخـذ بالحسـبان المقطـع العمـودي للخـط، وعـلى العمـوم فـإن المضخـات تكـون مطلوبـة هنـا للزيـادة في سرعة انسـياب النفـط [12] .

خريطة (3) البنية الجيولوجية السطحية في محافظة البصرة

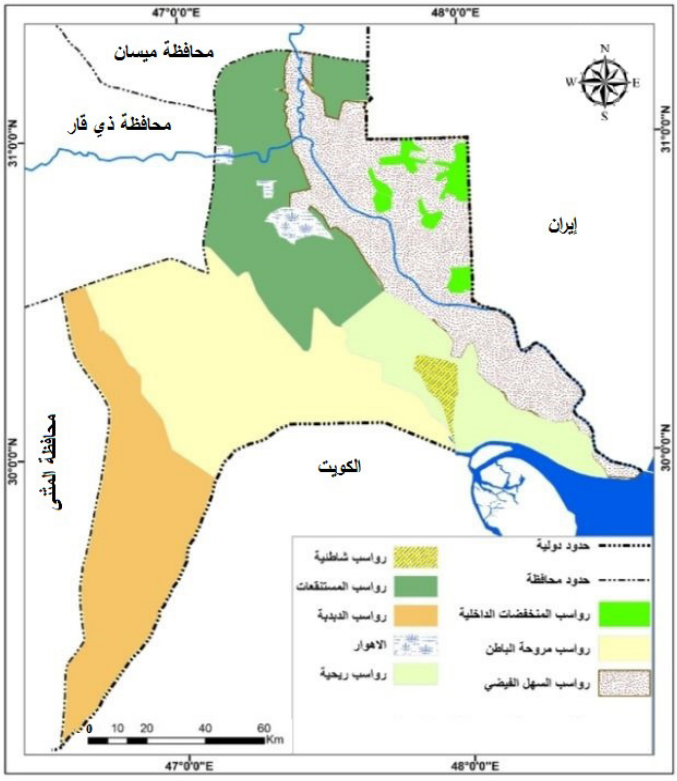

المصـدر : مـن عمـل الباحثـة بالاعتـماد عـلى جمهوريـة العـراق، وزارة الصناعـة والمعـادن، الشركـة العامـة للمسـح الجيولوجـي والتعديـن، خارطـة العـراق، الجيولوجيـة 1:6000000 ، لعـام 2021.

خامساً- امتداد المدن السكنية والمشيدات :- من المعروف أن المواقع النفطية تقع خارج المدن السكنية وإذا حدث أن كانت في المدن المحيطة بها تكون مسارات الأنابيب لها المحرمات يطلق عليها تسمية محرمات بحدود 300م تبتعد عن أي طريق تمده البلدية أو المناطق السكنية أو المدن أخرى، أما في الوقت الحالي إذ يوجد هناك العشوائيات والمشيدات بين مناطق متفرقة وأخرى لكنها غير رسمية، تؤثر على الأنابيب بشكل مباشر إذا كانت هناك صيانة خاصة للأنابيب. وتؤثر الأنابيب النفطية على السكان من ناحية الخطورة وتوفير السلامة العامة، والقانون يحمي محرمات بالأنابيب من العشوائيات ومن طول الأنبوب أو قصره وذلك تبعاً للمواقع النفطية وأهميتها أيضاً، فيتم اختياره بشكل منطقي وليس عشوائياً ونلاحظ دائما أن المواقع النفطية الخاصة بالأنابيب تكون خارج المدينة والمواقع النفطية تكون قريبة من طرق سريعة وقريبة من الموانئ والمنافذ وهذه طبيعة اختيار بالنسبة للمواقع الصناعي[13].

سادساً- صناعة الأنابيب والتكنولوجيا:- من الناحية التكنولوجية تستخدم خطوط الأنابيب (pipelines) في المنشآت الصناعية أو في ضمن فروعها التي من خلالها يتم نقل المواد المختلفة منها المواد الأولية أو المواد النصف مصنعة والمواد المرحلية وأخيراً المواد المنتجة نهائياً وفضلاً عن مخلفات الإنتاج ومن استخدام الآلات والمعدات فضلاً عن ذلك تستخدم شبكات الأنابيب للاستعمال الصحي وللتدفئة والتبريد ولمياه الشرب. وبعد التقدم التكنولوجيا الذي سمح للمصنعين تصنيع الأنابيب ذات الأقطار الكبيرة وأنظمة شبكات الأنابيب الكفوءة ومن إنشاء محطات الضخ المشغلة بالقدرة الكهربائية النقية وإن معظم الكميات النفطية يتم نقلها من خلال أنظمة شبكة الأنابيب الأوتوماتيكية (ذاتية) إن الأوتوماتيكية تعد العامل الكبير في تخفيض أعداد وأحجام الأنسكابات

في الأنابيب Pipeline Spills)) أ هذه الأنظمة المبرمجة بالحاسوب تدعى التحكم بالأشراف واكتساب المعلومات SCADA (Supervisory Control and Data) الذي يسمح فقط للمشتغلين المدربين بالعمل في غرف التحكم المركزي للسيطرة والتحكم ولمراقبة معدلات الجريان والضغوط وخصائص المائع ويتم تحديد المتغيرات وكشفها وبخاصة التسربات وإيقاف عمل الأنابيب فوريا وتحديد الموقع وإرسال طاقم العمل للفحص والتحقيق [14] .

يوضح الجدول (6) تفاصيل بعض الخطوط والأنابيب النفطية في محافظة البصرة لهذا المنتوج المصفى الشعيبة إذ يكون قطر أنبوب الخط الناقل للغاز الجاف من جسر الزبير إلى نقطة المزرعة (عبادان – رميلة) 48 عقدة في حين يكون الأنبوب المتفرع من الخط الإيراني عبادان – الرميلة الذي يقوم بنقل الغاز الجاف أيضاً من النقطة 35 إلى محطة كهرباء شط البصرة ذات قطر 32 عقدة ويكون أنبوب غاز الجنوب - محطة كهرباء الهارثة الذي ينقل الغاز الجاف من معبر معمل الماء قرب محطة الوقود إلى النقطة 27 صمامات ذات قطر 24 عقدة في حين يكون أنبوب رميلة فاو الذي ينقل النفط الخام من نقطة المزرعة إلى جسر الزبير ذات قطر 28 عقدة يكون أنبوب شعيبة – ناصرية الذي ينقل البنزين من الخطوط برج 6 إلى نقطة المزرعة ذات 14عقدة يكون أنبوب شعيبة – ناصرية الذي ينقل زيت الغاز من الخطوط برج 6 إلى نقطة المزرعة ذات 10 عقدة وأما أنبوب مصفى – محطة كهرباء النجيبية الذي ينقل زيت الوقود من مصفى الشعيبة برج 12 إلى جسر المطار في حين يكون أنبوب الصمامات – محطة كهرباء شط البصرة الذي ينقل زيت الغاز من نقطة الصمامات إلى محطة كهرباء ذات 10 عقدة في حين يكون أنبوب شعيبة – ميناء خور الزبير الذي ينقل زيت الغاز من مصفى الشعيبة برج 17 إلى نقطة الصمامات ذات 8عقدة وأما أنبوب شعيبة – ميناء خور الزبير الذي ينقل نفطاً من مصفى الشعيبة برج 17 إلى نقطة الصمامات ذات 8 عقدة يكون

أنبوب شعيبة – ميناء خور الزبير الذي ينقل زيت الغاز من مصفى الشعيبة برج 17 إلى نقطة الصمامات ذات 10عقدةً في حين يكون أنبوب شعيبة – ميناء خور الزبير والذي ينقل البنزين من مصفى الشعيبة برج 17 إلى نقطة الصمامات ذات 16 عقدةً وأنبوب شعيبة – ميناء خور الزبير الذي ينقل زيت الوقود من مصفى الشعيبة برج 17 إلى نقطة الصمامات ذات 10 عقدةً في حين يكون أنبوب شعيبة – ميناء خور الزبير الذي ينقل زيت الوقود من مصفى الشعيبة برج 17 إلى نقطة الصمامات ذات 24 عقدةً وأما أنبوب زبير / 1 – شعيبة الذي ينقل غاز الجاف من قرب محطة أبو فهد إلى مصيدة السوائل ذات 10 عقدةً في حين يكون أنبوب شعيبة – محطة كهرباء الشعيبة الغازية والذي ينقل غاز الجاف من مصيدة السوائل إلى محطة كهرباء الشعيبة الغازية ذات 8عقدة، في حين يكون أنبوب شعيبة – زبير مشرف الذي ينقل غاز الجاف من مصيدة السوائل إلى قرب محطة ابو فهد ذات 10 عقدةً ويكون انبوب مصيدة السوائل - مصفى شعيبة والذي ينقل غاز الجاف من مصيدة السوائل إلى مصفى الشعيبة س 2 ذات 8 عقدةً واما أنبوب زبير / 1 - شعيبة الذي ينقل نفط الخام من قرب محلات التجاوز إلى مصفى الشعيبة س 2 ذات 20 عقدةً بينما يكون أنبوب بازركان – الفاو الذي ينقل نفط الخام من مصفى الشعيبة برج 12 إلى نقطة الصمامات ذات 42عقدةً وأخيراً أنبوب بازركان – الفاو الذي ينقل النفط الخام من مصفى الشعيبة برج 12 إلى نقطة الصمامات ذات 28عقدة .

جدول (6) خطوط الأنابيب النفطية في محافظة البصرة

ت	اسم الانبوب	القطر - عقدة	نوع المنتوج	الموقع (من - إلى)	
١	أنبوب الخط الايراني عبادان - رميلة	٤٨عقدة	غاز جاف	جسر الزبير	نقطة المزرعة
٢	أنبوب متفرع من الخط الايراني عبادان - رميلة	٣٢ عقدة	غاز جاف	النقطة ٣٥	محطة كهرباء شط البصرة
٣	انبوب غاز الجنوب - محطة كهرباء الهارثة	٢٤ عقدة	غاز جاف	معبر معمل الماء قرب محطة الوقود	النقطة ٢٧ صمامات
٤	أنبوب رميلة - فاو	٢٨ عقدة	نفط خام	نقطة المزرعة	جسر الزبير
٥	أنبوب شعيبة - ناصرية	١٤عقدة	بنزين	الخطوط (برج ٦)	نقطة المزرعة
٦	أنبوب شعيبة - ناصرية	١٠عقدة	زيت الغاز	الخطوط (برج ٦)	نقطة المزرعة
٧	أنبوب مصفى - محطة كهرباء النجيبية	١٠عقدة	زيت الوقود	مصفى الشعيبة برج (١٢)	جسر المطار
٨	انبوب الصمامات - محطة كهرباء شط البصرة	١٠ عقدة	زيت الغاز	نقطة الصمامات	محطة كهرباء شط البصرة
٩	انبوب شعيبة - ميناء خور الزبير	٨ عقدة	زيت الغاز	مصفى الشعيبة برج (١٧)	نقطة الصمامات
١٠	انبوب شعيبة - ميناء خور الزبير	٨ عقدة	نفثا	مصفى الشعيبة برج (١٧)	نقطة الصمامات
١١	انبوب شعيبة - ميناء خور الزبير	١٠ عقدة	زيت الغاز	مصفى الشعيبة برج(١٧)	نقطة الصمامات
١٢	انبوب شعيبة - ميناء خور الزبير	١٦ عقدة	بنزين	مصفى الشعيبة برج (١٧)	نقطة الصمامات
١٣ انبوب شعيبة - ميناء خور الزبير		١٠ عقدة	زيت الوقود	مصفى الشعيبة برج (١٧)	نقطة الصمامات
١٤	انبوب شعيبة - ميناء خور الزبير	٢٤ عقدة	زيت الوقود	مصفى الشعيبة برج (١٧)	نقطة الصمامات
١٥	انبوب زبير / ١ - شعيبة	١٠ عقدة	غاز جاف	قرب محطة ابو فهد	مصيدة السوائل

١٦	انبوب شعيبة - محطة كهرباء الشعيبة الغازية	٨ عقدة	غاز جاف	مصيدة السوائل	محطة كهرباء الشعيبة الغازية
١٧	انبوب شعيبة - زبير مشرف	١٠ عقدة	غاز جاف	مصيدة السوائل	قرب محطة ابو فهد
١٨	انبوب مصيدة السوائل - مصفى شعيبة	٨ عقدة	غاز جاف	مصيدة السوائل	مصفى الشعيبة س ٢
١٩	انبوب زبير / ١ - شعيبة	٢٠ عقدة	نفط خام	قرب محلات التجاوز	مصفى الشعيبة س ٢
٢٠	انبوب بازركان - الفاو	٤٢ عقدة	نفط خام	مصفى الشعيبة برج (١٢)	نقطة الصمامات
٢١	انبوب بازركان - الفاو	٢٨عقدة	نفط خام	مصفى الشعيبة برج (١٢)	نقطة الصمامات

المصدر: -1 شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب ، قسم الحاسبة، لعام 2021، بيانات غير منشورة.

-2 شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب ، سجل خطوط الأنابيب النفطية، لعام 2021، بيانات غير منشورة.

يوجد هناك خطوط أنابيب نقل وتصدير النفط الرئيسة وتدخل بضمن مسؤوليات عمل شركة نفط الجنوب صيانة ومراقبة أنابيب نقل وتصدير النفط الرئيسة الممتدة في ضمن الخط الاستراتيجي من الرميلة الشمالية وحتى محطة الضخ (PS4) في حديثة جدول (7)، كذلك الأنابيب الواقعة في ضمن محافظتي البصرة وميسان وأنابيب الحزمة الشرقية المرتبطة بمحطة الضخ في مواقع الزبير، فضلاً عن إشرافها على الأنابيب البحرية الممتدة تحت الماء الواصلة إلى ميناء البصرة والعمية [15] .

جدول (7) خطوط أنابيب نقل وتصدير النفط الرئيسة والانابيب البحرية التي في مسؤولية شركة نفط الجنوب

اسم النفط	القطر / عقده	الطول / كم
أ- خطوط أنابيب نقل وتصدير النفط الرئيسة		
) حديثةps4الخط الاستراتيجي شمالاً (رميلة -	٤٢	٦٦٩
) فاوsp1انبوب الاستثمار الوطني المباشر (رميلة شمالية -	٢٨	١٣٨
أنبوب الضخ زبير ١- فاو	٤٢	١٠٥
انبوب البزركان - فاو	٢٨	٢٩٢
انبوب نهران عمر - البصرة	١٤	٩٣
انابيب الحزمة الشرقية	٣٠, ٢٣,٣٢, ٢٤	١٠٥, ١٠٥,١٠٥
انبوب الخط العراقي السعودي (زبير ٢ - المعجز)	٤٢, ٤٨, ٥٦	١٥٧٢
ب- الانابيب البحرية		
ميناء البصرة	٢× ٤٨	٥٨
ميناء العمية	١× ٤٢ , ٢× ٣٢	٣٨,٣٨

المصدر : حميد عطية عبد الحسين الجوراني ، الصناعات النفطية وآثارها التنموية في جنوب العراق، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب ، جامعة البصرة، 2012 ، ص 112.

يوضح الجدول (8) والشكل (2) الكميات المنقولة بالأنابيب النفطية للنفط الأبيض خلال المدة ما بين سنة (2014–2021)، وتوزعت هذه الكمية المنقولة في مصفى البصرة إلى محطة ضخ الشعيبة،14 عقدة بطول 0,5كم لكل أنبوب، بلغت الكميات المنقولة من مصفى البصرة إلى محطة ضخ الشعيبة (18336379) م^3, ليحتل المرتبة الأولى لعام 2018 ونسبة مقدارها (19,11%) من إجمالي كمية النفط الأبيض المنقولة، يلاحظ ارتفاع الكميات المنقولة خلال السنوات 2015 و 2016 و 2017 و 2019 إذ بلغت الكميات المنقولة (2546507) م^3 و (2702453) م^3 و (3146383) م^3 و (3379969) وبنسبة (13,88%) و (14,73%) و (17,2%) و (18,43%) من إجمالي كميات النفط الأبيض لهذه الأنابيب خلال المدة

ما بين سنة 2014 -2021، أما بالنسبة للكميات المنقولة من محطة الشعيبة المدفوع إلى خط الشمالي فيتم نقل النفط الأبيض عبر أنابيب بطول 161كم و8- 10 عقدة، وبلغ إجمالي الكمية المنقولة من منتوج النفط الأبيض من محطة الشعيبة المدفوع إلى خط الشمالي (1488910) م^3 ليحتل المرتبة الثانية لإجمالي كميات النفط الأبيض المنقول خلال المدة ذاتها، إذ بدأت عمليات نقلة خلال هذه السنوات 2014 -2021 وذلك بسبب زيادة منتوج النفط الأبيض، ويلاحظ ارتفاع الكميات المنقولة منه ابتداء من سنة 2014-2021، إذ بلغت الكمية في سنة 2017 (276473) م^3 بنسبة (18،6٪)، لتصل إلى (222494) م^3 (218644) م^3 و(208750) م^3 و(193473) م^3 و(191269) م^3 للسنوات 2014 و 2016و2020 و 2019 و 2015 وبنسبة (14،94٪) و (14،7٪) و (14،02٪) و (12،99٪) و (12،84٪) على التوالي والحسب الترتيب الإجمالي المنتوج النفط الأبيض المنقول بهذه الأنابيب، أما بالنسبة للكميات المنقولة من محطة الخور الزبير إلى محطة الشعيبة فيتم نقل النفط الأبيض عبر أنابيب بطول 45كم و8- 10 عقدة، وبلغ إجمالي الكمية المنقولة من منتوج النفط الأبيض من محطة خور الزبير إلى محطة الشعيبة (1328763) م^3 ليحتل المرتبة الثالثة لإجمالي كميات النفط الأبيض المنقول خلال المدة ذاتها، إذ بدأت عمليات نقله خلال هذه السنوات 2014 -2021 وذلك بسبب زيادة الطلب على منتوج النفط الأبيض، ويلاحظ ارتفاع الكميات المنقولة ابتداء من سنة 2014 -2021، إذ بلغت الكمية في سنة 2016 (283395) م^3 بنسبة (21،32٪)، لتصل إلى (264294) م^3 و(188032) م^3 و(174177) م^3 و(145207) م^3 و(145207) م^3 للسنوات و2017 و 2014و2020 و 2015 و 2021 وبنسبة (19،9٪) و (14،15 ٪) و (13،10٪) و (10،92٪) و (10،8٪) على التوالي وبحسب الترتيب لإجمالي منتوج النفط الأبيض المنقول لهذه الأنابيب.

جدول (8) كميات منتوج النفط الأبيض المنقولة بالأنابيب النفطية للمحافظة البصرة للمدة ما بين عام 2014–2021

السنوات	كميات النفط الأبيض م٣					
	المصفى - محطة الشعيبة	٪	محطة الخور الزبير- محطة الشعيبة	٪	محطة الشعيبة المدفوع إلى خط الشمالي	٪
٢٠١٤	٣٧٢٢٤٣	٢,٠٣	١٨٨٠٣٢	١٤,١٥	٢٢٢٤٩٤	١٤,٩٤
٢٠١٥	٢٥٤٦٥٠٧	١٣,٨٨	١٤٥٢٠٧	١٠,٩٢	١٩١٢٦٩	١٢,٨٤
٢٠١٦	٢٧٠٢٤٥٣	١٤,٧٣	٢٨٣٣٩٥	٢١,٣٢	٢١٨٦٤٤	١٤,٧
٢٠١٧	٣١٤٦٣٨٣	١٧,٢	٢٦٤٢٩٤	١٩,٩	٢٧٦٤٧٣	١٨,٦
٢٠١٨	٣٥٠٤٣٦٦	١٩,١١	١٢٥٤٨٧	٩,٤٤	١٧١٤٨٠	١١,٥١
٢٠١٩	٣٣٧٩٩٦٩	١٨,٤٣	٤٩٥٣	٠,٣٧	٦٣٢٧	٠,٤٢
٢٠٢٠	١٥٧٢٥٢١	٨,٦	١٧٤١٧٧	١٣,١٠	١٩٣٤٧٣	١٢,٩٩
٢٠٢١	١١١١٩٣٧	٦,١	١٤٣٢١٨	١٠,٨	٢٠٨٧٥٠	١٤,٠٢
المجموع	١٨٣٣٦٣٧٩	١٠٠	١٣٢٨٧٦٣	١٠٠	١٤٨٨٩١٠	١٠٠

المصدر:

–1 شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب ، قسم الحاسبة، لعام 2021، بيانات غير منشورة.

–2 شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب ، شعبة الوقود الصناعي، لعام 2021، بيانات غير منشورة.

–3 شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب، شعبة الموجودات، لعام 2021، بيانات غير منشورة.

–4شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب، قسم المحطة الضخ الشعيبة، لعام 2021، بيانات غير منشورة.

شكل (2) كميات منتوج النفط الأبيض المنقولة بالأنابيب النفطية للمحافظة البصرة للمدة ما بين عام 2014–2021

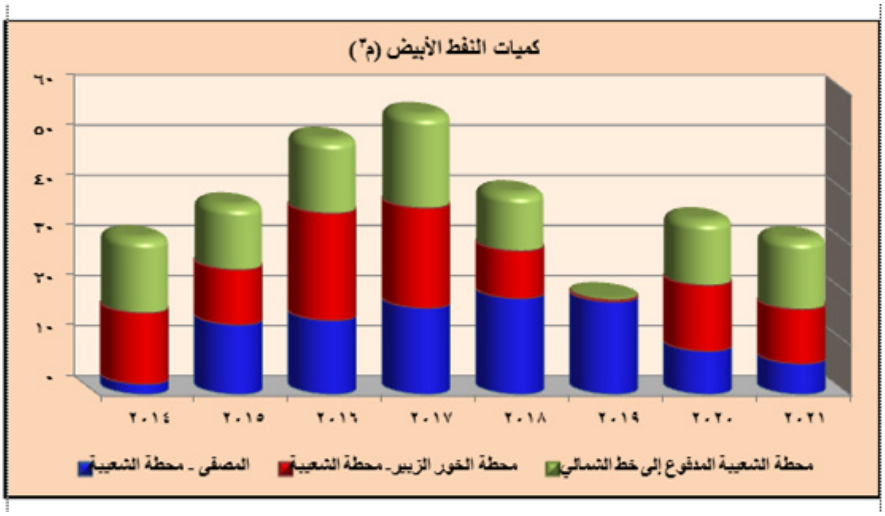

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على (8)

يوضح الجدول (9) والشكل (3) الكميات المنقولة بالأنابيب النفطية لزيت الغاز، إذ يعد الغاز من المشتقات النفطية، كما أنه يستخدم وقوداً للعديد من محطات الطاقة الكهربائية، فضلاً عن كونه من أهم أنواع الوقود التي تستخدم وسائط النقل، بلغت الكميات المنقولة عبر الأنابيب من مصفى البصرة إلى محطة الشعيبة (12295759) م³ من إجمالي المشتقات النفطية، ذات طول 0،5كم و14 عقدة، خلال المدة ما بين عامي 2014–2021، احتل المرتبة الأولى لإجمالي الكميات المنقولة من منتوج الغاز للمدة ذاتها، حيث بدأت عمليات نقلة خلال هذه السنوات –2014 2021 وذلك بسبب زيادة الطلب على منتوج زيت الغاز، ويلاحظ ارتفاع الكميات المنقولة ابتداءً من سنة 2014–2021، إذ بلغت الكمية في سنة 2014 (2264681) م³ بنسبة (18،41٪)، لتصل إلى (1972975) م³ و(1840329) م³ و(1787618)م³ و(1608420) م³ و(1366593)م³ للسنوات و2019 و 2015 و 2018 و2017 و2016 وبنسبة (16،04٪) و (14،96٪) و

(14،53٪) و(13،1٪) و(11،11٪) على التوالي وبحسب الترتيب لإجمالي منتوج زيت الغاز المنقول لهذه الأنابيب، أما كميات منتوج الغاز المنقولة بالأنابيب النفطية من محطة الشعيبة المدفوع شمالاً من محافظة البصرة ذات طول 161كم و -8 10 عقدة إلى المستودعات شمال محافظة البصرة، ولهذا يعد منتوج زيت الغاز مهماً بالنسبة لبقية المنتجات، وذلك بسبب ارتباطه مع العديد من محطات ضخ لأنابيب الناقلة للمنتجات النفطية، تبلغ الكمية المنقولة للزيت الغاز(8513353) م^3 من إجمالي كميات المشتقات النفطية خلال المدة ما بين عامي 2014-2021، وتحتل المرتبة الثانية من إجمالي كميات الغاز المنقولة بالأنابيب للمدة ذاتها، ويلاحظ استقرار الكميات المنقولة بين عامي 2014-2021، حيث بلغت الكميات في سنوات 2016 و2018 و2020 (1082328) م^3 و(1030928) م^3 و (1027581) م^{3}وبنسبة (12،71٪) و (12،10٪) و(12،1٪) لكل منها على التوالي ومن خلال الترتيب لإجمالي منتوج زيت الغاز بالأنابيب النفطية خلال المدة ما بين سنة 2014-2021، يعود ذلك إلى وضع الاستقرار الخاص بالطاقة الإنتاجية، ويحتل المرتبة الثالثة بالنسبة الكميات المنقولة للزيت الغاز من محطة الخور الزبير إلى محطة ضخ الشعيبة ، يكون طول الأنبوب 45 كم وعقدة 8 - 10 لكل منهما، ويبلغ إجمالي الكميات المنقولة (5407747) م^3 لمنتوج زيت الغاز، ولقد زادت الكميات المنقولة للأعوام 2017 و2014و 2016 و 2015 و بنسبة بلغت (23،21٪) و(21،91٪) و (20،53٪) و(16،97٪) لكل منه على التوالي وذلك سبب تفاقم قلة إنتاج المحلية منها في المصافي الأمر الذي أدى إلى زيادة المستورد منها.

جدول (9) كميات منتوج زيت الغاز المنقولة بالأنابيب النفطية للمحافظة البصرة للمدة ما بين عام 2014-2021

السنوات	منتوج زيت الغاز م^3					
	المصفى - محطة الشعيبة	%	محطة الخور الزبير- محطة الشعيبة	%	محطة الشعيبة المدفوع إلى خط الشمالي	%
2014	2264681	18,41	1184899	21,91	1418799	16,7
2015	1840329	14,96	917810	**16,97**	**1168987**	13,73
2016	1366593	**11,11**	1110221	20,53	1082328	12,71
2017	1608420	13,1	1255222	23,21	972386	11,42
2018	1787618	14,53	542188	**10,02**	1030928	12,10
2019	1972975	16,04	127147	2,53	1208363	14,2
2020	903219	7,34	224145	4,14	1027581	12,1
2021	551924	4,6	46115	0,85	603981	7,1
المجموع	12295759	**100**	5407747	**100**	8513353	**100**

المصدر: -1 شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب ، قسم الحاسبة، لعام 2021، بيانات غير منشورة.

-2 شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب ، شعبة الوقود الصناعي، لعام 2021، بيانات غير منشورة.

-3شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب، شعبة الموجودات، لعام 2021، بيانات غير منشورة.

-4شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب، قسم المحطة الضخ الشعيبة، لعام 2021، بيانات غير منشورة.

شكل (3) كميات منتوج زيت الغاز المنقولة بالأنابيب النفطية للمحافظة البصرة للمدة ما بين عام 2014-2021

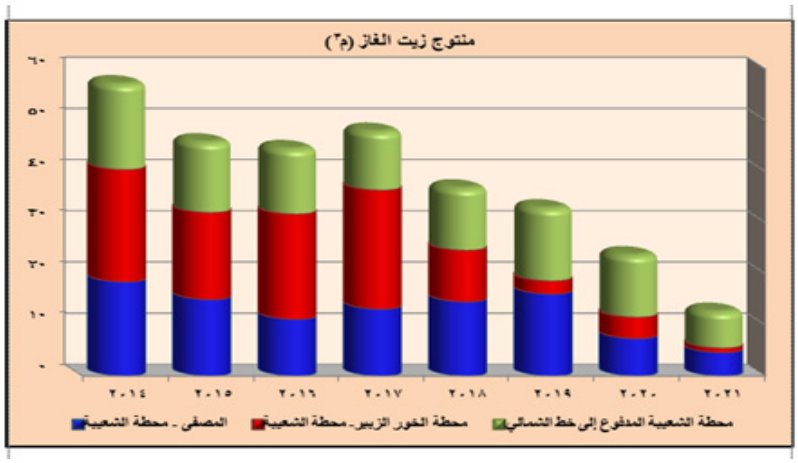

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على جدول (9)

يوضح الجدول (10) والشكل (4) الكميات المنقولة بالأنابيب النفطية لمنتوج البنزين، الذي يعد من المشتقات النفطية، يتم نقل البنزين بوساطة الأنابيب من مصفى البصرة إلى محطة الشعيبة، إذ بلغت الكميات المنقولة عبر الأنابيب من مصفى البصرة إلى محطة الشعيبة (20336404) م³ من إجمالي المشتقات النفطية، خلال المدة ما بين عامي 2014-2021، احتل المرتبة الأولى إجمالي الكميات المنقولة من منتوج البنزين للمدة ذاتها، إذ بدأت عمليات نقلة خلال هذه السنوات 2014- 2021 وذلك بسبب زيادة الطلب على منتوج البنزين، ويلاحظ ارتفاع الكميات المنقولة ابتداءً من سنة 2014-2021، إذ بلغت الكمية في سنة 2018 (3504366) م³ بنسبة (17،23٪)، لتصل إلى (3379969) م³ (3146383) م³ و(2546507) م³ وللسنوات و2018 و 2019 و 2017 و2016 و2015 وبنسبة (16،62٪) و (15،47٪) و (13،28٪) و(12،52٪)على التوالي وبحسب الترتيب لإجمالي منتوج البنزين المنقول بهذه الانابيب، أما كميات منتوج البنزين المنقولة بالأنابيب النفطية من محطة الشعيبة

المدفوع شمالاً من محافظة البصرة ذات طول 161كم و -8 10 عقدة إلى مستودعات شمال محافظة البصرة فتحتل المرتبة الثانية، تبلغ الكمية المنقولة البنزين (11865464) م^3 من إجمالي كميات المشتقات النفطية خلال المدة ما بين عامي 2014-2021، ويلاحظ استقرار الكميات المنقولة بين عامي 2014-2021، إذ كانت الكميات في سنوات 2016 و2017 و2019 (1723862) م^3(1712832) م^3 و(1729403) م^{3}وبنسبة (14،52٪) و (14،43٪) و (14،57٪) لكل منها على التوالي وحسب الترتيب من إجمالي منتوج البنزين بالأنابيب النفطية خلال المدة ما بين سنة 2014-2021، و ذلك يعود إلى وضع الاستقرار الخاص بالطاقة الإنتاجية.

جدول (10) كميات منتوج البنزين المنقولة بالأنابيب النفطية للمحافظة البصرة للمدة ما بين عام 2014-2021

السنوات	منتوج البنزين م^3			
	المصفى - محطة الشعيبة	٪	محطة الشعيبة المدفوع إلى خط الشمالي	٪
٢٠١٤	٢٣٧٢٢٦٨	١١,٧	١٦٠١٣١٦	١٣,٥
٢٠١٥	٢٥٤٦٥٠٧	١٢,٥٢	١٥٩٦٩٢٣	١٣,٥
٢٠١٦	٢٧٠٢٤٥٣	١٣,٢٨	١٧٢٣٨٦٢	١٤,٥٢
٢٠١٧	٣١٤٦٣٨٣	١٥,٤٧	١٧١٢٨٣٢	١٤,٤٣
٢٠١٨	٣٥٠٤٣٦٦	١٧,٢٣	١٨٥١٩٩٢	١٥,٦٠
٢٠١٩	٣٣٧٩٩٦٩	١٦,٦٢	١٧٢٩٤٠٣	١٤,٥٧
٢٠٢٠	١٥٧٢٥٢١	٧,٧٣	١٥٣٦٧٢٧	١٢,٩٥
٢٠٢١	١١١١٩٣٧	٥,٤٦	١١٢٤٠٩	٠,٩٤
المجموع	٢٠٣٣٦٤٠٤	١٠٠	١١٨٦٥٤٦٤	١٠٠

المصدر: -1 شركة خطوط الانابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب ، قسم الحاسبة، لعام 2021، بيانات غير منشورة.

-2 شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب ، شعبة الوقود الصناعي، لعام 2021، بيانات غير منشورة.

-3شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب، شعبة الموجودات، لعام 2021، بيانات غير منشورة. -4شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب، قسم المحطة الضخ الشعيبة، لعام 2021، بيانات غير منشورة.

شكل (4) كميات منتوج البنزين المنقولة بالأنابيب النفطية للمحافظة البصرة للمدة ما بين عام 2014-2021

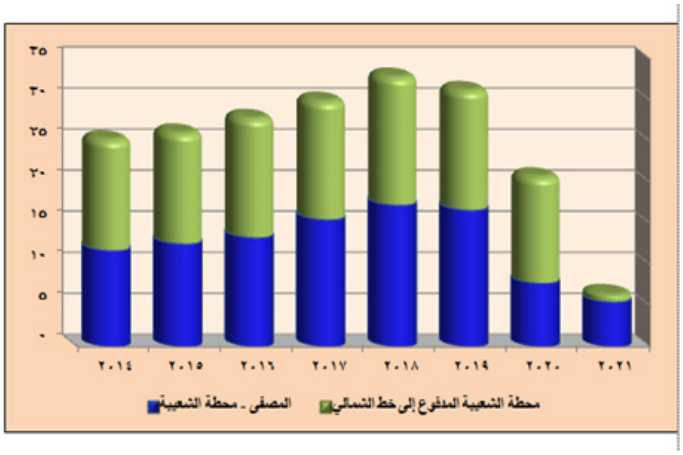

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على جدول (10)

يوضح الجدول (11) تفاصيل بعض من خطوط الأنابيب النفطية في المنطقة الجنوبية لهذا المسار حيث يكون قطر أنبوب الخط الناقل للمنتجات من محطة ضخ الشعيبة إلى محطة ضخ الناصرية 14 عقدة وطول الأنبوب 161 كم، بينما يكون طول الأنبوب 161 كم ناقلاً البنزين من محطة ضخ الشعيبة إلى محطة ضخ الناصرية 10 عقدة ،بينما يكون قطر أنبوب 14 عقدة وطول الأنبوب 370 كم ناقلاً الغاز السائل من مجمع الخزن والتصدير إلى حدود محافظتي سماوة / ديوانية، إذ يكون قطر الأنبوب للخط الناقل لزيت الغاز من محطة ضخ الشعيبة إلى ميناء خور الزبير 10 عقدة (2) وطول الأنبوب 45 كم، حيث يكون قطر أنبوب الخط الناقل بنزين من محطة ضخ الشعيبة إلى خور الزبير 8 عقدة (2) وطول الأنبوب 45 كم، في حين يكون طول الانبوب 45 كم ناقلاً نفطاً أسود من محطة ضخ الشعيبة إلى ميناء خور الزبير 10و 16 و24 عقدة، في حين يكون قطر أنبوب 10 و12 عقدة وطول الأنبوب 5كم ناقلاً النفط الخام من صمام الديوني إلى محطة كهرباء الهارثة، إذ يكون قطر الأنبوب الخط الناقل بنزين

من معمل غاز الجنوب إلى الزبير و 1 8 عقدة وطول الأنبوب 17 كم، والأنابيب النفطية في منطقة الجنوبية لهذا المسار إذ يكون قطر أنبوب الخط الناقل زيت الغاز من مصفى الشعيبة إلى مستودع المفتية10 عقدة وطول الأنبوب 23 كم ، في حين يكون قطر انبوب 24 عقدة وطول الأنبوب 28كم ناقلاً نفطاً اسود من صمام ناظم البصرة إلى ميناء مفرق أبو فلوس ، إذ يكون قطر الأنبوب الخط الناقل نفط اسود من ميناء مفرق أبو فلوس إلى معمل الاسمدة ابو الخصيب 10 عقدة وطول الأنبوب 5،5 كم، إذ يكون قطر أنبوب الخط الناقل نفط اسود من مفرق ميناء ابو فلوس إلى ميناء التصدير أبو فلوس 10 عقدة وطول الأنبوب 5،5 كم، في حين يكون طول الأنبوب 33 كم ناقلاً زيت الغاز من صمام ناظم البصرة إلى ميناء التصدير أبو فلوس 16 عقدة، في حين يكون قطر الأنبوب 12 عقدة وطول الأنبوب 23كم ناقلاً نفطاً أسود من مصفى الشعيبة إلى محطة كهرباء الهارثة، إذ يكون قطر الأنبوب للخط الناقل النفط الخام من صمام أبو صخير إلى محطة كهرباء النجيبية 8 عقدة وطول الأنبوب 8 كم، في حين يكون قطر أنبوب 12 عقدة وطول الأنبوب 14كم ناقل بنزين من زبير 1 إلى صمام ناظم البصرة ، إذ يكون قطر الأنبوب الخط الناقل منتجات من محطة ضخ الناصرية إلى محطة ضخ الكوت8 عقدة وطول الأنبوب 150 كم، إذ يكون قطر أنبوب الخط الناقل غاز السائل من مجمع الخزن والتصدير إلى حدود محافظة المثنى / القادسية ويستمر مسار الأنبوب إلى بغداد 14 عقدة وطول الأنبوب 370 كم، بينما يكون طول الأنبوب 33 كم ناقلاً زيت الغاز من صمام ناظم البصرة إلى ميناء التصدير أبو فلوس 16 عقدة ، في حين يكون قطر أنبوب 20 عقدة وطول الأنبوب 700 ناقلاً الغاز الجاف من مقطع B قرب طريق أم قصر إلى محطة كهرباء خور الزبير، إذ يكون قطر الأنبوب للخط

الناقل غاز الجاف من محطة كبس الغاز الرميلة الشمالي إلى محطة كهرباء الناصرية 42 عقدة وطول الأنبوب 135 كم، بينما يكون طول الأنبوب 9،5كم ناقلاً الغاز الجاف من محطة فصل السوائل خور الزبير إلى محطة الربط البرجسية 30 عقدة.

جدول (11) خطوط الأنابيب النفطية في منطقة الجنوبية

ت	طول الانبوب كم	القطر - عقدة	نوع المنتوج	مسار الانبوب (من - إلى)	
1	كم161	عقدة14	منتجات	محطة ضخ الشعيبة	محطة ضخ الناصرية
2	كم161	عقدة10	بنزين	محطة ضخ الشعيبة	محطة ضخ الناصرية
3	كم370	عقدة14	غاز سائل	مجمع الخزن والتصدير	حدود محافظتي سماوة / ديوانية
4	كم45	عقدة (2)10	زيت الغاز	محطة ضخ الشعيبة	ميناء خور الزبير
5	كم45	عقدة (2)8	بنزين	محطة ضخ الشعيبة	ميناء خور الزبير
6	كم45	10/16/عقدة24	نفط اسود	محطة ضخ الشعيبة	ميناء خور الزبير
7	كم5	12/عقدة10	نفط الخام	صمام الدبوني	محطة كهرباء الهارثة
8	كم17	عقدة8	بنزين	معمل غاز الجنوب	زبير1
9	كم23	عقدة10	زيت الغاز	مصفى الشعيبة	مستودع المفتية
10	كم28	عقدة24	نفط اسود	صمام ناظم البصرة	مفرق ميناء أبو فلوس
11	كم5,5	عقدة10	نفط اسود	مفرق ميناء أبو فلوس	معمل الاسمدة أبو الخصيب
12	كم5,5	عقدة10	نفط اسود	مفرق ميناء أبو فلوس	ميناء التصدير أبو فلوس
13	كم33	عقدة16	زيت الغاز	صمام ناظم البصرة	ميناء التصدير أبو فلوس
14	كم23	عقدة12	نفط اسود	مصفى الشعيبة	محطة كهرباء الهارثة
15	كم8	عقدة8	نفط الخام	صمام ابو صخير	محطة كهرباء النجيبية
16	كم14	عقدة12	بنزين	زبير 1	صمام ناظم البصرة

17	كم150	عقدة8	منتجات	محطة ضخ الناصرية	محطة ضخ الكوت
18	كم370	عقدة14	غاز السائل	مجمع الخزن والتصدير	حدود محافظة المثنى/ القادسية، ويستمر مسار الانبوب إلى بغداد إلى كركوك بيجي
19	كم700	عقدة20	غاز الجاف	قربBمن مقطع طريق ام قصر	محطة كهرباء خور الزبير
20	كم135	عقدة42	غاز الجاف	محطة كبس الغاز الرميلة الشمالي	محطة كهرباء الناصرية
21	9,5	عقدة30	غاز الجاف	محطة فصل السوائل خور الزبير	محطة الربط البرجسية

المصدر: -1 شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب ، قسم الحاسبة، لعام 2021، بيانات غير منشورة.

-2 شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب ، سجل خطوط الأنابيب النفطية، لعام 2021، بيانات غير منشورة.

المبحث الثالث

المشاكل التي تواجه خطوط نقل النفط في محافظة البصرة

يهدف هذا المبحث إلى دراسة أهم المشكلات والتحديات التي تواجه نقل النفط من مكامن استخراجه إلى المصافي وموانئ التصدير عبر الأنابيب المخصصة لها في محافظة البصرة ، ببيان أهم الأخطاء والعطلات التي تصيب الأنابيب في منطقة الدراسة ندرج بعضها فيما يأتي :-

-1 من أهم المشاكل البيئية التي تواجه نقل النفط بوساطة الأنابيب في محافظة البصرة، مشكلة انجماد المنتوج نتيجة للضغط العالي المصاحب لعمليات ضخ النفط عبر هذه الأنابيب التي تمتد لمسافات طويلة من مواقع الآبار الواقعة في المنطقة الشمالية الغربية لمحافظة البصرة لغاية موانئ التصدير، ولاسيما أن هذه المناطق صحراوية وتتعرض لدرجات حرارة منخفضة نسبيا أثناء فصل الشتاء ، الأمر

الذي يزيد من مخاطر انجماد المنتوج ومن ثم توقف عمليات الضخ والتصدير.

-2 تعرضها للصدأ بسبب طبيعة التربة التي تمتد فيها هذه الأنابيب على الرغم من تغليفها بالمواد المقاومة للصدأ.

-3 يصاحب استخراج النفط انبعاث غازات سامة لها تأثير سلبي على البيئة والإنسان فقد لاحظ الخبراء ازدياد الأمراض السرطانية في المناطق النفطية بصورة كبيرة قياسا بالمناطق الخالية منها .

-4 إحدى المشاكل التي تزيد من الصعوبات التي تواجه نقل المشتقات النفطية عبر الأنابيب الإهمال في مراقبة ضغط المنتوج داخل الأنابيب [16] .

-5 تعد المشاكل الأمنية من أهم المشاكل التي تعاني منها المشتقات النفطية في محافظة البصرة واهمها أعمال السرقة والتخريب ولاسيما أن هذه الأنابيب تمر بمساحات شاسعة تفتقر إلى الحماية .

-6 الرطوبة النسبية العالية وارتفاع درجات الحرارة العالية التي تزيد عن أكثر 47 م^5 في فصل الصيف مما يؤثر على ا الأنابيب لنفطية.

-7 تعرض الأنابيب إلى العمليات الإرهابية مما يؤدي إلى توقف عمل أنابيب المشتقات النفطية وتوقفها عن العمل في محافظة البصرة .

-8 يؤدي تآكل الأنابيب النفطية المدفونة في باطن الأرض مما يؤدي إلى تلوث البيئية وتسرب مواد سامة إلى التربة والمياه مما يعرض الإنسان إلى مشاكل صحية خطيرة مع مرور الزمن [17] .

النتائج :

كان هدف البحث هو دراسة واقع خطوط نقل النفط في محافظة البصرة والتحديات والمشكلات التي تواجهها وأظهرت الدراسة مجموعة من الاستنتاجات والمقترحات وهي كما يلي :-

-1 إن الاستثمار في خطوط نقل النفط في محافظة البصرة لا يزال متلكئاً بعض الشيء على الرغم من الحاجة الماسة لهكذا نوع من

الاستثمارات وإلى امكانيات مالية وتقنية وبشرية تهدف إلى تطوير هذا المجال وتنميته.

-2 الاهتمام بخطوط نقل النفط في محافظة البصرة بشكل كافٍ والتشجيع المناسب للبحوث والدراسات المقدمة من الباحثين في هذا المجال.

-3 أسهم وجود الصناعات النفطية في المحافظة الممثل بمصفى الشعيبة النفطي مما يدعم عمليات نقل المشتقات النفطية من مصفى البصرة إلى جملة من المستودعات ومحطات الضخ التي تقع في المحافظة وخارج العبر شبكة خاصة من أنابيب المشتقات النفطية.

-4عدم إيجاد الحلول للمشاكل التنظيمية الناجمة عن ارتفاع كلفة نقل المشتقات النفطية ومد الخطوط للأنابيب الناقلة لها .

-5 ضرورة القيام بتوسيع خطوط نقل النفط في محافظة البصرة ومد خطوط إضافية إلى جانب الخطوط المفعلة حالياً .

-6 إقامة الندوات والمؤتمرات العلمية والمتخصصة والدورات التدريبية وذلك من قبل شركة خطوط الأنابيب النفطية داخل المحافظة أو خارجها وذلك بسبب تطوير أعمالها والمشاريع النفطية ورفع كفاءتها وإعطاء حافز للفنيين والاداريين الذين يعملون في شركة الأنابيب النفطية.

-7 استلام المنتجات النفطية من مصادر الإنتاج وذلك من أجل خزنها في مستودعات الضخ من المصفى إلى محطة الشعيبة و من محطة خور الزبير إلى محطة الشعيبة.

المقترحات :-

توصلت هذه الدراسة لبعض المقترحات التي يمكن أن تسهم في تطوير خطوط نقل النفط وتنميتها في محافظة البصرة ومنها :-

-1 ضرورة تشجيع المشاريع النفطية بخطوط نقل النفط وتوفير المخصصات المالية من قبل الدولة ضمن الموازنة الخاصة وتشريع القوانين المناسبة .

-2 تبادل المهارات والخبرات الفنية والعلمية وإقامة الندوات والمؤتمرات والدورات التدريبية وورش العمل

مع الدول المهتمة بنقل الأنابيب .

-3 ضرورة توجه الحكومة للاهتمام بتشييد مشاريع خطوط نقل النفط للمناطق البعيدة عن مراكز التوليد الطاقة الكهربائية والمناطق النائية التي يصعب إيصال التيار الكهربائي لها .

-4 تصميم وتجهيز وتنفيذ المشاريع النفطية بالتعاون مع وزارة الصناعة والمعادن.

-5 الاهتمام بتنفيذ أعمال الشحن والتفريغ للنفط الخام والغاز والمشتقات النفطية وما يتعلق بها من أعمال التأمين والعمولة والتخليص والتحميل والتخزين وغيرها.

-6 ضرورة تملك وإنشاء وإدارة المعامل والاحواض (المسافن) النفط والغاز والمشتقات النفطية وأدواتها و معداتها و المخازن اللازمة لذلك .

-7 التعاون مع الشركات والجهات التي تقوم بأعمال ذات علاقة بأغراض الشركة وتوكيل الشركات و الجهات و الأشخاص المتخصصة ببعض أعمال الشركة لقاء أتعاب وعمولة يتفق عليها .

-8 ضرورة ربط وانشاء المستودعات النفطية وذلك عبر السكك الحديدية فضلاً عن خفض الضغط على النقل بوساطة الأنابيب.

-9 إنشاء خطوط الأنابيب النفطية في المحافظة مع محافظات أخرى وذلك من أجل زيادة الطاقة الإنتاجية والتصميمية المتاحة من اجل خفض نقل الكميات المشتقات النفطية بالأنابيب من محافظة البصرة.

-10 ضرورة تكوين شركة خاصة لإنشاء أنابيب نقل النفط مع الدول المنتجة وذلك من أجل التعاون في مجال مشروعات الأنابيب وتبادل الخبرات والحصول على البيانات والمعلومات الدقيقة عن أطوال الأنبوب وحجم الإنتاج عن طريق هذه الدراسة البحثية ليستفاد منها الباحثون في المستقبل.

-11 المشاركة مع الشركات والمؤسسات العربية والأجنبية وذلك من أجل دعم شركة الأنابيب النفطية في محافظة البصرة لتنفيذ أعمال ذات علاقة بأهداف الشركة داخل محافظة البصرة أو المحافظات المجاورة.

الهوامش :-

-1 مهند محمد بابكر محمد احمد، تقييم وتحكم نظام الحماية الكاثودية لأنابيب النفط الخام، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة افريقيا العالمية ، 2019، ص4.

-2 https: //www.researchagate.net /publi- cation

قصي يونس جامد، نظام التوصيلات لربط الأنابيب .

-3 محمد أزهر سعيد السماك واخرون، جغرافية النفط والطاقة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،1981، ص 63.

-4 محمد أزهر سعيد السماك واخرون، مصدر سابق، ص 64.

-5 أبراهيم بسام خزيم، تحديد الملامح التقنية لتصميم واستثمار أنابيب النفط، كلية هندسة البترول، الجامعة السورية الخاصة، 2016، ص6 .

-6 علي أبراهيم سعد وأخرون، تركيب الأنابيب في المنشآت النفطية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص 22-23.

-7 حميد عطية عبد الحسين الجوراني، الصناعات النفطية وأثارها التنموية في جنوب العراق، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2012، ص83.

-8عباس علي التميمي، النمو الصناعي في محافظتي البصرة ونينوى، منشورات مركز دراسات البصرة والخليج العربي بجامعة البصرة سلسلة ، 49، البصرة، 1981، ص201.

-9 عبد الزهرة علي الجنابي، الجغرافية الصناعية، الطبعة الاولى، دار الصفا للطباعة والنشر، عمان، الأردن، 2012، ص85.

-10 جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات، بيانات غير منشورة، لعام 2018.

-11 داود جاسم الربيعي، الوضع الجيولوجي في محافظة البصرة، موسوعة البصرة الحضارية، المحور الجغرافي ، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، 1988، ص11.

-12 فاطمة كاظم حرب سبتي، الصناعات الزراعية في محافظة البصرة، ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، 2018، ص51.

-13 جليبر غانتيه، أنابيب البترول والغاز الطبيعي، ترجمة بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت، 1970، ص160.

-14 مقابلة الشخصية مع السيد، مسامح كاظم مصبح، شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب، مسؤول شعبة حسابات النفط والغاز المنطقة الجنوبية، بتاريخ 28/ 6/ 2021.

-15 علي أبراهيم سعد وأخرون، مصدر سابق، ص13.

-16 حميد عطية عبد الحسين الجوراني، مصدر سابق، ص112.

-17 مقابلة الشخصية مع السيد، رياض رحيمة، شركة خطوط الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب، ، بتاريخ 14/ 2/ 2021.

-18 مقابلة الشخصية مع السيد، ميثاق سامي عبد العزيز، شركة الأنابيب النفطية، هيئة عمليات الجنوب، مدير قسم محطة الضخ الشعيبة، بتاريخ 1 / 8/ 2021.

المصادر:

أولاً: الكتب والاطاريح والدوريات:

-1 احمد، مهند محمد بابكر محمد، تقييم وتحكم نظام الحماية الكاثودية لأنابيب النفط الخام، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة افريقيا العالمية ، 2019.

-2 التميمي، عباس علي، النمو الصناعي في محافظتي البصرة ونينوى، منشورات مركز دراسات البصرة والخليج العربي بجامعة البصرة سلسلة ، 49، البصرة، 1981.

-3 الجنابي، عبد الزهرة علي، الجغرافية الصناعية، الطبعة الاولى، دار الصفا للطباعة والنشر، عمان، الأردن، 2012.

-4 الجوراني، حميد عطية عبد الحسين، الصناعات النفطية وأثارها التنموية في جنوب العراق، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2012.

-5 خزيم، أبراهيم بسام، تحديد الملامح التقنية لتصميم واستثمار أنابيب النفط، كلية هندسة البترول، الجامعة السورية الخاصة، 2016.

-6الربيعي، داود جاسم، الوضع الجيولوجي في محافظة البصرة، موسوعة البصرة الحضارية، المحور الجغرافي ، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، 1988.

-7 سبتي، فاطمة كاظم حرب، الصناعات الزراعية في محافظة البصرة، ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، 2018.

-8 سعد، علي أبراهيم وأخرون، تركيب الأنابيب في المنشآت النفطية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008.

-9 السماك، محمد أزهر سعيد واخرون، جغرافية النفط والطاقة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،1981.

-10 غانتيه، جليبر، أنابيب البترول والغاز الطبيعي، ترجمة بهيج شعبان، منشورات

عويـدات، بـيروت، 1970.
ثانياً: الدوائر الحكومية :
-1 شركـة خطـوط الانابيـب النفطيـة، هيئـة عمليـات الجنـوب ، قسـم الحاسـبة، لعـام 2021، بيانـات غـير منشـورة.
-2 شركـة خطـوط الانابيـب النفطيـة، هيئـة عمليـات الجنـوب ، سـجل خطـوط الأنابيـب النفطيـة، لعـام 2021، بيانـات غـير منشـورة.
-3 شركـة خطـوط الانابيـب النفطيـة، هيئـة عمليـات الجنـوب ، قسـم الوقـود الصناعـي، لعـام 2021، بيانـات غـير منشـورة.
-4 شركـة خطـوط الانابيـب النفطيـة، هيئـة عمليـات الجنـوب، قسـم محطـة الضـخ الشـعيبة، لعـام 2021، بيانـات غير منشـورة.
-5 جمهوريـة العـراق، وزارة التخطيـط، الجهـاز المركـزي للإحصـاء وتكنولوجيـا المعلومـات، بيانـات غـير منشـورة، لعـام 2018.

ثالثاً: شبكة الأنترنيت :
1- https: //www.researchagate.net /publi- cation
قـصي يونـس جامـد، نظـام التوصيـلات لربـط الأنابيـب .
رابعاً : المقابلات الشخصية :
-1 مقابلـة الشـخصية مـع السـيد، مسـامح كاظـم مصبـح ، شركـة الأنابيـب النفطيـة ، هيئـة عمليـات الجنـوب، مسـؤول شـعبة حسـابات النفـط والغـاز المنطقـة الجنوبيـة، بتاريـخ 28/ 6/ 2021.
-2 مقابلـة الشـخصية مـع السـيد، ريـاض رحيمـة ، شركـة الأنابيـب النفطيـة ، بتاريـخ 14/ 2/ 2021.
-3مقابلـة الشـخصية مـع السـيد، ميثـاق سـامي عبـد العزيـز، شركـة الأنابيـب النفطيـة، هيئـة عمليـات الجنـوب ، مديـر قسـم محطـة الضـخ الشـعيبة، بتاريـخ 1/ 8/ 2021.
-4مقابلـة الشـخصية مـع السـيد، ثائـر عبـد عـلي محمـد ،شركـة الأنابيـب النفطيـة، هيئـة عمليـات الجنـوب، شـعبة الموجـودات، 26/ 7/ 2021.
-5 مقابلـة الشـخصية مـع السـيد ، مسـار عـلي السـاعدي، شركـة الأنابيـب النفطيـة، هيئـة عمليـات الجنـوب، شـعبة الوقـود الصناعـي، بتاريـخ 28/ 7/ 2021 .

Oil transportation lines in Basra Governorate between reality and challenges / geographical

Huda Habini Ashour AI- Baidani

Abstract:

Oil and petroleum products transportation lines are considered as` an important vital artery in Basra governorate, for their contribution to reviving the economic process, by attracting manpower as well as providing oil products. This research aims to study the reality of the oil transportation lines in the province and the challenges they face, using the geographical analysis of the region and by identifying the most important natural and human factors that contributed to affecting the oil transportation lines, as well as revealing the most important problems and challenges facing these lines by studying environmental, human and security problems.

This study included three sections, and the introduction, the first topic was devoted to addressing the concept of pipelines and their importance, classification and characteristics, while the second topic focused on the factors affecting the oil transportation lines in Basra Governorate, and the last topic dealt with the problems facing the oil transportation lines in Basra Governorate, in addition to the conclusions and recommendations.

The objectives of the research were as follows:-

1- Highlighting the most important pipelines and oil products transportation projects in Basra Governorate and trying to track the geographical path of each of these projects, starting from the shipping port to the export port.

2- Knowing the cost required to complete each of these projects, as well as the quantity transferred and the amount of the customs tariff that is calculated in each project in connection with determining the economic feasibility of the projects.

3- To highlight the role played by geographical factors in their impact on the paths of oil pipelines in Basra Governorate.

key words (oil, transmission lines, pipelines, location, Basra Governorate)

اساليب التجديد الحضري للتراث العمراني دراسة حالة الموروثات العمرانية في مدينة الزبير

م.د. قاسم مطر عبد الخالدي
جامعة البصرة / كلية التربية / القرنة
alkhalidy.qassim@uobasrah.edu.iq

المستخلص:
يهدف هذا البحث إلى صيانة وتأهيل التراث العمراني في مدينة الزبير، الذي يعد شاهدا حيا على اصالة العمران وارتباطه الوثيق بالبيئة المحلية والعادات والتقاليد المتوارثة خاصة في الدور السكنية القديمة ذات التصميم المعماري والعمراني الملائم لظروف المناخ الصحراوي الحار، وقد سعت كثير من الدول الى اعادة احياء هذا التراث لقناعتها بانه لا تقاس نهضة الشعوب بما وصلت اليه من تطور عمراني وحضاري فحسب ، وانما تقاس ايضا في الحفاظ عليه من تقادم الزمن من فرضية مبدأ التجديد الحضري الذي يقوم على التأثير المتبادل بين أجزاء المدينة والعلاقة التكاملية بينها ، كما يحاول البحث التعرف إلى سياسات التجديد الحضري ودوافعه وأساليبه ، كإعادة التطوير وإعادة التأهيل للموروث العمراني، وتلخصت مشكلة البحث في عدم وجود تصور واضح عن سياسات التدخل في مجال التجديد الحضري في منطقة الدراسة من خلال تقييم واقع الحال للتراث العمراني.

المقدمة:

تعد قضية التخطيط للمدن القديمة

واساليب التجديد الحضري لديمومة التراث العمراني من القضايا التي تهم بها دول العالم المتقدمة ، لما لهذه القضية من أهمية تنبع من قيمة التراث ذاته، فالتراث العمراني هو السجل الخالد الذي يحفظ تاريخ الأمم والشعوب، والدليل الواضح على تقدم الحضارات، وان التجديد الحضري لهذا الارث يعني الحفاظ على موروثات المدن التاريخية بما تتضمنه من قيم عمرانية وتاريخية اصيلة ، فالمناطق التاريخية لأي مدينة تعتبر جزءا من الثروة الوطنية لهذا البلد، وخاصة من الناحية الاقتصادية إذا تم استغلالها لأغراض السياحة. من هنا تأتى أهمية التجديد الحضري للحفاظ على الموروث العمراني، وضرورة العمل على حل مشاكله التي تهدده وتنذر باندثاره بسبب التطور العمراني حوله، لهذا يهدف هذا البحث في إيجاد الحلول الملائمة من خلال اساليب التجديد الحضري للحفاظ على طابع مدينة الزبير العمراني- التاريخي.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في بيان اساليب التجديد الحضري لديمومة التراث العمراني والتاريخي للإنسان وهي ثاني دراسة قام بها الباحث بعد دراسة أهمية الحفاظ على التراث العمراني في مدينة الزبير (*)،فمهما تعددت الأديان والمذاهب يجب الاهتمام بهذا الإرث العمراني لا نه ليس لأمة أو لدين معين ، وانما موروث للإنسانية ككل.

مشكلة البحث

هي وجود مواقع و مباني تاريخية مهملة وغير مستغلة وحالتها سيئة للغاية، ووجود أماكن من شانها أن تساهم في رفع المستوى الاقتصادي ولها مردود ايجابي أذا تم استغلالها بشكل جيد ، فضلاً عن ضرورة الحد من التداخل بين النسيج الحضري القديم مع الحديث .

موقع منطقة الدراسة

تقع منطقة الدراسة في الجزء الجنوبي الغربي من محافظة البصرة ، بين دائرتي عرض (27 30) شمالاً وبين قوسي طول (42 47) شرقاً، أما

حدودها الإدارية فيحدها شرقاً قضاء الفاو وقضاء ابي الخصيب ومن الشمال الشرقي قضاء البصرة ومن ناحية الشمال قضاء المدينة ومحافظة ذي قار ومن الغرب محافظة المثنى بينما تشكل حدودها الجنوبية جزء من الحدود الدولية بين العراق والكويت ، خارطة (1).

هيكلية الدراسة:

قامت هذه الدراسة إلى حد كبير على العمل الميداني ، لأهمية هذه الدراسة في تحقيق الهدف، حيث تم مشاهدة وتصوير وتوقيع المواقع الأثرية على خارطة (2) باستخدام نظام(GPS) ملحق (1)، للوقوف على حالتها المعمارية وتشخيص الأضرار التي لحقت بها لعدم صيانتها وترميمها بالشكل الصحيح وهذه المواقع تشمل (موضع البصرة القديم، جامع البصرة (الخطوة) ،جامع وضريح الزبير بن العوام ،ضريح طلحة بن عبيد الله ، ضريح الحسن البصري و ابن سيرين).

خارطة (1)

موقع منطقة الدراسة بالنسبة الى محافظة البصرة

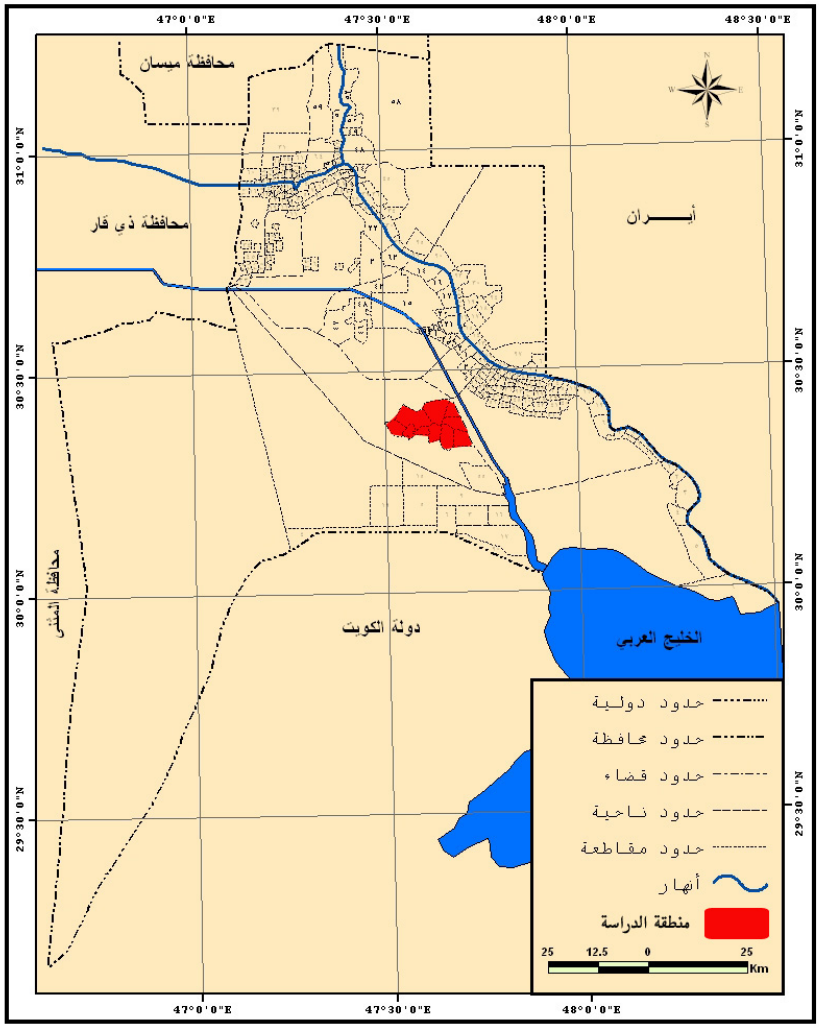

المصـدر: وزارة المـوارد المائيـة ، الهيـاة العامـة للمسـاحة ، خارطـة محافظـة البـصرة الاداريـة ، بمقيـاس رسـم ،1: 500000، قسـم الترسـيم ، مطبعـة الهيـاة ، بغـداد ، 2007.

خارطة (2)

المواقع الأثرية في مدينة الزبير باستخدام نظام (GPS)

المصدر : اعتماداً على :

1. مرئية فضائية لمدينة الزبير للقمر الصناعي لاندسات ، التقطت بتاريخ 9 / 11 / 2009 .

2. مديريـة بلديـة قضـاء الزبـير ، الشـعبة الفنيـة ، خارطـة التصميـم الأسـاسي لمدينـة الزبـير ، بمقيـاس رســـم 1 / 20000 ، 2008 .

اولا- الاطار النظري للدراسة

-1مفهوم التجديد الحضري

التجديد الحضري هو: عملية ترميم الأبنية وتكييفها وفق متطلّبات الحياة المعاصرة ، وهو سياسة لمرحلة جديدة، ونقلة نوعية من مرحلة قديمة، إذ يعمل على تجديد المباني المتهرّئة تحت تأثير التغيّر الاجتماعي والتكنولوجي المتسارع، وهو أيضا: التهديم الشامل للمناطق القديمة بطريقة تؤدي إلى إزالة مجموعة كبيرة من الأبنية والدور السكنية وتسمح بتخطيط وبناء المباني الحديثة والطرق والفضاءات المفتوحة ، ويمثّل عملية تخطيط شاملة تقيّم فيها جميع مكوّنات الهيئة الحضرية وفق متطلّبات الموقع والموضع مع تحديد سقف زمني لمراحل تنفيذها [1]، وهو كذلك: برنامج يتعلّق بتحقيق التغيرات الاجتماعية التي سيتم التحكّم بها حاليا، أو تلك القائمة على افتراضات مستقبلية حول التغيرات التي يمكن تحقيقها «، وهو في أحد تعريفاته: «إحداث تغيير في الناحية العمرانية للمدينة بأسلوب يمكن بواسطته استبدال الهياكل والمرافق القديمة التي لا تلائم متطلّبات الحاضر في الوقت الذي تغيّرت فيه المدينة ككل استجابة للضغوط الاقتصادية والمتغيرات لاجتماعية والعمرانية «، والتجديد الحضري يمثّل تأثير حازم لتداعيات البيئة الحضرية من خلال تنظيم مخطّط على مقياس واسع وكبير لمناطق المدينة الحالية حسب متطلّبات الحاضر وتوقّعات المستقبل من حيث مستويات المعيشة الحضرية، فضلا عن كونه مجموعة من الإجراءات الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية التي يكون الغرض منها تكوين الهيكل التخطيطي المصغّر للمدينة أو المنطقة على أساس تأمين أحسن الظروف البيئية والحضرية لسكّان المنطقة [2]. اما مفهوم التراث: فهو الشيء المتوارث عبر الاجيال وهي كلمة واسعة المعنى ولكنها تعطي الاهمية الاجتماعية او الحضارية او السياسية او الدينية للشيء المتوارث لذلك فان التراث العمراني هو تتابع لتجربة وقيم حضارية واجتماعية ودينية بين الاجيال فالتراث العمراني هو

المرآة التي تعكس الهوية الحضارية للإنسان في كل ما شيده من مدن وقرى وأحياء ومباني وحدائق ذات قيمة أثرية أو معمارية أو عمرانية أو اقتصادية أو تاريخية أو علمية أو ثقافية أو وظيفية [3].

-2سياسات التجديد الحضري

تعد عملية التجديد الحضري إحدى الممارسات المهمة في سياسات التصميم الحضري والتي تتعامل مع المناطق ذات الوضع العمراني البيئي الرديء، والذي تصاحبه أوضاع عمرانية واجتماعية واقتصادية سيئة، ويتم اختيار مناطق التجديد الحضري وهي مناطق التلف الحضري لعدة معايير تخطيطية وعمرانية واجتماعية أهمها:- معايير النمط الهيكلي للمدينة ومعايير الترابط الهيكلي والوظيفي والتاريخي للنسيج الحضري ومعايير منظومة الحركة في المدينة ومعايير الحالة الإنشائية ومعايير العوامل الطبوغرافية ومعايير الرغبات المشتركة للسكان [4] .

-3مقومات التجديد الحضري

هناك عدة مقومات للتجديد الحضري ومن اهمها هي :-

-1الحفاظ التاريخي على هيكل المدينة ومظهرها العام من خلال الترابط بين القديم والحديث والعلاقة المتبادلة بينهما، من خلال معايير وسياسات تجمع بين الحفاظ على الهيكل الحضري التاريخي واستمرار يته وبين المباني الحديثة مثل: معايير الروابط المعمارية والفضائية بين الهياكل العمرانية التي ينبغي الحفاظ عليها والأبنية الحديثة ومعايير الخواص الفضائية والقيمة التاريخية للنسيج القائم ومدى إمكانية تحوي النسيج ليلائم المتطلبات الحديثة، ومعايير استيعاب تصاميم الأبنية والمرافق الحديثة لإمكانية التطوير والتغيير

-2تعامل التجديد الحضري مع تخطيط المدينة (التخطيط المحلي) والتخطيط الإقليمي من خلال علاقة المدينة بمحيطها الإقليمي.

-3الشمولية في التوجه من حيث الجوانب الحضرية كالإسكان

والتكويـن الفراغـي وخدمـات البنيـة التحتيـة والخدمـات الاجتماعيـة والمعماريـة.

-4 تحقيـق المشـاركة الجماهيريـة مـن أجـل رفـع مسـتوى معيشـة السـكان وتلبيـة متطلباتهـم والاهتـمام بآرائهـم.

-5 الواقعيـة مـن خـلال الأخـذ بالحسـبان خصائـص البيئـة الحضريـة والهيـكل الاجتماعـي والاقتصـادي وملاءمتهـا للإمكانيـات الماليـة المتوافـرة للتنفيـذ.

-4 أسـاليب وطـرق التجديـد الحـضري للـتراث العمـراني

يعـد المـوروث العمـراني في أي مدينـة ثـروة كبـيرة تمثـل قيمـة حضاريـة عـلى مسـتوى الحضـارة البشريـة، وتعـد صيانـة وحمايـة هـذه الثـروة مـن الخطـوات والوسـائل الهامـة للحفـاظ عـلى قيمتهـا الحضاريـة. والدعـوة إلى حمايـة المبـاني الأثريـة والتاريخيـة وإصلاحهـا وترميمهـا وتجديدهـا لا يمكـن أن تنفصـل عـن الدعـوة إلى الارتقـاء بالبيئـة التـي تقـع بهـا هـذه المبـاني حيـث أن الارتقـاء يتسـع ليشـمل الجانـب الاجتماعـي والاقتصـادي للسـكان وأنشـطتهم ،إن طـرق التعامـل مـع المبـاني الموجـودة في المناطـق التاريخيـة تختلـف نظـرا لوضـع المبنـى المـراد التعامـل معـه، ومـن ابـرز هـذه الطـرق هـي [5]:-

١-الإزالـة وإعـادة البناء:يتـم في حالـة كـون المبنـى سـيئا، ويوجـد بـه خلـل لا يمكـن إصلاحـه، أو أن إصـلاح هـذا الخلـل ذي تكلفـة عاليـة، وبذلـك تصبـح عمليـة الإصـلاح غـير مجديـة، لذلـك يتـم السـماح بإعـادة البنـاء عـلى طـراز خطـوط البنـاء ومراعـاة النواحـي الفنيـة والجماليـة.

٢-الإصـلاح : يتـم هـذا في حالـة كـون المبنـى في حالـة إنشـائية متوسـطة حيث يمكـن إصلاحـه بنصـف تكلفـة المبنـى السـيئ، وهنـا يتـم تصميـم وتنسـيق المواقـع المحيطـة بهـذه المبـاني، وكذلـك السـاحات والميادين العامـة.

٣-الترميـم والتجديـد :تهـدف هـذه الطريقـة إلى إعـادة المبـاني إلى الطابـع المميـز والتاريخـي والأثـري، وذلـك بأعـمال الترميـم الإنشـائية، وكذلـك أعـمال التشـطيب الداخـلي والخارجـي للواجهـات، وتشـمل أيضـا أعـمال الصيانـة المطلوبـة الدائمـة للمحافظـة عـلى المبنـى في حالتـه الأصليـة.

٤-الحماية :إن حماية المبنى التاريخي أو الأثري تعني حماية الصورة البصرية العامة للمنشآت المحمية، وكذلك حماية البيئة الاجتماعية والاقتصادية المحيطة به.

٥-الحفاظ :وهي الحفاظ على المباني والنسيج والطابع المعماري الخاص بالمنطقة التاريخية بوصفها رمزا تاريخيا وقيمة أثرية يجب المحافظة عليها في صورتها الأصلية، ويشمل الحفاظ على الهيكل الاجتماعي والاقتصادي بجانب الهيكل العمراني.

٦-إعادة الاستعمال :تهتم هذه بسياسة إعادة توظيف المباني التاريخية في استعمالات جديدة تلائم التطور، وتحافظ على الأثر وتضمن استمرارية صيانته والمحافظة عليه بصورة علمية.

٧-إعادة التأهيل :تهتم بالمباني التاريخية ومحيطها العمراني، وذلك من خلال رفع مستوى المنطقة الاقتصادي والاجتماعي.

٨-الصيانة :تتعامل مع التغير في المجالات العمرانية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتكنولوجية لضمان استدامة واستمرار تكيف المنطقة مع التغير السريع والمستمر فيها، وتهدف إلى استمرارية الإحساس بالقيمة التاريخية، والتأكيد على شخصية المكان والمجتمع المحلي.

لقد توصلت الكثير من دول العالم إلى مستوى معين من القناعات والتي يمكن أن تجعل من المناطق التراثية مناطق مستدامة وحيوية وبالإمكان الإبقاء عليها وإخضاعها إلى مبادئ التخطيط العمراني الحديث ، لذا فقد ابتكرت العديد من الطرق في التعامل مع الموروث العمراني في المدن من أبرزها[6]:

الطريقة الأولى : أجراء مسح شامل لجميع المناطق التراثية وتوثيقها .

الطريقة الثانية : أجراء تصنيف تاريخي لجميع هذه المناطق والوقوف على الأبعاد الزمنية التي تعود أليها هذه الأماكن .

الطريقة الثالثة : الاحتفاظ ببعض المناطق التراثية وإزالة المتهرئ والمتهالك منها . كما هو الحال في الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية فأزالت العمران القديم وحلت محلة الأبراج وناطحات السحاب.

الطريقة الرابعة : أجراء بعض التعديلات وأعمال الصيانة عليها دون المساس بشخصيتها العمرانية وعناصرها المعمارية كما هو الحال في بيروت .

الطريقة الخامسة : اعتماد مبدأ التجديد الحضري للموروث والذي يقوم مبدأ أعادة التأهيل للمباني التي تعاني من تهالك ورفعها الى مستوى القبول الحضري من جانب ، ورفع كفاءة المتبقي منها إلى درجة العمران الحديث بعد أجراء إعمال الصيانة والترميم بمواد وهندسة تناغي واقعها العمراني دون المساس والتغيير في هيئتها العامة .كما هو الحال في روما وفينا.

ثانيا – الاطار العملي للدراسة

-1المواقع الأثرية والتاريخية لمدينة الزبير

أ-موضع البصرة القديم

يقع شمال منطقة الدراسة والذي لازالت آثاره باقية صورة (1)، تأسست مدينة البصرة الراشدية سنة 14 هـ الموافق 635 م تحت إشراف عتبة بن غزوان المازني وكان تأسيسها نابعا من التطورات العسكرية أثناء الفتوحات الإسلامية[7]، ومن خلال الدراسة الميدانية تبين بان هذا الموقع المهم لم يحظى بأي اهتمام للمحافظة عليه، وان من أهم المشاكل التي تواجه موضع البصرة القديم هي مشكلة التجاوزات المتمثلة بإنشاء معامل الحصى والجص وبناء الدور السكنية بشكل عشوائي وخارج ضوابط التخطيط العمراني، ومما ساعد في تفاقم المشكلة هو عدم اتخاذ إجراء رادع قانوني لها من قبل السلطات المحلية في منطقة الدراسة ، وكما توضح الصورة عدم وجود سياج لحفظ هذا الموقع الأثري المهم وأصبح مكبا للنفايات ورمي الأنقاض.

ب-جامع ومسجد البصرة (الخطوة)

تمثل الصورة (2) جامع مسجد البصرة الذي شيده عقبة بن نافع سنة 14 للهجرة[8]، ويطلق عليه خطوة الإمام علي (ع) ، ويعد اليوم من أفضل المواقع التاريخية الدينية في منطقة الدراسة حيث يؤمه المسلمين في كل المناسبات الدينية ، وقد شيد حول المسجد القديم مسجداً أخر

في عام 1990م وأحيط بسياج كبير، ألا انه لم يكن هناك اي اهتمام بالمنارة القديمة حيث تفعل الرياح والرطوبة والأمطار فعلها فتسقط منها الكثير من أجزائها بمعنى لا يوجد اهتمام لهذا الصرح العظيم كما يظهر في الصورة.

ج-جامع وضريح الزبير بن العوام

يعد ضريح وجامع الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، النواة الأولى لمدينة الزبير صورة (3) ،ولد سنة 28 قبل الهجرة ، وقتل في معركة الجمل في وادي السباع سنة 658م[9] ، وهناك سبعة مساجد في المدينة تقام فيها صلاة الجمعة ومنها جامع الزبير بن العوام الذي يقع وسط المدينة شرق محلة الكوت ويحتضن قبر الصحابي الجليل الزبير بن العوام (رض) وهو أول مسجد في المدينة شيده الأتراك بعد ان احتلوا البصرة سنة 953 للهجرة وقد تم تأسيسه 979 للهجرة[10] ، وتعلو ضريح الزبير قبة كبيرة وبالقرب منه من جهة الشرق قبر عتبة بن غزوان مؤسس مدينة البصرة القديمة، ومن ملاحظة الصورة للقبة الداخلية نلاحظ التهرؤ والبقع من اثر الرطوبة.

د-ضريح طلحة بن عبيد الله

يقع الضريح في الجزء الشرقي لمدينة الزبير في الفضاء الكائن بين الزبير والبصرة ،وقد قام السلطان سليم الثاني ببناء القبة فوق الضريح سنة 979 للهجرة الموافق 1031م ، وفي سنة 1293 هـ - 1878م قام السلطان عبد الحميد الثاني بتصميم المرقد[11]. ثم تم بنائه من جديد في مطلع التسعينات من القرن الماضي ، ولكن بعد الاحتلال الأمريكي للعراق تعرض للتفجير في عام 2006 من قبل مجهولين والصورة (4)، توضح الاضرار التي لحقت بهذا التراث المعماري منذ أكثر من 10 سنوات ولم يتم تعميره لحد الان.

ه-ضريح الإمام الحسن البصري

ولد الإمام الحسن البصري سنة 21 هـ في المدينة المنورة وفي سنة 37 هـ انتقل الى البصرة فكانت مرحلة التلقي والتعليم . توفي الحسن البصري عشية يوم الخميس في أول رجب سنة 110 هـ[12] ، ودفن في الموضع الحالي لمدينة الزبير وقد

سميت المقبرة باسمه (مقبرة الحسن البصري)، صورة (5) توضح القبة المدفون فيها وكذلك بجواره ابن سيرين وهو أبو بكر محمد بن سيرين البصري التابعي الكبير ، ولد ابن سيرين في خلافة عثمان بن عفان ، اشتهر في تفسير الرؤيا والحديث والفقه وتوفي سنة 110 هـ[14](13) ، بعد الحسن البصري بمائة يوم وكان عمرة نيفاً وثمانين، ويلاحظ من الصورة البقع الموجودة على القباب بسبب العوامل الجوية.

و-قصر ال زهير

وهو قصر يحي ال زهير أول شيخ يتولى على مدينة الزبير وفي عهده تم بناء السور سنة 1211 هـ الموافق 1798م بأشراف قاضي الزبير بن جديد وقد استمرت مشيخته الى سنة 1213 هـ الموافق 1798م ويعتبر مؤسس محلة الزهيرية ، ويلاحظ من الصورة (6) بقايا القصر والذي يدعو الى الاهتمام والمحافظة على بقية هذا الموروث المعماري.

2- البيوت الأثرية في مدينة الزبير .

تتميز البيوت التقليدية التاريخية في منطقة الدراسة بكثير من العناصر التي تعبر عن فن العمارة الإسلامية مثل المدخل المنكسر لتحقيق الخصوصية وحجب أهل البيت وخاصة من النساء عن أعين الداخلين للبيت ، وكذلك الفصل ما بين أماكن الرجال والنساء ووجود الفناء الداخلي (الحوش) والذي يعد احد المعالجات للبيئة الصحراوية التي اشتهرت بها العمارة في المدن العربية الإسلامية حيث يعمل هذا الفناء على توفير فراغ خاص لساكني المنزل للاتصال بالبيئة الخارجية وتصل من خلاله الإضاءة والتهوية المطلوبة للفراغات المحيطة به فضلاً عن وجود الممرات الهوائية (باكديرات) (••) والتي تبدأ من داخل الغرف وترتفع الى الاعلى موازية للجدران لتنتهي عند اعلى جدار السطح بشكل مقسم الى فتحة واحدة او أربع فتحات ليكون أشبه بالتبريد المركزي خلال فصل الصيف الحار في منطقة الدراسة.

تتعرض البيوت السكنية الأثرية في مدينة الزبير الى أخطار محدقة تهدد بفنائها وقطع الصلة بالماضي

وطمس معالم حضارية لحقبة مهمة من التاريخ الإسلامي وهي الحقبة العثمانية، ويزداد حجم الخطر عليها في ظل غياب التشريع الرادع والقانوني ، فضلاً عن قلة الوعي لساكنيها بضرورة الحفاظ عليها ، وتتمثل هذه الأخطار التي تم الوقوف عليها من خلال المسح الميداني ، وهذه الأخطار هي على نوعين :-

اولاً : الهدم

تواجه المساكن التاريخية في منطقة الدراسة للهدم من قبل شاغليها بشكل مستمر وذلك في ظل غياب الرقابة القانونية والمتابعة من الجهات المسئولة عن ذلك دائرة الآثار وبلدية الزبير، والتي من المفترض ان يكون لها دور فاعل لهذا التعدي من خلال زيادة الرقابة والمتابعة لضمان عدم قيام ساكنيها بهدمها بمعزل عن الجهات المسئولة وهذا ما يحدث فعلاً ويتم هدمها لأسباب مختلفة منها :-

-1رغبة ساكنيها في استثمارها في عمل محلات تجارية ومشاريع استثمارية تدر عليهم دخلاً خاصة وان تلك المباني يقع معظمة وسط المدينة بالقرب من مركزها التجاري حيث أسعار الأرض أعلى ما يكون، صورة (7) توضح ذلك .

-2الحاجة الى توسع بعض الشوارع او تطوير البنية التحتية في بعض المناطق القديمة في المدينة وهذا ما يستدعي بعض الأحيان هدم بعض المباني الأثرية او جزء منها ويرجع هذا القصور في مخططات التطوير الحضري التي تقوم بها الدولة

-3العوامل البيئية مثل الأمطار والرياح التي تؤثر بشكل مباشر على المباني الأثرية وتسبب هدم أجزاء منها.

ثانياً : الهجرة

ترجع جميع المباني السكنية في منطقة الدراسة الى جنسيات خليجية خاصة أهالي نجد في السعودية وهم أول من سكن مدينة الزبير وقد هجرها الكثير من أصحابها خلال الحرب العراقية الإيرانية في عام 1980 وكذلك بعد حرب الخليج عام 1990أ وأخر (23) عائلة هاجرت بعد احتلال العراق بتاريخ 4 / 9

/ 2003(***)وسكن هذه البيوت آخرين من أهالي مدينة الزبير من قبل وكلاء لأصحاب هذه الدور السكنية وبأجور رمزية ؛ بهدف الحفاظ عليها من التخريب ، وان هذه الهجرة نتج عنها العديد من الأضرار التي تفاقمت مع الزمن ويمكن تلخيص تلك الأضرار بالاتي:-

-1عدم الصيانة والاعتناء بالبيت مما يؤدي الى الكثير من الأضرار مثل نمو النباتات على الجدران والأسقف والأرضيات والتي تؤدي الى حدوث التشققات التي تزداد مع الوقت .

-2 استخدامها في وظيفة غير تلك التي صممت من اجلها حيث ان الكثير من المباني السكنية قد تم تحويلها الى محلات تجارية او مخازن مما يعرضها للضرر نتيجة للتحوير في المبنى او إضافة مواد بناء جديدة لا تتناسب مع طبيعة المبنى .

-3 أتباع طرق خاطئة في الترميم وإصلاح المبنى واستخدام مواد بناء غير مناسبة مما تؤدي بالضرر بالمبنى أكثر من النفع ، لقد تبين في كثير من الحالات قيام ساكني تلك البيوت وبحسن نية ورغبة منهم في إصلاحها باستخدام مواد مثل الاسمنت في أكساء جدرانها الداخلية للمحافظة عليها جهلاً منهم بطبيعة مادة الطين المخلوط بالرمل والذي يشكل مادة البناء الأساسية لهذه البيوت ما تحتاجه الى تهوية مستمرة للتخلص من الرطوبة؛ وعدم معرفتهم لما يقوم به الاسمنت من منع تلك التهوية وحجز الرطوبة داخل الجدران مما يسبب تآكله؛ ناهيك عن إخفاء شكل المبنى الأثري وضياع معالمه التقليدية ليصبح وكأنه مبنى حديث بطراز قديم

-4 التوسع في فراغات المبنى لتلبية الزيادة في احتياجات ساكنيه اما بإضافة غرف ملحقة بالمبنى مما يؤدي الى تشويه تصميمه المعماري القديم .

الخلاصة والتوصيات:

تشكل المواقع التراثية والمباني السكنية نسبة لابأس بها من تراث معماري في مدينة الزبير ، وهي تعكس بتصميمها المعماري وعناصرها المختلفة طبيعة حقبة تاريخية من تاريخ المدينة وتمثل جانب حضاري مهم يجدر الاهتمام به والمحافظة عليه ، ومع ذلك تواجه تلك المواقع والمباني مجموعة من الاخطار والمهددات والتي تنذر لو استمرت بفقد جزء كبير منها وما تمثله من تراث معماري حضاري في المدينةا وهو ما يتطلب من الجميع الوقوف كل عند مسؤوليته والعمل الجاد للحفاظ عليها وفي هذا الاطار فان الدراسة تجمل بعض التوصيات والمقترحات للتغلب على تلك المعوقات وتسهم في الحفاظ وتخفيف ما تعانيه المواقع والمباني الاثرية في مدينة الزبير من اساءة واهمال وذلك من خلال العمل على تحقيق التالي :-

1- توثيق التراث العمراني وخاصة المباني السكنية وتوفير قاعدة بيانات متكاملة حولها للمساهمة في وضع آليات التدخل المناسبة للحفاظ عليها .

2- تفعيل القوانين والتشريعات المتعلقة بالحفاظ على المواقع التراثية ووضع الاليات التي تضمن تنفيذها على الوجه الاكمل .

3- وضع خطة تنفيذية متكاملة للحفاظ على المواقع والمباني السكنية والاثرية يشترك في اعدادها جميع الجهات المختصة والمعنية .

4- توفير التمويل اللازم للقيام بمشاريع الترميم والحفاظ على التراث المعماري .

5- تدريب كفاءات محلية من مهندسين ومشرفين وعمال على القيام بمشاريع الحفاظ والترميم المعماري من خلال استحداث برامج دراسية متخصصة بالإضافة الى عقد دورات ودروس تدريسية لتنمية المهارات العملية في هذا المجال .

6- زيادة الوعي لدى اصحاب القرار في المؤسسات والجهات المسئولة بالإضافة الى شرائح المجتمع المختلفة بأهمية وضرورة المحافظة على التراث المعماري وذلك من خلال

تنظيم حملات اعلامية ومحاضرات توعية ومنشورات تعريفية .

-7 رفع التجاوزات المتمثلة بمعامل الجص والحصى والاسفلت والدور السكنية المشار اليها سابقاً ومحاسبة القائمين برمي الانقاض والنفايات

-8 تحديد المواقع الاثرية بأسيجة واقية مزودة بلوحات دلالة واضحة المعالم

-9 تعين الحراس المدنيين وبأعداد تتناسب واهمية المواقع الاثرية

-10تعزيز الكادر الاداري والعلمي لمفتشية اثار البصرة ليتسنى لهم القيام بواجبها على الوجه الاكمل.

صورة (1) موضع مدينة البصرة القديم

المصدر: الدراسة الميدانية، صورت بتاريخ 20/ 10/ 2016

صورة (2) مسجد البصرة القديم (الخطوة)

المصدر: الدراسة الميدانية، صورت بتاريخ 20/ 10/ 2016

صورة (3) قبة ضريح الزبير بن العوام

المصدر: الدراسة الميدانية، صورت بتاريخ 20/ 10/ 2016

صورة (4) توضح الدمار في قبة وضريح طلحة بن عبيد الله

المصدر: الدراسة الميدانية، صورت بتاريخ 20/ 10/ 2016

صورة (5) قباب ضريحا الحسن البصري وابن سيرين

المصدر: الدراسة الميدانية، صورت بتاريخ 20/ 10/ 2016

صورة (6) باب قصر آل زهير

المصدر: الدراسة الميدانية، صورت بتاريخ 20/ 10/ 2016

صورة (7) المحلات التجارية في البيوت العمرانية

المصدر: الدراسة الميدانية، صورت بتاريخ 20/ 10/ 2016

ملحق (1)

احداثيات مواقع التراث العمراني في مدينة الزبير

1- موضع البصرة

N 30°24'22.1''

E 047°41'53.0''

2- ضريح طلحة بن عبيد الله

N 30°23'56.8''

E 047°44'23.5''

3- مسجد البصرة (الخطوة)

N 30°23'59.3''

E 047°43'58.4''

4- قصر ال زهير

N 30°23'31.7''

E 047°42'45.2''

5- ضريح الحسن البصري وابن سيرين

N 30°23'02.9''

E 047°41'56.0''

6- ضريح وجامع الزبير بن العوام

N 30°23'20.5''

E 047°42'19.6''

الهوامش:

(•) ينظر ، عباس عبد الحسين العيداني ، قاسم مطر عبد الخالدي ،اهمية الحفاظ على الموروث الحضاري لمدينة الزبير ، مجلة دراسات البصرة ،العدد 11، 2011.

(1) خروفة، عمر حازم ، سياسات التجديد الحضري وفق مناهج الاستدامة، تقويم للمدن التقليدية الموصل أنموذجا ، مجلة القادسية للعلوم الهندسية ،المجلد 7 ، العدد 3 ، 2014 ، ص 108.

(2) الحيدري ،عبد الباقي عبد الجبار أمين ، التجديد الحضري لقلعة أربيل، د راسة اجتماعية واقتصادية وعمرانية ، مكتبة الحدباء، الموصل 1985 ،ص 16.

(3) كمونه حيدر عبد الرزاق ، توظيف موارد البيئة المحلية في انشاء الوحدات السكنية المكونة للنسيج الحضري ضمن اطار الحفاظ على التراث العمراني ،تجربة حسن فتحي انموذجا ،مجلة المخطط والتنمية ، العدد 22، 2010 ،ص3.

(4) العساسفة ،سلامة طايع واخرون ، التجديد الحضري كأسلوب لمعالجة مشاكل مراكز المدن، حالة مدينة الكرك القديمة في الأردن، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية ،المجلد 23 ،العدد 2 ، 2007 ، ص 242

(5) السعدون، عبد الجليل ضاري و سهام كاظم الموسوي ، الاعتبارات التخطيطية والتصميمية للمدن التاريخية القديمة العربية ،حالة دراسية (مدينة كربلاء)، مجلة كلية التربية ، جامعة واسط ، العدد العاشر ، 2011 ، ص 316 . http://www.iasj.net/iasj?func=search&query=au تاريخ الدخول للموقع 27/ 10/ 2016

(6) الجميلي ، رياض كاظم سلمان، مفهوم الموروث العمراني وأهميته ، جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية ، http://cohe.uokerbala.edu.iq/2015-05-10-09-25-43 تاريخ الدخول للموقع 2/ 11/ 2016

(7) خضير ، محمد ، بصر ياثا ، منشورات الأمد ، بغداد ،1993 ، ص90.

(8) الرقراق، محمد بن سعيد ، لمحات من ماضي الزبير ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 1994 ، ص12.

(9) http://www.marefa.org/index.php تاريخ الدخول للموقع 14/ 11/ 2016

(10) سونيينج ، توسلاف مارا ، المدن التاريخية سبل الحفاظ عليها واحيائها ، ترجمة عرفان سعيد ، المركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية ، بغداد ، 1985 ، ص46.

(11) النبهاني ، محمد بن خليفة ، التحفة النبهانية في تأريخ الجزيرة العربية ، دراسات الخليج العربي ، ط، 1980 ، ص

12.

(12) بيومي ، مصلح ، الحسن البصري ،حياته وصلته بالحكام ، حولية كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، العدد الاول ،1980،ص133 . http://qspace.qu.edu.qa/bitstream/handle/10576/9454/038001-00006-fulltext.pdf?sequence=10 تاريخ الدخول للموقع 2/ 1/ 2017

(13) ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، المجلد السابع ،ص19. http://al-hakawati.net/arabic/civilizations/224a7.pdf تاريخ الدخول للموقع 2/ 1/ 2017

(••)الباكديرات كلمة فارسية اصلها بادگير (ممر الهواء) ولكن سكان المدينة حرفوها الى كلمة باگدير .

(•••)مقابلة مع بعض مشايخ الزهيرية بتاريخ 4 / 11 / 2016

المصادر المعتمدة:

-1 ابن منظور أ مختصر تاريخ دمشق أ المجلد السابع .

-2 توسلاف مارا سونيينج ، المدن التاريخية سبل الحفاظ عليها واحيائها ، ترجمة عرفان سعيد ، المركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية ، بغداد ، 1985.

-3 سلامة طايع العساسفة واخرون أ التجديد الحضري كأسلوب لمعالجة مشاكل مراكز المدن، حالة مدينة الكرك القديمة في الأردن أ مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية أ المجلد 23 أ العدد 2 أ 2007 .

-4 حيدر عبد الرزاق كمونه أ توظيف موارد البيئة المحلية في انشاء الوحدات السكنية المكونة للنسيج الحضري ضمن اطار الحفاظ على التراث العمراني أ تجربة حسن فتحي انموذجا أ مجلة المخطط والتنمية أ العدد 22 أ 2010.

-5 عبد الباقي عبد الجبار أمين الحيدري، « التجديد الحضري لقلعة أربيل أ دراسة اجتماعية واقتصادية وعمرانية «، مكتبة الحدباء، الموصل 1985.

-6 عبد الجليل ضاري السعدون و سهام كاظم الموسوي أ الاعتبارات التخطيطية والتصميمية للمدن التاريخية القديمة العربية أ حالة دراسية (مدينة كربلاء) أ مجلة كلية التربية أ جامعة واسط أ العدد العاشر أ 2011.

-7 عمر حازم خروفة، سياسات التجديد الحضري وفق مناهج الاستدامة، تقويم للمدن التقليدية الموصل أنموذجا، مجلة القادسية للعلوم الهندسية، المجلد 7، العدد 3، 2014.

-8 محمد بن خليفة النبهاني ، التحفة النبهانية في تأريخ الجزيرة العربية ، دراسات الخليج العربي ، ط، 1980.

-9 محمد بن سعيد الرقراق ، لمحات من ماضي الزبير ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 1994.

-10 محمد خضير ، بصر ياثا ، منشورات الأمد ، بغداد ،1993.

-11 مصلح بيومي، الحسن البصري، حياته وصلته بالحكام، حولية كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، العدد الاول، 1980.

12-http://www.iasj.net/iasj?func=-search&query=au

13- http://cohe.uokerbala.edu.iq/2015-05-10-09-25-43

14- http://www.marefa.org/index.php

15-.http://qspace.qu.edu.qa/bitstream/handle/10576/9454/038001-0006-fulltext.pdf?sequence=10

16-.http://al-hakawati.net/arabic/civilizations/224a7.pdf

Methods of urban renewal of the Architectural Heritage
Urban legacies case study in the town of Zubair

MD Qassim Matar Abd Al-Khalidy
Basra / College of Education / University of Basrah

Abstract

This research aims to maintain and rehabilitate the urban heritage in the town of Zubair, who is a living witness to the authenticity of Urbanism and close association with the local environment, customs and traditions inherited especially in architectural and urban design appropriate to the desert climate warm to the conditions of the old homes, and many states have sought to revive this heritage of the conviction that he is not measured by the renaissance of peoples, including up to him from the urban and cultural evolution only, but also measured in the preservation of the limitations of time from the premise of the principle of urban renewal which is based on the mutual influence between the parts of the city and the relationship of complementarity between them, as research is trying to identify the urban renewal policies the motives and methods, such as the return of development and rehabilitation of the urban heritage, and summarized the research problem in the absence of a clear idea about the intervention in the field of urban renewal policies in the study area by assessing the reality of the Architectural heritage .

جولية المتنبي

محور
الدراسات الإنكليزية

جولة المبتدي